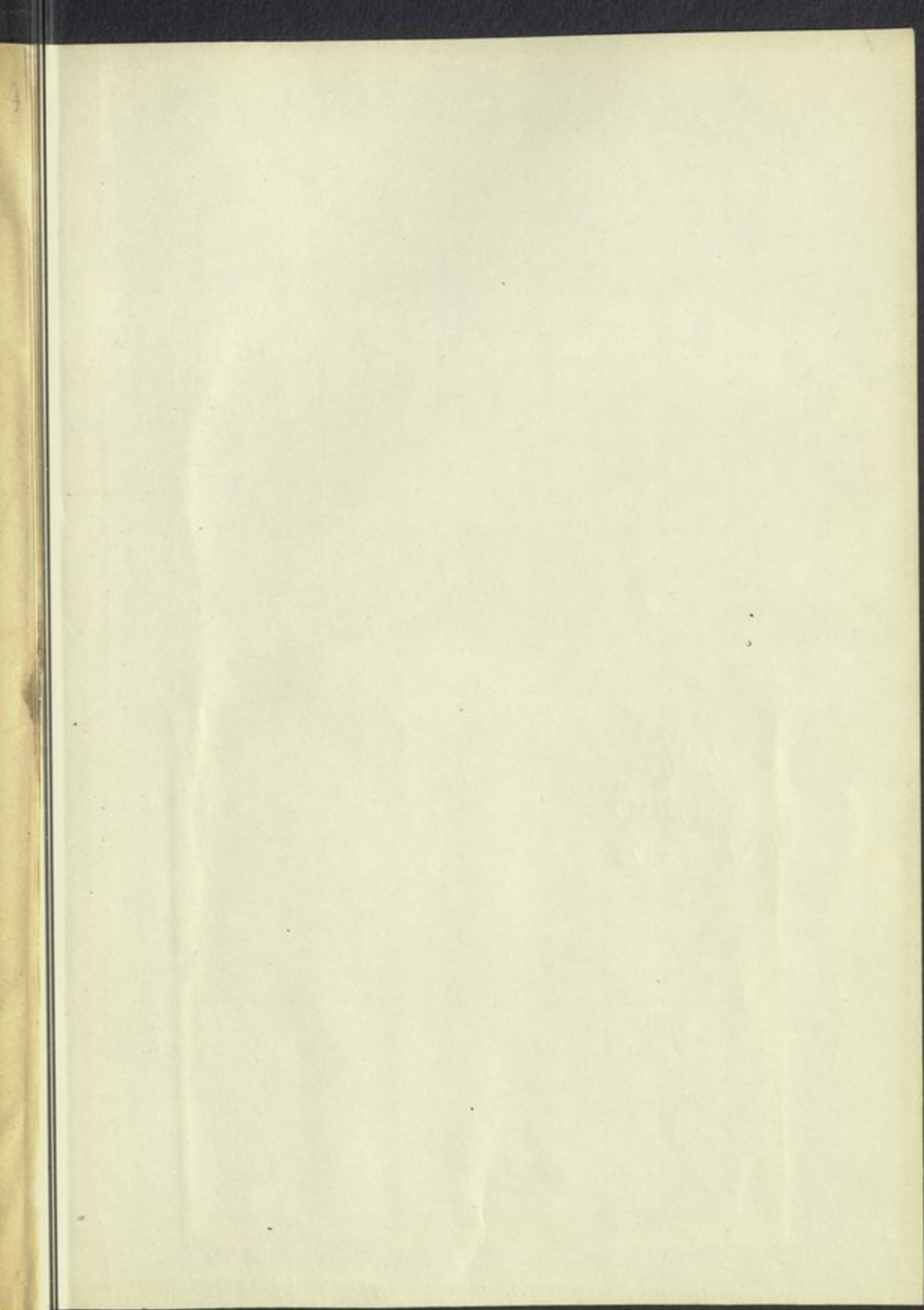


A.U.B. Library





الإيضاح في علوم البلاغة

للخطيب القزويني (٦٦٦ - ٧٢٩ هـ)

شرح وتعليق

محمد عبد المنعم صفاجي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء الخامس

عن بطبعة ونشره

أحمد نجيب الرافعي

صاحب مكتبة الجامعة الأزهرية

بميدان الأزهر الشريف بمصر

١٣٦٩ - ١٩٥٠

المطبعة الفاروقية الحديثة

أول شارع محمد بك فريال الناصرية

الجزء الأول إلى آخر باب المجاز العقلي .

الجزء الثاني إلى آخر باب متعلقات الفعل .

الجزء الثالث إلى آخر علم المعاني .

الجزء الرابع إلى آخر باب التشبيه .

الجزء الخامس إلى آخر الحقيقة والمجاز والسكناية .

الجزء السادس علم البديع

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الخامس من شرحي على الإيضاح في علوم البلاغة
ولاني لأوجه الشكر إلى جميع إخواني وزملائي الذين أولوه حسن القبول
وشجعوني على الاستمرار في إخراج هذا الشرح الجديد .
وأضرب إليه تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم .
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد عبد المنعم خفاجي
أستاذ بكلية اللغة العربية

القول في الحقيقة والمجاز^(١)

وقد يقيدان باللفويين^(٢)

الحقيقة^(٣): الكلمة^(٤) المستعملة فيما وضعت له^(٥) في اصطلاح
به التخاطب^(٦)

(١) هذا هو المقصد الثاني من مقاصد علم البيان، والمقصد الأول هو التشبيه، والثالث الكناية

والمقصود الأصلي بالنظر إلى علم البيان هو المجاز إذ به يتأني اختلاف الطرق - التي يؤدي بها المعنى المراد - وضوحا وخفاء. أما الحقيقة فليست بمقصودة أصلية بالنظر إلى علم البيان، لانه لا يتأني فيها اختلاف الطرق التي يؤدي بها المعنى المراد في الوضوح والخفاء، لعدم التفاوت فيها: أما الكناية فكالمجاز يتأني بها اختلاف الطرق وضوحا وخفاء.

ولكن لما كانت الحقيقة كالأصل للمجاز، إذ الاستعمال في غير ما وضع له فرع الاستعمال فيما وضع له غالبا. إذ الغالب أن كل مجاز يتفرع عن حقيقة - جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أولا

(٢) أى لتمييزا عن الحقيقة والمجاز العقليين اللذين هما في الاسناد، والاكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم أنه مقابل للشرعي والعرفي. فيخرجان بالتقييد مع أن المقصد إدخالها

(٣) راجع ١٥١ و ١٥٢ من المفتاح، ٣٠٢ وما بعدها من الاسرار والحقيقة في اللغة وصف بزنة فعليل: بمعنى فاعل من حق الشيء. إذا ثبت، أو بمعنى مفعول من حققته إذا أثبتته؛ تقل ذلك اللفظ من الوصفية إلى كونه أصلا للكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي، والمراد بمكانها الأصلي معناها الذي وضعت له أولا =

فقولنا « المستعملة » احتراز مما لم يستعمل ، فإن الكلمة قبل
الاستعمال ^(١) لا تسمى حقيقة ^(٢)
وقولنا « فيها وضعت له » احتراز عن شيئين :

== والتاء فيها للنقل — أى للدلالة على نقل تلك الكلمة من الوصفية إلى الاسمية
لأن التاء تدل في أصلها على معنى فرعى هو التأنيث ثم دخلت هنا على الكلمة
المقولة من الوصفية للاسمية إشعارا بفرعية الاسمية فيها كما كانت فيها إشعارا
بالتأنيث ، فالتاء الموجودة في الوصف بعد النقل غير الموجودة فيه قبل
النقل — فالتاء هنا فنقل من الوصفية إلى الاسمية ؛ وليست التاء للتأنيث باعتبار
أن الحقيقة إسم للكلمة بدليل أنه يقال لفظ حقيقة ولو اعتبر كونها للتأنيث حذفت
(٤) الأولى إبدال الكلمة باللفظ ليشمل المفرد والمركب . وقد يقال
إن المركب وإن كان موضوعا باعتبار الهيئة التركيبية على التحقيق ، لكنه
لا يطلق عليه حقيقة ، وإن سلم إطلاقها عليه فيقال هذا تعريف بحسب الغالب
وهو الكلمة ، جنس في التعريف .

(٥) أى المستعملة في معنى وضعت تلك الكلمة له . وقوله « المستعملة » فصل
وقوله « وضعت له » قيد .

(٦) أى وضعت له في اصطلاح به — أى بسميه — يقع التخاطب بالكلام
المشتمل على تلك الكلمة .

فالمراد بالتخاطب التكلم بالكلام المشتمل على تلك الكلمة . والمراد بوضع
الكلمة لذلك المعنى في الاصطلاح أن يظهر ذلك على السنة أهل ذلك الاصطلاح
بحيث يطلقون اللفظ على ذلك المعنى إطلاقا كثيرا حتى صار حقيقة فيه

(١) أى وبعد الوضع

(٢) كما لا تسمى مجازا

أحدهما ما استعمل في غير ما وضعت له غلطاً، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك، خذ هذا الكتاب، مشيراً إلى كتاب بين يديك فغلطت فقلت خذ هذا الفرس^(١)

والثاني أحد قسمي المجاز، وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كلفظة الأسد في الرجل الشجاع^(٢)

وقولنا في اصطلاح به التخاطب، إحتراز عن القسم الآخر من المجاز، وهو ما استعمل فيما وضع له لا في اصطلاح به التخاطب، كلفظ

(١) فاللفظ فيه مستعمل في غير ما وضع له فهو ليس حقيقة ولا مجازاً والغلط الخارج هنا هو المتعلق باللسان، أما المتعلق بالقلب فهو حقيقة أو مجاز

(٢) فإن استعماله فيه لم يكن استعمالاً فيما وضع له باعتبار اصطلاح التخاطب ولا باعتبار غيره. أما المجاز على بعض الاصطلاحات دون بعض فهو خارج بالقيد الآتي، والكذب يخرج أيضاً بهذا القيد، فيما وضعت له، كما إذا قيل للحجر هذا ماء بتمدد الكذب وبدون ملاحظة علاقة وقرينة والسكناية إن قلنا إنها مجاز خرجت أيضاً بهذا القيد وإن قلنا هي حقيقة فلا تخرج وقيل هي لا حقيقة ولا مجاز فهي خارجة عن أحدهما.

فلا استعارة وإن كانت موضوعاً بالتأويل - وهو كما يأتي ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وكونه فرداً من أفراد - إلا أن المفهوم من إطلاق الوضع إنما هو الوضع بالتحقيق، أي الذي لا تأويل فيه وهذا القدر غير موجود في الاستعارة

الصلاة يستعمله المخاطب ^(١) بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ^(٢)

∴

والوضع ^(٣) تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه ^(٤) . فقولنا

(١) أى المتكلم بكسر الطاء.

ملاحظة: الطرف أعنى « فى اصطلاح ، متعلق بقوله « وضعت » ؛ وتعلقه بـ « المستعملة » على ما توهمه البعض ليس له معنى صحيح لامن جهة اللفظ ولا من جهة المعنى: أما من جهة اللفظ فلا نه لا يجوز تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ، وأما من جهة المعنى فلا ن المعبود كون الاصطلاح ظرفا للوضع أو سببا له ، لا الاستعمال إذ لا معنى لقولك : نطق أو « استعمل » ، فلان بهذا اللفظ فى اصطلاحهم لان النطق ليس معه اصطلاح على وضع المنطوق به ، وأيضا إن علق فى الاصطلاح بالمستعملة بقى الوضع عاما فيدخل فيه المجاز لانه مستعمل فى اصطلاح التخاطب فيما وضع له لكن فى اصطلاح آخر

(٢) فهى إذا مجاز لاستعمال المخاطب (أى المتكلم) لذلك اللفظ فى غير ما وضع اللفظ له الشرع أعنى الأركان المخصوصة له

(٣) راجع ١٥٢ من المفتاح . وقد عرف الوضع لأخذه فى تعريف الحقيقة والمجاز . والمراد وضع اللفظ لا الوضع المطلق الذى هو تعيين الشيء للدلالة على معنى بنفسه سواء كان ذلك الشيء لفظا أو غيره والمراد وضع اللفظ المفرد إذ وضعه شخصى لا ما يشمل المركب لأن وضعه نوعى على القول بأنه موضوع ؛ والمراد باللفظ المفرد والمركب بصرف النظر عن الموضوع

(٤) أى ليدل بنفسه لا بقرينة تنضم إليه وتكون محصلة للدلالة على المعنى ؛ أى بان لا يكون هناك قرينة أصلا ، أو كان هناك قرينة غير محصلة للدلالة على المعنى بل معينة للمراد عند مزاحمة المعانى كما فى المشترك . . ومعنى الدلالة بنفسه أن يكون الملم بالتعيين كافيا فى فهم المعنى عند إطلاق اللفظ ، أى عند ذكره =

« بنفسه » ، إحتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة ،
أعني المجاز ^(١) ، فإن ذلك للتعيين لا يسمى وضعا ، ودخل المشترك ^(٢) في

== مطلقا عن القرائن المذكورة ، وهذا شامل لوضع الحرف ، لأننا نفهم معاني
الحروف عند إطلاقها بعد علمنا بأوضاعها ، إلا أن معانيها ليست تامة في أنفسها
أى ليست مستقلة بالمفهومية بل هى معان جزئية ، تحتاج إلى الغير ، وهو المتعلق
مع الحروف لفهم تلك المعاني الجزئية ؛ بخلاف الاسم والفعل ، فإن المعنى الذى
يستعمل فيه كل منهما تام فى نفسه . نعم لا يكون تعريف الوضع شاملا لوضع
الحرف عند ابن الحاجب الذى يجعل معنى قولهم « الحرف مادل على معنى فى
غيره » ، أنه مشروط فى دلالة على معناه الأفرادى ذكر متعلقه ؛ ففى عنده للسببية
وعلى الأول للظرفية ، فعلى الأول يدل بنفسه ، وعلى الثانى بضميمة غيره

(١) فقد خرج المجاز عن أن يكون موضوعا بالنسبة إلى معناه المجازى وإن
كان موضوعا بالنسبة لمعناه الحقيقى ، أى يخرج تعيين المجاز ومثله تعيين الكناية
بناء على أنها غير حقيقة لأن كلا من المجاز والكناية يدل على المعنى بالقرينة

(٢) راجع ١٥٢ مفتاح ، ١٤٣ أسرار . والمشارك هو ما وضع لأكثر من
معنى وضعا متعددًا سواء اتحد الواضع أو تعدد . فالمشارك لم يخرج عن حده
الحقيقة فهو حقيقة ولو استعمل فى معنیه بناء على جوازه وقيل هو فى هذه الحالة
مجاز . فالمشارك قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحد المعنيين
بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك ، فقرينة المشارك إنما هى لتعيين المراد
بخلاف المجاز فإن قرينته تحتاج إليها فى نفس الدلالة على المعنى المجازى . فالقرء
مثلا عين مرة للدلالة على الظاهر بنفسه ومرة أخرى للدلالة على الخفى بنفسه ،
فيكون المشارك موضوعا بالتعيين فالمجاز والمشارك كل منهما محتاج لقرينة وقت
الاستعمال ، والفرق بينهما أن القرينة ملاحظة حين الوضع أيضا فى المجاز دون
المشارك فقرينته إنما هى لتعيين المراد وفهمه ؛ هذا ويلاحظ أن القرينة فى الكناية ==

الحد لأن عدم دلالة على أحد معنويه بلا قرينة لعارض - أغنى الاشتراك
- لا ينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه، وذهب السكاكي^(١) إلى أن المشترك
كالقرء معناه الحقيقي هو ما لا يتجاوز معنويه كالطهر والحيض غير مجموع
بينهما، قال: فهذا ما يدل عليه بنفسه مادام منتسبا إلى الوضامين^(٢)، أما
إذا خصصته بواحد، إما صريحاً، مثل أن تقول القرء بمعنى الطهر،
وأما استلزاماً، مثل أن تقول القرء لا بمعنى الحيض، فإنه حينئذ ينتصب
دليلاً دالاً بنفسه على الطهر بالتعيين، كما كان الواضع عينه بأزائه بنفسه،

= كالمجاز من جملة الدال، إلا أنها مانعة في المجاز دون الكناية. والكناية لفظ
استعمل في لازم معناه الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم وهذا عند المصنف
أما السكاكي فيرى أنها لفظ استعمل في معناه مراداً منه لازم ذلك المعنى، فهي
عنده حقيقة لاستعمال اللفظ في معناه وإن أريد منه لازم ذلك المعنى، وأما عند
المصنف فهي وسط بين الحقيقة والمجاز

(١) ١٥٢ و ١٥٣ من المفتاح

(٢) يريد السكاكي أنه عند الإطلاق صالح لكل منهما، فهو عند الإطلاق يدل
بنفسه على معناه الذي هو أحدهما، فهو عند عدم القرينة يدل على واحد مبهم من
معنويه أو معانيه، وعند وجودها يدل بنفسه على المعين ولا مدخل للقرينة في
الدلالة. أما الجمهور فيقولون إن وجدت قرينة دالة على العموم دل المشترك على
العموم، وكذلك إن لم توجد قرينة مطلقاً، وإن وجدت قرينة معينة فالمشترك
يدل على هذا المعين بواسطة القرينة؛ بخلاف السكاكي فهو يرى أن المشترك
لا يحتاج إلى قرينة مطلقاً في الدلالة

ثم قال في موضع آخر^(١) : «وأما ما يظن بالمشترك من الاحتياج الى
القوية في دلالة على ما هو معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن
عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين »
وفيما ذكره نظر :

لأننا لا نسلم أن معناه الحقيقي ذلك، وما الدليل على أنه عند الإطلاق
يدل عليه، ثم قوله: إذا قيل: القرء بمعنى الطهر، أولا بمعنى الحيض
فهو دال بنفسه على الطهر بالتميين، فهو ظاهر، فإن القرينة كما
تكون معنوية تكون لفظية، وكل من: قوله 'بمعنى الطهر' وقوله
'لا بمعنى الحيض، قرينة'^(٢)

وقيل^(٣): دلالة اللفظ على معناه لذاته^(٤). وهو ظاهر الفساد:

(١) راجع ص ١٠٣ من المفتاح

(٢) في ابن السبكي أن السكاكي لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ
على المعنى بل لتعيين دلالة على أحد معنيه
ملاحظات :

١ - المشترك يدل بنفسه على أحد معنيه لا بعينه، فهو لا يدل بنفسه عليه بل بالقرينة
٢ - الحرف موضوع لمفهوم كلي ولا يستعمل إلا في جزئ من جزئيات
هذا المفهوم فهو يدل بنفسه على ما وضع له من المفهوم وذكر المتعلق لفهم الجزئ
(٣) راجع ١٥٢ من المفتاح

(٤) هو قول عباد بن سليمان الصيمري الذي ذهب إلى أن دلالة الألفاظ
على معانيها لا تحتاج إلى الوضع والتعيين، بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية أي =

لاقتضائه أن يمنع نقله الى المجاز ، وجعله علما ، ووضع له المتضادين كالجولن للاسود والابيض فان ما بالذات لا يزول بالغير ، ولاختلاف

اللغات باختلاف الأمم

وتأوله ^(١) السكاكي رحمه الله على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علمي

== ذاتية تقتضى دلالة كل لفظ على معناه لذاته ؛ فذهب الجمهور إلى أن هذا القول فاسد مادام محولا على ما يفهم منه ظاهرا ؛ لأن دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته كدلالته على وجود اللفظ — فان هذه الدلالة لذات اللفظ لأنها عقلية لا تفك أصلا — لوجب أن لا تختلف اللغات في معنى اللفظ الواحد باختلاف الأمم ، وأن يفهم كل أحد معنى كل لفظ لعدم انفكك المدلول عن الدليل ، ولا ولا متنع أن يجعل اللفظ بواسطة القرينة بحيث يدل على المعنى المجازى دون الحقيقي لأن ما بالذات لا يزول بالغير ، ولا متنع نقله من معنى إلى معنى آخر بحيث لا يفهم منه عند الإطلاق إلا المعنى الثاني

والحقيقة على مذهب الصيمري ليست هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له إذ لا وضع على هذا المذهب ، وإنما هي الكلمة المستعملة في معنى تناسبه بتكوينها وتأليفها . وكذلك المجاز كلمة مستعملة في معنى يناسب معناها الذي تدل عليه بتأليفها الخاص فلا دلالة لها على المعنى المجازى بتأليفها وإنما تدل عليه بالقرينة والعلاقة

والردود التي رد بها الخطيب هذا المذهب قابلة للجدل العقلي ، ولعل أخصر رد أن المناسبة ليست مطردة وفهم المعنى من اللفظ لهذه المناسبة إذا وجدت غير مطرد لأنها قد تخفى

(١) راجع ١٥٢ مفتاح — أى تأول القول بدلالة اللفظ لذاته — أى صرفه عن ظاهره فقال معنى قوله ، يدل لذاته ، أن فيه وصفا ذاتيا يناسب أن يوضع بسببه معنى دون آخر لا أن المناسبة بسببها يدل اللفظ على المعنى بدون الوضع كما هو ظاهر ، وهذا التأويل خلاف ما صح نقله عن عباد

الاشتقاق والتصريف^(١) من أن للحروف في أنفسها خواص بها تختلف كالجر^(٢) ؛ والهمس^(٣) ؛ والشدة^(٤) ، والرخاوة^(٥) ، والتوسط بينهما ، وغير ذلك^(٦) . مستدعية أن العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء^(٧) منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما^(٨) ، قضاء لحق الحكمة كالتقصم بالفاء الذى حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين^(٩) ، والتقصم بالذال الذى هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين ؛ وإن للتركيبات^(١٠) كالفعلان والفعلى بالتحريك^(١١) كالنزوان والحيدى وفعل مـ مثل شرف^(١٢) وغير ذلك خواص أيضا ، فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ؛ وفي ذلك نوع تأثير لأنفس الكلم في اختصاصها بالمعاني

(١) علم الاشتقاق علم يبحث عن مفردات الالفاظ من حيث انقسامها بعضها إلى بعض بالاصالة والفرعية وعلم التصريف علم يبحث عن مفردات الالفاظ من حيث إصالة حروفها وزيادتها وصحنتها واعتلاؤها وهبتها

(٢) هو خروج الحرف بصوت قوى . وحروفه ما عدا حروف الهمس

(٣) ، ، ، ، غير قوى ، وحروفه (سكت فته شخص)

(٤) هو انحصار صوت الحروف عند إسكانه في مخرجه انحصارا تاما

(٥) هو عدم انحصار صوت الحروف عند إسكانه في مخرجه

(٦) كالاستعلاء والاستفال والتصحيح والاعلال

(٧) أى فى وضع لفظ مركب منها

(٨) أى بين الحروف والمعنى (٩) أى ينفصل

(١٠) أى لطبقات تراكيب الحروف

(١١) لما فيه حركة (١٢) للأفعال الطبيعية اللازمة

[المجاز (١)]:

والمجاز مفرد ومركب.

[المجاز المفرد]

أما المفرد فهو الكلمة (٢) المستعملة في غير ما وضعت له في أمه إطلاق

به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته

فقولنا «المستعملة» (٣)، احتراز عما لم يستعمل لأن الكلمة قبل

الاستعمال لا تسمى مجازا كما لا تسمى حقيقة

وقولنا في اصطلاح به التخاطب (٤) ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة

(١) راجع ١٥٣ مفتاح، ٣٠٤ وما بعدها و ٢٤٣ و ٢٤٤ أسرار البلاغة

(٢) الكلمة، جنس

(٣) فصل احتراز به عن الكلمة قبل الاستعمال وبعد الوضع فليست بمجاز

ولا حقيقة. وقوله «في غير ما وضعت له»، أي في معنى مغاير للمعنى الذي وضعت

الكلمة له فصل آخر احتراز به عن الحقيقة، مرتجلا كان أو منقولا أو غيرهما

كالمشتقات. ويرد عليه أنه إن أريد الوضع الشخصي خرج عن التعريف التجوز

فما هو موضوع لمعناه الأصلي بالنوع كالمشتقات وإن أريد الوضع النوعي خرج

التجوز فيما كان الوضع فيه لمعناه الأصلي شخصا كالأسد وإن أريد ما هو أعم

من الشخصي والنوعي لم يشمل شيئا من أفراد المجاز إلا أن يجاب بأن المراد الوضعان

ويرتكب التوزيع أي في غير ما وضعت وضعا شخصيا في الموضوعية بالوضع

الشخصي وفي غير ما وضعت له وضعا نوعيا في الموضوعية بالوضع النوعي

(٤) هذا قيد في الفصل للدخال لا للاخراج. فالجنس لا يخرج به، والفصل

للاخراج، وقيد الفصل للدخال

وقوله «في اصطلاح به التخاطب»، متعلق بقوله «وضعت»، والمراد بذلك

كونه موضوعا له في ذلك الاصطلاح سواء حدث الوضع في ذلك أولا

الصلاة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا فانه وان كان مستملا فيما وضع له في الجملة ^(١) فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب ^(٢)

وقولنا «على وجه يصح» ^(٣) احتراز عن الغلط كما سبق
وقولنا «مع قرينة عدم إرادته» ^(٤)، احتراز عن الكناية كما تقدم

(١) أى في بعض الاصطلاحات وهو اللغة

(٢) وهو الشرع فهو مجاز شرعى بمقتضى اصطلاح الشرع وان كان حقيقة لغوية بمقتضى اصطلاح اللغة، وقيد «في اصطلاح به التخاطب» أيضا يخرج من تعريف المجاز ما يكون له معنى آخر باصطلاح آخر الذى هو من أفراد الحقيقة كافة الصلاة المستعملة بحسب الشرع في الأركان المخصوصة فانه يصدق عليه أنه كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لكن بحسب اصطلاح آخر وهو اللغة لا بحسب اصطلاح التخاطب وهو الشرع فلذا لا تكون مجازا

(٣) متعلق بالمستعملة وهو فصل يخرج به الغلط فلا بد في المجاز من ملاحظة العلاقة ليكون الاستعمال على وجه يصح والغلط الذى يخرج بذلك هو اللسان أما الغلط في الاعتقاد فتارة يكون حقيقة وتارة يكون مجازا

(٤) أى حال كون تلك الكلمة المستعملة في الغير مصاحبة لقرينة فقرينة المجاز مانعة من إرادة الأصل واشترط القرينة المذكورة في المجاز وإخراج الكناية بها إنما هو عند من لم يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز كاليانين أما من جوزه كالاصوليين فلا يشترط في القرينة أن تكون مانعة فعندهم يجب إسقاط هذا القيد من التعريف وإذا سقط دخلت الكناية

وقوله «مع عدم إرادته أى إرادة الموضوع له وضعا حقيقيا» =

== ملاحظات :

١ - ملاك الأمر أن المجاز لا يتقيد إلا بوجود علاقة (ارتباط بين الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المجازي) وأن يكون موافقا لعرف البلاء ومناسبا لذوق البيئة وأن يعتمد على قرينة مانعة

٢ - البيانين يوجبون في القرينة أن تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ومقارنة للمجاز ، بخلاف الأصوليين فقد أجازوا أن تكون غير مانعة كما أجازوا ألا تقارن المجاز حيث يجيزون تأخير البيان لوقت الحاجة . أما كون القرينة معينة للمراد فلم يشترطه جمهور البيانين واشترطه عصام الدين

٣ - القرينة أما لفظية أو حالية ، وقد تكون أمرا واحدا أو أمورا كل واحد منها يصلح أن يكون قرينة ، أو مجموع أمور كلها قرينة واحدة

٤ - القرينة المسانعة واشتراطها في المجاز لأخراج الكناية بناء على أنها واسطة لا حقيقة ولا مجاز لأن الكناية الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له مع جواز إرادة ما وضعت له أي بأن لا ينصب المستعمل قرينة على انتفاءه ، فالكناية لفظ استعمل في لازم الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم وبمجرد جواز إرادة الملزوم لا يوجب كون اللفظ مستعملا فيه

ويرى السبكي عكس هذا وهو أن الكناية أريد بها موضوعها استعمالا وأريد لازمه إفادة فهي موضوع لأن اللفظ عين فيها للدلالة على معناه الذي هو موضوع اللفظ بنفسه وكونها دالة على لازم ذلك المعنى بقرينة حالية كدلالة طويل النجاد على طول القامة يحتاج لقرينة لكن ذلك ليس المعنى الذي استعملت الكلمة فيه

٥ - أطوار كلمة الحقيقة هي : حقيقة وصفا لمؤنث في نحو قولهم هي المرأة حقيقة بالحصانة ، ثم حقيقة مستعملة استعمال الإسماء في نحو قولهم هو بدافع عن الحقيقة ، ثم الحقيقة البَيَّانية

والحقيقة^(١) لغوية وشرعية وعرفية خاصة^(٢) أو عامة^(٣) ، لأن واضعها ان كان واضع اللغة فلفوية ، وان كان الشارع فشرعية ، والافرفية ، العرفية ان تعين صاحبها نسبت اليه كقولنا كلامية ونحوية ، والابقيت مطلقة . مثال اللغوية : لفظ أسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ صلاة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة ، ومثال العرفية الخاصة لفظ فعل اذا استعمله المخاطب بعرف النحو في الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ دابة ، اذا استعمله المخاطب بالعرف العام في ذى الأربع^(٤)

وكذلك المجاز المفرد^(٥) : لغوى وشرعى وعرفى ، مثال اللغوى لفظ

(١) ١٥٣ مفتاح

(٢) أى يكون ناقله من المعنى اللغوى طائفة مخصوصة من الناس منسوبة لحرارة كالتحريين والصرفيين وغير ذلك

(٣) وهى مالا يتعين ناقلها بطائفة مخصوصة وإن كان معينا في نفس الامر

(٤) أى في ذى القوائم الأربع المعهودة وهى الحمار والبغل والفرس

(٥) ص ١٥٣ مفتاح . هذا وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذى به وقع التخاطب وكان اللفظ مستعملا في غير ما وضع له في ذلك الاصطلاح إن كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوى وإن كان اصطلاح الشرع فشرعى وإلا فعرفى عام أو خاص فهذه الأقسام بالنسبة إلى الحقيقة تعتبر بالقياس إلى الواضع ، وأما في المجاز فباعتبار الاصطلاح الذى وقع الاستعمال فيه في غير ما وضع له =

أسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في الرجل الشجاع ، ومثال
الشرعي لفظ صلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء ، ومثال
العرفي الخاص لفظ فعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في الحدث ،
ومثال العرفي العام لفظ دابة إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في الشاة .
والحقيقة ^(١) إما فاعيل بمعنى مفعول ، من قولك حققت الشيء أحقه
إذا أثبتته ، أو فاعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء إذا ثبت ؛ أي
المتبينة أو الثابتة في موضعها الأصلي ؛ فأما التاء فقال صاحب المفتاح :
هي عندي للتأنيث في الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة
مؤنث غير مجرأة على الموصوف ^(٢) وهو السكامة ؛ وفيه نظر ^(٣) ؛
وقيل : هي لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصرفة كما قيل في
أكيلة ونطيحة إن التاء فيهما لنفعا من الوصفية إلى الاسمية ، فلذلك
لا يوصف بهما فلا يقال شاة أكيلة أو نطيحة .

= وهذه الأقسام في غير الأعلام الشخصية ، فقد أخرجها بعض العلماء من
الحقيقة والمجاز ، والمعقول أن تكون من الحقيقة ولا مانع أن نقول هي - حقيقة
شخصية .

(١) ص ١٥٣ مفتاح .

(٢) لأنها في هذه الحالة يصح إلحاق التاء بها إذا كانت من فاعيل بمعنى مفعول

(٣) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ولو كانت للتأنيث لم يجز .

الخامس (٢)

والمجاز ^(١) قيل مفعول ^(٢) من جاز المكان يجوز. إذا تعداه ^(٣) أى تعدت موضعها الأصلي ؛ وفيه نظر ؛ والظاهر ^(٤) أنه من قولهم جعلت كذا مجازا إلى حاجتي أى طريقا له على أن معنى جاز المكان : سلكه ، على ما فسرهُ الجوهري وغيره فإن المجاز طريق إلى تصور معناه واعتبار التناسب في التسمية يفاير اعتبار المعنى في الوصف ، كتسمية إنسان له حمة بأحمر ، ووصفه بأحمر ، فإن الأول لا يترجح

(١) ص ٢٤٢ أسرار ، ١٥٤ مفتاح

(٢) أى باعتبار أصله مصدرا ميميا على هذا الوزن

(٣) فهي مشتقة من جاز يجوز، ويصح أن تكون من الجواز على أن المصدر هو الأصل كما عليه البصريون وقد نقل المجاز إلى الكلمة الجائزة أى المتعدية مكانها الأصلي أو المجوز بها على معنى أنهم جازوا بها وعدوها مكانها الأصلي ، فهو في الأصل مصدر بمعنى الجواز والتعدية ثم نقل في الاصطلاح من المصدرية إلى الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها جائزة مكانها الأصلي أو يجوز بها فيكون اسم فاعل وأسم مفعول

(٤) حاصله أن لفظ مجاز في الأصل مصدر ميمي بمعنى مكان الجواز والسلوك وهو نفس الطريق ثم نقل في الاصطلاح إلى الكلمة الخ باعتبار كونها طريقا إلى تصور المعنى المراد منها فالخاصل أن المصنف وعبد القاهر اتفقا على أن لفظ مجاز مصدر ميمي لا يصلح أن يكون المستعمل في الزمان منقولا هنا لعدم المناسبة ثم اختلفا فقال المصنف المنقول هنا هو المستعمل اسم مكان وقال عبد القاهر المنقول هنا هو المستعمل في الحدث . [المصدر الميمي يصلح للزمان والمكان والحدث]

وأيد المصنف رأيه بأن استعمال المصدر الميمي في الحدث بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول مجاز بخلاف استعماله اسم مكان

الاسم على غيره حال وضعه^(١) له والثاني لصحة إطلاقه، فلا يصح

(١) راجع ص ١٢٧ ج ١ من البيان والتبيين
والخلاصة أن نقد الخطيب لرأى عبد القاهر من أن المجاز مفعول من جاز المكان
يجوزة إذا تعداه خلاصته أن المجاز على هذا يكون مصدرا ميميا واستعمال
المصدر الميمي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول مجاز بخلافه على ما اختاره فإنه
يكون اسم مكان ولا يحتاج إلى ارتكاب هذا التأويل فيه
ملاحظات :

١ — خلاصة ما سبق أن كلمة مجاز في اللغة صالحة للحدث والمكان والزمان،
فلاحظ عبد القاهر أنها نقلت من الحدث إلى المعنى الفنى ، ولاحظ الخطيب أنها
نقلت من المكان إليه ؛ وأما نقلها من الزمان فلا معنى له
٢ — التاء في الحقيقة قيل أنها للنقل ومعنى كونها تاء النقل أنها علامة على
النقل ، وقيل هى علامة على الاسمية التى هى فرع الوصفية وهو الأصح ، وقيل
أنها علامة على الفرعية
٣ — قيل إن كل مجاز له حقيقة يتفرع منها ، والتحقيق أن هذا غالبي ،
فرحم استعمل فى المنعم وهو معنى مجازى ولم يستعمل فى المعنى الاصلى وهو
رقيق القلب

٤ — فى الدسوقي [٤٨٦ ج ١] بحث عن المجاز وهل هو من مقتضى الظاهر
أو من خلافه

٥ — العلاقة هى الأمر الذى به الارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى
وبه الانتقال من الاول للثانى كالمشابهة فى مجاز الاستعارة وكالسببية فى المرسل
والعلاقة المعتبر نوعها لاشخصها ، ولذا صح إنشاء المجاز فى كلام المولدين
ولمنا اشترط فى المجاز ملاحظة العلاقة بين المعنى المجازى والاصلى ولم يصح
اطلاق اللفظ عليه بلا علاقة ويكتفى بالقرينة الدالة على المراد ، لأن اطلاق اللفظ
على غير معناه الاصلى ونقله له على أن يكون الاول اصلا والثانى فرعاً تشريكاً بين =

نقض الأول بوجود المعنى في غير المسمى كما يلزم -ج- به الضمفاء^(١)
 والمجاز ضربان^(٢) : مرسل^(٣) واستعارة^(٤) . لأن العلاقة المصححة^(٥)
 إن كانت تنبيهية معناه بما هو موضوع له فهو استعارة^(٦) وإلا
 فهو مرسل

== المعنيين في اللفظ وتفرع لأحد الاطلاقين على الآخر وذلك يستدعي وجها
 لتخصيص المعنى الفرعي بالتشريك والتفريع دون سائر المعاني وذلك الوجه هو
 المناسبة وإلا فلا حكمة في التخصيص ويكون تحكما بنا في حسن التصرف في
 التأصيل والتفريع

(١) فعلة التسمية لا يلزم اطرادها أو انعكاسها، بخلاف علة الوصفية،
 فعلة التسمية لا توجهها بخلاف علة الوصفية

(٢) راجع ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٢٥٠ و ٢٥١ من اسرار البلاغة، ص ١٥٤
 من المفتاح

(٣) سمي مرسلا (أي مطلقا) لأن الأرسال لغة الإطلاق والمجاز الاستعاري
 مقيد بادعاء ان المشبه من جنس المشبه به والمرسل مطلق عن هذه الدوى، وقيل
 لأرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري
 فهو مقيد بعلاقة واحدة هي علاقة المشابهة

(٤) أى لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له

(٥) هذا يخالف لاصطلاح عبد القاهر والسكاكي، والتحقيق أن العلاقة إذا
 كانت المشابهة ولم تقصد المبالغة فلا يكون ذلك استعارة وان قصدت المبالغة
 كان استعارة

فعلى هذا الاستعارة هي اللفظ المستعمل في معنى شبه ذلك المعنى المتعمل فيه
 بالمعنى الاصلى لذلك اللفظ لعلاقة المشابهة كأشد في قولنا رأيت أسدا يرمى،
 وإطلاق لفظ الاستعارة على اللفظ المستعار من المعنى الاصلى للمعنى المجازى من
 إطلاق المصدر على المفعول

وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال^(١) اسم المشبه به في المشبه^(٢) ؛ فيسمى^(٣) المشبه به مستعارا منه ، والمشبه مستعارا له ، واللفظ^(٤) مستعارا

(١) أى فعل المتكلم وهو المعنى المصدري ، لأعلى اللفظ المستعار
(٢) فعلى هذا تكون بمعنى المصدر ، فالاستعارة على هذا استعمال اللفظ ، وهو توسع ، فإن المجاز هو اللفظ المستعمل لا الاستعمال ، وهذا ليس خاصا بالاستعارة ، بل المجاز كذلك ، فهو اللفظ المستعمل في غير موضوعه أو استعمال اللفظ في غير . . الخ
(٣) أى فيصح الاشتقاق منها على أنها بالمعنى المصدري ، بخلاف إطلاق الاستعارة على نفس اللفظ المستعار ، فإنه لا يصح منه اشتقاق لأن اسم المفعول لا يشتق منه

(٤) أى لفظ المشبه به فيسمى مستعارا لأنه بمنزلة اللباس الذى استعير من أحد فألبس غيره وهو المعنى المشبه ، فالتشبيه بين المعانى والاستعارة للالفاظ ، ففي رأيت أسدا يرى ، المعنى المشبه هو ذات الرجل الشجاع وهو المستعار له ، والمعنى المشبه به هو الحيوان المفترس وهو مستعار منه ، ولفظ اسد مستعار ، والمتكلم بهذا مستعير

ملاحظات

١ - لا بد في جميع أقسام المجاز من العلاقة المصححة للانتقال ومرجع العلاقة للزوم وإن كان الزوم قد يذكر في بعض الأوقات علاقة ؛ وإنما كان مرجع العلاقة للزوم لأن مرجع المجاز دلالة للتضمن والالتزام ، وكل منهما انتقال من الملزوم إلى اللازم ؛ ألا ترى أن مجازى الاستعارة التحقيقية والممكنية يصح أن يردا إلى اللازم [راجع ٢٨٦ / ٢ الدسوقي]

٢ - المجاز بمرتبتين المراتب :

هو لفظ أريد به معنى لم يوضع له مع وجود واسطة أو وسائط بين المعنى

وعلى الأول لا يشتق منه لـ كونه اسما للفظ لا للحدث

= الحقيقى وبينه ولم يلاحظ صحة استعمال اللفظ فى الواسطة أو فى الوسائط . وذلك مثل : وانزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ، ، أريد من اللباس أولا الغزل ، ثم أريد به الزرع ، ثم الماء

٣ - المجاز على المجاز :

مثل : لا تواعد و هن سرا ؛ استعمال السر فى الوطء مجاز مرسل علاقته المحلية لأن الوطء يكون غالبا فى السر ، ثم أريد من الوطء العقد مجازا مرسلا علاقته السببية (السر ضد الجهر = ثم الوطء = ثم العقد)
ومثل :

بنى عمنا لأن تذكروا الشعر بعد ما

دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

أطلق القوافى على الشعر مجازا مرسلا علاقته الجزئية ، ثم أطلق الشعر على المفاخر مجازا مرسلا علاقته المسببة
ومثل : ، هو قررة عين لى ولك ، أطلق القررة على سببها مجازا مرسلا علاقته المسببة ؛ ثم أطلق سبب القررة على الانشراح والسرور مجازا مرسلا علاقته السببية (هو قررة = هو سبب قررة = هو مبعث سرور وسعادة)

فالمجاز على المجاز هو مجاز مبنى على مجاز آخر منزل منزلة المعنى الحقيقى

٤ - شرطوا فى القرينة كما سبق أن تكون مازمة وهو رأى علماء البيان أما الأصوليون فقد أجازوا الجمع بين الحقيقة والمجاز ، فنل الحال أحد الابوين ، من عموم المجاز أى يراد منه معنى كل شئ الحقيقى والمجازى معا ، فالمعنى المستعمل فيه اللفظ واحد لا إثنان ، أما الأصوليون فيقولون إن اللفظ مستعمل فى كل منهما : الالب والحال المدعى أبوته

هـ القرينة هى الأمر الذى يصرف الذهن عن المعنى الوضعى إلى المعنى المجازى سواء عيئت المراد أم لم تعينه ، مثل رأيت بحورا فى المدينة ؛ فكلمة فى =

الضرب الاول المرسل^(١)

وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملائمة
غير التشبيهية^(٢) :

كاليد إذا استعملت في النعمة^(٣) ، لأن من شأنها أن تصدر عن

المدينة ، قرينة ما نعمة من إرادة المعنى الحقيقي ولكن لم تعين المراد من البحور أهم
العلماء أم الأجواد ؟ - ، واشترط عصام الدين في القرينة مع نعمة من إرادة المعنى
الحقيقي أن تكون معينة للمعنى المراد.

٦ - مثل السببية والحالية والمحلية الخ علاقات للمجاز المرسل ، أما الاستعارة
فالعلاقة المشابهة .

هذا ويمكن ارجاع علاقات المجاز المرسل المتعددة إلى شيء واحد هو التلازم
بين المعنيين : الحقيقي والمجازي ، سواء كان التلازم في الخارج أم في الذهن ؛
وبهذا تصبح علاقات المجاز اللغوي اما المشابهة في الاستعارة وإما التلازم في
المجاز المرسل ، بل ان علاقة المشابهة يجوز ارجاعها الى علاقة التلازم

(١) راجع ١٥٥ مفتاح ، ٣٠٥ و ٢٥١ أسرار

(٢) الاولى كما سبق : غير المبالغة في التشبيه

ويرى السبكي أنه إذا كانت العلاقة في المجاز المشابهة فان قوى الشبه بحيث
يمكن ادعاء أن هذا هو ذلك كان استعارة وإلا كان مجازا مرسلًا ؛ قال : ويشهد
لصحة ذلك قول السكاكي في المجاز المرسل إنه الخالي عن المبالغة في التشبيه ؛ ولم
يقل : الخالي عن التشبيه (٣٠١ ج ٣ السبكي)

أقول وكلام السكاكي هو كلام عبد القاهر في الأسرار [ص ٣٠٤ الأسرار]

(٣) راجع ٢٦٨ صناعتين في ذلك . وقال الشاعر :

له أباد على سألقة أعد منها ولا أعددها
وقال آخر : =

الجارحة ومنها تصل الى المقصود بها^(١)؛ ويشترط أن يكون في
السكلام إشارة الى المولى لها^(٢)، فلا يقال: «اتسعت اليد في البلد»،
أو «اقتنيت يدا»، كما يقال «اتسعت النعمة في البلد»، أو «اقتنيت
نعمة»؛ وإنما يقل «جلت يده عندي»، «وكثرت أيادي له»^(٣)،
ونحو ذلك

ونظير^(٤) هذا في صفة راعي الابل: «إن له عليها إصبعا»^(٥)

== خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة على يدا أغضى لها حين أغضب
فأليد الموضوع للجارحة المخصوصة إذا استعملت في النعمة كانت مجازا
مرسلا لكونها بمنزلة العلة الفاعلية للنعمة لأن النعمة منها تصدر وتصل إلى
المقصود بها فهي مجاز مرسل من إطلاق اسم السبب على المسبب؛ قال السبكي:
أو من إطلاق المحل على الحال. أما العلة الفاعلية حقيقة فهي الشخص المعطى
والعلاقة هنا العلة الفاعلية

(١) راجع ٣٤٣ و ٣٥٥ من الاسرار، مفتاح
(٢) هذا الشرط هو الذي توجد به العلاقة ولولاه لم يكن علاقة بين اليد
والنعمة فانما يكون للنعمة ارتباط باليد إذا لوحظ المولى لها. وقال
السبكي. هذا لا يتعين، بل بذكر قرينة ما، فقد تحصل القرينة من غير إشارة
إلى المولى مثل رأيت يدا عمت الوجود، وقد تحصل الإشارة إلى المولى ولا قرينة
تصرف إلى المجاز مثل يدي يدي، ثم إن «جلت يده عندي»، ليس فيه ما يعين
المجاز، أما «كثرت أيادي له»، فلفظ «كثر» قرينة

(٣) راجع ٣٠٦ من الاسرار

(٤) قال المبرد: يقال لفلان عليك يد وله عليك إصبع؛ وكل جيد، وإنما

يعنى هنا النعمة. [١٧٢ ج ١ السكامل]

وذكر عبد القاهر ما ذكره الخطيب [٣٠٥ الاسرار]. وقال الشاعر:
ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا

أرادوا أن يقولوا: له عليها أثر حذق؟ فدلوا عليه بالأصبع، لأنه مامن حذق في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تعريف الأصابع، واللفظ في رفعها ووضعها كما في الخط والنقش؛ وعلى^(١) ذلك قيل في تفسير قوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوي بنانه): أي نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن، حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة، لا مطلقاً حتى يقال رأيت أصابع الدار، وله إصبع حسنة وإصبع فيبيحة على معنى أثر حسن وأتقبيح، ونحو ذلك

(١) راجع ٣٠٧ من الأسرار

ملاحظة:

الأفعال الدالة على القدرة لما كانت لا تظهر إلا باليد صارت القدرة وآثارها كل منهما لا يظهر إلا باليد وإن كان ظهور أحدهما مباشرة وظهور الآخر بواسطة، فصارت اليد كالعلة الصورية لها، فالعلاقة ترجع إلى معنى السببية هذا وأنواع العلاقة المعتبرة في المجاز المرسل كثيرة ترتقي إلى خمسة وعشرين. والمصنف قد أورد هنا تسعة غير ما ذكره أولاً في إطلاق اليد على النعمة والقدرة بعلاقة السببية الصورية إذ العلاقة فيها السببية في الجملة وهي داخلة فيما يأتي، إلا أن يقال السببية الآتية غير هذه لأن هذه سببية تهزلية والآتية سببية حقيقية، فمثل ولا مير يد أي قدرة، ينتقل من اليد إلى الآثار الظاهرة ومن الآثار إلى القدرة التي هي أصلها من بناء مجاز على مجاز آخر تقديرًا، فالعلاقة كون اليد كالعلة الصورية للقدرة وآثارها، فاليد مجاز عن الآثار من إطلاق اسم السبب على المسبب، والآثار مجاز عن القدرة من إطلاق اسم المسبب على السبب فرجعت العلاقة للسببية

وينظر إلى هذا قولهم « ضربته سوطا ، لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطا ، وتفسيره له بقولهم : المعنى « ضربته بالسوط ، بيان لما كان الكلام عليه في أصله ^(١) ونظير قولنا « له على يده ، قول ^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم لا زواجه : أسر عكن لحوقا - ويرى لحاقا - بي أطو لكن يدا ، وقوله « أطو لكن ، نظير ترشيح الاستمارة ^(٣) ، ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز ^(٤) ، والمعنى بسط اليد بالمعطاء ، وقيل قوله « أطو لكن ، من الطول بمعنى الفضل ، يقال « لفلان على فلان طول أى فضل ^(٥) ، فاليد على هذين الوجهين بمعنى النعمة ، ويحتمل أن يريد أطو لكن يدا بالمعطاء ، أى امدكن ، خذف قوله بالمعطاء للعلم به ^(٦)

(١) راجع ٣٠٨ من الأسرار

(٢) راجع ٣٠٨ أسرار ، ٣٨٢ مطول

(٣) لأن الطول أى الانعام يناسب اليد الأصلية ، والصحيح أنه يلائم النعمة أيضا فلا يكون ترشيحا . وجعله من الطول ضد القصر يؤدى إلى خلو الكلام عن الاخبار بكثرة الجود المقصود إلا أن يقال إنه مستعار للاتساع في العطاء وهو ترشيح باعتبار أصله

(٤) فهو مأخوذ من الطول بالفتح بمعنى الانعام والاعطاء وذلك ملائم لليد الأصلية لأن الانعام إنما يكون بها . والأظهر أن الطول بمعنى الانعام كما يلائم اليد الأصلية يلائم النعمة فلا يكون ترشيحا

(٥) فلا ترشيح على هذا ولا تجريد على المختار =

وكاليد أيضا اذا استعملت في القارة^(١)، لان أكثر ما يظهر سلطانها في اليد، وبها يكون البطش والفرب والقطع والاختذ والدفع والوضع والرفع، وغير ذلك من الافعال التي تنبئ عن وجود القدرة ومكانها: واما اليد في قول النبي صلى الله عليه وسلم «المؤمنون تتسكفأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم»^(٢)، فهو إستهانة، والمعنى أن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضها وان تختلف بها الجهة

= (٦) قال الجاحظ بعد أن ذكر الحديث: فكانت عائشة تقول أنا أطول منكن يدا؛ فكانت زينب بنت جحش، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صنعا تصنع بيدها وتبيعه وتصدق به [٨٥ ج ٢ البيان والتبيين]

(١) قال تعالى: يد الله فوق أيديهم، وقال: والسموات مطويات بيمينه، وقال الشاعر: وتلقاها عرابة باليمين؛ وعبد القاهر يعتبر هذا تمثيلا، فالمعنى تمثيل القدرة باليمين لما في أخذ الشيء بها من قوة التمكن. والحق أن كل هذا كناية عن شدة التمكن والاستيلاء وليس مجازا مرسلا ولا تمثيلا. وقيل إن اليد في القدرة مجازا مرسل علاقته الحالية. ومن المثل لهذا المجاز أيضا قول الشاعر:

وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالي بزفرات العشى يدان

وقال الشاعر

سأشكر عمرا إن تراخت مني أيادي لم تمنن وإن هي جالت

وقول الشاعر:

إذا القوم مبدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا

(٢) ٣١ ج ٢ البيان، ٢٠٩ من الأسرار، ٥٩ ج ١ زهر الآداب

في التصرف ، كذلك سبيل اثنين في تعاضدهم على الشركين ، لأن
كلمة التوحيد جاءتهم

وكل راوية ^(١) للمزادة ^(٢) مع كونها للبعير الحامل لها ، لحمله إياها
وكل خفض في البعير ^(٣) مع كونه لمتاع البيت لحمله إياه

وكالسماء في الغيث ^(٤) ، أقوله : « أصابتنا السماء » ، لكونه من
جهة المظلة

وكالأكاف في قول الشاعر ^(٥) :

(١) راجع ٢٤٤ الأسرار ، ١٥٥ مفتاح . فالراوية في الأصل اسم للبعير
الذي يحمل المزادة ، وفي القاموس : الراوية البعير والبغل والحمار الذي يستقى
عليه فاطلاقه على المزادة مجاز

(٢) المزادة ظرف الماء الذي يستقى به على الدابة التي تسمى راوية . والعلاقة
هنا كون البعير حاملا لها أي مجاورا لها عند الحمل فالعلاقة المجاورة وهي بمنزلة
العلة المادية وهي علاقة أخرى غير المجاورة وهي مطلق السببية
هذا والعلاقة قيل إنها تعتبر وصف المنقول عنه كما في الأمثلة وهو التحقيق
وقيل تعتبر وصف المنقول إليه ، وقيل أنها تعتبر وصفا لها معا
(٣) ٢٤٤ الأسرار . قال شبيب بن البرصاء :

فلم تذرف العينان حتى تحملت مع الصبح أحفاض لهم وحدود
[٧٥ المفضليات شرح السندوني]

(٤) ٢٤٤ الأسرار ، ١٥٥ مفتاح ، ٢٦٨ صناعتين ، ٦٤ الصاحي
(٥) هو أبو حنيفة بن حنيفة بمدح طلحة الطلحات ، والأكاف البرذعة
أطلق على العلف لأن ثمنه سبب في الحصول عليه فهو من علاقة السببية ، فهو
مجاز على مجاز (الأكاف ، ثم ثمن الأكاف ، ثم العلف) ، أريد من الأكاف ثمنه
مجازا مرسلا علاقته السببية ، وأريد من الأكاف بمعنى الثمن العلف مجازا مرسلا =

[إن لنا أحجرة عجافاً] يأكلن كل ليلة إكافاً
أى علفاً بمن الإكاف

..

وهذا الضرب من المجاز يقع على وجود كثيرة غير ما ذكرنا:

[١ -] منها تسميه الشيء باسم جزئه^(١) (أو الجزئية):

كالعين^(٢) في الريثة، لكون الجارحة المخصوصة هي المقصود
في كون الرجل ريثة، إذا عداها لا يغني شياع فقد فاصرت
كأنها الشخص كله^(٣)

وعليه قوله تعالى: قم الليل الا قليلا أى صل، ونحوه لا تقم فيه

== علاقته السببية، ويصح كون المرء من يأكلن، يفنين مجازاً، أى أنها من هزأها
تأظهرها فأصبح كالمديحة يحذ البرذعة فيفتنها. هذا والاحرة جمع حمار. والعجاف
الهزيلة جمع عجفاء على غير قياس. والشطر الاخير في المفتاح ص ١٥٥
(١) المجاز ليس هو نفس التسمية، بل هو اللفظ الذي كان للجزء وأطلق على
الكل للدلالة

(٢) ٣٤٤ و ٢٤٥ الاسرار. وقاله تأبط شرا:

ويجعل عينه ريثة قلبه إلى سلة من جد أخلق صائك
[٢٢ ج ١ حماسة]

والريثة الشخص الرقيب (الجاوس) والعين جزء منه، فالعلاقة الجزئية
(٣) ويقول الشاعر:

كم بعثنا الجيش جراً را وأرسلنا العيون

أبداً، أى لا تصل، وقول النبي عليه السلام: من قام رمضان إيماناً واحتساباً
غفر له ما تقدم من ذنبه، أى من صلى^(١)
(٢ - تسميه الجزء باسم كله أو السكينة):

ومنها عكس ذلك، نحو «يجعلون أصابعهم فى آذانهم»^(٢)، أى

(١) وقال الله تعالى: واركعوا مع الراكعين

ومن هذا قول الشاعر:

وكنيت إذا كف أتتك عديمة ترجى نوالاً من سحابك بليت
وقول الشاعر:

وإن حلفت لا ينقض النأى عهداً فليس لخضوب البنان يمين
فقوله يمين مجاز مرسل أيضاً علاقته السببية، أى وفاء، واليمين سبب فى
الوفاء. وتقول: هؤلاء وجوه البلد، وقال تعالى: كل شئ هالك إلا وجهه أى
ذاته؛ وقال تعالى: «فك رقبة»، وقال الشاعر:

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجاني
هذا وقد اشترطوا فى هذه العلاقة:

١ - أن يكون السكل مركباً تركيباً حقيقياً فلا يعبر بالأرض عن مجموع
الأرض والسماء.

٢ - أن يكون لهذا الجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود بحيث يلزم من
انتفاء هذا الجزء انتفاء ذلك السكل عرفاً.

(٢) قيل إن هذا من باب نسبة الفعل الذى فى نفس الامر للجزء إلى كله، ولا
يسمى مجازاً، مثل ضربت زيدا ومسحت بالمنديل. وفيه تعسف لأن نسبة مطلق
الجملة إلى الاصابع كثيراً ما يراد به السكل فلولاً الآذان لجرى على الاصل وأما
الضرب فلا يخلو من تصوره على السكل لجملة من باب الحقيقة واللم يخل كلام عن مجاز
غالباً. ثم القرينة فى المثال هي استحالة دخول الاصابع بتمامها فى الآذان عادة، =

أنا ملهم . وعليه قولهم : قطعت السارق ، وإنما قطعت يده

(٣ - تسميه المسبب باسم السبب أو السببية^(١)).

ومنها تسمية المسبب باسم السبب ، كقولهم : رعينا الغيث^(٢) ،

أى النبات الذى سببه الغيث

وعليه قوله عز وجل : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه . مثل ما

اعتدى عليكم ؛ سمي جزاء الاعتداء اعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء^(٣)

== وفيه مزيد مبالغة ويصح أن يكون النجوز فى الاسناد أو على حذف مضاف

أى أنملة أصابعهم

أما اسم السكى إذا استعمل فى الجزئى ففيل حقيقة مطلقا (على أن اللام فى تعريف الحقيقة بأنها الكلمة المستعملة فيما وضعت له - لام التعليل ولا شك أن اسم السكى وضع لاجل استعماله فى الجزئى) وقيل إن كان استعمال اسم السكى فى الجزئى من حيث اشتماله على السكى فهو حقيقة وإن كان استعماله فيه لا بالنظر إلى ما ذكر بل من حيث ذاته كان مجازا

(١) ١٥٥ مفتاح وص ١٥ من الموازنة . والسببية هى كون المعنى الحقيقى للفظ سببا للمعنى المجازى المراد

(٢) قال أبو هلال فى ٢٦٩ صناعتين : ويطلقون السماء على الغيث . قال

جرير من قصيدته فى هجاء الراعى النميرى :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناها وإن كانوا غضايا

وراجع القصيدة فى ٣٢٤ الادب الإسلامى لمحمود مصطفى ، وأولها :

أفلى اللوم عاذل والعتابا وقولى أن أصبت لقد أصابا

والبيت إذا نزل السماء ، نفسه فى المفضليات ص ١٧٢ ، من قصيدة ليعاوية بن مالك

(٣) راجع ص ١٣ ما اتفق لفظه للمهم

وقوله تعالى ونبلوا أخباركم، تجوز بالبلاء عن المعرفة لأنه مسبب عنه، كأنه قيل ونعرف أخباركم، وعليه قول عمرو بن كلثوم^(١) :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
الجهل الاول حقيقة والثاني مجاز^(٢)، عبر به عن مكافأة الجهل.
وكذا قوله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها، تجوز بلفظ السيئة عن الافتصاص، لأنه مسبب عنها، قيل وإن عبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن مجازا، لأن الافتصاص محزن فى الحقيقة كالجنابة
وكذا قوله تعالى : ومكروا ومكر الله تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها، قيل ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة : لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم، وهذا محقق من الله تعالى، باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نعمة^(٣)

(١) راجع ١٤ ما اتفق لفظه للمبرد، ١٧٩ الدلائل
(٢) هذا ولك أن تقول إن الجهل الثانى فى حقيقته أيضا لأنه لم يقل فنجهل مثل جهل الخ بل قال وفوق جهل الجاهلينا،
(٣) ملاحظة : استعمال السكلى فى الجزئى :
قيل حقيقة مطلقا بناء على أن اللام فى قولهم فى تعريف الحقيقة والمستعملة فيما وضعت له، للتعليل

وقيل إن اللام صلة فيكون السكلى المستعمل فى الجزئى من حيث خصوصه مجازا
مرسلا من استعمال العام فى الخاص فعلاقته العموم والخصوص وإن استعمل فى الجزئى من حيث كون الجزئى فردا من أفرادها كان حقيقة

[٤ - تسمية السبب باسم المسبب أو المسببية^(١)]:

ومنها تسمية السبب باسم المسبب ، كقوله « أمطرت السماء نباتا » ؛ وعليه قولهم « كما تدين تدان »^(٢) أي كما تفعل^(٣) تجازي ، وكذا لفظ الاسنمة في قوله بصف غيثاً :

أقبل في المستن من ربابه أسنمة الآبال في سحابه^(٤)

وكذا تفسير أنزال أزواج الأنعام في قوله تعالى « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » بأنزال الماء على وجه^(٥) لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ؛ وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ،

(١) أي ان يكون مدلول اللفظ الحقيقي مسبباً عن المعنى المجازي المراد

(٢) وليزيد بن الصنع الكلابي [٥٦ ج ١ الكامل] :

واعلم وأيقن أن مالك زائل واعلم بأن كما تدين تدان
وقال الفند الزماني في حرب البسوس [١٥ ج ١ الخامسة]

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدو ن دناهم كما دانوا

(٣) فأطلق الدين وهو الجزاء على الفعل لأن نفس الفعل سبب في الدين

بمعنى الجزاء

(٤) المستن : المنصب ، من استن الفرس . الرباب : السحاب الأبيض .

الآبال : الجمال جمع إبل . أسنمة : جمع سنام أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله

الابل فتصير شحومها في أسنمتها [٦٨ ج ٢ كامل المبرد]

(٥) أي على رأي

ويؤيده ماورد أن كل مافي الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة
ثم يقسمه : قيل وهذا معنى قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء
ماء فسللكه ينابيع في الأرض » ، وقيل معناه « وقضى لكم ^(١) » ، لأن
قضاياها وقسمه موصوفه بالنزول من السماء ، حيث كتب في اللوح
كل كائن يكون ؛ وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها ^(٢) ، وكذا قوله تعالى
« وينزل لكم من السماء رزقا » أي مطرا هو سبب الرزق ؛ وقوله
تعالى « إنما يأكلون في بطونهم نارا » ، وقولهم « فلان أكل الدم » أي
الدية التي هي مسببة عن الدم ^(٣) قال :

أكلت دما إن لم أرعك بضرة

بعيدة مهوى القرط طيبة النثر ^(٤)

(١) فالجواز على هذا في « أنزل » وعلاقته المسيية ، والقريئة ذكر الانعام ،
وعلى الاول المجاز في « ثمانية أزواج » ، والعلاقة هي هي والقريئة « أنزل » ،

(٢) وعلى هذا فليس في الآية مجاز

(٣) هذا سهو لأن المثال من تسمية المسبب وهو الدية باسم السبب وهو الدم
واجاب بعضهم عن المصنف بأنه يريد أن « أكل » مجازا مرسلا لأن الاكل سبب
في المراد منه وهو الاخذ فهو من تسمية السبب باسم المسبب

(٤) هو لاعرابي تزوج امرأة فلم توافقه فقبل له ان حى دمشق سريرة في
موت النساء خملها إليها . وقبل هذا البيت :

دمشق خذيها واعلى أن للة تمر بعودى نعشها ليلة القدر

بعيدة مهوى للقرط (أى الخلق) : كناية عن طول العنق . النثر : الرائحة الطيبة .

والبيت في الحماسة [٣٨١ ج ٢]

وقوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » أى أردت القراءة بقرينة الفاء مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة . وقوله تعالى ^(١) :
ونادى نوح ربه، أى أراد بقرينة: فقال رب: وقوله ^(٢) تعالى: وكم من قرية أهلكناها أى أردنا إهلاكها، بقرينة فجاءها باسنا، وكذا قوله ^(٣)
تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها، بقرينة « أفهم يؤمنون »
وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالهلاك إذ لا يقع الانكار فى « أفهم
يؤمنون » فى المحز لا بتقدير ونحن على أن نهلكهم ^(٤)
[٥ — تسمية الشئ باسم ما كان عليه ^(٥)]:

(١) ١٥٦ من المفتاح

(٢) هذا رأى السكاكى فى الآية فعناها عنده: « هؤلاء الذين اقترحوا عليك أنزال آية من السماء أردنا إهلاكهم وكل من أردنا إهلاكهم لا يؤمنون ف هؤلاء لا يؤمنون . ويرى علماء التفسير أن معنى الآية: لم تؤمن أمة من الأمم التى أعطيناها ما اقترحت فأهلكناها ف هؤلاء لا يؤمنون لو أعطوا ما اقترحوه ونحن لا نريد إهلاكهم فلا نجيبهم الى ما اقترحوا

ملاحظة :

من مثل المجاز المرسل الذى علاقه السيبة قوله تعالى: « قد بدت البغضاء من أفواههم »، أى آثار البغضاء . ومنها :

تمنى رجال ما أحبرا وإنما تمنيت أن أشكو إليها قسمعا
أى فتجيب

(٣) أى على صفته فى الزمان الماضى لكنه ليس عليه الآن . وقيل ان الإطلاق المذكور حقيقى استصحابا للأطلاق حال وجود المعنى . وقيل بالوقف .

ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، كقوله عز وجل : « وآتوا
اليتامى أموالهم ، أي الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ »^(١) . وقوله :
إنه من يأت ربه مجرما ، سماه مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا
من الاجرام

[٦ - تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه ^(٢)] :

ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى : « إني أراني
اعصر خمرا »^(٣)

[٧ - تسمية الحال باسم محله أو المحلية ^(٤)] :

ومنها تسمية الحال باسم محله ، كقوله تعالى : « فليدع ناديه » ، أي
أهل ناديه^(٥)

(١) يرى بعضهم أن اليتيم على حقيقته ، فالجواز في « وآتوا » بأن يراد منه
لازمه وهو حفظ المال ، لعلاقة المسببية . وقيل اليتيم يطلق على البالغ حقيقة
استصحابا للماضي فلا مجاز في الآية

(٢) أي في الزمان المستقبل تحقيقا أو ظنا لا احتمالا

(٣) أي عنبا فيصير الى هذه الحال [٦٨ ج ٢ كامل المبرد]

ومثل ذلك : « هدى للمتقين » ، « من قتل قتيلا فله سلبه » (راجع ٣٦ ج ٣
ابن يعقوب)

ومثل ذلك : يمرض المريض وتضل الصلاة

(٤) أي المسكن الذي يحل فيه ذلك الشيء

(٥) وقيل المجاز في الآية مجاز بالحذف

ومثل ذلك : « وأحسن ندبا » ، أي أناسا في ندى ، وأسأل القرية ، أي أهلها

[٨ - تسمية المحل باسم الحال أو الحالية ^(١)]

ومنها عكس ذلك، نحو : وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله، أى فى الجنة ^(٢)

(٩ - تسمية الشئ باسم الله أو الآلية ^(٣))

ومنها تسمية الشئ باسم الله كقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه؛ أى بلفظ قومه، وقوله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرين، أى ذكرا جميلا ونذله حسناء ^(٤)
(علاقات أخرى للمجاز المرسل):

(١) فيما اذا ذكر لفظ الحال وأريد المحل لما بينها من الملازمة

(٢) التى تحمل فيها الرحمة . وهو مجاز على مجاز :

أطلقت الرحمة بمعنى رقة القلب وأريد منها أثرها من الانعام والتفضل مجازا
مرسلا علاقته السببية ثم أريد من ذلك المنعم به وهو النعم مجازا مرسلا علاقته
السببية أيضا ثم أريد من ذلك الجنة مجازا مرسلا علاقته الحالية

(٣) أى فيما اذا ذكر اسم الآلة - وأريد الأثر الذى ينتج عنه ، فالآلة هى
كون الشئ واسطة فى إيصال أثر المؤثر الى المتأثر . فالآلة هى الواسطة بين الفعل
وفاعله والسبب مابه وجود الشئ . وقيل الآلة من جملة أفراد السبب لأن بها
وجود الشئ.

(٤) راجع ١٨٠ ج ١ الكامل المبرد . فاللسان اسم لآلة الذكر . وقيل هو
من اطلاق المحل على الحال لأن الذكر حال فى اللسان . وقال بعض المفسرين
ه لسانه أى ولدا صادقا يحدد ديني ويدعو إليه المتأخرين عنى فهو على هذا مجاز
مرسل علاقته الجزئية

وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق
سوى التشبيه

قال صاحب المفتاح^(١):

وللتعلق بين الصارف عن فعل الشئ والداعى إلى تركه يحتمل
عندى أن يكون المراد بمنعك فى قوله تعالى^(٢): ما منعك أن لا
تسجد إذ أمرتك دعاك، ولا غير صلة^(٣) قرينة المجاز، وكذا ما منعك

(١) ١٥٦ مفتاح

(٢) راجع ص ١١٩ الاسكافى - درة التنزيل

ملاحظة

سبق أن ذكرنا أن الانتقال فى المجاز من المألوم الى اللازم ، وبعض أنواع
العلاقة بل أكثرها [كاليتامى ، والعنب ، والناسدى ، والرحمة ، واللسان] لا
يفيد اللزوم ، فلا وجه لجعلها علاقة لأن العلاقة أمر بسية يحصل الانتقال من
المعنى الحقيقى للمجازى لاستلزامه إياه . والجواب أنه ليس معنى اللزوم هنا عدم
الانفكاك فى الذهن أو الخارج بل تعلق وارتباط ينتقل بسية من أحدهما الى
الآخر فى الجملة وفى بعض الأحيان ، وهذا متحقق فى كل أمرين بينهما علاقة
وارتباط ، لجميع أنواع العلاقة على هذا تفيد اللزوم ، وحاصل الجواب أن اللزوم
هنا ليس المراد به اللزوم الحقيقى أعنى امتناع الانفكاك فى الذهن أو الخارج بل
المراد به الاتصال ولو فى الجملة . ثم هذا تذكرة لما سبق فى المقدمة فى الكلام
على اللزوم

(٣) فالعلاقة عند السكاكى الضدية ، أو نقول إنها علاقة للزومية اذ التعلق بين

الصارف والداعى معناه أنها متلازمان غالبا

هذا والآية لها معنيان : معنى حقيقى هو أى سبب منعك من السجود وهذا

اذ رأيتم ضلوا ألا تثبمن . وقال الراغب رحمه الله : قال بعض المفسرين
ان معنى ما منعك ما حاك وجعلك في منة منى في ترك السجود أى
في معاقبة تركه . وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذلك لم يكن
يجيب بأن يقول أناخير منه ، فان ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك
الوجه وإنما هو جواب من قيل له ما منعك أن تسجد
ويمكن أن يقال فى جواب ذلك إن ابليس لما كان الزم ما لم يجد
سبيلا الى الجواب عنه إذ لم يكن له من كالىء بحرسه ويحميه ، عدل
عما كان جوابا ، كما يفعل المأخوذ بكظمه فى المناظرة
انتهى كلامه

= المعنى قطع فيه النظر عن كلمة ، لا ، ومعنى مجازى مراد وهو أى سبب دعاك
لعدم السجود وهذا هو المعنى المجازى المنظور فيه الى كلمة ، لا ، ؛ فكلمة ، لا ،
قريبة على أن الآية مراد منها ما دعاك الى عدم السجود
وهذا تعسف ، والأولى أن يكون كلام السكاكى معناه هكذا : للتعلق بين
الصارف عن فعل الشئ (وهو السجود) والداعى الى تركه (وهو ترك عدم
السجود)

ملاحظة

زاد بعضهم علاقات . الزومية ، والاطلاق ، والتقييد ؛ والعموم ، والخصوص
والتعلق الاشتقاقى وهو اطلاق المصدر على اسم الفاعل أو اسم المفعول وبالعكس
مثل هو نبل وذكاء ، وحجاب مستور أى ساتر ، وهم غيات الناس ، ومن العلاقات
المجاورة مثل : فشككت بالريح الاصم ثيابه . ليس الكريم على القنا بمحرم - أى
جسمه وقبله ، ويصح أن تكون علاقته المحلية

(أقسام للمجاز الرسل) :

وقسم الشيخ صاحب المفتاح ^(١) المجاز الرسل الى خال عن
الفائدة ومفيد :

[١ -] وجعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في أعم مما هو موضوع
له ، كالمرسن في قول العجاج :

وقاحما ومرسنا مسرجا ^(٢)

فانه ^(٣) مستعمل في الاتف لا بقيد كونه لمرسون ^(٤) مع كونه
موضوعا له بهذا القيد ، لا مطلقا . وكالمشفر في نحو قولنا : فلان غايظ
المشافر ، اذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير . وقال : ^(٥)
سمى هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو ليت
وأسد وجبس ومنع عند المصير الى المراد ^(٦) منه

[٢ -] وأراد بالمفيد ما عدا الخالي عن الفائدة والاستعارة كما مر

(١) ١٥٠ من المفتاح

(٢) سبق البيت وراجعته في ٢٣ و ٤٨ أسرار ١٥٥٠ مفتاح ، ٢٤٠ ج ٢ الأمالى

(٣) أى المرسن (وهو الاتف)

(٤) أى البعير

(٥) ١٥٥ مفتاح

(٦) فعلاقة هذا المجاز عند السكاكى التقييد

والشيخ عبد القاهر رحمه الله^(١):

[١ -] جعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في شيء بقيد ، مع كونه موضوعا لذلك الشيء بقيد آخر ، من غير قصد التشبيه^(٢) . ومثله ببعض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح ونحوه ، مصرحا بأن الشفة والآنف موضوعان للمضروبين المخصوصين من الانسان ، فان قصد التشبيه صار اللفظ استعارة ، كقولهم في مواضع الظم غليظ المشفر فانه بمنزلة أن يقال كأن شفته في الغلظ مشفر البعير ؛ وعليه قول الفرزدق^(٣)

فلو كنت ضيبا عرفت قرأني ولكن زنجي غليظ المشافر
أى ولكفك زنجي ، كأنه جل لا بهتدى لشرفى^(٤) ، وكذا قول الخطيئة مخاطب الزبرقان^(٥)

قروا جارك العيان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره

(١) راجع ٢٢ - ٢٢ و ٢٥٢ و ٢٥٢ من أسرار البلاغة

(٢) فعلاقته عنده التقييد ثم الاطلاق

(٣) البيت في ٢٨٢ ج ١ الكتاب لسيديه ، ٢٧ من الاسرار ، والخطاب

لايوب بن عيسى الضبي وكان قد حبس الفرزدق فقال ذلك هجاء له

(٤) فهو هنا استعارة لا مجاز مرسل ، وذلك لقصد التشبيه

(٥) راجع ٢٧ أسرار البلاغة

قروا : أضافوا . العيان : العطشان إلى اللبن . قلص : انكمش من تأثير البرودة

كناية عن أنه كان لا يجد عنده إلا الماء

فانه وان عني نفسه بالجار جاز أن يقصد الى وصف نفسه بشوخ
من سوء الحال ليزيد في اللهم بالزبرقان ، ويؤكد ما قصده ، من رمية
باضاعة الضيف واسلامه للضر والبؤس ؛ وكذا قول الآخر ^(١) :
سأمنعها أو سوف أجعل امرها الى ملك أظلافه لم تشق

(١) هو عطفان القيسى أو الاخطل ، والبيت في ص ٢١ من الاسرار ، و ص
٢٩٣ صناعتين

يعنى بملك غطفان بن قيس بن عاصم . الاظلاف جمع ظلف وهو لما اجتر من
الحيوان كالظفر للانسان ويريد بذلك أنه حر لا عبد
ملاحظات :

١ - نحو : مشفر زيد مجروح ، المشفر لفة شفة البعير ؛ ثم اريد هنا مطلق
شفة ، فكان المجاز المرسل هنا منقولا عن المقيّد الى المطلق وكان مجازا مرسلا
علاقته التقييد ، ثم نقل من مطلق شفة الى شفة الانسان فكان مجازا مرسلا بمرتبتين
وكانت علاقته التقييد والاطلاق ، وذلك ما لم يقصد التشبيه والا كان « المشفر »
استعارة . وهذا هو رأى عبد القاهر في هذا النوع من المجاز المرسل ، اما السكاكي
فيرى ان المشفر اسم للمقيّد وهو شفة البعير فأطلق أى جرد من قيده وهو اضافته
للبعير واستعمل في شفة الانسان من حيث انها من افراد مطلق شفة ، فهو عنده
مجاز مرسل بمرتبة وهى التقييد بناء على ان العلاقة وصف المنقول عنه

٢ - بلاغة المجاز المرسل تتلخص فيما يلى :

أ - يوسع اللغة ويعين على الافتنان في التعبير
ب - وكثيرا ما يدعو إليه المعنى كالتعظيم في قولك « رأيت الملك ، أى
ولى العهد .

ج - وقد يدعو إليه اللفظ والمعنى جميعا كاستعمال الأذن في الرجل الكثير
الاستماع للوشاة ، فلفظ الأذن أخف لفظا وهو مع ذلك أدق تصويرا للمعنى

الضرب الثاني من المجاز

الاستعارة^(١)

وهي^(٢) ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له

وقد تفيد بالتحقيقية^(٣)، لتحقق معناها^(٤) حسا^(٥) أو عقلا^(٦)

(١) المراد بها التصريحية وهي التي يذكر فيها المشبه به دون المشبه، وأما
الممكنية التي لا يذكر فيها إلا المشبه فستأتي

فالمصنف يرى أن الاستعارة على التحقيق مع التحقيقية لا الممكنية على ما سيأتي
هذا وراجع بحث الاستعارة في ١٥٦ مفتاح وما بعدها، وتعريفها في الاسرار

ص ٣٠٤ و ٣٤٦

(٢) أي هي مجاز تكون علاقته المشابهة أي قصد أن الإطلاق بسبب المشابهة
وذلك رأى الخطيب، ورأى عبد القاهر والسكاكي والسبكي أنها مجاز علاقته
التشبيه بشرط قصد المبالغة. والمراد بمعناها ما عني وقصد بها وهو المشبه

(٣) لتمييز عن التخيلية والممكنية عنهما، لأن معنى التحقيقية محققة المعنى
فتخرج التخيلية، لأنها عند المصنف كالسلف ليست لفظاً فلا تكون محققة المعنى، وعند
السكاكي فهي وإن كانت لفظاً عنده إلا أنها غير محققة المعنى لأن معناها عنده أمر
وهي. وتخرج الممكنية أيضاً عند المصنف لأنها التشبيه المضمر وهو ليس بلفظ
فلا تكون محققة المعنى، وأما عند السلف فهي داخلية في التحقيقية لأنها اللفظ
المستعار المضمر وهو محقق، وكذا هي داخلية فيها على مذهب السكاكي لأنها عنده
لفظ المشبه ومعناه (المشبه به) محقق

(٤) أي ما عني بها وهو المعنى المجازي لا الحقيقي - واستعملت هي فيه وهو
المشبه في التصريحية، والمشبه به في الممكنية بناء على دخول الممكنية هنا كما هو
مذهب الجمهور والسكاكي =

أى التى تتناول أمرا معلوما ، يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ نقل من مسماه الاصلى فجعل له على سبيل الاطارة للمبالغة فى التشبيه

أما الحسى

فكقولك رأيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا ، وعليه قول زهير .
لدى أسد شاكى السلاح مقذف (له ليد أظفاره لم تقلم)

(٥) أى فى الحس بأن يكون معناها مما يدرك باحدى الحواس الخمس الظاهرة

(٦) المراد بأن يكون اللفظ قد نقل الى أمر معلوم يمكن ان ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية بأن لا يدرك معناه بالحواس بل بالعقل ، بأن كان له تحقق وثبوت فى نفسه بحيث لا يصح للعقل نفيه فى نفس الامر ، وهذا بخلاف الامور الوهمية فلا ثبوت لها فى نفسها بل بحسب الوهم ولذا كان العقل لا يدركها ثابتة ويحكم بطلانها دون الوهم

فلاستعارة عند المصنف تنقسم الى : تحقيقية - وتخيلية - وممكنة . وعند الجمهور والسكاكى تنقسم الى : تحقيقية وتخيلية ، لأن الممكنة عندهما من التحقيقية ، اما التخيلية فهى عند السكاكى لفظ مستعمل فى معنى وهمى لا تحقق له لاحسا ولا عقلا ولم يوضع له اللفظ ، وعند القوم هى قرينة الممكنة وهى عندهم مجاز عقلى

(١) شاكى السلاح : من الشوكة أى تام السلاح . مقذف أى رجل شجاع قذف به كثيرا الى الوقائع ، وقيل قذف باللحم ورمى به فصار له جسامه ، فعلى المعنى الاول يكون مقذف ، تجريدا للملامته المستعار له ، وعلى الثانى ليس تجريدا ولا ترشيعا ؛ ويصح أن يكون مقذف ، امم فاعل أى =

أى لدى رجل شجاع ، ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه
فيه في الحركات ^(١) . أقول أبى دلالة يصف بغلته :

أرى الشبهاء تعجن اذ غدونا برجليها وتخبز باليدين
شبه حركة رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه ،
وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن فانهما لا تثبتان في موضع
بل تولان الى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدي
الطائر ، فانه يشي يده نحو بطنه ، ويحدث فيها ضربا من التقويس ، كما
تجد في يد الدابة اذا اضطربت في سيرها ولم تقو على ضبط يديها ،
وأن ترمى بها الى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي
تقم عنه فلا تزول عنه ولا تنثنى ^(٢)

== قذف يلجم أعدائه فهو ترشيح للملامته المستعار منه بمحمل . أظفاره لم تقلم
دكناية عن القوة والعزة والمنعة . واللبد : الشعر المجتمع بين كتفي الاسد

(١) راجع ذلك في الاسرار ص ٣٣٠

(٢) ذلك كله منقول من الاسرار ص ٣٣٠

ملاحظات :

١ - قال تعالى : فإذا هم لله لباس الجوع ،

شبه ما غشيهم عند جوعهم من الصفرة باللباس واستعير اللباس لذلك استعارة
تصريحية تحقيقية ثم شبه ما غشيهم عند جوعهم من الصفرة : ايضا بمطعوم مريشع تشبيها
مضمرا في النفس على طريق الاستعارة المكنية ، واثبات الاذاقة تخييل .

ففي الآية ثلاث استعارات تحقيقية ومكنية وتخيلية =

وأما العقلي^(١) : فكقولك أبديت نورا وأنت تريد حجة ، فإن
الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ، إذا المفهوم من الالفاظ
وهو الذى ينور القلب ويكشف عن الحق ، لا الالفاظ أنفسها ، وعليه
قوله^(٢) عز وجل : اهدنا الصراط المستقيم ، وأما قوله^(٣) تعالى : فاذا فيها

== ٢ - المشهور أن الاستعارة صفة للفظ ، والحق ان المعنى يعار أولا ثم
يكون اللفظ دليلا على الاستعارة ، وذلك لا بد منها :

١ - انه إذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة
مثل الاعلام المنقولة

ب - ان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فاذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل
المعنى لم يكن فيه مبالغة إذ لا مبالغة فى اطلاق الاسم المجرد عن معناه

ج - رأيت أسدا ، يقال فيه انك جعلت الرجل أسدا وحكمت بثبوت
الاسدية له ولا يقال لمن سمي انسانا أسدا أنه صيره اسدا وأثبت الاسدية له

د - اطلاق اسم الاسد على الرجل الشجاع فى أى لغة لاجل الاستعارة طريق
سائع مستعمل ، واطراد ذلك فى اللغات كلها يدل على ان المستعار معنى الاسد لا اسمه

٣ - بلاغة الاستعارة تتلخص فى أنها : تشرح المعنى وتبين عنه فضل ابانة ،
وقد تؤكد وتبالغ فيه ، أو تشير إليه بقليل من اللفظ ، أو تعرضه فى معرض
حسن يبرز فيه ذلك المعنى ، إلى غير ذلك من آثار بلاغة الاستعارة وسحرها

(١) راجع ٥٠ و ٥١ من الاسرار

(٢) راجع ص ٤٩ من الاسرار . فالصراط المستقيم مستعار للدين الحق
لتشابههما فى أن كلاهما يوصل الى المطلوب ، والدين الحق محقق عقلا لأنه أمر
معنوى

(٣) راجع الكلام على د هـ لباس لكم ، فى الصناعتين ص ٢٦١

الله لباس الجوع والخوف، فعلى ظاهر قول الشيخ جاز الله العلامة استعارة عقلية، لأنه قال شبهه باللباس لاشتراكه على اللباس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث، وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح^(١) : حسية لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الانسان عند جوعه وخوفه من امتناع اللون ورثاة الهيئة^(٢)

(١) ١٦٠ مفتاح

ملاحظات :

الفرق بين التشبيه والاستعارة يتلخص فيما يلي :

١ - في التشبيه الصريح تذكر الاداة أو الوجه أو كلاهما أو يحذفان . وأما الاستعارة فتشبيه حذف أحد طرفيه مع الوجه والاداة فهي أخصر ، ويقع المستعار فيها فاعلا أو نائب فاعل أو مبتدأ أو مفعولا به أو مجرورا ، وكذلك يقع المستعار صفة أو خبرا لغير المشبه نحو إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ونحو بريح صرصر عانية ونحو هذه الريح العقيم . ولا يجمع بين طرفي الاستعارة على أى صورة من صور التشبيه السابقة ، وقد يجمع بينهما على صورة أخرى كقوله « قد زر أزراره على القمر » غير أن وجود طرفيها معا يضعفها إذ يجعلنا نشم منها رائحة التشبيه مما يبطل الفرض من التشبيه . قال الدسوقي : اعلم ان شم رائحة التشبيه لفظا :

١ - إما أن يكون ببيان المشبه به بالمشبه مثل حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر

٢ - وإما أن يكون بذكر وجه المشبه نحو رأيت أسدا في الشجاعة

٣ - وأما أن يكون بذكر الاداة نحو زيد كالأسد

٤ - أما أن يكون بذكر الطرفين على وجه لا ينبيء عن التشبيه كما في قوله

« قد زر أزراره على القمر » .

فلاستعارة ما تضمن تشبيهه بمعناه بما وضع^(١) له ، والمراد بمعناه

== فاشتمام رائحة التشبيه لفظا في الثلاثة الاول مبطل للاستعارة . أما في الرابع فلا يبطلها إلا أنها تكون قبيحة انتهى كلامه . وسر قبحها أنه يبطل الغرض منها وذلك الغرض هو تأكيد المبالغة في التشبيه بدعوى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به

ب - التشبيه يأتي فيما ظهر وجهه وفيما خفي ؛ وكلما احتاج الوجه فيه الى امعان ففكر كان أهذب وأجود . أما الاستعارة فينبغي أن يكون الوجه فيها جليا لئلا تصير لغزا ؛ فالتشبيه أعم فكل استعارة يصح أن تكون تشبيها دون العكس ، فقوله (ص) : « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة » ، ليس لك أن تقول فيه « رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة » ، لخفاء الوجه

ح - الاستعارة تفيد المبالغة في التشبيه

د - قصد التشبيه في الاستعارة لا يدرك الا بعد طول النظر أما في أسلوب التشبيه فواضح جلي

ه - وجوب كون المشبه به أقوى من المشبه في وجه الشبه في الاستعارة

و - الاستعارة لا يساق تركيبها لأفادة الحكم بالمشابهة فان أمر المشابهة مفروغ منه وأسلوبها سبق لحكم آخر وراء التشبيه ، بعكس التشبيه

(٢) قال السبكي . وجزم المصنف بأن الاستعارة هنا تحقيقية إما عقلية أو حسية يخالف لما قاله السكاكي من أنها تخيلية ، والحق أنها عقلية [٥٥ ج ٤ ابن السبكي] . وراجع الآية في المطول ص ٣٧٧ . قال السكاكي : الظاهر من لباس الحمل على التخيل وان كان يحتمل عندى حمله على التحقيق وهو أن يستعار لما يلبسه الانسان عند الجوع

(١) أى أن الاستعارة مطلقا تحقيقية أولا هي : لفظ تضمن تشبيهه بمعناه المراد منه وهو المعنى المجازى ، بما وضع له أى بمعناه الحقيقي . فالمراد بمعناه ما عني باللفظ واستعمل اللفظ فيه

ما في به ، أى ما استعمل فيه ^(١) ، فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له ، وإن تضمن التشبيه به ، نحو زيد أسد ورأيت أسدا ونحو رأيت به أسدا ، لاستعماله تشبيه الشيء بنفسه ، على أن المراد بقولنا ما تضمن مجاز تضمن ، بقرينة تقسيم المجاز الى الاستعارة وغيرها والمجاز لا يكون مستعملا فيما وضع ^(٢) له

(١) وهو المشبه

(٢) فزيد أسد فيه مستعمل فيما وضع له وإن تضمن ذلك اللفظ تشبيه شيء به وذلك لأنه إذا كان معنى لفظ الأسد المستعمل فيه هو عين المعنى الموضوع له لا المعنى المجازى وهو الرجل الشجاع لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له لاستعماله تشبيه الشيء بنفسه ، على أن ما في قولنا ما تضمن ، عبارة عن المجاز وأسد في المثال ليس بمجاز لكونه مستعملا فيما وضع له

قيل : وفي كلام المصنف نظر لأننا لا نسلم أن الأسد في الأمثلة المذكورة مستعمل فيما وضع له وهو الحيوان المقترس بل في معنى الشجاع الذى زيد فرد من أفراده فيكون مجازا واستعارة كما في رأيت أسدا يرمى ، بقرينة حمله على زيد ، فزيد ليس هو المشبه بالأسد الحقيق بل المشبه كل زيد المذكور وهو الشجاع فليس هناك جمع بين طرفي التشبيه ، ولا دليل لهم على أن هذا على حذف أداة التشبيه ، وأن التقدير زيد كأسد ، واستدلوا لهم على ذلك - بأنه قد حمل الأسد على زيد ومعلوم أن الانسان لا يكون أسدا فوجب المصير الى التشبيه بحذف أدواته قصدا الى المبالغة - فاسد ، لأن المصير الى ذلك إنما يجب إذا كان وأسد ، مستعملا في معناه الحقيق ، وأما إذا كان مجازا عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح ، فزيد أسد أصله زيد رجل شجاع كأسد فحذف المشبه والأداة للمبالغة واستعمل المقصود به في معنى المقصود على سبيل الاستعارة ، وأما زيد فليس مشبها الا من حيث كونه ذاتا الخامس (٤)

وهنا شيء لا بد من التشبيه عليه^(١)، وهو أنه إذا أجرى في الكلام لفظ

== صدقت عليها الشجاعة وبذلك الحيثية أخبر عنه. وقد ضعف بعضهم قول الشارح بأنه لا بد من المبالغة في الاستعارة ولا مبالغة في قولنا زيد رجل شجاع كالأسد فإن الحكم باتحاد زيد بالرجل الشجاع والتشبيه بالأسد لا يفيد تشبيه زيد بالأسد ولا مبالغة فيه. ورد بأن الأسد مستعمل في الرجل الشجاع على سبيل التشبيه والمبالغة في الرجل الشجاع، باستعمال لفظ المشبه به فيه وجعله فردا ادعائيا له ويدل على أن أسدا يستعمل في الرجل الشجاع لا في الحيوان المفترس الذي وضع له أن المشبه به في مثل هذا المقام كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقولهم أسد على وفي الحروب نعامه، فهذا دليل على أنه مؤول بمشتق كشجاع ومجتري. وصائل ولو كان المشبه به مستعملا في معناه الحقيقي ما يتعلق به الجار لكونه جامدا حيثئذ، ولكن يمكن أن يقال إن الجار والمجرور متعلق بالأداة لما فيها من معنى الفعل، وهو أشبه، فالمعنى أنت تشبه الأسد

والخلاصة

أن الفرق بين التشبيه والاستعارة عند المصنف هو أن الاستعارة اشتعل الكلام فيها على المشبه به وكان المشبه غير مذكور لا لفظا ولا تقديرا. وقيل الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة امتناع تقدير حرف التشبيه فيها دونه. وقال السبكي الحق أنه إن لم يصح تقدير الأداة فهو استعارة وإن صح احتمل أن يكون استعارة وأن يكون تشبيها والغالب عند قصد المبالغة إرادة الاستعارة

(١) راجع ذلك في الاسرار ص ٢٧٧ وفي الدلائل ص ٥٣

ملاحظة:

خلاصة أدلة القائلين بأن مثل زيد أسد، تشبيه بليغ هي:

- ١ - مثل محمد بحروزيد أسد، يمتنع ثبوت بحر لمحمد وأسد لزيد على الحقيقة فلا بد من تأويل يصحح هذا الانبات وهو تقدير أداة التشبيه
- ٢ - الاستعارة لا يساق تركيبها لأفادة الحكم بالمشابهة فإن أمر المشابهة ==

دلت القرينة على تشبيهه شئ، بمضناه فيكون ذلك على وجهين :
 أحدهما ^(١) أن لا يكون المشبه مذكورا ولا مقدرًا؛ كقولك غنت
 لنا ظبية وأنت تريد امرأة، ولقيت أسداً وأنت تريد رجلاً شجاعاً،
 ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيهه وإن الاسم فيه استعارة
 والثاني أن يكون المشبه مذكورا أو مقدرًا ^(٢)، فاسم المشبه به إن
 كان خبر ^(٣) أو في حكم الخبر : كخبر كان وإن والمفعول الثاني لباب علمت

= مفروغ منه واسلوبها سيق لحكم آخر وراء المشابهة، والتشبيه البليغ يفيد الحكم
 بالمشابهة فقط

٣ - الاستعارة التشبيه فيها لا يدركه الإنسان لأول نظر أما التشبيه البليغ
 فالتشبيه فيه واضح

٤ - التشبيه يقتضى المغايرة بين المعنى وما وضع له والا لزم تشبيه الشئ بنفسه
 و د أسد ، في د زيد أسد ، مستعمل فيما وضع له وإن تضمن تشبيه شئ به، فليس
 مراداً به معنى آخر لأنه إذا كان معناه غير المعنى الموضوع له لم يصح تشبيه معناه
 بالمعنى الموضوع له لا استحالة تشبيه الشئ بنفسه حيثئذ ، على أنه لا يصح جعله
 من الاستعارة لأن الاستعارة مجاز تضمن تشبيه معناه المجازى بمعناه الموضوع له
 فلا يتناول ما استعمل فيما وضع له لكون د أسد ، مستعملاً في معناه الحقيقي من
 قولك د زيد أسد ، . ويمكن رد هذا الدليل الأخير بأن د أسد ، استعملت في غير
 ما وضعت له وهو شجاع

(١) راجع ذلك في الأسرار ص ٢٧٨

(٢) راجع ذلك في الأسرار ص ٢٧٩ وفي السبكي ٢٩٨ ج ٣

(٣) استثنى من ذلك السبكي ما المشبه به خبر عن المشبه وهو تمثيل مثل

والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، [٣٠٣ ج ٣ السبكي]

والحال ، فالأصح أنه يسمى تشبيها ، وإن الاسم فيه لا يسمى إستعارة .
لأن الاسم ^(١) إذا وقع هذه المواقع ؛ فالكلام ^(٢) موضوع لاثبات معناه
لما يعتمد ^(٣) عليه أو نفيه عنه ، فإذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت
كلامك في الظاهر لاثبات معنى الاسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك
له على الحقيقة ، كان لاثبات شبهه من الأسد له ، فيكون إجتلابه لاثبات
التشبيه ، فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها ، إذ كان إنما جاء ليفيده ،
بخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيها لم يحتل لاثبات معناه للشيء ،
كما إذا قلت ، جاءني أسد ورأيت أسدا ، فإن الكلام في ذلك موضوع
لاثبات المجيء واقعا من الاسد ، والرؤية واقعة منك عليه ، لا لاثبات
معنى الاسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لاثبات التشبيه ، وصار
قصد التشبيه مكنونا في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء
من النظر

ووجه آخر في كونه التشبيه مكنونا في الضمير ^(٤) ، وهو أنه إذا
لم يكن المشبه مذكورا ؛ جاز أن يتوهم السامع في ظاهر الحال أن

(١) وهو المشبه به

(٢) هذا تحقيق لاهم الفروق بين الاستعارة والتشبيه وراجع ذلك في الاسرار
ص ٢٨٣ وما بعدها

(٣) وهو المبتدأ

(٤) أي في مثل رأيت أسدا ،

المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يعلم قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ، فإنه يتمتع ذلك فيه — مع كون المشبه مذكورا أو مقدرا

ومن الناس من ذهب الى ان الاسم في الحالة الثانية ^(١) استعارة ، لا جرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه ^(٢)

(١) أى السابقة وهى مثل « زيد أسد » ،

(٢) ومن ذهب الى ذلك السعد الذى رأى أن المراد باللفظ فى مثل ذلك المعنى المجازى ، فزيد أسد معناه زيد رجل شجاع كاسد ، حذف المشبه — وهو رجل شجاع — وأداة التشبيه واستعمل المشبه به فى معنى المشبه ، فهو استعارة ، وأيد ذلك بأن المشبه به كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور مثل قول عمران بن حطان :
 اسد على وفى الحروب نعمة فتخاه تنفر من صفه الصافر

فالمعنى « أسد يجترى صائل على » ،

وردد رأيه بأن تفسيره لنحو « زيد اسد » بذلك التفسير تكلف ظاهر ؛ وبأن الجار والمجرور متعلق بالأداة لما فيها من معنى الفعل وهو « أشبه » ، كما قيل فى قوله تعالى « وما أنت بنعمة ربك بمجنون » ، فتعلق الجار والمجرور بلفظ « ما » ، لما فيها من معنى النفي أى انتفى ذلك بنعمة ربك

قيل ويؤيد أيضا أن لفظ المشبه به وهو أسد استعارة أن العرب تعامل مثل هذا معاملة ما اتفق على أنه استعارة فيلاحظون فيه الادعاء وتنامى التشبيه وينون على ذلك فى هذا التركيب ما بينونه عليه فى الاستعارة من الترشيحات ، فيقولون مثلا :

هى الشمس مسكنها فى السماء فمز الفؤاد عزاء جميلا

والصحيح أن الذين يذهبون الى أن مثل هذا الاسلوب « زيد أسد » استعارة لا يريدون جملة من الاستعارة المعروفة ، بل يعتبرونه نوطا ثانيا من الاستعارة

وهذا خلاف لفظي^(١) ، راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة
والتشبيه في الاصطلاح^(٢) ، وما اخترناه^(٣) هو الاقرب ، لما أوضحنا
من المناسبة ، وهو اختيار المحققين : كالقاضي أبي الحسن الحرجاني^(٤) ،
والشيخ عبد القاهر ، والشيخ جابر الله العلامة ، والشيخ صاحب
المفتاح^(٥) رحمهم الله

ويفسرون الاستعارة بمعنى يشمله ، فيقولون هي إجراء لفظ المشبه به على المشبه
سواء كان ذلك باستعمال لفظ المشبه به في المشبه مثل رأيت بدرا وهو الاستعارة
المعروفة ، أو بحمله عليه مثل هي بدر ، وهو النوع الآخر

ولذلك صح أن الخلاف لفظي

(١) قال السبكي في هذا نظرا لأن الخلاف معنوي ، فعلى القول بالاستعارة
يكون الأسد مجازا وعلى القول بالتشبيه يكون حقيقة قطعا ، وقول المصنف
راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة ، صحيح ، ولكن ليس الكشف عن معناها لفظيا
بل معنويا نعم يمكن أن يقال إن هذين اصطلاحان لا يدفع أحدهما الآخر (راجع
٣٠٢ ج ٣ السبكي)

(٢) فكأنهم لم يحرروا موضع الخلاف ليتوارد النفي والاثبات على شيء واحد

(٣) من أنه تشبيه لاستعارة

(٤) صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، والمتوفى عام ٢٩٢ هـ

(٥) راجع ص ١٥١ مفتاح ، ٢٩٨ ج ٣ السبكي . ويرى السبكي أن

مثل زيد أسد ، تارة يقصد به التشبيه فتكون الاداة مقدرة ؛ وتارة يقصد به

الاستعارة فلا تكون مقدرة ويرجع في تعيين أحدهما الى المقام [٢٨٩ ج ٣

السبكي ، ٥٩ ج ٤ السبكي أيضا]

غير أن الشيخ عبد القاهر قال ^(١) بعد تقدير ما ذكرنا: فإن أياً
الآن تطابق اسم الاستعارة على هذا القسم:

[١ -] فإن حسن دخول ادوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ؛
وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ، كقولك زيد الأسد ، وهو
شمس النهار فانه يحسن أن يقال زيد كالأسد ، وخلته شمس النهار ،
[٢ -] وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في
إطلاقه ، وذلك كان يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ،
فانه لا يحسن أن يقال زيد كأسد ^(٢) ويحسن أن يقال كأن زيدا أسد ؛
ووجدته أسداً

[٣ -] وإن لم يحسن ^(٣) دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة
الكلام ، كان إطلاقه اقرب ، لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ؛ وذلك
بأن يكون نكرة موصوفة بمالا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر
يسكن الارض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله ^(٤) :

(١) راجع ٢٨٥ من الاسرار وما بعدها
(٢) علل ذلك السبكي بأنه كأنه لاحظ في امتناع حسن ، زيد كأسد ،
أنه تشبيه بفرد من أفراد الأسد مع أن المقصود تشبيه بحقيقة الأسد وجنسه
[٣٠٢ ج ٣ السبكي]
(٣) راجع ٢٨٥ و ٢٨٦ من الاسرار
(٤) أي البجترى .

شمس تألق والفراش وغروبها عناوبدر والصدود كسوفه
فانه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الامثلة
ونحوها ، إلا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدر الا انه يسكن
الأرض ؛ وكالشمس الا انه لا يغيب ، وكالشمس المتألمة الا ان الفراق
غروبها ، كالبدر الا أن الصدود كسوفه
وقد ^(١) يسكون في الصفات والصلات التي تجيء في هذا النحو
ما يحيل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل
قول أبي الطيب :

أسددم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه برعد ^(٢)
فانه لا سبيل إلى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت ، لما في ذلك
من التناقض ، لأن تشبيهه بجنح السبع المعروف دليل أنه دونه أو
مثله ، وجمل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنح خضاب يده دليل أنه
فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ، ثم يجعل الموت
يخاف منه . وكذا قول البحتري ^(٣) :

(١) راجع ٢٨٦ من الأرمز

(٢) الخضاب : ما يخطب به . الفريص واحد فريصة وهي له بين الثدي
والكتف وقيل بين الجنب والكتف
(٣) قبله

سحاب خطاني جوده وهو صيب ومحر عدائي سيلة وهو مفعم
وهو من قصيدة له في مدح الفتح بن خاقان

وبدر أضواء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلٍ منه أسود مظلم
 إن^(١) رجع فيه إلى التشبيه الـاذج، حتى يكون المعنى هو كالـبدر،
 لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه، فظاهر أنه
 إنما أراد أن يثبت من المدوح بدراً له هذه الصفة العجيبة التي لم
 تعرف للبدر، فهو مبني على تخيل أنه زاد في جنس البدر واحداً له تلك
 الصفة^(٢)؛ فالكلام، وضوح لا لاثبات الشبه بينهما؛ ولكن لإثبات
 تلك الصفة؛ فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت؛ لم تقصد إثبات
 كونه رجلاً، لكن إثبات كونه متصفاً بما ذكرت، فإذا لم يكن اسم
 المشبه به في البيت محتالاً لإثبات الشبه، تبين أنه خارج عن الأصل
 الذي تقدم من كون الاسم محتالاً لإثبات الشبه؛ قال—كلام فيه مبني
 على أن كون المدوح بدراً أمر قد استقر وثبت، وإنما العمل في إثبات
 للصفة الغريبة

وكما يتمتع دخول الكاف في هذا ونحوه يتمتع دخول «كأن» ونحوه
 «نحسب»، لاقتضائهما أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في
 الجملة؛ إلا أن كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه، كقولنا

(١) راجع ذلك في الأسرار ص ٢٨٧ وفي المفتاح ص ١٥١
 (٢) أي قصد أدعى حدوث شيء من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة
 عجيبة فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى

كان زيدا منطلي أو خلاف الظاهر كقولنا كأن زيدا أسداً،
والمنكرة^(١) فيما نحن فيه غير ثابتة، فمدخول كأن وتحسب عليها كالتقياس
على المجهول^(٢). وأيضاً هذا النحو إذا فليت عن سره وجدت محصولة
أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة
عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس، فلم يكن لتقدير التشبيه
مغنى^(٣)

(١) وهي المشبه به

(٢) معروف أن المشبه به هنا غير ثابت بالنظر لأجراء صفة عليه ليست له
فاذا قلت كأنه أسد دم الأسد الهزير خضابه، كنت قد شئت بمجهول أو قست
على مجهول

(٣) تعليل عبد القاهر في منع كونه تشبيها يقتضى منع كونه استعارة أيضاً فانها
مبنية على التشبيه مع أنه لا يمنع تقدير أداة التشبيه من إجراء الصفة على المشبه
في قولك الممدوح قريب الموت يرعد منه، لأنه لم يرد تشبيه زيد بالموت المعتاد
بل بموت له تلك الصفة مبالغة في اعلاء المشبه عن المشبه به. ويمكن أن يقال إن
عبد القاهر لا يمنع كونه تشبيها بل هو لا يستحسن فيه وفي مثله التشبيه
هذا وخلاصة أدلة الشيخ في اطلاق اسم الاستعارة على مثل ذلك هي:

١ - تقدير الاداة وجعله تشبيها ساذجا يبعد أو يحيل صحة الوصف، ومع
عدم تقديرها يكون إجراء وصف المشبه على المشبه به سائفاً
٢ - الأسلوب الذى معنا مبنى على تخيل أن المشبه به قد زاد فرداً آخر
مجيباً لما اختص به من الصفة العجيبة

٣ - المقصود من نحوه هو أسد ترعد منه الاسود، اثبات صفة زائدة على
المشابهة وهذا نظير الاستعارة =

[التجريد وهل هو استعارة أو تشبيه ؟]

وإن ^(١) لم يكن اسم المشبه به خبرا للمشبه ولا في حكم الخبر ،
كقولهم رأيت بفلان أسدا ، و « لقيني منه أسد » سمي تجريدا ^(٢)
كما سيأتي إن شاء الله تعالى
ولم يسم ^(٣) استعارة :

[١ -] لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى
بوجه على ما يدعى أنه مستعار له ^(٤) :

إما باستعماله فيه أو باثبات معناه له ، والاسم في مثل هذا

= ٤ - عند تقدير « كان » أو « تحسب » تكون قد شبت بمجهول أو قسم على

مجهول

هـ التناقض في بيت أبي الطيب أن قدرت الأداة ، فالبيت يفهم أن
الممدوح فاق المشبه به ، وتقديرها يفهم أنه مثله أو دونه

(١) هذا معطوف على قوله سابقا ، فاسم المشبه به أن كان خبرا أو في حكم
الخبر كخبر كان وإن والمفعول لثاني لباب علمت والحال ،

(٢) راجع ذلك في ٢٢٦ المطول في غائمة باب التشبيه ، و ٥٤ و ٢٢٦ دلائل ،
و ٢٩١ و ٢٩٢ من الاسرار ، ١٥٠ من المفتاح

والتجريد أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر له تلك الصفة للدلالة على
كأن تلك الصفة في المنتزع منه

وسياتي في البديع

(٣) أي التجريد

(٤) وذلك بأن يكون خبرا عنه أو حالا أو صفة على ما سبق

غير جار على المشبه بوجه

[٢ -] ولأنه يحى على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه
فيظن ^(١) أنه استعارة، كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد، إذ ليس المعنى على
تشبيه جهنم بدار الخلد، إذ هي نفسها دار الخلد، وكقول الشاعر ^(٢) :
ياخير من بركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا
فانه لا يتصور فيه التشبيه، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل،
ولا يسمى تشبيها أيضا، لأن اسم المشبه به لم يحتلب فيه لاثبات
التشبيه كما سبق

ومعه الشيخ صاحب المفتاح تشبيها ^(٣) واختلاف أيضا لفظي ^(٤)

(١) معطوف على « يتصور »، منصب عليه النفي أيضا

(٢) وهو الأعشى

يريد أن الممدوح يشرب والانسان شأنه أن يشرب بكف نفسه، فهو يشرب
بكف رجل كريم يعنى نفسه، ولا يشرب بكف رجل بخيل

(٣) (١٥١) مفتاح وراجع ٢٩١ من الأسرار

(٤) أي راجع إلى الاصطلاح كما قال الخليل

ملاحظة:

قيل ان التجريد استعارة بالسكناية فإذا قلت « لقيت من غاده أميرا » كان
« غاده » هو لفظ المشبه ولفظ « أمير » قرينة

والصواب انه لا تشبيه ولا استعارة ولكن المنزع قد يكون حقيقة مثل
لقبت من محمد صديقا وفيما وقد يكون مجازا مثل « لقيت منه أسدا » أي رجلا شجاعا

٦ الاستعارة مجاز^(١) لغوى لا عقلى ٢ :

والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى^(٢) : كونها موضوعا للمشبه به ، لا للمشبه ؛ ولا لأمر أعم منهما^(٣) كالأسد ، فإنه موضوع لل سبع المحصر ، لا للرجل الشجاع ، ولا للشجاع مطلقا ، لأنه لو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق ، لا من جهة التشبيه ؛ وأيضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس^(٤)

(١) راجع ١٥٧ مفتاح ، ٢٢٢ و ٢٥٢ - ٢٥٥ من الأمرار

(٢) أى فالمراد به هنا ما قابل العقل لا ما قابل الشرعى والعرفى ؛ فبى لفظ استعمال فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة ما نعة . والمراد بالاستعارة هنا الاستعارة المصرحة (٣) أى من المشبه والمشبه به أى ما يستلزم كون إطلاقه على كل منهما حقيقة إذ لو كان اللفظ موضوعا للأعم لكان متواطئا أو مشككا فيكون حقيقة فيهما كإطلاق الحيوان على الأسد والرجل

(٤) وكل هذا على أى حال معلوم بالنقل عن أثمة اللغة قطعاً ، فإطلاقه على المشبه وهو الرجل الشجاع إطلاق على غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له فيكون مجازاً لغوياً . فاستعمال اللفظ الأعم فى الأخص من حيث العموم - أى ليفهم منه فى ذلك الأخص معناه الأعم - حقيقة ، وأما يكون مجازاً إذا قصد من حيث خصوصه ودلت القرينة على قصد النقل بخصوصه للعلاقة ، وقيل إن استعمال العام فى الخاص حقيقة مطلقاً . فإذا لقيت زيدا وقلت رأيت رجلاً أو إنساناً أو حيواناً فذلك حقيقة إذ لم يستعمل اللفظ إلا فى معناه الموضوع له ، إلا إذا قصد لفظ العام من حيث خصوصه لعلاقة مع قرينة فيكون مجازاً

وقيل الاستعارة مجاز^(١) عقلي، بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي لا لغوي^(٢)، لأنها^(٣) لا تطلق على المشبه^(٤) إلا بعد ادعاء دخوله^(٥) في جنس المشبه به^(٦)

لأن نقل الاسم وحده^(٧) لو كان استعارة :

[١ -] لكنت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة^(٨)

[٢ -] ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة^(٩) لأنه لا بلاغة

في إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه

(١) أى لا بمعنى الأسناد الى غير من هو له بل بالمعنى الآتى

(٢) أى لا بالمعنى السابق فى الأسناد فالجواز العقلى المراد به التصرف فى أمر عقلى

أى يدرك بالقل وهو المعانى العقلية والتصرف فيها بادعاء أن بعضها وهو المشبه داخل فى البعض الآخر وهو المشبه به وجعل الآخر شاملا له على وجه التقدير وحسن ذلك الإدخال وجود المشابهة بينهما فى نفس الأمر

(٣) أى الاستعارة بمعنى الكلمة كلفظ أسد

(٤) أى كالرجل الشجاع

(٥) أى دخول المشبه

(٦) بأن جعل الرجل الشجاع فردا من افراد الأسد . أى فهم مستعملة

فيما وضعت له فهمى غير مجاز لغوي بل مجاز عقلي

(٧) أى نقل اللفظ مجردا عن معناه

(٨) يرد ذلك بأن النقل فى الاستعارة لملاقاة المشابهة وفى الاعلام لغوي علاوة

(٩) راجع ٢٢٢ و ٢٨١ من الدلائل ، ٣٥٤ الأسرار

[٣ -] ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً يعني زيدا إنه جعله ^(١) أسداً ، كما لا يقال لمن سمي ولده أسداً لأنه جعله أسداً ، لأن جعل إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير فافاد اثبات صفة للشيء ، فلا تقول جعلته أميراً الأعلى . معنى أنك أثبت له صفة الامارة ، وعليه قوله تعالى « وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ، المعنى أنهم أثبتوا صفة الانوثة واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ، بدليل قوله تعالى (اشهدوا خلقهم ^(٢)) وإذا كان ^(٣) نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى ^(٤) كان الاسم مستعملاً

(١) راجع ٣٥٤ من الأسرار ، ٢٨١ و ٣٨٢ و ٢٣٦ من الدلائل

(٢) راجع ٣٥٤ و ٣٥٣ من الأسرار

ملاحظة :

الخلاصة أن المبالغة والادعاء لا ينكرهما من جعل المجاز لغويا ، وكون اللفظ أطلق على غير معناه الحقيقي لا ينكره من جعله عقليا ، وإنما النزاع في أنه هل يسمى لغويا نظرا للإطلاق على غير المعنى الأصلي ، أو عقليا نظرا لذلك الادعاء فعاد الخلاف لفظيا اصطلاحيا

(٣) راجع ١٥٧ مفتاح ، ٢٦٤ من الأسرار

(٤) بمعنى أنه أثبت له معنى الأسد الحقيقي ادعاء ثم أطلق عليه اسم الأسد فيكون الاسم مستعملاً فيما وضع له . فالتجوز إنما كان في المعاني بجعل بعضها نفس غيرها ثم أطلق اللفظ ، فتسميته مجازا عقليا ظاهرا ، وأما تسميته استعارة =

فيما وضع له، ولهذا "صح التعجب في قول ابن العميد:

قامت تظلني الشمس نفس أعر على من نفس

قامت تظلني ومن عجب شمس (٢) تظلني من الشمس

والنهي (٣) عنه في قول الآخر (٤)

لا تعجبوا من بلي غلالته قد ذر ازرارته على القمر (٥)

فإعطاء حكم المعنى لفظاً لأن المستعار على هذا هو معنى المشبه به يجعل حقيقة لما ليس حقيقة له وهو المشبه

فالمراد بالمجاز العقلي هنا التصرف في أمر عقلي (أى يدرك بالعقل، على خلاف ما في الواقع، والتصرف فيها بادعاء ان بعضها (المشبه) داخل في البعض الآخر (المشبه به) وفرد من أفرادها (١) أى ولأن إطلاق اسم المشبه به على المشبه بما يكون بعدداده دخوله في جنس المشبه به

(٢) أى غلام جميل، وتأنيت الضمير في قامت، باعتبار إسناده إلى نفس. هذا فلولا أنه ادعى لذلك الغلام معنى الشمس الحقيقي وجعله شمساً على الحقيقة لما كان لهذا التعجب معنى إذ لا تعجب في أن يظل انسان حسن الوجه إنساناً آخر. وقال العصام: لم لا يجوز أن يكون التعجب من استخدامه من بلغ في الحسن منزلة الشمس؟

(٣) أى وصح النبي عن التعجب

(٤) هو ابن طباطبا الشريف ابن محمد بن أحمد [راجع ص ٩ من طراز المجالس] والبيت في ٢٧١ و ٦٧ من المطول، ٢٢٢ ج ١ الدسوقي وفي الجزء الأول من شروح التلخيص أيضاً في آخر باب المجاز العقلي

(٥) للفلاة: شعار صغير يلقى البدن بلبس تحت ثوب لوضع منه. زب: نشد =

وقوله^(١)

ترى الثياب من السكتان يلحمها نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها
والجواب^(٢) عنه : ان ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به

فلولا أنه جده قرأ حقيقيا لما كان للنبي عن التعجب معنى ، لأن السكتان إنما
يسرع اليه البلى بسبب ملابسة القمر الحقيقي لا بملابسة إنسان كالقمر في الحسن .
لا يقال : القمر في البيت ليس باستعارة لأن المشبه مذكور وهو الضمير في غلاته
وأزراره . لانا نقول : ذكر المشبه هنا على هذا الوجه لا ينافي الاستعارة لأنه لا
ينبئ عن التشبيه ، والمناهي لها إنما هو الجمع بين الطرفين على وجه ينبئ عن التشبيه
بحيث يكون المشبه به خبرا عن المشبه أو حالا منه أو صفة له ؛ وأما اذا ذكر
المشبه لا على وجه ينبئ عن التشبيه كما في البيت لعدم جريان المشبه به عليه حتى
يسهل تقدير الاداة نظرا للمعنى فهو استعارة . ثم هذا يقتضى أن يكون نحوه لجين
الماء ، استعارة مع أنهم صرحوا أنه تشبيه ، وقد يقال إن تصريحهم بذلك لا ينافي
كونه استعارة . ومثل زر أزراره على القمر في أن ذكر الطرفين فيه على وجه لا
ينبئ عن التشبيه قولك : سيف زيد في يد أسد فالجمع هنا بين المشبه والمشبه به
(زيد وأسد) على وجه لا ينبئ عن التشبيه لأن هذا التركيب ونحوه لا يتأتى فيه
تقدير الاداة الا بزيادة في التركيب أو نقص منه بحيث يتحول الكلام عن أصله
(١) هو ناصر الدولة ابو المطاسع الحمداني (ص ٩ طراز المجالس) وهما
في الأسرار ص ٢٦٦ . يبليها : يخلقها ، والعرب تزعم أن البدر يبلى الثياب الجميلة .
المعاجر جمع معجود وهو ثوب تشده المرأة على رأسها

(٢) راجع ٣٥٨ من الأسرار

الخامس (٥)

لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملاً في غير ما وضع^(١) له، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة.

فان قيل^(٢) إصرار المتكلم على ادعاء الاسدية للرجل ينافي نصيبه

(١) للعلم بأن أسداً في رأيت أسداً يرمى، مستعمل في الرجل الشجاع وإن ادعى أن الرجل الشجاع فرد من أفراد الأسد بعد تشبيهه به إذ تقدير الشيء نفسه الشيء لا يقتضي كونه إياه حقيقة
فأصل هذا الجواب رد الصغرى القائلة: الاستعارة لفظ استعمل فيما وضع له بعد الادعاء.

فأسد في المثال مستعمل في الرجل الشجاع وهو موضوع للسبع المخصوص. وتحقيق ذلك أن أن الادعاء لا يقتضي كون الاستعارة مستعملة فيما وضعت له إذ ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به مبنى على أنه جعل أفراد الأسد بطريق التأويل قسمين على أن الأسد موضوع للقدر المشترك بينهما وهو مجتري: فأحدهما هو المتعارف وهو الحيوان المخصوص والثاني غير المتعارف وهو المشبه أي الرجل الشجاع ولفظ الأسد إنما هو موضوع للمتعارف فاستعماله في غير المتعارف استعمال في غير ما وضع له والقرينة مانعة عن إرادة المعنى المتعارف — لا عن إرادة الجنس بقسميه — ليتعين المعنى الغير المتعارف. وحاصل هذا أن الادعاء يقتضي كونها مستعملة فيما وضعت له إذ معناه جعل المشبه به مؤولاً بوصف مشترك بين المشبه والمشبه به وادعاء أن لفظ المشبه به موضوع لذلك الوصف وإن أقراده قسمين: متعارف وغير متعارف فالمتعارف له الفرد المتعارف والمستعمل فيه غير المتعارف، فالإصرار على دعوى الاسدية بالمعنى غير المتعارف ونصب القرينة إنما يمنع من إرادة الاسدية بالمعنى المتعارف فلا منافاة

(٢) راجع ٥٨؛ من المفتاح

قرينة مانعه من ان يراد به السبع المخصوص، قلنا: لا منساقاة، ووجه التوفيق ما ذكره السكاكي^(١)، وهو أن تبني دعوى الاسدية للرجل على ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق التأويل: متعارف وهو الذى له غاية الجراءة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة، وغير متعارف وهو الذى له تلك الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى، على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء فى عهد نفسه وجماعته من جنس الجن وعند جماله من جنس الطير حين قال:

نحن قوم م الجن فى زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال^(٢)
مستشهدا لدعواه هاتيك بالخيالات الدوفية، وأن تخصص^(٣)
القرينة بنفها المتعارف الذى يسبق الى الفهم ليعين الآخر
ومن البناء على هذا التنويع قوله^(٤):

(١) ١٥٨ مفتاح

(٢) البيت فى المفتاح ص ١٥٨ و طراز المجالس ص ٢٩ و ٤٣، ص ٣٣٣ من الدلائل، ٤٩١ ج ١ السبكي. وقال الشهاب الخفاجي: لا قلب فى البيت وهو استعارة. وحمله ابن جنى على القلب وأن المعنى نحن قوم من الانس فى زى الجين. فالشاعر قد اخرج قومه من جنس الانسان وجعلهم من الجن فصار الجن نوعين: النوع المعروف، وقوم أبى الطيب. وكذلك يقاى الجمال. هذا والشرط الاول تشبيه والثانى استعارة

(٣) معطوف على قوله سابقا، ان تبني دعوى الاسدية للرجل،

(٤) البيت لعمر بن معدى كرب (٣٦٥ و ٤٢٩ ج ١ سيدييه داف: نهض وتقدم. فهذا صار للتحية فردان: المروف وضرب هؤلاء الفرسان. والشرط الثانى تشبيه تميم

[وخيل قد دلفت لها بخيل] تحية بينهم ضرب وجميع
 وقولهم « عتابك السيف »^(١) ، وقوله تعالى : يوم لا ينفع مال ولا
 بنون الا من أتى الله بقلب سليم^(٢) ، ومنه قوله :
 وبسطة ليس بها أنيس الا البعافير وإلا العيس^(٣)
 وإذا قد عرفت ، معنى الاستعارة وأنها مجاز لغوي فاعلم :

(١) فجعل العتاب فردا غير معروف له وهو السيف وراجع في ذلك ٢٨٤
 و ٢٨٥ من الدلائل

(٢) أى الا اتيان من أتى الله بقلب سليم ، والاتيان ليس من المال والبنين
 ولكن يمكن أن يتخيل هذا

(٣) البيت لجران العود النيمى وهو فى ١٣٣ و ٥٦٢ ج ١ الكتاب لسيبويه
 و ٥٨ و ٢١٥ مفتاح ، و ٣١ طراز المجالس

البعافير جمع يعفور وهو ولد البقرة . العيس : الابل التى يخالط بياضها صفرة
 جعل البعافير والعيس مما يؤنس به تخيلا وقد سبقت هذه الأمثلة كلها لبيان ان
 الادعاء مذهب معروف للعرب وموجود فى كلامهم ، لالذكر أمثلة للاستعارة
 فان الأمثلة المذكورة ليست استعارة ولا تشبيها كما قيل لان الاستعارة فيها ادعاء
 ضمنى أما الادعاء الصريح فأسلوبه ليس استعارة ولا تشبيها وقال السبكي : وفيه
 نظر لان البيت والآية على أحد القولين الاستثناء فيها منقطع فلا يقدر المستثنى
 فردا من أفراد المستثنى منه وإلا لكان متصلا

هذا ومن مثل هذا التخييل قول ابن الأيهم التغلبى :
 ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

[١٣٢٦٥ سيبويه]

١- [أن الاستعارة تقارق الكذب^(١) من وجهين: بناء الدعوى
فيها على التأويل^(٢)، ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها،
فإن الكاذب يتبرأ من التأويل، ولا ينصب دليلا على خلاف زعمه
٢- [وأنها لا تدخل في الاعلام^(٣) ما سبق من أنها تعتمد
إدخال المشبه في جنس المشبه به، والعلمية تنافي الجنسية^(٤)، وأيضا

(١) راجع ١٥٨ مفتاح

(٢) أى في المشبه به يجعله كليا صادقا على المشبه فيكون له فردان: متعارف
وغير متعارف ففي كل استعارة تأويل ودعوى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به،
ولا كذب أصلا مع هذا الادعاء.

(٣) فلا تكون الاستعارة علما شخيصيا، أما تعلم الجنس فتجرى فيه الاستعارة
كعلم الجنس، بخلاف علم الشخص. أما المجاز المرسل فيجوز في العلمية إذ لا مانع
من كونه علما لصحة أن يكون للعلم لازم ولو غير مشتهر يستعمل فيه لفظ العلم
[وراجع ذلك في المفتاح ص ١٠٧]

(٤) أى التي تقتضيها الاستعارة لأن العلم يقتضى التشخيص أى تشخيص معناه
وتعيينه خارجا. أما في علم الجنس فيمكن العموم في معناه لكونه ذهنيا، والمعنى
الذهنى لا ينافي تعدد الأفراد له

هذا والسعد والسيد والعصام يميزون الاستعارة في العلم الشخيصي، إذ لا لزوم
عندهم للتأويل بكلى ولا لهذا الادعاء بل يكفي في الاستعارة ادعاء أن المشبه عين
المشبه به فتدخل الاستعارة في الاعلام الشخصية

قال السيد على المفتاح: لا نعلم أن الاستعارة تعتمد على الإدخال المذكور
لأن المقصود من الاستعارة المبالغة في حال المشبه بأنه يساوى المشبه به فيه وذلك
يحصل بجعل المشبه من جنس المشبه به أن كان اسم جنس أو جعله عينه ادعاء أن

لأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء، من غير إشماع بأنه إنسان أو فرس أو غيرها؛ فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعمين ونحوه من الموارد العامة؛ التي لا يكفي شيء منها جامعا في الاستعارة، اللهم إلا إذا تضمن^(١) نوع وصفية؛ اسبب خارج؛ كتضمن إسم حاتم الجواد، ومادر البخيل؛ وما جرى مجراها

كان علم شخص فإن المقصود من رأيت حاتما أنه رأى عين ذلك الشخص لا فردا من أفراد الجواد. ورد عبد الحكيم قوله لأن الإدخال لا داعي إليه فإن المبالغة تحصل أيضا بادعاء الاتحاد ولأن جعله عينه فيها إذا كان علم شخص أن كان لا عن قصد فهو غلط وإن كان عن قصد فهو وضع جديد أو دعوى باطلة أن كان من غير تأويل وحيث أنه فلا بد من التأويل وهو إنما يكون بادخاله فيه

(١) أي إلا إذا تضمن العلم نوع وصفية لسبب اشتغال مدلول العلم بوصف من الأوصاف بحيث متى أطلق ذلك العلم فهم منه ذلك الوصف فلذلك يكون كليا تأويلا كحاشم يفهم منه الجواد فصار كأنه موضوع للجواد وهو معنى كل فيصح إطلاق لفظ حاشم على زيد الكريم فنقول فيه رأيت اليوم حاتما، بسبب تشبيه زيد بحاشم في الجود وملاحظة أن حاشم كأنه موضوع للجواد وأن زيدا فردا من أفراد

وقال السبكي: لا حاجة لذلك بل إنما كان العلم هنا استعارة لأنه صار نكرة لا علما كما كان؛ فهو استعارة تبعية؛ وقد اختلف في لفظ حاشم وما شابهه هل الاستعارة فيه أصلية أو تبعية؟ اختار السعد أنها أصلية ومعنى حاشم رجل يلزمه الجود لا الجواد

[قرينة الاستعارة ^(١)]

وقرينة الاستعارة : اما معنى واحد كقولك رأيت أسداً يرمى ،
أو أكثر ^(٢) كقول بعض العرب :
فان تعافوا العدل والايما نا فان في أيماننا نيرانا ^(٣)

(١) راجع ذلك في ١٥٩ من المفشاح ، وص ٢٣٢ دلائل الانجاز وما بعدها .
هذا والقرينة لازمة لكل مجاز ، فتقسم القرينة بحرى في المجاز المرسل والممكنية
أيضاً . وتخصيص قرينة الاستعارة بالبيان للاعتناء بها . قال العصام : ولا داعى
لجعل قرينة الممكنية واحدا والزائد عليه ترشيحا

هذا والقرينة إما لفظية أو عقلية . وهى فى الاستعارة التصريحية من ملائمت
المشبه . وفى الممكنية من ملائمت المشبه به كالأظفار

(٢) أى أمران أو أمور كل واحد منها قرينة وليس واحد منها ترشيحا ولا
تجريدا لعدم ملائمة للطرفين ملامة شديدة وما ذكره المصنف من جواز تعدد
القرينة هو الحق وقيل لا يجوز تعدد قرينة الاستعارة بل ان كان الصارف عن ارادة
المعنى الحقيقي جميع الامور فكلها وخدة هى القرينة وان كان الصارف كل واحد
فالاول قرينة وما عداه تجريد أو ترشيح

(٣) تجده فى الدلائل ص ٢٣٢ . تعافوا : تكرر هو . الايمان جمع يمين أى فى
أيدينا ويصح قراءته يكسر الهمزة كالذى قبله

فارتباط قوله تعافوا بكل من العدل والايمان قرينة على أن المراد بالنيران
السيوف . والاولى أن يقال فكل واحد من العدل والايمان باعتبار تعلق الاعاقة
به قرينة لأن القرينة لا تكون الالفة والتعلق ليس كذلك ، ثم لم يجعل احدهما
قرينة والآخر تجريدا لأن بمجموع الامرين بمنزلة شىء واحد ولكن لو انفرد
أحدهما لكفى

وذلك لأن كلا من العدل والايمان باعتبار تعلقه بتعافوا دليل على أن جواب
هذا الشرطه تحاربون وتلجأون إلى الطاعة بالسيوف ، هذا والاجل اعتبار كلمة
أيماننا هى القرينة

أى سيوفا تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر
 ناهضتهم والبارقات كأنها شعل على أيديهم تتلهب^(١)
 فقوله « تعافوا » باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالايان ،
 قرينة لذلك ، لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويقصرون على الطاعة
 بالسيف

أو معان مربوط بعضها ببعض ، كما في قول البحترى :
 وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤس الاقران خمس سحائب^(٢)
 عنى بخمس سحائب أنامل للممدوح ، فذكر ان هناك صاعقة ثم قال
 « من نصله » ؛ فبين أنها من نصل سيفه ، ثم قال على أرؤس الاقران ،

(١) البيت في الدلائل ص ٢٣٢ : وهو للبحترى . البارقات : السيوف
 هذا ومثل البيت « فان تعافوا » قول الشاعر :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة

إذا سرى النوم في الاجفان ايظا

فكل من رياح ورياض قرينة لتقرى ، وكل من النوم والاجفان قرينة لسرى

(٢) النصل : حد السيف تنكفي تنقلب . الاقران جمع قرن وهو النظير المكافئ .

وقد ضمن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء ويسمى هذا في البديع الاستتباع . صاعقة

تشبيه بليغ ان كان من نصله بيانا لها وإلا فاستعارة

والبيت في ص ٢٣٢ من الدلائل ، وص ١٤٨ من المثل السائر ، ص ١٥٩

مفتاح والقرينة فيه معان ملثمة مربوط بعضها ببعض وبمعناها قرينة لاكل

واحد منها

ثم قال «خمس» فذكر عدد أصابع اليد؛ فبيان من مجموع ذلك غرضه^(١)

[تقسيم الاستعارة]

ثم الاستعارة تنقسم: باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار الثلاثة؛ وباعتبار اللفظ وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله

[١- الاستعارة باعتبار طرفيها^(٢)]

أما باعتبار الطرفين فهي قسمان: لأن اجتماعهما^(٣) في شيء إما ممكن أو ممتنع، واسم الأولى وفاقية، والثانية عنادية.

أما الوفاقية فكقوله تعالى^(٤) «أحييناه» في قوله: أو من كان ميتا فأحييناه؛ فإن المراد بأحييناه هديناه، أي أو من كان ضالا^(٥)

(١) قيل بمجموع هذه الأمور ليس ضروريا في فهم الاستعارة بل بعضها كاف. إلا أن يقال: المراد الدلالة الواضحة وهي متوقفة على الجميع وهذا لا يتأني كفاية بعضها في أصل الدلالة على المراد

وقد يقال إن قوله «وصاعقة من نضله» كاف وحده للدلالة على الاستعارة، وكذا قوله «على أروس الأقران» وكذا تحديد العدد بخمس، فالقرينة متعددة لامعان ملثمة إلا أن يراد بالثناء أنها ربطت لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال

(٢) أي المستعار منه والمستعار له. وراجع ذلك في الأسرار ص ٥٧

(٣) أي اجتماع الطرفين

(٤) راجع الكلام على الآية في ٢٦٠ صناعين، ٢٢١ الأسرار

(٥) استعار الأحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حيا للهداية التي هي الدلالة على طريق بوصل إلى المطلوب، أي بعد تشبيه الهداية بالأحياء وادعاء أنه فرد من أفرادها =

فهديناه ، والهداية والحياة لاشك في جواز اجتماعهما في شيء
وأما العنادية ^(١) : فمنها :

[١ -] أما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن
كانت موجودة ، فخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها ، وما اذا خلت
منه لم تستحق الشرف كاستعارة اسم المعدوم للموجود ، اذا لم تحصل
منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك
أو اسم الموجود للمعدوم اذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة ^(٢)
حال عدمه ، فيكون مشاركا للموجود في ذلك ، أو اسم الميت للحى

= والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعها في شيء واحد لأن المستعار منه هو الاحياء
لا الحياة ، وإنما قال ، أحييناه ، لأن الطرفين في استعارة الميت ، للضال مما لا يمكن
اجتماعها في شيء واحد إذ الميت لا يوصف بالضلال فتكون الاستعارة فيه عنادية
لأولاه . هذا الكلام على الآية في ص ٢٦٠ صناعتين وص ٥٨ و ٢٢١ من
الاسرار وستأتى قريباً في الايضاح أيضا
(١) ٥٧ و ٦٨ أسرار البلاء

ملاحظة

سميت الاستعارة الوفاقية وفاقية لما بين الطرفين من الاتفاق أى الاجتماع
وعدم المباعدة

وسميت الاستعارة العنادية لعناد الطرفين وامتناع اجتماعهما
(٢) فنقول في زيد الذى لانفع فيه رأيت اليوم معدوماً في المسجد فثبته
الوجود العديم الفع بالعدم ، ثم استعير العدم له ، واشتق من العدم معدوم بمعنى
موجود عديم النفع فهو استعارة تصريحية تبعية عنادية

الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بهما ، أغنى العلم ، فيكون
مشاركاً للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً ؛ لأن المنام لا يشعر
بما يحضرته ، كما لا يشعر الميت أو الحي العاجز ، لأن المعجز كالجهل
يحط من قدر الحي

ثم الضدان ان كانا قايدين للشدة والضعف ، كان استعمارة اسم
الاشد للأضعف أولى ، وكل من كان أقل علماً وأضعف قوة كان
أولى بأن يستعار له اسم الميت . ولما كان الإدراك أقدم من العقل في
كونه خاصة للحيوان كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجاد من
الأقل قوة ، وكذا في جانب الأشد ، فكل من كان أكثر علماً كان
أولى بأن يقال له انه حي ، وكذا من كان اشرف علماً ؛ وعليه قوله
تعالى « أو من كان ميتاً فأحييناه » ، فان العلم بوحداية الله تعالى
وما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم اشرف العلوم

[٢ -] ومنها ما استعمل في ضد معناه أو تقيضه ، بتزليل التضاد أو
التناقض منزلة التناسب ؛ بواسطة تهكم أو تمليح ، على سبق في التشبيه ،
كقوله تعالى « فبشرهم بعباب اليم » ، ويخص هذا النوع باسم التهكمية ^(١)

(١) ما كان الغرض منها التهكم والسخرية

والتلميحية (١)

(١) ما كان الغرض منها إيراد القبيح بصوره شئ. ملبح الاستطراف وحاصل هذا أن يطلق اللفظ الدال على وصف شريف على ضده كإطلاق الكريم على البخل ، ولا يصح فيه إطلاق البخل على الكريم ، فإذا أطلق الأسد على الجبان فقد نزل التضاد منزلة التناسب تمسكاً أو تمليحاً ، وشبه الجبان بالأسد بجماع الشجاعة الموجودة في المشبه (الجبان) تنزيلاً وفي المشبه به تحقيقاً ، واستعير اسم الأسد للجبان استعارة تصريحية

هذا والضدان هما الأمران الوجوديان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان .
والنقيضان هما الأمران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجودي والآخر عدمي

ومن المثل لذلك : فبشرهم بعذاب أليم ، أى أنذرهم ، استعير لفظ البشارة التى هى الأخبار بما يظهر سروراً في الشخص المخبر بذلك الخبر للأنذار الذى هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التمسك والاستهزاء ، وكقولك رأيت أسداً وأنت تريد جباناً على سبيل التلميح والظرافة ، ولا يخفى امتناع اجتماع التبشير والإنذار من جهة واحدة أى بحيث يكون المبشر به هو المنذر به والمبشر هو المنذر وكذا الشجاعة والجبن

هذا وراجع التلميح والتلميح في ص ٤١ وما بعدها من الأسرار
ملاحظة

لأجراء الاستعارة في مثل : فبشرهم بعذاب أليم ، نقول :
نزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه الإنذار بالتبشير بجماع إدخال السرور في كل وإن كان تنزيلاً بالنسبة للمشبه ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية ، ثم اشتق منه بشر بمعنى أنذر على سبيل الاستعارة التبعية التمسكية أو التلميحية العنادية ، وقد جعل الحفاجى المجاز في الآية من مجاز المقابلة وكذلك قوله تعالى : فاهدوهم إلى صراط الجحيم : الهداية الدلالة بلطف ؛

[٢ - أقسام الاستعارة باعتبار الجامع ^(١)]

وأما باعتبار الجامع فهي قسمان :

أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلا في مفهوم الطرفين ^(٢) كاستعارة
الطيران للعدو ، كما في قول امرأة من بني الحرث ترثي قتيلا :
لو يشا طار به ذو ميمة لاحق الأطلال نهدي ذو خصل ^(٣)

= استعاره للعتل وهو الأخذ بجامع الشيء وجره بقهر ، ويقال في إجرائها : نزل
التضاد منزلة التاسب ، فشب العتل بالهدى بجامع الخير والنفع في كل وان كان
ادعائيا في المشبه

(١) هو كوجه الشبه في التشبيه أى ما قصد اشتراك الطرفين فيه ويسمى في
التشبيه وجه الشبه لأنه سبب للتشبيه ، وسمى هنا جامعا لأنه أدخل المشبه تحت
جنس المشبه به ادعاء وجمعه مع أفراد المشبه به تحت مفهومه والجامع في الاستعارة
هو متعلق العلاقة لأن العلاقة في رأيت أسدا يرمى هي المشابهة في الشجاعة فالجامع
هو الشجاعة

(٢) أى المستعار له والمستعار منه ، بأن يكون جزءا من مفهومها لكونه
جنسا أو فصلا لذلك المفهوم

(٣) البيت في الاسرار ص ٢٤ والجماسة ص ٤٦٩ ج ١

الميمة : النشاط . اللاحق : الضامر . الأطلال جمع لأطل بكسرتين أو بكسر
فسكون الحاصرة . فرس نهدي . جسيم مشرف . الخصلة : الشعر المجتمع أو هي لفيفة
من الشعر ، ويريد بالخصل هنا ما تدلى من أطرافه

شبه العدو بالطيران بجامع السرعة في كل ثم استعير لفظ الطيران للعدو

وكما جاء في الخبر « كلما سمع هيمة طار^(١) إليها ، فإن الطيران والعدو

(١) تنمة الحديث : خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيمة طار إليها أو رجل في شعفة في غنيمة له يعبد الله حتى يأتيه الموت ، : الهيمة : الصيحة التي يفزع منها من هاع يبيع إذا جبن : الشعفة : رأس الجبل العنان : اللجام . طار : عا

والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد في سبيله الله أو رجل اعتزل الناس وسكن في رؤوس بعض الجبال في غم له قليل يرعاها ويسكني بها في أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت . استعار الطيران للعدو بجامع السرعة والجامع داخل في مفهومها

وقد شبه العدو الذي هو قطع المسافة بسرعة في الأرض بالطيران الذي هو قطع المسافة بسرعة الهواء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران طار بمعنى عدا والجامع قطع المسافة بسرعة وهو داخل في مفهوم كل من المستعار له (العدو) والمستعار منه (الطيران) لأنه جنس لكل منها وفصل العدو كونه في الأرض وفصل الطيران كونه في الهواء واستناد الطيران للرجل مجاز عقلي أصله طار فرسه بسعيه إليها والأظهر أن ذلك الجامع وهو قطع المسافة بسرعة هو في العدو لا في الطيران الذي هو قطع المسافة بالجناس والسرعة لازمة له في الأكثر داخلته في مفهومه بخلاف العدو فهي داخلته في مفهومه

فالاول ان يمثل باستعارة التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الاجسام الملتصقة أى بقيد كون الاشياء المجتمعة ملتصقا بعضها ببعض لاجل أن يظهر كون الجامع المذكور داخلا في مفهوم التقطيع وان كان ازالة الاتصال هو في معنى ازالة الاجتماع ، وذلك في قوله تعالى « وقطعناهم في الأرض أئما ، فالجامع ازالة الاجتماع الداخلة في مفهومها لان مفهوم التقطيع ازالة الاجتماع بين الاشياء المجتمعة الملتصقة بعضها ببعض ومفهوم التفريق ازالة الاجتماع بين الاشياء المجتمعة غير الملتصقة ، هذا وازالة الاجتماع في التقطيع أشد =

يشتر كان في أمر داخل في مفهومهما ، وهو قطع المسافة بسرعة ،
ولسكن للطيران أسرع من العدو ، ونحوها قول بعض العرب :

فطرت بمنصلي في نعملات دوامي الايد يخبطن السريحاً^(١)

يقول انه قام بسيفه مسرعاً الى نوق فعقرهن ودميت ايديهن

= والفرق بين هذا حيث جعل استعارة وبين اطلاق المرسن على الأنف حيث
جعلاً مجازاً مرسلًا مع ان في كل من المرسن والتقطيع وصفاً خاصاً - هو في
المرسن كونه انفاً لبيمة وفي التقطيع التصاق الاجسام - ليس في الأنف وتفریق
الجماعة ، هو أن خصوص الوصف الكائن في التقطيع مرعى وملاحظ في استعارته
لتفريق الجماعة فصار التقطيع بمراعاته أقوى من التفريق في ازالة الاجتماع فصح
تشبيه التفريق به واستعارة اسمه له ، بخلاف خصوص الوصف في المرسن فان
الوصف الخاص الذي في المرسن لما لم يلاحظ وانما لوحظ الاطلاق والتقييد لم
يكن استعارة بل مجازاً مرسلًا لعدم التشبيه فلو لوحظ ذلك الوصف الخاص بحيث
يجعل المرسن مشبهاً به لاجل ذلك الوصف لكان استعارة أيضاً كما أن الوصف في
التقطيع اذا لم يلاحظ كان مجازاً مرسلًا

والحاصل أن التشبيه هنا منظور بخلافه هناك . هذا والجامع يجب أن يكون
في المستعار منه أقوى أما التشبيه فقد يكفي فيه المساواة بين الطرفين في الجامع :
ويصح كون الجامع داخلاً في مفهوم الطرفين مع كونه في أحد المفهومين أشد
وأقوى

(١) البيت لمضرب بن ريمي ، وهو في ٤١ من الاسرار وفي ١٣٩ و ٢٣٩١
الكتاب اسيدويه . المنصل بضم الميم وفتح الصاد أو ضمها : السيف . المعملات
النوق المطبوعة على العمل . السريح : السبور يخفض بها

تخبطن السيور المشدودة على أرجلهم ، وكاستعارة الفيض لانبساط
الفجر في قوله

[يتراكون على الأسنة في الوغى] . كالفجر فاض على نجوم الغيب^(١)

فان الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص ؛ وذلك أن
يفارق مكانه دفعة فينبسط ؛ والفجر انبساط شبيه بذلك^(٢) . وكاستعارة
التقطيع لتفريق الجماعة وابعاد بعضهم عن بعض ، في قوله^(٣) تعالى
« وقطعناهم في الارض أمتا » فان القطع موضوع لا زالة الاتصال بين
الاجسام التي بعضها ممتصقة ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع ،
التي هي داخلة في مفهومها ، وهي في القطع أشد ، وكاستعارة الخياطة
لمرد الدرع في قول القحطاني :

(١) هو للبحترى . يتراكون : يجتمعون بكثرة وازدحام . الأسنة : الرماح .
الوغى : الحرب . الغيب . الظلمة . والشرط الأخير هو وضع الشاهد وهو في
الاسرار ص ٤٢

(٢) ففي « فاض » استعارة تصريحية تبعية . شبه ظهور الصباح بفيض الماء
بجامع أن كلا ينبسط على ما عداه بسرعة ، وفي البيت تشبيه هيئة المدوحين وهم
يتزاحمون في حومة القتال وعليهم دروعهم تفيض أشعتها فيختفي العدو أمامهم
بهيئة الصباح وقد انتشر ضوءه فأخفى النجوم . فالبحترى يمدحهم بالشجاعة وكثرة
العدد والعدد اللامعة الى حد أنهم متى ظهوروا اختفى أعداؤهم

(٣) راجع ٤٤ من الاسرار

لم تلق قوما هم شر لاخوتهم مناعشية يجرى بالدم الوادى
 نقريرهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد^(١)
 فان الخياطة اضم خرق القميص، والسرد يضم حلق الدرع^(٢) فالجامع
 بينهما الضم، الذى هو داخل فى مفهوما، وهو فى الاول اشد
 وكاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتقريرهم فى قول ابى الطيب :
 نثرهم فوق الاحيدب نثرة كما نثر فوق العروس الدراهم^(٣)

(١) لهذميات : السيوف القواطع الواحد لهزم والنسبة فيها للبالغة . الزراد
 صانع الزرد وهى الدرع . وضمير نقريرهم لاخوتهم وكانوا أعداءهم . واستعارة
 القرى لذلك من نوع التهمك السابق . القرى : الاحسان الى الضيف . وفى إسناد
 الجرى للوادى مجاز عقلى والمسراد جرى الوادى بالدم وكنى بهذا عن الحرب
 واشتدادها . فى د نقرى ، استعارة تهكمية ، نزل التضاد منزلة التناسب فشبّه الطعن
 وهو إساءة بالقرى وهو إحسان بجامع الاحسان فى كل وان كان ادعائيا فى الاول
 ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية تهكمية ، ثم أخذ
 منه د نقرى ، بمعنى نطعن على سبيل الاستعارة التبعية . وفى خاط . استعارة تبعية ،
 شبه السرد بالخياطة بجامع الضم فى كل

(٢) راجع ذلك فى السكامل للمبرد ٣١ ج ١

(٣) راجع البيت فى الأسرار ص ٤٢ . الاحيدب اسم جبل . يقول فرقتهم على
 هذا الجبل . قتولين ونثرهم نثر الدراهم على العروس ، فتفرقت مصارعهم على هذا
 الجبل كما تفرق مواقع الدراهم اذا نثر . شبه اسقاط المنهزمين بلا نظام فى
 جهات مختلفة بالنثر بجامع التفريق فى كل

لان الثبر أن يجمع أشياء في كف أو وعاء ثم يقع قبل يتفرق معه
دفعه ، من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لمساية ضمن التفرق على
الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المهزمين في الحرب دفعه ؛
من غير ترتيب ونظام ، ونسبه الى الممدوح لأنه سببه ^(١)

والثاني ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفيين ^(٢) ؛
كقولك رأيت شمسا وتريد انسانا يهمل وجهه ، فالجامع بينهما التلاؤ ،
وهو غير داخل في مفهومهما

[٣ - الاستعارة العامية والخاصية ^(٣)] :

وتنقسم باعتبار الجامع أيضا إلى عامية وخاصية :

فالعامية ^(٤) المبتذلة لظهور الجامع فيها ، كقولك « رأيت أسدا » ،
و « وردت بحرا »

والخاصية ^(٥) الغريبة التي لا يظفر بها الا من ارتفع عن طبقة العامة ،

(١) ففي اسناد نثر ، إلى الممدوح مجاز عقلي علاقته السببية

(٢) هذا صادق بثلاث صور: ان يكون خارجا عن مفهومها معا ، أو خارجا
عن مفهوم المشبه فقط ، أو عن مفهوم المشبه به فقط

(٣) راجع ٥٨ - ٦٣ من الدلائل

(٤) أي يدركها عامة الناس ويصح منهم استعمالها

(٥) أي لا يعرفها الا الخواص من الناس الذين أوتوا ذهنا ارتفعوا به عن
طبقة العامة

وهي الغريبة التي لا يطلع على جامعها الا الخاصة الذين أوتوا ذهنا ارتفعوا به عن
طبقة العامة أي لا يهتدي إلى الجامع السكائن فيها الا الخواص

كما سيأتى فى الاستعارات الواردة فى التزئيل، وكقول طفيل الغنوى :
 وجعلت كورى فوق ناجية يفتات شحم سنامها الرحل^(١)
 وموضع اللطف والغرابة منه أنه استعار الاقنيات لأذهاب الرحل
 شحم السنام مع أن الشحم مما يفتات وقول ابن المعتز^(٢)
 حتى إذا ما عرف الصيد الضار
 وأذن الصبح لناس فى الأبصار
 لما كان تعذر الأبصار منعا من الليل، جعل إمكانه عند ظهور الصبح
 إذا منه، وقول الآخر^(٣) :
 برض تنوفة لاربع فيه نسيم لا يروع فى التراب

(١) البيت فى : ص ١٠ من البديع شرح محمد عبد المنعم خفاجى، ١١٥ موازنة،
 ٢٧٨ صناعتين . ومثله لسلى بن غوية :

أو لم ترى لقمان أهلكه ما اقتات من سنة ومن شهر

الكور : الرحل . الناجية : للناقة السريعة . والشاهد فى دقتات، فلها استعارة فى
 وجهها خفاء وهو الافاء التدريجى فى كل مع اسناد لفعل الى غير ما هو له وهو الرحل .
 يقول : أذهبت شحم سنامها وهزلها بوضع الرحل عليها دائما، يصف نفسه
 بكثرة الاسفار

(٢) ٦١ من الدلائل عرف بالبناء للفاعل وفاعله و الصيد، والمعنى عرف
 ما يصيده بانقشاع الظلام . الضار : الضارى المتعود للصيد

(٣) هو سوار بن المضرب [راجع ص ٦٠ من الدلائل] التنوفة : الصحراء
 أو الأرض الواسعة، وعرضها : سعتها . والشطر الثانى معناه ضعف هذا النسيم

وقوله ^(١) :

يفاجئني الاخلاف من تحت مطله . فتخصم الآمال واليأس في صدري
ثم الغرابة قد تكون :

[١ -] في الشبه ^(٢) نفسه كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من

قربوس السرج ، بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبى ، في قول
يزيد ^(٣) بن مسلمة بن عبد الملك ؛ يصف فرسه بأنه مؤدب :

وإذا احتبى قربوسه بهمانه علك الشكيم الى انصراف الزائر ^(٤)

(١) هو لابن المعتز ، والبيت في الدلائل ص ٦١ . الاخلاف : الخلف .
المطل : التسويف .

(٢) أى أنها كما تكون بخفاء الجامع بين الطرفين بحيث لا يدرك إلا الخواص
تكون أيضا بالغرابة في التشبيه نفسه أى في إيقاع المشابهة بين الطرفين ، لا في
وجه الشبه . وذلك بأن تكون الاستعارة تشبيها فيه نوع غرابة كأن يكون تشبيه
هذا الأمر بهذا الأمر غريبا ونادرا وإن كان كل واحد من المشبهين كثيرا في ذاته
(٣) في البديع لابن المعتز ص ٢٠ شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، هذا البيت
على أنه لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة ، وكذلك في الكامل للمبرد [٢٨٤ ج ١]
وفيه : اللجام ، بدل الشكيم ، ، والبيت في ص ٥٩ من الدلائل ، و ص ١٠٧
من الموازنة . ومحمد بن يزيد شاعر معاصر للمأمون والمعتصم [ص ٤١٩ من
معجم الشعراء]

(٤) القربوس : السرج أو مقعد — دمه . العنان : اللجام . علك : مضغ .
الشكيم : الحديدية المعترضة في فم الفرس . والمراد بالزائر الشاعر نفسه . فالانتقال
إلى الاحتباء الذي هو المشبه به عند استحضار القيام العنان على قربوس الفرس
في غاية التدوير لأن أحدهما من وادى القعود والآخر من وادى الركوب مع =

== ما في الوجه من دقة التركيب وكثرة الاعتبارات الموجبة لغرابة إدراك وجه الشبه
وبعده عن الأذهان

هذا وفاعل احتبى هو قربوسه ، جعله بمنزلة الرجل المحتبى كأنه ضم إليه
فم الفرس ورأسه كما يضم الرجل إلى ظهره ركبتيه بثوب ونحوه ، والاحتباء شد
ركبتى الرجل إلى بطنه بنحو ثوب يمتد من الجانبين إلى ظهره ، شبه شد فم الفرس
إلى القربوس بعنانه الممتد بجانب الفم والعنق بالاحتباء ، ثم استعار الاحتباء لشد
فم الفرس إلى القربوس

ويصح أن يكون قربوسه مفعولا لاحتبى مضمنا معنى جمع ، والفاعل ضمير يعود
إلى الفرس أى وإذا جمع هذا الفرس قربوسه بعنانه كما يضم المحتبى ركبتيه إليه ؛ فعلى
الأول ينزل وراء القربوس فى هيئة التشبيه منزلة الظهر من المحتبى وفم الفرس
منزلة الركبتين ، وعلى الثانى بالعكس أى ينزل القربوس فى هيئة التشبيه منزلة
الركبتين وفم الفرس منزلة الظهر . والوجه الأول فيه مناسبة ما فى التشبيه لكن فيه بعد
من جهة أن القربوس فى الهيئة أعلى وكذا الركبتان والفم أسفل وكذا الظهر ، والوجه
الثانى لهذا أولى فهو أسد . هذا ولما كان المستعار لفظا مفردا كانت الاستعارة
مفردة لا تمثيلية وإن كان الوجه هيئة

والشاهد غرابة الاستعارة فى البيت لما فى وجه الشبه من كثرة التفصيل مع ما بين
الطرفين من التباعد فى الذهن . فقد شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج
بمتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب فى موقعه من ركبتى المحتبى بمتدا إلى جانبى
ظهره ثم استعار الاحتباء وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع
العنان فى قربوس السرج واشتق من الاحتباء احتبى بمعنى وقع على طريق الاستعارة
التصريحية التبعية فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه ولا يخفى أنه ليست الاستعارة تمثيلية
مركبة بل مفردة ، فالأولى أن يقال شبه إيقاع العنان بالقربوس بجمع الرجل ظهره
وساقيه بثوب ونحوه واستعير الاحتباء لوقوع العنان بالقربوس واشتق من ==

[٢ -] وقد تمحصل " بتصرف في العامية " كما في قسول
الآخر (٣) :

== الاحتماء احتجى بمعنى وقع فالمشبه به هو الاحتماء وهو ضم الرجل ظهره وساقيه
بثوب وشبهه أى كالخيل ، والمشبه هو إلقاء العنان على القربوس لأجل ضم رأس
الفرس الى جبهته فالتشبيه هنا واقع بين مفردين با-تبار ما تضمنه كل منهما من
الهيئة لا أنه واقع بين هيتين فالمثال من قبيل الاستعارة الافرادية لا التمثيلية فقول
الشارح شبه هيئة على هو حذف مضاف أى لارم هيئة

(١) أى الغرابة

(٢) أى في الاستعارة العامية وذلك بأن يضم إلى تلك الاستعارة تجوز آخر
لطيف اقتضاه الحال

(٣) هو كثير عزة ، وينسب الى يزيد بن الطثيرة وقد سبق البيت في باب
الإنجاز وهو في ٥٨ و ٦٠ من الدلائل ؛ و ص ١٦ من الاسرار . الاباطح جمع
أبطح ، وهو مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، استعار سيلان السيول الواقعة في الاباطح
لسير الابل سيرا مسرعا ووجه الشبه هنا ظاهر معروف وهو قطع المسافة بسرعة
لكنه قد تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة وذلك باستناد الفعل وهو سالت ،
الى الاباطح

هذا واستناد الفعل الى الاباطح يفيد أنه امتلأت الاباطح من الابل ، وذلك
لأن نسبة الفعل الذى هو صفة الحال الى المحل تشعر بشيوعه فى المحل وإحاطته
بسكاه ، فالسيلان المستعار للسير حقه ان يسند الى المطلق ولكنه اسند الى الاباطح
التي هى محل السير فهى من اسناد الفعل لمحل فقد جعل كل محل من الاباطح سائرا
لاشتاله على ما هو سائر فيه ؛ فوق أنه أدخل الاعناق فى السير بجرها بياء الملابس
المقتضية للملابسة الفعل لها فابها سائرة لأن مرجع الملابس للاستناد فيكون السيل
مسندا للاعناق تقديرا وذلك الاستناد مجاز عقلي ، فى الكلام مجازان عقليان : لفظي ==

[أخذنا أطراف الأحاديث بينا] وسالت بأعناق المطى الأباطح
 اراد أنها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة، وكانت سرعة في لين
 وسلاسة، حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح، فجرت
 بها، ومثلها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن
 المعتز:

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالذنانير
 اراد أنه مطامع في الحى، وأنهم يسرعون في نصرته، وأنه
 لا يدعوهم لخطب إلا أتره وكثروا عليه وازدحموا حواله حتى تجدهم
 كالسيول نجى من ههنا وههنا، وتصب من هذا المسيل وذاك، حتى
 ينص بها الوادى، ويطفح منها، وهذا شبه معروف ظاهر^(١)، ولكن

وهو اسناد السيل للأباطح، وتقديرى وهو إسناده للأعناق، وفيه مجاز بالاستعارة.
 فلما أضيف إلى الاستعارة هذان المجازان العقليان صارت الاستعارة غريبة.
 فالخلاصة أنه استعار د سالت، لسارت استعارة مبتذلة ثم اضاف اليها ما أوجب
 غرابتها من المجازين العقليين بان اسند د سالت، الى الأباطح من إسناد ما للحال
 الى المحل اشعارا بكثرتها، وباسناد سالت الى الاعناق أيضا تقديرا من اسناد
 الشيء الى ما هو كالسبب فيه

(١) أى فى بيت كثير وفى بيت ابن المعتز، فوجه الشبه فيهما عامى ظاهر
 وهو قطع المسافة بسرعة، لكن التصرف فى وجه الشبه فى البيتين جعل الاستعارة
 خاصة غريبة، إذ اسند الفعل اعنى د سالت، المستعار لسارت الى الأباطح
 فى بيت كثير دون المطى أو أعناقها حتى أفاد أنه امتلات الأباطح من الايلي،

حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرامة وذلك أن أسند الفعل إلى
الاباطح والشعاب، دون المطى أو أعناقها، والانصار أو وجوههم،
حتى أفاد أنه امتلأت الابطاح من الابل، والشعاب من الرجال، على
ما تقدم في قوله تعالى « واشتعل الرأس سيبا »؛ وفي كل واحد منهما
شيء غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرامة: أما الذى فى الاول
فهو انه أدخل الاعناق فى السير، فان السرعة والبطء فى سير الابل
يظهران غالبا فى اعناقها على ما مر، وأما الذى فى الثانى فهو انه قال
عليه، فعدى الفعل الى ضمير المدوح بعلى، فأكد مقصوده من كونه
مطاعا فى الحى^(١) وكما فى قوله:

== وكذلك أسند الفعل وسالت، إلى الشعاب فى بيت ابن المعتز دون الانصار
أو وجوههم، وأدخل فى بيت كثير الاعناق فى السير لان السرعة والبطء فى سير
الابل يظهران غالبا فى لاعناق، فاستاد السير تقديرا إلى الاعناق من باب إسناد
الشيء الى ما هو كالسبب فيه. وبيت ابن المعتز تجمده فى ص ٥٩ و ٦٠ و ٧٨
من الدلائل.

(١) راجع ٥٩ و ٦٠ من الدلائل

ففى الاعناق فى بيت كثير مجاز عقلى تقديرى من اسناد الشيء الى ما هو كالسبب،
ولك ان تقول انه ترشيع للمجاز العقلى (سالت الابطاح)، فيكون فى الكلام:
مجاز عقلى لفظى علاقته المحلية وهو اسناد وسالت، للابطاح، ومجاز تقديرى
علاقته السببية وهو إسناد تقديرى للاعناق، إذ جرها يساء الملابس التى تقتضى
ملابسة الفعل للاعناق وأنها سائرة أيضا. وكذلك فى بيت ابن المعتز مجازان
عقليان: اسناد الفعل لفظا الى الشعاب وإسناده تقديرى الى وجوه الانصار

فرعاء ان نهضت لحاجتها عجل القضيبي وأبطأ الدعص^(١)

اذ وصف القضيبي بالعجلة ، والدعص بالبطء .

[٣ —] وقد^(٢) تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لألحاق

الشكل بالشكل ، كقول امرئ القيس^(٣) :

فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلبا يتمطى به اذ كان كل

(١) البيت في المثل السائر ص ١٣٩ . فرعاء : طويلة . القضيبي : الغصن

المقطع شبهت به قامها . الدعص : كثيب الرمل المجتمع شبهت به عجيزتها

شبه القامة بالقضيبي بجامع الاعتدال ، وشبه الردف بالدعص بجامع الضخامة

ووجه الشبه ظاهر ولكن المجازان العقليان أخرجنا الاستعارة من الابتدال الى

الغرابة ، وزادها حسنا الطباقي البديعي بين عجل وأبطأ . وهو مأخوذ من قول عصام

أصف به لعمر بن حجر جد امرئ القيس ابنة عوف بن محلم الشيباني ، وكان

أراد أن يتزوجها ، فأرسل عصام ، فأنتها فرأت خلقها وخلقتها ؛ ثم رجعت الى

عمرو ونعتها له ؛ وكان من نعتها إياها وتحت خصرها كفيل يقعدما اذا نهضت

وينهض بها إذا قعدت (١٦٦ ج ٤ العقد)

(٢) راجع ص ٦٢ من الدلائل

(٣) هو في ٦٢ و ٢٧٥ و ٣٦٣ دلائل ، ٢٧٦ صناعتين ، ٣٢٦ وساطة ، ١١٤

موازنة . التمطى : التمدد . الصلب : الظهر . الاردا ف / تباع . الاعجاز : المآخير

ناء : نهض . الكلكل : الصدر . استعار التمطى استعارة تصريحية ليلائم الصلب

واستعار لأوائله لفظ الكلكل ، ولما آخيره لفظ الاعجاز ، ولوسطه لفظ الصلب

ولك أن تقول : الانسان المحنوف استعارة مسكنية والصلب والاعجاز والكلكل

استعارة تخيلية وكذلك التمطى المستعار لطول الليل

ذى صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيء ، وبالغ في ذلك بان جعل له اعجازا يردف بعضها بعضها ، ثم أراد ان يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلا ينوء به أى ينقل به وقال الشيخ عبد القاهر ^(١) : لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها الصلب ، وثالث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده ^(٢) اذا نظر قدماه ^(٣) ، وإذا نظر خلفه ^(٤) ، وإذا رفع البصر ومـ...ده في عرض الجو ^(٥)

[٤ - تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين ^(١) والجامع ^(٢)]
وأما باعتبار الثلاثة - اعنى الطرفين والجامع - فستة أقسام :
استعارة محسوس لمحسوس ، بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى للمامر ^(٨)

(١) راجع ص ٦٢ من الدلائل

(٢) أى سواد الليل (٣) فأتى بالكلكل

(٤) فأتى بالاعجاز (٥) فأتى بالصلب

(٦) أى المستعار منه والمستعار له

(٧) راجع ذلك في المفتاح ص ١٦٤ و ١٦٥

(٨) أى في التشبيه

[١ -] أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي فكقوله تعالى
 « فأخرج لهم عجلا جسدا ^(١) له خوار » ، فالاستعار منه ولد البقرة ؛
 والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلي القبط ، التي سبكتها
 نار السماء رى عند القائه فيها التربة ^(٢) التي أخذها من موطىء حيزوم
 فرس جبرائيل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل ^(٣) ، والجميع حسي ^(٤) .
 وكقوله تعالى « وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض » ، فإن المستعار منه
 حركة الماء على الوجه المخصوص ، والاستعار له حركة الانس والجن
 أو يأجوج وماأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يشاهد من شدة
 الحركة والاضطراب . وأما قوله تعالى « واشتعل الرأس ^(٥) شيئا » ،

(١) « جسدا » بدل كل مما قبله قرينة على الاستعارة ، بخلاف « من الفجر »
 في « الخيط الأبيض من الخيط الأسود » ، فانه أخرج الخيط الأبيض عن معناه
 الحقيقي إلى معناه الادعائي اعنى ضوء الفجر ، اذ لا بين الشيء نفسه فكان لابد فيه
 من تقدير أداة التشبيه بعكس ما هنا

(٢) أى التراب (٣) فإن ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة

(٤) أى مدرك بالبصر

(٥) راجع الكلام على الآية في ٧٩ من الدلائل ، ٧٦ و ٢٦٣ صناعتين ،

١٦٤ مفتاح قال السكاكي : المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع
 الانبساط والجميع حسي ، قال السبكي : مراد السكاكي ان الشيب هنا استعارة
 بالكناية استعير لفظ الشيب والمراد النار بعد ادعاء ان الشيب فرد من أفراد
 النار ثم ذكر اشتعل استعارة تخيلية ، ورأى الطبري أن التشبيه هنا على سبيل
 التمثيل فـ « و متزعزعا » من عدة أمور ، وعلى رأى الزعزعى فيه ثلاث
 تشبيهات لا تشبهان : تشبيه الشيب بالكناية ، واشتعل بالنخيل ، والرأس أيضا
 فانها كالخطب بالنسبة للنار

فليس مما نحن فيه وإن عد منه ، لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب
بشواظ النار في بياضه وانارته ، وتشبيه انتشاره في الشعر بأشعثها
في سرعة الانبساط مع تعذر تسلافيه ، والاولى إستعارة بالسكنانية ،
والجامع في الثاني عقلي ، وكلامنا في غيرها

[٢ -] وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي فكقوله
تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ^(١) » ، فإن المستعار منه كشط
الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن . — كان
الليل ^(٢) وملق ظله ^(٣) وهما حسيان : والجامع لهما ما يعقل من ترتب
أمر على ^(٤) آخر ، وقيل المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ، وليس

(١) راجع الآية في ٢٦٤ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح ، ٤٠٠ دلائل

(٢) أى عن المكان الذى فيه ظلمة الليل

(٣) أى ظل الليل ، والمراد موضع ظهور ظلمته

(٤) أى حصوله عقيب حصوله دائماً أو غالباً . كترتب ظهور الظلمة على
كشف الضوء عن مكان الليل وترتب ظهور اللحم على الكشط ، والترتب أمر
عقلي ، وبيان الترتب ان الظلمة هى الاصل والضوء فرع طارى عليها يسترها
بضوئه فاذا غربت الشمس فقد سلخ ضوء النهار من الليل أى كشف وأزيل كما
يكشف الشيء عن الشيء السائر له ، فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة
ظهور اللحم بعد سلخ اهابه عنه . وحيث قد صح قوله « فاذا هم مظلمون » ، لأن الذى
يوجد عقيب اذهاب الضوء عن مكان الليل هو الاظلام . هذا وكل من الطرفين
كشط الجلد وإزالة الضوء . أمر حسي باعتبار متعلقهما وهو اللحم والضوء =

بسديد، لأنه لو كان ذلك لقال « فإذا هم مبصرون » ونحوه، ولم يقل

== وأما على ما ذكره صاحب المفتاح من أن المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل - أي أن المستعار له إظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بطولوع الفجر، فقد شبه إظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بطولوع الفجر بكشط الجلد عن نحر الشاة واستعير اسم المشبه به (وهو السلخ) للمشبه [راجع ١٦٥ مفتاح]، ففيه إشكال لأن الواقع بعد ظهور النهار من ظلمة الليل إنما هو الإبصار دون الاظلام وحاول بعضهم التوفيق بين الرأيين:

١ - بحمل كلام السكاكي على القلب والسكاكي يقبل القلب مطلقا، فقد عاد إلى الرأي الأول، فصحة كلامه بدون قلب: بظهور ظلمة الليل من النهار، وجعل المستعار له ظهور ظلمة الليل من النهار بناء على ارتكاب القلب في كلام السكاكي يؤدي لارتكاب القلب في الآية أيضا فالمعنى حينئذ وآية لهم الليل نسلخه من النهار أي تظهر ظلمته بانفصاله من النهار، فاذا هم مظلون

٢ - أو بأن المراد من الظهور التمييز، ومن في كلام صاحب المفتاح بمعنى عن، والمعنى أن المستعار له تمييز النهار عن ظلمة الليل، والواقع بعد تمييز النهار عن ظلمة الليل هو الاظلام

٣ - أو بأن الظهور في كلام صاحب المفتاح بمعنى الزوال، كما في قول الحماسي (سيرة بن عمرو الفقهسي ٨٨ ج ١ حماسة):

أعيرتنا البانها ولح - ومها وذلك عاريا ابن ربيعة ظاهرا
أي زائل، وكما في قول أبي ذؤيب:

وعيرها الواشون أنى أحبا - وتلك شكاة ظاهرا عنك عارها
فالمعنى حينئذ المراد من كلام السكاكي: زوال ضوء النهار عن ظلمة الليل ولا شك أن الواقع بعد هذا هو الاظلام

٤ - وفي كتاب الخفيد وجه رابع وهو أن المراد بالنهار في قول السكاكي والمستعار له ظهور النهار، بمجوع المدة التي هي من طلوع الشمس إلى غروبها لا ==

« فإذاهم مظلومون » أى داخلون فى الظلام^(١) . قيل ومنه قوله تعالى

== ظهوره بطلوع الفجر ، ولا شك ان الواقع عقيب تلك المدة هو الاظلام
تمحلات ضعيفة لتصحيح كلام السكاكى ، ولم لا نقول إن كلام السكاكى

غير صحيح

هـ وفى تصحيح كلام السكاكى رأى خامس للشارح العلامة ذكره فى شرح
المفتاح ، حيث قال : ان السليخ قد يكون بمعنى النزع مثل لمخت الاهداب عن الشاة
وقد يكون بمعنى الاخراج مثل سلخت الشاة عن الاهداب ، فذهب صاحب المفتاح
الى الثانى ، وذهب المصنف الى الاول فقال : المستعار منه كشط الجلد أى نزعها عن
نحو الشاة والمستعار له كشف الضوء أى نزعها ، وصح قوله تعالى « فإذاهم مظلومون »
بالفاء لأن التراخي وعدمه مما يختلف باختلاف الامور والعادات . وزمان النهار
وان توسط بين إخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لكن لعظم شأن
دخول الظلام بعد إضاءة النهار وكونه مما ينبغي ان لا يحصل الا فى أضعاف ذلك
الزمان من الليل عد الزمان قريبا ، وجعل الليل كأنه يفاجئهم عقب إخراج النهار
من الليل بلا مهلة وعلى هذا حسن « اذا » التى هى للمفاجأة ، كما يقال : أخرج
النهار من الليل ففاجأه دخول الليل ، ولوجعلنا السليخ بمعنى النزع كما ذهب اليه المصنف
(الخطيب) وقلنا نزع ضوء الشمس عن الهواء ففاجأه الظلام لم يستقم لأن الدخول
فى الظلام مصاحب لنزع الضوء فلا يعقل الترتيب الذى تفيدته المفاجأة وعدم
الاستقامة اذا اعتبر أن الترتيب الذى تفيدته المفاجأة زمانى ، أو لم يحسن إذا
جعلنا ذلك الترتيب رتبيا

فقد ظهر من كلام العلامة صحة كلام السكاكى ، وظهر حسن المفاجأة على
ما قاله لا على ما قاله المصنف

وهذا أيضا لا يخرج كلام السكاكى عن ان يكون فيه إخلال بالمعنى المراد
(١) وهذا ارد مقبول كلام السكاكى مع صرف النظر عن التمحلات
فى تأويله

إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، فإن المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح ، والجامع المنسج من ظهور النتيجة والأثر ، فالطرفان حسيان والجامع عقلي . وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك جعلت صفة للريح لا إسما ، والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من الحمل ، والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإقحاح شجر ، والجامع لهما ما ذكر ^(١)

[٣ -] وأما استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي ، فكقولك رأيت شمسا وأنت تريد انسانا شبيها بالشمس في حسن الطاعة ونباهة الشأن ^(٢) ' وأهمل السكاكي هذا القسم

(١) أى أنه شبه خلو الريح من الفائدة بالعقم ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه عقيم ، بمعنى خالية من الفائدة
وراجع الآية والكلام عليها في ٢٦٤ صناعتين ، ١٦٤ مفتاح ، ٩ : ما اتفق لفظه للمبرد

هذا والخطيب يريد من النظر المذكور أن العقيم هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلي . وقال السبكي : هو حسي باعتبار أن مدلوله انسان له العقم
(٢) حسن الطلعة حسي ، ونباهة الشأن عقلي . والسكاكي اعتبر أن نقل اللفظ يصح بكل من حسن الطلعة ونباهة الشأن : فجعل هذا القسم استعارتين : أحدهما بجامع حسي ، والآخرى بجامع عقلي ، فأسقط هذا القسم من الأقسام . أما المصنف فاعتبر صحة النقل باعتبار الوصفين معا وهو الحق كما صنع في التشبيه

[٤ -] وأما استعارة معقول لمعقول ^(١) ، فكقوله تعالى « من
بعثنا من مرقدنا » ؛ فإن المستعار منه الرقاد ^(٢) ، والمستعار له الموت ،
والجامع لهما عدم ظهور الأفعال ، والجميع عقلي
(٥ -) وأما استعارة محسوس لمعقول ، فكقوله تعالى ^(٣) فاصدع
بما تؤمر فإن المستعار منه صدع الزجاجاة وهو كسرها وهو ^(٤) حسي
والمستعار له تبليغ الرسالة ؛ والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان ، كأنه قيل
ابن الأمر ابانة لا تنمحي كما لا يلثم صدع الزجاجاة . وكقوله تعالى ^(٥)
« ضربت عليهم الذلة ، جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها

(١) راجع ١٥٠ من المفتاح

(٢) أي النوم على أن يكون المرقد مصدرا ميميا وتكون الاستعارة أصلية
أو على أنه اسم مكان إلا أنه اعتبر التشبيه في المصدر لأن المقصود بالنظر في
اسم المكان وسائر المشتقات إنما هو المعنى القاسم بالذات لأنفس الذات
واعتبار التشبيه في المقصود الأهم أولى ، فعلى الأول الاستعارة
أصلية ، وعلى الثاني تسمية قبل عدم ظهور الأفعال في المستعار له أعنى الموت
أقوى أو من شرط الجامع أن يكون في المتعار منه أقوى ، فالحق أن الجامع هو
البعث الذي هو في النوم أظهر وأشهر وأقوى لكونه بما لا شبه فيه لاحد ، وقرينة
الاستعارة هي كون هذا الكلام كلام الموقى مع قوله وهذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون .

(٣) الآية في ١٧٠ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح

(٤) جعل السكر حسيا باعتبار متعلقه لا باعتبار ذاته

(٥) راجع ٢٦٥ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح

كما يكون في القبة من ضربت عليه ، أو ملصقة بهم حتى لزمهم ضربة
لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه اما ضرب
القبة على الشخص واما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسي ؛ والمستعار
له حالهم مع الذلة ، والجامع الاحاطة أو اللزوم وهما عقليان ^(١)
٦- وأما استعارة معقول لمحمسوس ؛ فكقوله تعالى ^(٢) " انا لما طغى

(١) فقد شبه إحاطة الذلة بهم واشتغالها عليهم بضرب الخيام والقباب على
من فيها ، فهي استعارة تصريحية ، أو شبه الذلة بالخيمة أو القبة ثم حذف لفظ
المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو ضربت فهي ممكنة

(٢) راجع ١٦٥ مفتاح ، ٢٦٣ صناعتين

ملاحظة :

د بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ،

الحق : الحججة الناصعة . الباطل : شبه الكفار . الدمغ : كسر الشيء الرخو
الأجوف استعير هنا للمحق . والنقذف : الرمي البعيد بشيء صلب . فاستعارة
النقذف للإيراد والدمغ للمحق تصريحيان المستعار منه حسي والمستعار له عقلي .
وقد يقال : شبه الحجج القوية وهي الحق بقطع من الحديد ونحوها بجامع قوة
التأثير في كل ثم حذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو النقذف ،
وشبه الباطل بشيء أجوف رخو سهل الانكسار بجامع الضعف في كل وحذف
لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه ؛ فهما مكنتان . والاحسن ان يقال انه
شبه هيئة غلبة الحق على الباطل حين يرد عليه فيذهب بنقذف الدماغ بشيء صلب
فيشقه ويفسده بجامع ان كلامهما قوى يرد على ضعيف فيمحقه ثم استعير التركيب
الدال على هيئة المشبه به للمشبه فالاستعارة تمثيلية

الخامس (٧)

الماء ، فإن الاستعارة له كثرة الماء وهو حسي ، والمستعار منه التكبر ،
والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان .

[٥ - الاستعارة باعتبار اللفظ ^(١)]

وأما باعتبار اللفظ فقسمان :

(١) راجع ١٥٨ و ١٦١ مفتاح، ٣٨ - ٤٠ و ٣٢٢ و ٣٢٧ و ٣٢٨ أسرار:
وقوله باعتبار اللفظ أى المستعار

هذا واعرض عليك رأيا في الاستعارة الأصلية والتبعية، لفهم ما قيل في هذا
الموضوع :

قسم البيانيون الاستعارة التصريحية إلى أصلية وإلى تبعية : ويعنون من الأصلية
ما تجرى في اسم الجنس سواء كان مدلوله ذاتا كأمس وبحر وجبل وسحاب أم معنى
كالنطق والحرب والقتل . وسر نسبة هذه إلى الأصل وأن دعواها أصلية أن موطن
التشبيه فيها هو موطن الاستعارة، ففي إطلاق الأسد على الرجل الشجاع شبهوا
الرجل بالأسد واستعاروا له لفظه فأنت ترى أنهم لم يشبهوا بمعنى لفظ، ثم يستعبروا
للمشبه لفظا آخر غير دال هذا المعنى ... ويعنون من التبعية ما تجرى في الفعل وفي
المشتقات وفي الحرف :

١ - وقد وجه فريق من العلماء تسميتها بالتبعية بأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه
يقضى ضمنا أن المشبه والمشبّه به موصوفان بوجه الشبه وأن كلا منهما محكوم عليه بالمشاركة
للاخر ولا يستحق الشيء الموصوفية ولا يصلح لها الا اذا كان مستقلا بالمفهومية : والفعل
والحرف والمشتقات غير مستقلة بالمفهومية . أما الفعل فلانه يدل على الزمن والحدث ويدل
على النسبة، وسواء كانت تلك النسبة مدلوله للفعل باعتبارها جزء معنى أم باعتبارها لازم
معنى فعلى كلا التقديرين لا يتم فهم الفعل إلا بفهما ، والنسبة ذات طرفين أحدهما
مدلول عليه بالفعل وهو الحدث والآخر وهو الفاعل أو نائبه خارج عن مدلول =

== الفعل ، وبذلك يكون فهم الفعل قد توقف على خارج عن مدلوله ، وبهذا كان غير مستقل بالمفهومية ، ووجه عدم استقلال الحرف بالمفهومية أن مدلول الحرف لا يفهم إلا بفهم مدخوله ، ففهم معناه متوقف على خارج عن مدلوله . وظاهر عدم استقلال الفعل والحرف بالمفهومية : أما وجه عدم استقلال المشتقات بالمفهومية فقد قالوا إن الحدث والذات وهما طرفا النسبة كلاهما مدلول عايه بلفظ المشتق فان قائما مثلا تدل على ذات وحدث وهو القيام ، وأن هذا كان من ذاك . وأنت ترى أنهم مع عدم استطاعتهم توجيه عدم الاستقلال بالمفهومية في المشتقات ، ترى كذلك أن عدم الاستقلال بالمفهومية إنما يشترط لكون الشيء موصوفاً ومحكوماً عليه إذا كان وضع لأن بوصف وصفاً صريحاً ، أو لأن يحكم عليه حكماً صريحاً ، أما إذا كان الوصف والحكم جاءا عن طريق التضمن والاقتضاء ، فليس ذلك بشرط ، نعم قد يقال إن عدم الاستقلال بالمفهومية يمنع من التشبيه ، لأن التشبيه بغير المستقل لا يفهم منه وجه الشبه إذ ما لم يتم فهم الشيء لا يتم فهم أوصافه غير أن هذا يكون خلاف ما وجهوا به من أن التشبيه يقتضى كون المشبه والمشبه به موصوفين ومحكوماً عليهما ، على أن هذا الوجه أيضاً لا يتم إذ قد يقال إن التشبيه لا يقع بغير المستقل إلا إذا تم بذكر ما يتوقف عليه فهمه .

٢ - ووجه فريق آخر من البيانيين تبعية الاستعارة بأنها تعتمد التشبيه ، والتشبيه يقتضى كون المشبه موصوفاً ومحكوماً عليه ، ولا يصلح للموصوفية إلا الحقائق ويرد عليه أن هذا التعليل قد أنتج غير المدعى ؛ إذ المدعى أن يكون الصالح للموصوفية فيه هو المشبه به ؛ لأنه هو الذى يستعار لفظه ؛ وإن كان السيد قد دفع هذا بأن المراد التشبيه إذا اقتضى كون المشبه موصوفاً يقتضى كون المشبه به موصوفاً ، لأن الوصف وهو وجه الشبه معتبر بثبوته لكليهما . ولما أرادوا أن يبينوا المراد من الحقائق قال البعض : المراد بالحقائق الحقائق المنقررة ، ومعانى الأفعال ومعانى المشتقات تقتضى زمناً لدلائلها على الحدث واقتضاؤها الزمن يجعلها غير متقررة ، وفي هذا التوجيه نظر : ==

== ١ - : أن الحروف لا تقتضى زمنا فلم يكن فيها داعى عدم التقرر .

ب - : وأن الحركة والزمان غير متقررين . ومع ذلك يوصفان ويحكم عليهما . ولذلك تراهم قد عدلوا عن تفسير الحقائق بالحقائق المتقررة ، إلى تفسيرها بغير المستقلة بالمفهومية ، وبذلك يرجع هذا التوجيه إلى الأول .

٣ - أما (العصام) فقد ترك تلك التوجيهات وسلك سبيلا آخر . فقال إننا إذا نظرنا إلى استعارة قتل لضرب نجد الزمن لا استعارة فيه ولا تشبيه ونجد الذات كذلك لا استعارة فيها ولا تشبيه إذ الزمن لضرب هو الزمن لقتل والحدث الذى حصل فى الخارج كان من ذات واحدة سواء عبرت عنه بضرب أو بقتل فلم يكن تشبيه ولا استعارة إلا فى الحدث ، فلهمل ما ليس له مدخل فى الاستعارة ونجمرى التشبيه والاستعارة فى خصوص الحدث ، ولنا أن نقول وماذا يمنع من أن يكون المشبه به هو الحدث المدلول عليه بلفظ الفعل

٤ - وعلى العموم فليس هناك توجيه واضح فى تعليل كون هذه الاستعارة تبعية ، ولذلك أقول : الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى كون المشبه به ذا وصف ، وذلك الوصف هو الذى نحاول بالتشبيه وبلاستعارة تشريك المشبه للمشبه به فيه وهذا الوصف الجامع يجب أن يكون معروف الانتساب مشهور الاختصاص ، والأوصاف التى يعرف انتسابها ويشتهر اختصاصها هى الأوصاف التى تكون من لوازم الحقائق الكلية كالشجاعة مثلا ، فاما وصف وخاصة من خواص الحقيقة الكلية وهو الأسد وكثرة النفع مثلا وصف وخاصة من خواص الحقيقة الكلية وهو السحاب . أما الجزئيات فليس لها لوازم مطردة ولا أوصاف يصح أن يجمع بها بين صاحب الوصف وغيره لأن الأوصاف التى تكون للجزئى دون أن تكون لكتليه الذى هو فرد منه لا تكون الأشخاص الخارجية والمشخص الخارجى الجزئى لا يشترك فيه معه جزئى آخر وبذلك تراهم منعوا الاستعارة فى الاعلام لأن الاعلام ليست لها أوصاف سوى الشخصيات الخارجية وهى لا تصلح =

جامعا، وتراهم كذلك حين يجررون الاستعارة الاصلية يقولون و شبننا وادعينا دخول المشبه في جنس المشبه به ، مما يدل على أنهم لاحظوا في جانب المشبه به كونه كليا . هذا إذ كان الجزئى معينا ، فاذا كان مبهما كان ظاهرا أن التشبه به تمتع إذ جهله يستدعى جهل أوصافه ، وبهذا وضح أن المشبه به لا يكون إلا كليا لما علمت من أن الحقائق الكلية هي التي تعرف لوازمها وتشهر وهي التي تعترد لوازمها وأوصافها وتصلح لأن تكون جامعا .

وعلى ذلك اذا رجعنا الى الاستعارة في الأفعال والمشتقات والحروف وجدناها لا يدل المستعار منها على كلى حتى يكون مشبها به ، لذلك ازم أن نرجع ما دلت عليه من جزئيات الى كليات . واليك مثالا من المشتقات : اذا قلت : زيد اليوم قاتل أخاه ، وأردت أنه ضاربه ضربا شديدا ترى لفظة قاتل ، دالة على حدث وذات واقتضت زمنا وظاهر أن التشبيه ليس في الزمن والا لدلنا عليه بلفظ يخصه ، ثم انه ليس هناك زمن لضارب ، وزمن لقاتل ، اذ الحاصل في الخارج حدوث الضرب فالزمن واحد ولا يشبه الشيء الواحد بنفسه . وظاهر أن التشبيه ليس في الذات والا لدلنا عليها بلفظ يخصها ، ثم انه ليس هناك ذاتان إذ الحدث الذي حصل واحد فالذات واحدة ولا يشبه الواحد بنفسه . فلم يبق معنا ما يصح التشبيه به الا الحدث الذي هو القتل المنسوب لتلك الذات وهو بنسبته إلى تلك الذات صار جزئيا والجزئى ليس معروف اللوازم فوجب أن نرجع إلى مشبه به كلى وهو القتل من حيث هو ، وإنه لو اوضح أن ما أردت أن تلاحق الضرب به فيه ، إنما هو وصف لا يعرف إلا للحقيقة الكلية وهو شدة الابداء ، على أن القتل الجزئى المدلول عليه بقاتل ليس حاصل ولا متحققا لأن مدلول قاتل هو ضارب وحدث الضرب هو الذى حصل في الخارج فقط فليس معنا ما يشبه به سوى ذلك المفهوم الكلى مفهوم القتل ، واليك مثلا آخر إذا قلت زيد في نعمة فشبهت الارتباط بين زيد ونعمة بالارتباط بين ظرف ومظروف أى

== بالظرفية فانك حين تريد التشبيه لم تنظر إلا إلى لازم الظرفية الكلية من حيث هي، ولم تنظر إلى ظرفية معينة خارجية - والظرفية المدلول عليها بقي ظرفية جزئية فكان لازماً أن ترجع إلى ظرفية كلية. ومن هنا يتضح أن التشبيه إنما نلاحظ فيه الحقائق الكلية وحين تستعير إنما تستعير دال جزئي من جزئيات تلك الحقيقة الكلية - فكان بذلك التشبيه في موطن اذ هو في الكل والامتداع في موطن آخر اذ المستعار ليس دال الكل بل دال جزئي من جزئياته

فمن العجب اذا أن يقولوا في إجراء الامتداع الأصلية و شهناء و ادعينا دخول المشبه في حبس المشبه به، بما يدل على أنهم لا يلتفتون في التشبيه إلا إلى الكليات. ولقد أخطأوا حين قالوا في الامتداع التبعية أن التشبيه سري من الكليات إلى الجزئيين اذ المشبه في التبعية ليس كلياً بل هو جزئي، فقل و قلنا مجداً، أي ضربته ضرباً شديداً لا نلاحظ في ذلك إلا تشبيه الضرب الذي حصل منك في الخارج ولا شك أنه حينئذ جزئي

ملاحظات

١ - العصام يرى أن الذوق الأدبي ينفي الامتداع التبعية، فالمستعير لا شك أنه لا يتكلم أولاً بالمصدر ولا بمتعلق معنى الحرف ولا يقصد إلى امتداع شيء منهما [راجع ١٥١ الرسالة البيانية]

٢ - الرازي يمنع التجوز في الحرف مطلقاً ويرد مثله إلى الامتداع التبعية (راجع ١٦٥ من الرسالة البيانية)

٣ - في تعليل كون الامتداع تبعية آراء كثيرة منها:

٤ - الامتداع في الفعل واسم الفعل والحرف والاسم المبهم تبعية لعدم استقلالها بالمفهومية، وفي المشتق لأن المقصود الأهم المعنى القائم بالذات لا الذات وهذا رأى السعد والسيد

ب - ويرى العصام أن الامتداع تبعية في المشتقات ومنها الفعل لأنه لا ==

لأنه ^(١) إن كان اسم جنس ^(٢) فأصلية ^(٣) كأسد ^(٤) وقتل، وإلا

= استعارة عند التحقيق إلا من معنى مصدرى، وأما ما سواه فمشارك بين المعنى الحقيقي والمجازى؛ فالأحق اعتبار الاستعارة في المصدر.

ج - والجمهور يرون أن الاستعارة تبعية في الفعل والحرف والمشتق لعدم صلاحيتها للموصوفية لأنها ليست أمورا متقررّة ثابتة. وقد اعترض السعد في شرحه على المفتاح على هذا بأن الموصوف بالمشاركة نفس المشبه والمشبه به وهو لا يختلف باختلاف التعبير، فعدم صلوح العبارة الدالة عليه للموصوفية لفظا لا يقدح في اتصافه بالمشاركة (١٥٦ من الرسالة البيانية)

٤ - يرى العصام عدم اعتبار الاستعارة في المتبوع فالكلى يشبه بالكلى فيسرى التشبيه إلى الجزئيات ويستعار من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه

أما الجمهور فيرون أن التبعية تابعة للاستعارة في المتبوع فالكلى يشبه بالكلى ثم يستعار له لفظ الكل فىيسرى التشبيه إلى الجزئيات فيستعار جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه

(١) هذا التقسيم للمعركة. ولا مانع من جريانه في الممكنية، فالأصلية منها كاظفار المنية نشتت بفلان، والممكنية التبعية مثل أراق الضارب دم فلان، شبه الضرب بالقتل واستعير القتل فى النفس للضرب واشتق من الضرب الذى استعير له القتل ضارب بمعنى قاتل وطوى ذكر المشبه به وهو القتل ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الراققة، والكن التبعية الممكنية لم توجد فى كلام البلغاء

(٢) أى حقيقة أو تأويلا كما فى الاعلام المشتهر بدلولها بنوع وصفية كاستعارة لفظ حاتم للرجل الكريم فإن حاتما علم لكنه أول باسم جنس وهو رجل يلزمه الكرم بحيث يكون الكرم غير معتبر فى مفهومه فليس مؤولا بنحواد والا لكانت الاستعارة فيه تبعية لا أصلية

(٣) نسبة للأصل بمعنى الكثير لكثرة أفرادها أو نسبة للأصل بمعنى ما كان مستقلا وليس مبنيا على غيره =

فبشيئة : كالأفعال ^(١) ؛ والصفات المشتقة منها ^(٢) ؛ والحروف :

لأن الاستعارة تعتمد التشبيه ^(٣) ، والتشبيه يعتمد كونه المشبه موصوفا ^(٤) ، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق ^(٥) ، كما في قولك :

= (٤) فشبّه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة ثم ادعى أن الرجل المذكور فرد من أفراد الأسد ، فاستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية

(١) قيل ولو افترن الفعل بحرف مصدرى ، وقيل لا بل هو حينئذ أصلية نظرا للتأويل

(٢) أى من الفعل ، مثل اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وغير ذلك كأفعل التفصيل واسم الزمان والمكان والآلة

(٣) أى تعتمد عليه اذهى اعطاء اسم المشبه به للمشبه بعد ادخال الثانى فى جنس الاول (راجع ذلك فى المفتاح ص ١٦١)

(٤) أى أن التشبيه يقتضى كون المشبه موصوفا بوجه الشبه أى بحيث يصح الحكم به عليه أى ويقتضى أيضا أن يكون المشبه به موصوفا بوجه التشبيه وإذا كان التشبيه مقتضيا لوجود وجه الشبه فى الطرفين صح أن يحكم على كل منهما ولك أن تقول : أن التشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشبه ، أو تنوع فى التعبير فتقول أو يقتضى كون المشبه مشاركا للمشبه به فى وجه الشبه

(٥) أى الأمرر المقررة - التى اجتمع أجزاؤها فى الوجود - النابتة أى فى نفسها لاستقلالها بالمفهومية

جسم ابيض ، وبياض صاف ^(١) ؛ دون معاني الافعال ^(٢) ، والصفات
المشتقة منها ، ^(٣) و [دون] الحروف ^(٤)

(١) أى كالجسم والبياض والطول وما شا كل ذلك

(٢) هذا محترز قولنا المنقررة

(٣) لكونها متجسدة غير منقررة أيضا : بواسطة دخول الزمان أولا في
مفهوم الافعال ، وعروضه للصفات لدالاتها على ذات ثبت لها الحدث والحدث
لا بد له من زمان يقع فيه

(٤) هذا محترز الشرط الثانى وهو قولنا ، الثابتة ،

هذا وقد رد هذا الدليل بأنه بعد تسليم صحته لا يتناول اسم المكان والزمان
والآلة لأنها تصلح للموصوفية ، وهم أيضا صرحوا بأن المراد بالمشتقات هو الصفات
دون اسم الزمان والمكان والآلة ، فيجب أن تكون الاستعارة فى اسم الزمان
والمكان والآلة أصلية بأن يقدر التشبيه فى أنفسها لا فى مصادرهما وليس كذلك
بل الاستعارة فيها تبعية ، للقطع بأنا اذا قلنا هذا مقتل فلان للوضع الذى ضرب
فيه ضربا شديدا بأن استعزنا القتل للضرب واشتققنا منه مقتل بمعنى مكان الضرب
أو زمنه ، أو قلنا هذا مرقد فلان لقبره ، فان المعنى على تشبيه الضرب بالقتل
والموت بالرفاد ، وأن الاستعارة فى المصدر لا فى نفس المكان مثلا

ولذلك وجه السعد تبعية الاستعارة فيما ذكر بتوجيه آخر اختاره وهو أن
الاستعارة فى الافعال وجميع المشتقات (بما فيها اسم الزمان والمكان والآلة)
التي يكون القصد بها الى المعانى القائمة بالذات هى تبعية ، لأن المصدر الدال على
المعنى القائم بالذات هو المقصود الأهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه ؛ ولو لم يكن
المقصود الأهم من المشتقات المعانى القائمة بالذوات بل كان المقصود منها نفس
الذوات لذكرت الالفاظ الدالة على نفس الذرات دون ما يقوم بها من الصفات
بأن يذكر زيد أو عمرو بدل اللفظ الدال على ما قام بها من الصفات كضارب
ومضروب

فإن قامت ^(١): فقد قيل في نحو - وشجاع بأسل وجواد فياض وطالم

(١) راجع ص ١٦١ من المفتاح

ملاحظات :

١ - اسم الجنس هنا المراد به ما دل على نفس الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الاوصاف في الدلالة، والمراد بالذات الصالحة للصدق على كثيرين الماهية السككية سواء كانت ماهية عين كاسد أو ماهية معنى كالضرب

وخرج بالصالحة الاعلام والمضمرات واسم الإشارة فهي جزئيات لا تجرى فيها الاستعارة الأصلية

وقولنا من غير اعتبار وصف ، خرج به المشتقات مثل ضارب
أما اسم الجنس عند النحاة فهو النكرة الشاملة للمشتقات والجوامد وليس هذا مرادنا هنا

٢ - خلاصة التوجيه الاول في تبعية الاستعارة أن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشبه - أو نقول أن التشبيه يقتضى كون المشبه مشاركاللشبه به في وجه الشبه - وإنما يصلح للموصوفية الحقائق ، بحيث لا يخرج الأفعال والمشتقات والحروف فلا تصاح الاستعارة لعدم صحة التشبيه فيها إلا إذا كانت تابعة لما له ثبات واستقلال ، للفرق الظاهريين التشبيه والاستعارة المقصودين والتشبيه والاستعارة الحاصلين ضمنا بطريق السراية ورد هذا الدليل بما خلاصته أننا لا نسلم استقامة الدليل لأن قولهم : إنما تصلح للموصوفية الحقائق ، ممنوع ، إذ هو منقوض بنحو حركة سريعة أو بطيئة وهذا زمان صعب ، فالزمان والحركة لا تقرر لها مع صحة وصف كل منهما ، ولأن قولهم : بواسطة دخول الزمان في مفهوم الفعل وعروضه للصفات ، يرد عليه أن دخول الزمان في مفهوم الفعل إنما يقتضى تجدد مجموع مفهومه لا تجدد الحدث الذي هو المقصود منه بتجدد للزمان ، ويرد عليه أيضا أن عروض الزمان =

تحرير إن بسلا وصف اشجاع ، وفيها وصف لجواد ، وتحرير وصف لعالم

إذا منع جريان التشبيه في الصفات ينبغي ان يمنع جريانه في المصادر ايضا لعروض
الزمان لمفهومها

ولو سلمنا صحة الدليل واستقامته فيرد عليه على تقدير الصحة والاستقامة انه
لا يتناول اسم الزمان والمكان والآلة لأنها تصلح للموصوفية مع ان الاستعارة
فيها تبعية

٣ - و اولئك على هدى من ربهم ، لاجراء الاستعارة فيها نقول :

شبهنا مطلق ارتباط بين ملابس وملابس بمطلق ارتباط بين مستعمل ومستعمل
عليه بجامع شدة التمكن في كل ، ثم سرى التشبيه من الكلبيين للجزئيين ، فاستعيرت
« على » من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه وهو ملابسهم
للهدى ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

٤ - التشبيه تلحظ فيه الحقائق الكلية، وحين نستعير إنما نستعير دال جزئى
من جزئيات تلك الحقيقة الكلية

٥ - الاستعارة في اسم الفعل تبعية وفي المصدر أصلية ، وفي الفعل المقرون
بحرف مصدرى تبعية وقيل أصلية، والمصدر والمنسرب مؤولان بالمشق فالاستعارة
فيهما تبعية وكذلك هي تبعية في اسم الزمان والمكان والآلة وجعلها بعضهم فيها
أصلية . أما اسم الاشارة والموصول والضمير فجعلها بعضهم فيها تبعية وكذلك
الاسم المبهم لأن كلا من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقا ولا تأويلا
اذ أن معانيها جزئية والاصلية مختصة باسم الجنس

واذا عاد الضمير او اسم الاشارة إلى مجاز فليس فيهما تجوز نحو ورانى هذا
الاسد فاكرمه ، وقيل فيهما تجوز تبعاً لما يرجعان إليه

والاستعارة في العلم الذى تضمن نوع وصفية كعاتم أصلية

قلت : ذلك متأول بأن الثوائى لا تقع صفات إلا لما يكوّن

موصوفا بالأول

فالتشبيه في الافعال والصفات المشتقة منها لمعاني^(١) مصادرها ،
وفي الحروف لمتعلقات معانيها^(٢) : كالمجرور في قولنا « زيد في نعمة

(١) أى المحققة أو المقدرة كما في الافعال التى لا مصادر لها بل ذكر بعضهم ان الاستعارة في اسماء الافعال تبعية لتبعيتها لاستعارة المصدر المقدر من المعنى لا من اللفظ ولكن الظاهر ان الاستعارة فيها أصلية

(٢) أى لما تعلق به معنى الحرف ، أى للمعنى الكلى الذى تعلق به معنى الحرف كالاتداء المخصوص والظرفية المخصوصة ، من تعلق الجزئى بالكلى قال صاحب المفتاح (راجع ١٦١ مفتاح) والمراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر بها عنها - أى معان كلية يعبر بدالها عن معاني الحروف التى هى معاني جزئية - عند تفسير معانيها ؛ مثل قولنا : د من ، معناها ابتداء الغاية ، و د فى ، معناها الظرفية ، و د كى ، معناها الغرض أى العلة الباعثة ، فهذه - أى الابتداء والظرفية والغرض المطلقات - ليست معاني الحروف - أى بالاستقلال - والإلما كانت حروفا بل اسماء لأن الاسمية والحرفية انما هى باعتبار المعنى - أى فاذا كان معنى الكلمة مستقلا بالمفهومية ملحوظا بذاته ولم يكن رابطة بين امرين فان اقترن برمان ففعل ؛ وإن لم يقترن فاسم ، وان كان المعنى غير مستقل بالمفهومية ملحوظا تبعيا لكونه رابطة بين امرين فحرف - وانما هى - أى تلك المعاني الكلية - متعلقات لمعانيها ، أى اذا أفادت هذه الحروف معاني - وهى الابتداء المخصوص فى من مثلا - ترجع تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام - وهو استلزام الخاص للعام لا العكس - لا مطابقة ، فالعلاقة للزوم الخاص أى لزوم المسبب للسبب ، لا مطابق للزوم لأن ذلك لا بد منه لكل مجاز (استعارة أو مرسل)

ورفاهية^(١)

فيقدر التشبيه في قولنا : « نطق الحال بكذا » ، و « الحال ناطقة بكذا » للدلالة بمعنى النطق^(٢) ، وعليه في التهكمية قوله تعالى^(٣) :

(١) قوله « كالمجرور » ، تمثيل لمعلق معنى الحرف ، وهذا ليس بصحيح لأن المجرور ليس هو المعلق بل هو المعنى الكلي الذي استلزمه معنى الحرف ، فتعلق معنى الحرف في المثال المذكور هو الظرفية المطلقة لا النعمة كما هو اصطلاح علماء الوضع فالمثال « زيد في نعمة » ، كون النعمة ظرفا لزيد ليس كذلك ، فعمل الكلام على الاستعارة ، بأن شبه مطلق ملابسة شيء لشيء بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه للجزئيات فاستعير لفظ « في » ، الموضوع للظرفية الخاصة لملابسة النعمة لزيد ، فلا يلبس زيد للنعمة مستعار له ، والظرفية الخاصة مستعار منها ، ولفظ « في » مستعار (٢) أي يجعل دلالة الحال مشبها ونطق الناطق مشبها به ووجه الشبه اتصال المعنى الى الذهن ، ثم يستعار للدلالة لفظ النطق ثم يشتق من النطق المستعار الفعل والصفة ، فتكون الاستعارة في المصدر أصلية لا وليتها وفي الفعل والصفة تبعية لتأخرها . وان اطلق النطق على الدلالة لا باعتبار التشبيه بل باعتبار ان الدلالة لازمة له بكون مجازا مرسلا علاقته اللزوم الخاص أي لزوم المسبب للسبب لا مطلق اللزوم لأن ذلك لا بد منه لكل مجاز (استعارة أو مرسلا) بالنطق للدلالة اذا كان بطريق التشبيه أي بحيث يكون الانتقال من الملزوم الى اللازم بواسطة التشبيه وجعل وجه الشبه وسيلة اللزوم بين المنقول عنه واليه كان استعارة تبعية في الفعل وما يشتق منه ، وان استعمل النطق في الدلالة برعاية علاقة اللزوم بلا تشبيه ولا جعل وجه الشبه وسيلة كان مجازا مرسلا تبعيا في الفعل وما يشتق منه

هذا وراجع المثالين في ٣٩ الاسرار و ١٦٠ و ١٦١ المفتاح

(٢) راجع ١٦٢ مفتاح

، فبشرهم بعذاب اليم ، بدل ، فأنذرهم ، : وقوله تعالى : « إنك لانت

الحكيم الرشيد » بدل انسفيه الغوى

وفي لام التعليل ^(١) أقوله تعالى ^(٢) « فالتقطه آل فرعون ليكون

لهم عدوا وحزنا ، : للعداوة ^(٣) والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة

الغائية للالتقاط ^(٤) . ومما يتصل بهذا أن يحرف وضع في أصله لنداء البعيد

(١) للماقبة والغاية

(٢) ص ٢١ ما اتفق لفظه للمبرد ، ١٦٢ مفتاح

(٣) أى يقدر تشبيه العداوة

(٤) وعلى ما ذكره السعد يقال فيها : قدر تشبيه العداوة والحزن الحاصلين

بعده بالعلة الغائية كالحجة والتبني بجامع الترتب في كل على الالتقاط ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، ثم استعيرت اللام الموضوعية لترتب العلة الغائية على معلولها كترتب الحجة والتبني على الالتقاط لترتب غير العلة الغائية كترتب العداوة والحزن عليه ، فالاستعارة في اللام تابعة للاستعارة في المجرور الذى هو متعلق الحرف عنده أو تابعة للتشبيه الواقع بين المجرور والعلة الغائية

وهذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب الكشف ومبنى على أن متعلق اللام هو المجرور على ما سبق ، لكنه غير مستقيم على مذهب المصنف والجمهور في الاستعارة المصرحة لأن المتروك يجب أن يكون هو المشبه سواء كانت الاستعارة أصلية أو تبعية ، وعلى هذا الطريق المشبه اعنى العداوة والحزن مذكور لا متروك وحيث لا استعارة في اللام تبعا ولا في المجرور أصالة ومثل ذلك يقال في « ولا صلبكم في جذوع النخل » فذهب المصنف انه شبه الجذوع المستعلى عليها بالظروف فسرى ذلك التشبيه الى تشبيه تلبس المستعلى بالجذوع بتلبس الظرف بالمظروف فاستعيرت في الموضوع تلبس الظرف بالمظروف لتلبس المستعلى أو بالجذوع المستعلى عليها ، وكذلك زيد في نعمة على مذهب المصنف شبهت النعمة بالظرف الحسى فسرى ==

ثم استعمل في مزادة القريب ، لتشبيهه بالبعيد ، باعتبار أمر راجع اليه
أو الى المنادى ، أما الاول فكقولك لمن سها وغفل وان قرب يا فلان

== التشبيه فضبه تلبس زيد بالنعمة بتلبس الظرف بالمظروف فاستعيرت في الموضوعه
لتلبس الظرف بالمظروف لتلبس زيد بالنعمة

وتحقيق الاستعارة التبعية هنا على مذهب القوم أنه شبه ترتب مطلق العداوة
والحزن على مطلق التقاطع. بترتب علته الغائية المطلقة عليه بجامع مطلق الترتب في
كل ، ثم استعمل في جزئ المشبه - الذي هو ترتب - اللام الموضوعه للمشبه به اعنى
ترتب علة الالتقاط. الغائية الخاصة - وهى محبة الملتقط لموسى وتبنيه اياه - عليه ،
وذلك بعد أن استعير ترتب العلة الغائية على الالتقاط لترتب العداوة والحزن
عليه ، فسرى التشبيه للجزئيات ثم استعمل في جزئ المشبه الخ ، فقد جرت الاستعارة
أولاً في العلية والفرضية ، وتبعها في اللام ، فعلى هذا يشبه معنى كلى بمتعلق معنى
الحرف الذى هو معنى كلى فيسرى التشبيه . للجزئيات فيستعار الحرف الموضوع
لجزئ من جزئيات المشبه به لجزئ من جزئيات المشبه . وقيل الاستعارة في الحرف
تابعة للتشبيه فالولا تشبه المعنى الكلى بمتعلق معنى الحرف الذى هو معنى كلى فسرى
التشبيه للجزئيات فنستعير الحرف الموضوع لجزئ من جزئيات المشبه به لجزئ
من جزئيات المشبه . فالحاصل ان التبعية في الحرف على مذهب المصنف تابعة للتشبيه
وعلى مذهب الجمهور قيل انها تابعة للاستعارة وهو ظاهر كلام الشارح وقيل انها
تابعة للتشبيه اذ لا حاجة لاستعارة اسم المشبه به الكلى للمشبه وقد ارتضى العصام
ذلك . فحكم للام هنا حكم الاسد ، حيث واستعيرت هى
بعد سريان التشبيه للجزئيات لما يشبه العلية ، وصار متعلق معنى اللام هو العلية
والفرضية المطلقة ، لا المجرور على ما ذكره الخطيب سها . وقال ابن يعقوب
المستقيم في الحرف كون الاستعارة فيه مكنية على أن يكون التشبيه في المجرور ==

وأما الثاني فكقول الداعي في جواره يارب يا الله ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، فانه استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظهر الزلفي وما يقربه الى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه ، واقارارا عليها بالتفريط في جنب الله تعالى مع فرط أهالك على استجابة

ملاحظات :

١ - الاستعارة في الأفعال والمشتقات والحروف تبعية : لجريانها في المصدر ومتعلقات معاني الحروف أولا قبل جريانها فيها ، لجريانها فيها بطريق التبعية لجريانها في المتعلق ، وانما كانت تابعة لجريانها في المصدر والمتعلق .

٢ - لأن الاستعارة كما يقول الخطيب تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى الاتصاف بوجه الشبه والمشاركة بين الطرفين (المشبه والمشبه به) فيه ، وانما يصلح للموصوفية الحقائق أى الأمور المنقررة الثابتة

ب - أو لأن القصد بها كما يقول السعد الى المعاني القائمة بالذوات لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الآم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والا لذكرت الالفاظ الدالة على نفس الذوات دون ما يقوم بها من الصفات

ج - وقيل تبعية الاستعارة في الأفعال والمشتقات والحروف لأن المستعار فيها لا يدل على معنى كل حتى تكون مشبها به . ولذلك لزم ان يرجع ما دلت عليه من جزئيات الى كليات

د - وقيل لأن الشئ لا يصلح للموصوفية الا إذا كان مستقلا بالمفهومية والأفعال والمشتقات وكذا الحروف غير مستقلة بالمفهومية

٢ - والخلاصة أن الاستعارة في الأفعال والمشتقات تابعة للاستعارة في المصدر ؛ أما الاستعارة في الحروف فهي تابعة لمتعلقات معانيها ، واختلفوا في المتعلق :

دعوتہ والاذن لندائے وابتہالہ

== ا- فقال الكشاف هي تابعة للاستعارة في متعلقاتها مع مجروراتها ونحوه
ب- وقال الخطيب:

[قرينة التبعية]

واعلم ^(١) أن مدار قرينة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها،
على نسبتها إلى الفاعل كما مر في قولك نطقت الحلال ؛ أو إلى المفعول
كقول ابن المعتز

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيى السماحا ^(٢)
وقول كعب بن زهير ^(٣) :

= ظرف ومظروف فسرى التشبيه من الكلبين للجزئين فاستعرنا وفي الموضوع
الجزئي من جزئيات المشبه به للدلالة على جزئي من جزئيات المشبه .

٤ - قال الصاحبي في الآية الكريمة : (فالنقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا) :
ومن اللامات لام العاقبة مثل (ليكون لهم عدوا وحزنا) ولم يلتقطوه لذلك
ولكن صارت العاقبة ذلك [١٨٧ الصاحبي] .

٥ - راجع تعليق المبرد على الآية الكريمة : (ولا اله الا الله) في جذوع النخل (في
ص ٧١ ج ٢ من كتاب الكامل .

(١) راجع ص ٤٠ من الأعرار ، ١٦٢ من المفتاح .

(٢) والقتل والأحياء الحقيقيان لا يتعلقان بالبخل والجود ، فدل هذا على أن
المراد بالقتل الإزالة وبالأحياء الاكثار ، شبه الإزالة بالقتل بجامع ما ترتب على
كل من العدم ، والاكثار بالأحياء بجامع اظهار المتعاق في كل .

(٣) راجع البيت في ٤١٤ ج ١ ، حماسه ، ١٦٢ من المفتاح . صبحنا أي سقيناها
الصبوح ، الخزرجية هم الخزرج من يثرب . المرفقات : السيوف المرققة . الأرومة
الأصل ، والشاهد في صبحنا ، لأنه في الأصل بمعنى سقاء الصبوح فاستعير للضرب
استعارة تصريحية تبعية دندابة تمكينية . نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الاساءة إلى
الخزرجية صباحا بالاحسان إليهم وتقديم الصبوح لهم بجامع إدخال السرور على
النفوس في كل وإن كان ادعائيا في المشبه ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه
واشتق من الصبوح بمعنى الضرب (صبح) بمعنى ضرب بها .

صبحنا الخزرجية مرهفات أباد ذوى أرومتها ذووها
والفرق بينهما أن الثانى مفعول ثان دون الاول؛ ونظير الثانى قوله ^(١) :
نقر بهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد
أو إلى المفعولين : الاول والثانى ، كقول الحريرى ^(٢) :
وأقرى المسامع إما نطقت يماذا يقود الحرون الشموسا
أو إلى المجرور كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ^(٣)
قال السكاكى ^(٤) : أو إلى الجميع كقول الآخر ^(٥) :

(١) هو للقطامى وقد سبق شرح البيت . وراجع ، فى ٤٠ و ٤٥ من الاسرار
و ١٦٢ من المفتاح .

(٢) القرينة تعلق (أقرى) بكل من المسامع والبيان وإنما يقع القرى على
الضيف . شبه اسماءه الكلام الحسن بالقرى بجامع أن كلا يسر .
فرس حرون أى لا ينقاد وإذا اشتد به الجرى وقف . وشمس الفرس شمس
منع ظهره . ورجل شمس صعب الخلق وأراد بالحرون الشموس من لا ينقاد .
يصف نفسه بمذوبة الكلام وسحر البيان .

(٣) نزل التضاد منزلة التناسب كما فشبهه الانذار بالتبشير واستعير التبشير
للانذار واشتق منه بشر بمعنى انذر استعارة تصريرية تبعية تهكمية .
ومثل هذا البيت :

أو لم ترى لفان أهلكه ما اقتات من سنون شهر
وهو لسمعى بن غوية [٧٠ ج ١ الأمالى] .
(٤) ١٦٢ من المفتاح .

(٥) البيت فى المفتاح ص ١٦٢ . الحزن : الأرض الغليظة . الجفن غطاء العين
وغلاف السيف ، استعير لأكام الزهر بجامع التغطية فى كل ، وكنى بسريان =

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة

إذا سرى النوم فى الأجفان إيقاظا

وفيه نظر^(١)

[تقسيم الاستعارة باعتبار الخارج^(٢)]

وأما باعتبار الخارج فتلاثة أقسام .

أحدها المطلقة وهى التى لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام^(٣) ، والمراد

المعنوية لا النعت^(٤)

= النوم فيها عن ذبولها، وإيقاظ مصدر أيقظ مستعار لفتح الزهر وإيجاد الضررة والبهجة فيه ، وقد حسن التعبير بالإيقاظ مجيئه بعد النوم والأجفان ، والمعنى: تهب الرياح على بساين الحزن فتكسوها تفتحاً وحسناً ونضارة .
فالقريئة هنا : تعلق الفعل (تقرى) بالفاعل الرياح والمفعول (إيقاظا) ، وتعلق سرى بالنوم وفى الأجفان .

(١) لأن وفى الأجفان، متعلق بسرى النوم ، لا بتقرى حتى يكون قريئة له ، فلا تكون القريئة فى البيت راجعة إلى الجميع كما ذكر السكاكى لخروج المجرور منها .

(٢) وهذا تقسيم للاستعارة باعتبار وجود الملائم لاحد الطرفين أو عدم وجوده ، وهذا غير اعتبار الطرفين والجامع واللفظ، وراجع ذلك فى ١٦٣ . مفتاح و٢٦٢-٢٧٦ الأسرار .

(٣) فهى التى لم تقترن بشئ من ملائمت المستعار له . أى مما يناسبه بحسب اللفظ أو المعنى . أو المستعار منه ، مع تمام القريئة إذ هى مما يلائم المستعار له ، فالمطلقة هى التى لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام مما يلائم المستعار له والمستعار منه حقيقة أو حكماً ، فيشمل ما إذا اشتملت الاستعارة على تجريد وترشييع ... ومساها
= عندى أسد .

وثانيها المجردة وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له ^(١) كقول
كثير ^(٢) :

غمر الرداء اذا تبسم صاحكا غلقت لضحكته رقاب المسال

= هذا والملائم إن كان من بقية الكلام الذي فيه الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاما مستقلا جيء به بعد ذلك الكلام الذي فيه الاستعارة مبنيا عليه فهو تفريع سواء كان بحرف التفريع أم لا ، وسميت مطلقة لاطلاقها عن وجود الملائمات .

(١) أى أن المراد بالصفة الصفة المعنوية لا النعت النحوى فقط على ما مر في بحث القصر ، وبين ذاتي الصفة المعنوية والنعت النحوى التباين لأن النحوى من قبيل اللفظ والمعنوية من قبيل المعنى وبين دال المعنوية والنحوية عموم من وجه لتصادقهما في وأعجبني هذا القائم ، وانفراد المعنوية في العلم حسن ، والنحوى في مررت بهذا الرجل ،
(١) أى زيادة على القرينة .

(٢) راجع ٣٤٥ من الصناعتين . وفي البيان والتبيين : العرب تسمى السيوف بحائلها أردية [ج ٣ البيان] ، غمر الرداء أى كثير العطاء ، استعار الرداء للعطاء لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه فالجامع مطلق الصون عما يكره ، ثم وصفه بالغمر الذى يناسب العطاء إذا كان من غمر المساء بمعنى كثير ، أما إن كان من قولهم ثوب غامر أى واسع فهو ترشيع ، والقرينة سياق الكلام أعنى قوله : إذا تبسم صاحكا ، أى إذا ابتسم غلقت رقاب أمواله فى أيدي السائلين أى تمكنت من أيديهم لا يقدر على نزعها منهم ، أى أخذ الفقراء ماله ، يقال غلق الرمن فى يد المرتنن إذا لم يقدر الرامن على انفضاكه لمضى أجل الدين ، ويلاحظ أنه إذا كان فى الكلام ملائمتان للمستعار له كل منها يعين المعنى المجازى جاز أن يكون كل واحد قرينة وتجريداً إلا أن اعتبار الأول قرينة أولى فيكون الغمر تجريداً وسياق الكلام قرينة محل بحث =

فانه استعمار الرداء للمعروف ، لأنه يصون عرض صاحبه ، كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء ، فنظر الى المستعمار له . وعليه قوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » حيث قال « أذاقها » ولم يقل « كساها » فان المراد بالاذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس ، كأنه قال فأصابها الله بلباس الجوع والخوف ، قال الزمخشري الاذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة شيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه المذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضر والالم بما يدرك من المر والبشع ، فان قيل : الترشيح أبلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك بالهس من غير عكس ، فكان في الاذاقة إشعار

== هذا والرداء يناسبه الطول أو السعة فلا يوصف بالكثرة - على أن حقيقة الغمر الكثير من الماء - ، فاطلاقه على الكثير من العطاء مجاز ، وتجريده لهذه الاستعارة تجريد بما يلائم المستعمار من طريق المجاز لا من طريق الحقيقة ، فالملائم في الترشيح والتجريد يشمل ما كانت ملائمة للطرف حقيقة وما كانت ملائمة له مجاز

هذا وسميت الاستعارة هنا مجردة لتجردها عما يقويها من اطلاق أو ترشيح لأن المستعمار له وهو المشبه صار بذكر ملائمة بعيدا من دعوى الاتحاد التي في الاستعارة ومنها تنشأ المبالغة

هذا والاستعارة المجردة ماقرنت بما يلائم المستعمار له ، سواء كان المستعمار له تفريرا مثل رأيت أسدا يرمى فلجأت الى ظل رعيه ، أو صفة نحوية مثل رأيت أسدا راميا مهلكا أقرانه ، أو صفة معنوية كالبيت

بشدة الإصابة بخلاف الكسوة^(١) . فان قيل : لم لم يقل « فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا لان الطعم وان لاءم الاذاقة فهو مفوت لما يفيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن موموم الملابس »

وثالثها المرشحة^(٢) وهي التي قرنت بما يلائم المستعار^(٣) منه ، كقوله :
ينازعي ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعةجر منه بشرط^(٤)

(١) راجع الكلام على الآية فى المفتاح ص ١٦٠

شبه ما يغشى الإنسان من العذاب باللباس بجماع الاحاطة واستعير اللباس لما يغشى الإنسان على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية وأذاقها تجريد . وقيل شبه ما يغشى الإنسان باللباس واستعير اللباس له ، ثم شبه ما يغشى الإنسان بمطعم مر وحذف المشبه به ورز إليه بشئ من لوازمه وهو الاذاقة ، فاللباس استعارة تصريحية ، والمطعم المحذوف مكية ، والاذاق تخيلية

(٢) من الترشيح وهو التقوية لأنها لما بنيت على تناسى التشبيه حتى كان الموجود فى نفس الأمر هو المشبه به زادت قوة بذكر ملائمه دون ملائم المشبه
(٣) أى زيادة على القرينة ، فلا تعد قرينة المسكنة ترشيحا ، وسواء كان الملائم صفة مثل رأيت أسدا ذا لبد يرمى ، أو تفريعا كآية

(٤) البتة من شواهد الكشف . الشطر : النصف . الاعتجار : الاعتماد ويقال اعتجرت المرأة إذا لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها . رويدك : اسم فعل بمعنى أهمل

المراد بالرداء السيف ، وبالشطر الذى ملكت يمينه قائمه ، وبالأخر صدره . فالاعتجار فى البيت على غير حقيقته إذ المراد أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه ضربا يعم ذلك الرأس ويشطرها ، وهو كناية عن اهلاكه قطعاً للنزاع

فانه استعمار الرءاء للسيف لنحو ما سبق ، ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرءاء ، فنظر الى المستعمار منه . وعليه قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » ، فانه استعمار الاشتراء للاختيار ، وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء ، فنظر الى المستعمار منه ^(١)

وقد يجتمع التجريد والترشيح ^(٢) كما في قول زهير :
لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ^(٣)

(١) فقد استعير الاشتراء الاستبدال والاختيار ، ثم فرع على الاستعارة المذكورة ما يلائم الاشتراء من نفي الربح في التجارة ، ثم الربح مستعار للانتفاع الاخرى ، والتجارة مستعارة لارتكابهم الضلالة ، فكونهما ترشيحا هو باعتبار أصل إطلاقهما لا باعتبار المعنى المراد من التركيب ، فالترشيح والتجريد قد يكونان باعتبار المعنى المراد كما في غير الرءاء بالنسبة للتجريد ، وقد يكونان باعتبار الأصل كما هنا بالنسبة للترشيح

(٢) بأن يذكر معها ملائم المستعار له فقط وملائم المستعار منه فقط ، وأما ذكر ملائمهما معا فليس من قبيل اجتماعهما .

(٣) فشاكي السلاح تجريد لانه وصف يلائم المستعار له أعنى الرجل الشجاع ، ومقذف أى قذف به في الحروب فهو تجريد أو قذف باللحم فيكون ملائما لها فلا يكون تجريدا ولا ترشيحا بل هو في معنى الاطلاق . « وله لبد » ترشيح وكذلك « أظفاره لم تقلم » - وهو كناية عن صفة هي العز وعدم الذل - لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعنى الأسد الحقيقي ، وجعله ترشيحا بالنظر إلى أن المراد أن ذلك الأسد ليس من الجنس الذي تقلم أظفاره أو على أن المراد نفي المبالغة أى اتقى تقليم أظفاره انتفاء مبالغا فيه . هذا والبد جمع لبدة وهي ما تلبس من شعر الأسد على منكبيه والتقليم مبالغة القلم وهو القطع .

والترشيح أبلغ^(١) من التجريد^(٢) ، لاشتماله على تحقيق المبالغة^(٣) ،
ولهذا كان مبناه^(٤) على تناسي التشبيه^(٥) ، حتى أنه يوضع الكلام في
علو المنزلة^(٦) وضعه في علو المسكان^(٧) ؛ كما قال أبو تمام :
ويصعد حتى يظان الجهول بأن له حاجة في السماء^(٨)
فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ، ويصمم على انكاره ، فيجعله

(١) أى أقوى بلاغة لأن مقام الاستعارة هو حال إيراد المبالغة في التشبيه
والترشيح يقوى تلك المبالغة .

(٢) أى ومن الاطلاق وأبلغ من جمع التجريد والترشيح .

(٣) أى في التشبيه لأن في الاستعارة مبالغة في التشبيه يجعل المشبه فرداً من
أفراد المشبه به ، فترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له :

(٤) أى مبنى الترشيح .

(٥) أى على كمال تناسي التشبيه وادعاء أن المستعار له حيز من جزئيات المستعار
منه أو من أفراد المستعار منه لا شيء شبيه به .

(٦) أى الذى يستعار له علو المسكان .

(٧) أى الذى يستعار منه . والمعنى أنه لما وجد تناسي التشبيه في الاستعارة
صح لك الاتيان بالترشيح كما صح أن يبنى على علو القدر المستعار له علو المكان ما يبنى
على علو المكان المستعار منه وضح التعجب والنهي عنه فلولا وجود التناسي ما صح
شيء من ذلك .

(٨) البيت في رثاء خالد بن يزيد الفهري وهو في الأسرار ص ٢٦٣
والفتاح ١٦٣ .

استعار الصعود لعلو القدر والارتفاع في مدارج الكمال ثم بنى عليه أى رتب
على علو القدر المستعار له ما يبنى على علو المسكان أى بعد تناسي التشبيه .

صاعدا في السماء من حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا الكلام وجه ،
وكما قال ابن الرومي ^(١)

يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبدلت بعدكم بدلا
إن صح علم النجوم كان لكم حقا إذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بأن قاس ولكن بأن رقى فعلا
أعلاكم في السماء مجدكم فلستم تجهلون ما جهلا
شافهم البدر بالسؤال عن الله أمر إلى أن بلغتم زحلا
وكما قال بشار ^(٢) :

أتنى الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا
وكما قال أبو الطيب ^(٣)

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق
وكما قال غيره ^(٤) :

ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الاسد

(١) راجع ١٦٣ من المفتاح ، ٢٦٣ من الأسرار .
والايبسات في مدح أبي سهل النوبختي ، وآل نوبخت مشهورون بالملك
والنجوم والحكمة ، وكان جدكم نوبخت منجما للمنصور .
انتحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره .

(٢) راجع البيت في الأسرار ص ٢٧٠ والمفتاح ص ١٦٤ .

(٣) راجع البيت في الأسرار ص ٢٦٥ .

ومن ^(١) هذا انفن ما سبق من التعجب والتهى عنه، غير ان مذهب
 التعجب على عكس مذهب التهى عنه، فان مذهب التعجب اثبات
 وصف ممتنع بثبوته للمستعار ^(٢) منه، ومذهب التهى عنه اثبات خاصة
 من خواص المستعار ^(٣) منه.

واذا جاز البناء على المشبه به - مع الاعتراف بالمشبه كما في قول
 العباس بن الاحنف ^(٤) :

هي الشمس مسكنها في السماء فمز الفؤاد عزاء جميلا
 فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا
 وقول سعيد بن حميد ^(٥)

(١) راجع المفتاح ص ١٦٤، والاسرار ص ٢٦٤ - ٢٦٧ .
 (٢) كاثبات التقليل للشمس في قوله :

قامت تظلني من الشمس نفس أعز على من نفسى
 قامت تظلني ومن عجب شمس تظلني من الشمس

(٣) كاثبات بلى الغلالة للقمر وهو من خواصه فلا يصح التعجب منه
 كما في قول أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد [١٢٩٢] البيهقي تحقيق
 محي الدين عبد الحميد [

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

(٤) راجع البيهقي في ص ١٦٤ مفتاح، و ص ٢٦٧ من الاسرار .
 فشبها بالشمس ثم تناسى التشبيه وأخذ يذكر أحوالا تخص المشبه به
 كذلك، رغم ما في التشبيه من اعتراف بالمشبه، ومع ذلك فقد بنى الكلام على
 المشبه به أعنى الشمس .

(٥) راجع ص ٢٧٣ من الاسرار، و ص ١٦٤ من المفتاح .
 السحرة قبيل طلوع الصبح، البكرة، الغدوة وهي ملابس للسمرة .

قلت زورى فأرسلت أنا آتيتك مسجره
 قلت فالليل اخـ فى وادنى مسره
 فأجابت بحجة زادت القلب حسره
 أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكره
 فلأن يجوز مع جده^(١) فى الاستعارة اولى ، ومن هذا الباب
 قول الفرزدق^(٢) :

(١) قوله « فلان » ، جواب قوله « وإذا جاز » .

أى فمع جده الاصل وهو المشبه أى مع عدم ذكره كما فى الاستعارة ، والاصل
 فى التشبيه وإن كان هو المشبه به من جهة أنه أقوى وأعرف إلا أنه المشبه هو الاصل
 من جهة أن الغرض يمود إليه كيان حاله أو مقدار حاله ، وأنه المقصود فى الكلام
 بالنفى والانباس .

فمع الاستعارة يكرن البناء على الفرع وهو المشبه به أولى بالجواز لانه طوى
 فيه ذكر المشبه أصلاً وجعل الكلام خلوا عنه ونقل الحديث إلى المشبه به . وقد
 وقع فى بعض أشعار الفرس النبى عن التعجب مع التصريح بأداة التشبيه ، فاسبق
 من البناء على الفرع مع الاعتراف بالاصل لأن من غير ذكر أداة التشبيه أما هذا
 المثال ففيه البناء على الفرع مع الاعتراف بالاصل والتصريح بأداة التشبيه ؛ وهذا
 المثال هو « لا تعجبوا من قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع والليل فى الربيع
 مائل إلى القصر » ، وهو معنى غريب رائع

(٢) راجعهما فى الاسرار ص ٢٧٤ . أحمد الغيثىن أى : سرهما بالبناء وهو
 خبر أبى ، وصعصعة بدل أو عطف بيان له . الجوزاء والدلو : برجان فى السماء
 يكثر فيهما الشتاء . وبنات الوائدين اللاتي كن يقتلن فى الجاهلية خشية الفقر .
 والمخفر مزيل الخفارة وهى اسم من خفره إذا منعه وحماه

أبي أحمد الغيثين صمصمة الذي متى تخلف الجوزاء والدلو بمطر
أجار بنات الوائدين ومن يجر على الموت فاعلم أنه غير مخفر
أدعى لا ييه اسم الغيث ادعاء من مسلم له ذلك ، ومن يخاطر بباله
أنه متناول له من طريق التشبيه ، وكذا قول عدي بن الرقاع يصف
حمارين وحشييين

يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هانسيهاها
تطوى إذا وردا مكانا محزنا وإذا السنابك أسهلت نشرها^(١)

() يتعاوران م ارفع تعاور القوم الشيء إذا تعاطوه وتداولوه والملاءة
ثوب معروف . والمسكان المحزن : الغليظ الأرض من الحزن ضد السهل ، والغبار
يكون في السهل دون الحزن ، فلذا تطوى ملاءتهما في الثاني وتنتشر في الأول

المجاز المركب

وأما المجاز المركب ^(١) : فهو اللفظ المركب ^(٢) المستعمل ^(٣) فيما شبه بمعناه ^(٤) الاصلى تشبيه التمثيل ^(٥) : للمبالغة في التشبيه ، أى تشبيه

(١) راجع ١٥٩ مفتاح ، ٥٤ و ٢٣٨ من الدلائل ، ٨٣ - ٩ و ٢٢٣ و ٢٠٨ - ٣١٥ من الأسرار

والمجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الومضى وهو نوطان: مجاز مركب علاقته المشابهة بين المنيين ويسمى تمثيلا أو استعارة تمثيلية ، ومجاز مركب علاقته غير المشابهة ويسمى مجازا مركبا مرسلا

وهو هنا يتكلم على الاستعارة التمثيلية

(٢) يخرج به المجاز العقلى

(٣) خرج به اللفظ قبل الاستعمال

(٤) أى فى معنى شبه ذلك المعنى بمعنى اللفظ الاصلى أى من حيث أنه شبه بمعناه الاصلى ، فخرج المجاز المرسل الذى ليس بمعناه مشبها بمعناه الاصلى قبل الاستعمال لعدم وجود الشبه بين المعنيين ، وكذا المرسل الذى استعمل فيما شبه بمعناه قبل ذلك لوجود الشبه لكن إنما استعمل لعلاقة غير المشابهة لأنه لم يستعمل من حيث الشبه

فهو إذا اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلى ، أى بالمعنى الذى يدل عليه ذلك اللفظ بالمطابقة ، أى بالوضع ، لكن كون الصورة المنزعقة معنى مطابقا للفظ المستعار غير ظاهر . ثم قولنا بالمطابقة ، يقتضى أن دلالة اللفظ على المعنى المجازى ليست بالمطابقة وهو خلاف ما صرح به الشارح فى شرح الشمسية ، وأجيب بأن المراد بالمطابقة المطابقة التى لا يحتاج معها إلى توسط قرينة وهذا إنما يكون فى الحقيقة

(٥) وهو ما يكون وجهه منتزعا من متعدد ، واحترز بهذا أى بقوله وتشبيهه

أحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالآخرى ، ثم تدخل

== التمثيل ، عن الاستعارة في المفرد ، لأن وجه الشبه فيه لا يكون منتزعا من متعدد
فالتشبيه الذى يبنى عليه المجاز المركب لا يكون إلا تمثيلا ، ولم يسكتف بقوله
تمثيلا لأن التمثيل مشترك بين التشبيه الذى وجهه منتزع من متعدد وإن كان الطرفان
مفردين كما فى تشبيه الثريا باله نقود وبين الاستعارة التمثيلية

هذا وقد اعترض على قولنا فى الاستعارة تشبيه التمثيل ، واحترازنا بذلك
عن الاستعارة فى المفرد بأن تشبيه الثريا بنقود ملاحية تشبيه مفرد بمفرد والوجه
منتزع من متعدد فيجوز على المشبه وذكر المشبه به مع تناسى التشبيه ويكون
استعارة فى مفرد والوجه منتزع من متعدد فيشمل التعريف تلك الاستعارة فلا
يصح إخراجها من التعريف . . . وأجيب بأن ذلك لا يجوز لأن الاستعارة لا بد فيها
من حذف المستعار له والجامع ، فإذا ذكر المستعار منه وكان مفردا والوجه منتزعا
من متعدد مثل رأيت عنقود ملاحية فى السماء لا يدري هل الوجه منتزع من متعدد
متعدد أم لا فيصير الكلام لغوا وهذا بخلاف التشبيه فانه إذا ذكر الطرفان وكانا
مفردين فانه قد يدرك العقل تركيب وجه الشبه إذا كان محذوفا

والحاصل أنه ليس كل تشبيه تجرى فيه الاستعارة التمثيلية لأن تشبيه المفرد
بالمفرد مع كون وجه الشبه منتزعا من متعدد صحيح ولا تجرى فيه الاستعارة
فقوله تشبيه التمثيل ، يخرج به مجاز الأفراد لأنه لا يكون وجهه منتزعا من
متعدد مع أن تشبيه التمثيل ما كان وجهه منتزعا من متعدد .

فتشبيه التمثيل إذا هو التشبيه الذى وجهه منتزع من أمور متعددة سواء كان
الطرفان مفردين أو مركبين .

وأما المجاز المركب أو الاستعارة التمثيلية فلا بد فيها من تركيب اللفظ
المستعار كالوجه . ثم المراد بالتركيب هنا أى تركيب كان ولا يشترط خصوص
الاسنادى ولا غيره .

ثم أن السيد يشترط فى المجاز المركب التصريح بتمام المركب الدال على
الصورة المشبه بها . والسعد يرى أنه يكفى التصريح ببعضه .

المشبه في جنس المشبه بها . بالغة في التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه

كما كتب ^(١) به الوليد بن يزيد لما بويع ؛ الى مروان بن محمد ، وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : «أما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ^(٢) ، فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام » ، شبه صورة تردده في المبايعة ^(٣) بصورة ^(٤) تردده من قام ليذهب في أمر ،

(١) راجع ٣٣٨ من الدلائل . وفي العقد الفردي [٣٥ ج ٢] : يزيد بن الوليد وكذلك في البيان والتبيين [٢٠٠ ج ١] . وفي الصناعتين (ص ١٨٥) : الوليد بن يزيد .

وهذا التمثيل في العقد أيضا (ص ١٨٨ ج ٢)

(٢) أي وتؤخرها مرة أخرى ، وقوله : تقدم رجلا ، أي مرة .

(٣) أي الهيئة الحاصلة من تردده .

(٤) أي بالهيئة الحاصلة من تردد من قام ليذهب . فالصورة الأولى عقلية والثانية حسية . فاستعمل في الصورة الأولى الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية ، ووجه الشبه وهو الهيئة المركبة من الاقدام تارة والاحجام أخرى منتزع من عدة أمور . هذا وقوله : «أني اراك » لا دخل له في الاستعارة وقيل له دخل في خصوص المثال . فيسمى مثل ذلك التمثيل لكون وجهه منتزعا من متعدد تمثيل على سبيل الاستعارة لانه قد ذكر فيه لفظ المشبه به وأريد المشبه كما عو شأن الاستعارة وقد يسمى التمثيل من غير تعبير بقولنا على « سبيل الاستعارة » ، ويمتاز عن التشبيه التمثيلي بأنه يقال تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثلي ومثاله أنت كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وكتشبيه الثريا بالعنقود ، والشمس بالمرأة في كف الأشل .

فتسارة يريد الذهاب فيقدم رجلا؛ وتارة لا يريد فيؤخر أخرى. وكما
يقال ^(١) "لمن يعمل في غير معمل: «أراك تنفخ في غير خنم وتخط على الماء»
والمعنى أنك في فهلك كمن يفعل ذلك. وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى
يميل صاحبه إلى مسكان يمنع ^(٢) منه: «ما زال يقتل منه في الذروة
والغارب ^(٣)» حتى بلغ منه ما أراد. والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه
رفقا يشبه حاله فيه حال من يحىء إلى البعير الصعب فيحكه، ويفتل
الشعر في ذروته وغاربه، حتى يسكن ويستأنس، وهذا في المعنى نظير
قولهم: «فلان يقرء فلانا»؛ أى يتلطف به فعل من ينزع القراد ^(٤)
من البعير، ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه
وكذلك قوله ^(٥) "تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله»؛ فإنه لما كان التقدم بين يدي ^(٦) الرجل خارجا عن صفة المتابع
له، صار النهى عن التقدم متعلقا باليدين: مثلا للنهى عن ترك الاتباع
وكذا قوله تعالى ^(٧) "والأرض جميعا قبضته يوم القيامة»؛ إذ

(١) راجع ٥٥ دلائل، ٨٦ أسرار.

(٢) راجع ٥٥ دلائل، ٨٥ أسرار.

(٣) الذروة: أعلى السنام، الغارب: الذروة أيضا، أو ما بين السنام والعنق.

(٤) دويبة مثل القمل تعلق بجسم البعير.

(٥) راجع ٣٠٨ من الأسرار.

(٦) أى جهتيه.

(٧) راجع ٢١٠ من الأسرار، ٢ طراز المجالس.

المعنى والله أعلم أن مثل الأرض في تصرفها تحت امر الله تعالى وقدرته،
مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منها، والجامع يده عليه . وكذا
قوله تعالى ^(١) : «والسماوات مطويات بيمينه» أى يخلق فيها صفة الطي،
حتى ترى كالكتب المطوى بيمين الواحد منها، وخص اليمين ليكون أعلى
وأنفخ للمثل، لأنها أشرف اليدين وأقواهما، والتي لا غناء للآخرى
دونها، فلا يهش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فيها لها لنيله، ومتى ^(٢) قصد
جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى، ومتى قصد خلاف ذلك
جعل في اليسرى؛ كما قال ابن ميادة ^(٣) :

(١) راجع ٢٠٩ و ٢١٠ من الأسرار، ٣٥ ج ٤ السبكى ٦٢ ج ١
الكامل للبرد. هذا وقد قيل إنها استعارة تمثيلية تخيلية. فتخيل إنسانا يقدر على
طي السماوات بيمينه

(٢) راجع ٣١٥ من الأسرار

(٣) راجع ٣٤٦ صناعتين، هامش ٣١٢ من الأسرار

ملاحظات

١ - وأولئك على هدى من ربهم، تحتل ثلاثة وجوه :

١ - أن يشبه الهدى بالمركوب الموصل المقصود فيثبت له بعض لوازمه وهو
الاعتلاء على طريقة الممكنية

٢ - أو أن يشبه تمسك المتقين بالهدى باعتلاء الراكب في التمكن والاستقرار
وحينئذ تكون كلمة على استعارة تيدية

٣ - أو أن يشبه هيئة مركبة من المتقى والهدى ونمسه به ثابتا مستقرا عليه
هيئة مركبة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه متمكنا منه، استعارة تمثيلية =

ألم تك في يميني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالك
 أى كنت مكرما عندك ، فلا تجعلني مهانا ، وكنت في المكان
 الشريف منك فلا تحطني في المنزل الرضيع . وكذا اذا قلت للمخلوق (١)
 ' الامر بيدك ، أردت المثل أى الامر كالشىء بحصل فى يدك فلا يمتنع
 عليك . ، وكذا قوله تعالى (٢) : ' ولما سكنت عن موسى الغضب ' (٣) ، قال
 الزمخشري : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ، ويقول له قل لقومك
 كذا والى الألواح وجز برأس أخيك اليك ، وترك النطق بذلك وقطع
 الاغراء ؛ ولم يستحسن هذه السكامة ولم يستفهم حها كل ذى طبع سليم
 وذوق صحيح ألا لذلك ، ولانه من قبيل شعب البلاء ، والا فما لقراءة
 معاوية بن قرة ' ولما سكن عن موسى الغضب ، لا تجرد النفس عندها

هذا والاستعارة التبعية فى كلمة ' على ' ، لا تجمع التمثيلية عند السيد وتجامعها
 عند الزمخشري

ب - التشبيه الخيلى عند السيد لا بد أن يكون طرفاه مركبين لفظا ومعنى ،
 وتركيب الطرفين فى الاستعارة التمثيلية عنده واجب قطعا أيضا

(١) راجع ص ٣١٠ من الأسرار

(٢) راجع ١٦٥ مفتاح ، ١٦٣ صناعتين

(٣) شبه سكون الغضب بسكوت ساكت ، ثم ادعينا الخ ، أو شبه الغضب
 بانسان يتحرك ويغرى ، أو شبهنا الحالة الناشئة عن الغضب بحالة إغراء مغر فاذا
 انقطع عن الاغراء سكن المغرى ، واستعير التركيب الدال على المشبه به وهو
 سكوت المشبه

وعلى التقدير الاول تصريحية تبعية ، وعلى الثانى مكنية ، وعلى الثالث تمثيلية

شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة
وأما قولهم: «اعتصمت بحبله»، فقال الزمخشري أيضا: يجوز
أن يكون مقيلا لاستظهاره به، وثوقه بحمايته، باستمسك المتدلي
من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه. وأن يكون الحبل استعارة
لعهده، والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه.
وكذا قول الشماخ^(١):

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقى واليمين، على حد قولهم تلقيته
بكلتا اليدين؛ ولهذا لا تصلح^(٢) حيث يقصد التجوز فيها وحدها؛
فلا يقال هو عظيم اليمين بمعنى عظيم القدرة. ولا عرفت يمينك على هذا
بمعنى عرفت قدرتك عليه
ومثله قول الآخر^(٣):

وهون عليك فات الأمور بكف الإله مقاديرها
وكذا ما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال^(٤)

(١) راجع ٢٩٠ ج ١ العقد، ٢١١ الأسرار، ٢٠٣ صناعتين، ٦٢ و ٦٣ ج ١
الكامل [طبعة قديمة] ٢٩٨ ج ١ الكامل [طبعة النجارية] ٢٧٤ ج ١ الأمالى
(٢) فاعل تصلح يعود على كلمة اليمين
(٣) هو للأعرار الشئ (٣١ ج ١ سيبويه)، والبيت في الأسرار ص ٢١٤
(٤) راجع ٢١٥ من الأسرار. شبه إجمال الثواب وتكثيره بوضع الشئ في
الكف والعمل على تنميته، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به الدشبه

إن أحـدكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ،
جعل الله ذلك في كفه ، فيربها كما يربى أحـدكم فلوله حتى يباع بالتمرة
مثل أحد ، والمعنى فيهما على انتزاع الشبه من المجموع

وكل^(١) هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل
مطلقا. ومتى^(٢) فشا استعماله كذلك سمي مثالا، ولذلك لا تغير الامثال،
ومما يبنى على التمثيل نحو قوله تعالى « إن في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب^(٣) » ، معناه لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر^(٤) فيه ،
واع لما يجب وعيه ، واسكن عدل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه
التلاوة ، بقصد البناء على التمثيل ؛ ليفيد ضربا من التخييل ؛ وذلك أنه
لما كان الانسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ،
ولا يفهم ولا يعي ، جعل كأنه قد عدم القاب جملة ، كما جعل من لا ينتفع

(١) راجع ١٥٩ مفتاح

(٢) راجع ١٤٩ مفتاح . يريد : متى فشا استعمال المجاز المركب كذلك أى
على سبيل الاستعارة التمثيلية

(٣) راجع ٣١٣ أسرار ، ٢٢٥ دلائل

(٤) وقال المبرد : يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره : أعمى ، وإنما
يراد به أنه قد حل محل من لا يبصر البتة . وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل :
أصم ، قال جل ذكره : « صم بكم عى » (٦٩ : ١ السكامل)

هذا ويقال فى الآية : إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، شبهوا فى تدبرهم بالقرآن
واعتاظهم به بمن له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر اليه واع لما يجب وعيه ثم استعيرت
الصورة الثانية للاولى

بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤذيانه اليه بمنزلة العادم لهما، ولزم على هذا أن لا يقال فلان له قلب إلا إذا كان ينتفع بقلبه، فينظر فيما يذبحى أن ينظر فيه، ويمى ما يجب وعيه، فكان في قوله تعالى «لمن كان له قلب» تحييل أن من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة، بخلاف نحو قولنا ^(١) «لمن كان له قلب ناظر فيما يذبحى أن ينظر فيه واح لما يجب وعيه» وفي نظم الآية فائدة أخرى شريفة، وهى تقليل اللفظ مع تكثير المعنى ونقل الشيخ ^(٢) عبد القاهر عن بعض المفسرين انه قال: المراد بالقلب العقل، ثم شدد عليه النكير في هذا التفسير، وقال: وان كان المرجع فيما ذكرناه عند التحصيل الى ما ذكره، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تحييل ان من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعي بمنزلة من عدم قلبه جملة، كما تقول في قول الرجل اذا قال: قد غاب عني قلمي، إنه يريد أن يخيل الى السامع انه غاب عنه قلبه بجملة: دون أن يريد الاخبار أن عقله لم يكن هناك؛ وان كان المرجع عند التحصيل الى ذلك، وكذا اذا ^(٣) قال لم أكن ها هنا، يريد غفلة عن الشيء فهو

(١) أى فانه لا يفيد فقد القلب من أصله ولا يحيل ذلك. وإنما يفيد فقد القلب الناظر الواعى

(٢) راجع ٣٢٥ الدلائل

(٣) راجع ٣١٤ من الأسرار. فمثل لم أكن ها هنا، شبه حاله وهو موجود لكنه غافل بحاله وهو غائب بجامع عدم الانتفاع

يضع كلامه على التخيل : هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق ، لأن المراد بالاية الحث على النظر والتقريب على تركه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى لمن كان له عقل مطلقاً فهو ظاهر الفساد ؛ وإن أراد أن المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمل فيما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عرى عن الفائدة ، لصحة وصف القلب بذلك ، بدليل قوله تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها

واعلم أن المثل السائر ^(١) لما كان فيه غرابة استعير لفظه المثل للحال أو الصفة أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابة ؛ وهو في القرآن كثير كقوله تعالى : مثل الذي استوقد ناراً ، أى حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً ، وكقوله تعالى : وله المثل الأعلى ، أى الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ؛ وقوله تعالى : مثلهم في التوراة ، أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ، وكقوله تعالى : مثل الجنة التي وعد المتقون ، أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ؛ ثم أخذ في بيان عجائبها إلى غير ذلك ^(٢)

(١) لفظ « مثل » يطلق في اللغة على : الشبه ، والنظير ، وعلى الصفة ، وعلى القول السائر بين الناس المشبه مضر به بمورده ، وقد اشتهر في هذا المعنى الأخير ، فاستعير لتلك الصفة باعتبار ذلك

هذا والمثل كلام استعمل في مضر به بعد تشبيهه بمورده

(٢) هذا نص كلام الزمخشري في « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » . هذا =

= وراجع في الاستعارة التمثيلية ص ٥١ و ٥٨ و ٢٤٤ و ٣٣٨ من الدلائل، و ص ٩٠ و ٣٠٨ - ٣١٥ من الأسرار أيضا والمطول والشروح في باب التورية .

ملاحظات :

١ - هل تكون الاستعارة التمثيلية تبعية أولا ؟
ظاهر كلام القوم أن التبعية إنما تكون في المجاز المفرد ، وفي الكشف ما يقتضى جواز كون التمثيلية تبعية ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : أولئك على هدى من ربهم ، إذ رأى أنها استعارة تمثيلية تبعية حيث قال : شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ، أى فتكون تبعية لجريانها في متعلق معنى الحرف أولا ، ورده السيد .

٢ - الاستعارة التمثيلية متى فش استعمالها سميت مثالا ، والمراد بفشو الاستعمال أن تستعمل كثيراً في مثل ما استعمله فيه الناقل الأول مع عدم التغير أى أن يكون المثل باقياً على هيئته في حال المورد بحيث أنه لم يغير في حالة مضربه عن هيئته في حالة المورد : تأنيثاً ولا تذكيراً ولا ثنائية ولا جماعاً ولا لإفراداً . والمضرب : هو الموضع الذى يضرب فيه المثل ويستعمل فيه لفظه وهو المستعار له وأما المورد فهو المستعار منه لفظ المثل ؛ فالمثل كلام استعمل في مضربه بعد تشبيهه بمورده ؛ فالمضرب إذا ما استعمل فيه الآن والمورد ما استعمل فيه ثانياً .

٣ - المجاز المركب إن كانت علاقته المشابهة فهو استعارة تمثيلية ؛ وإن كانت علاقته غير المشابهة فهو مجاز مرسل مركب .

والمجاز المركب المرسل كثير في الكلام ومنه :

١ - الجمل الخبرية التى تستعمل في الأخبار كقول جعفر بن عتبة الخارثى :

[كما فى الحماسة ٢٠ > ١] :

هواى مع الركب البمانين مصعد جنيب ، وجثمانى بمكة موق
فان التركيب موضوع للأخبار ، والغرض منه هنا إظهار التحسر والحزن على =

مفارقة محبوبة اللازم ذلك للأخبار بها ، فالعلاقة اللازمة ، فالبيت ليس حقيقة ولا استعارة تمثيلية بل هو مجاز مرسل مركب .

وقد سكتوا عن ذكر المجاز المرسل المركب لقائه وقلة لطائفه ؛

وقيل : مثل هذا - أى المركب المنقول لأجل اللزوم كالبيت - من قبيل الكناية ، فهو مستعمل فيما وضع له لينقل إلى لازمه ، وحينئذ فهو حقيقة ؛ فلذا تركوا التعرض له ، لحينئذ اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لا يكون إلا لعلاقة المشابهة ؛ واعترض على ذلك بأن اللفظ الذى يرد به اللازم مع صحة إرادة اللزوم كناية يجوز أن يعرض له قرينة مائة من إرادة المعنى الأصلي فيكون مجازاً متفرعاً عن الكناية ، وحينئذ فلا يتم ما ذكره حجة في ترك التعرض له ب - الخبر المستعمل في الانشاء مثل وفقك الله ورحمه الله .

ج - الانشاء المستعمل في الخبر كقوله (ص) : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، أى يتبوأ .

د - الانشاء الذى خرج عن معناه الوضعى إلى معنى إنشائى آخر كالامر والنهى المستعملين في التمنى في مثل قول الشاعر :

يا لبلى طل يا شوق دم يا صبيح قف لا تطلع

٤ - د مثل رب إني وضعتها أنثى ، أرى السعد فيها أنها مجاز مرسل مركب ، ويرى عبد الحكيم في باب الاسناد الخبرى أنها حقيقة فليست مجازاً في التحسر وإنما هى مستعملة في معناها والتحسر غرض من التركيب . ويرى السعد في باب الاسناد الخبرى أنه مجاز مركب . والحق أن التحسر غرض من التركيب ولا مجاز هناك .

٥ - قيل : الانشاء الذى على صورة الخبر لا بد أن يكون على معنى صيغة من صيغ الانشاء كرحم الله فانه يدل على معنى اللهم ارحمه ؛ والبيت (دواى مع الركب الخ) وقوله تعالى ، رب إني وضعتها أنثى ، ليس على معنى صيغة من صيغ الانشاء فيكون

== باقيا على خبريته مقصودا به لا زم معناه فلا يخرج عن الخبرية إلى الإنشائية فلا يكون مجازا مركبا ؛ وخالف الزمخشري في هذا وقال : إنها تخرج إلى الإنشائية وإن كانت ليست على معنى صيغة من صيغ الإنشاء فتكون من المجاز المركب .

٦ - بلاغة الاستعارة التمثيلية :

تشبيه التمثيل كما سبق من أبلغ التشبيهات ، وعلى تشبيه التمثيل تبني الاستعارة التمثيلية غير أنها تقع دائما في الهيئات ولا يستعار فيها إلا المركبات ؛ وتمتاز عن التشبيه التمثيلي على بلاغته : بالمبالغة في التشبيه ، وبما تبني عليه من تناسيه ودخول المشبه في جنس المشبه به وادعاء أنه فرد من أفراد ، فوق أنها أو جز من التشبيه التمثيلي لحذف أداتها وأحد طرفيها ، وهي مع إيجازها تعمل عمل الاطّاب من إيضاح المعنى وحسن تصويره والكشف عنه .

٧ - الفرق بين التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية هو :

١ - تشبيه التمثيل قد يكون طرفاه مفردين وقد يكونان مركبين وقد يكونان مختلفين ، أما الاستعارة التمثيلية فطرفاها مركبان .

ب - ولا بد في التشبيه التمثيلي من الجمع بين طرفيه أما الاستعارة فلا بد من حذف المشبه .

ج - ولا بد في التشبيه أيضا من أداة ملحوظة أو مقدرة إلا التشبيه الضمني الذي يشكل فيه تقدير الأداة من غير تجويز في التركيب ، والأداة في الاستعارة التمثيلية لا بد من حذفها .

د - وتشبيه التمثيل لا يفيد المبالغة إلى تفيد الاستعارة ، إذ ليس فيه ما فيها من تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به

٨ - علاقة المجاز المركب :

١ - قيل هي اللازمة والملزومية .

ب - وقيل العلاقة في الإنشاء المستعمل في الخبر السببية وفي الخبر المستعمل في الإنشاء المسببية . =

فصل

[في بيان الاستعارة بالسكناء والاستعارة التخيلية ^(١)]

== ج - وقيل هو مجاز بمرتين، فالجبر المستعمل في الانشاء نقل من الاثبات على وجه الخبر إلى مطلق إثبات ثم من مطلق إثبات إلى الاثبات على وجه الانشاء، والانشاء المستعمل في الخبر نقل من الاثبات على وجه الانشاء إلى مطلق الاثبات ثم من مطلق إثبات إلى الاثبات على وجه الخبر، فالعلاقة التقييد ثم الاطلاق .
(١) راجع ١٥٩ - ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٤ من المفتاح ، ٣٤ - ٤٠ الأسرار ، ٥٣ و ٢٣٤ و ٣٥٤ من الدلائل

ملاحظة :

لتحقيق الكلام على هذا البحث نعرض عليك خلاصة المذاهب والآراء في المسكنة والتخييلية فنقول :

المسكنة

١ - القدماء ومنهم عبد القاهر والزمخشري وتبعهم جمهور المتأخرين كالسعد والسيد : يرون أنها اسم المشبه به - المستعار في النفس للمشبه - المحذوف والمرموز اليه باثبات شيء من لوازمه للمشبه ، إلا أن العصام ناقش السعد واليد وذهب إلى أنها ليست لفظ المشبه به المحذوف بل الحق أنها استعارة السبعية للمنية الخ والظاهر أنه يجعلها في المعنى لا في اللفظ

٢ - أما السكاكي فهي عنده لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متخيلة متوهمة شبهت به وأثبت للمشبه (١٦٠ مفتاح) ، ويستفاد من كلام السكاكي في موضع آخر من المفتاح أنها اسم المشبه به المحذوف (١٥٧ مفتاح) ، حيث قال : ويسمى المشبه به مذكورا أو محذوفا مستعاراً منه واسمه مستعارة والمشبه مستعار له [راجع المطول ص ٤٠١]
٣ - ويرى الخطيب أنها التشبيه المضمرة في النفس المدلول عليه باثبات لازم ==

== المشبه به للمشبه . ورجحه الانبأى في حاشيته على الرسالة البيانية وجعله مستتبعا
من كلام عبد القاهر [٢٧١ الرسالة]

٤ . وللعصام رأى رابع فيها حيث قال إنها مبنية على تشبيه مقلوب بتشبيه
المشبه به الاصلى بالمشبه الاصلى ثم يستعار اسم المشبه الاصلى للمشبه به الاصلى ، ففي
أنشبت المنية أظفارها شبه السبع بالمنية واستعير له اسمها ، فالمثال معناه أنشبت السبع
أظفاره به كناية عن قوته وحيث لا تجوز في إضافة الأظفار إلى المشبه ؛ فهي عنده
لفظ المشبه به المقلوب المستعمل في المشبه المقلوب ، مع جمل بمجموع الكلام بعد ذلك
كناية اصطلاحية والقرينة على الاستعارة ذكر ملائم المشبه المقلوب ، وعلى الكناية
حالية

٥ . ورأى صاحب الكشف (الطيبي) أنها هي لازم المشبه به المثبت للمشبه
التخييلية : والاراء فيها تتلخص فيما يلي :

١ . القوم وعبد القاهر والزغشري والخطيب : يرون أنها هي إثبات لازم
المشبه به للمشبه

٢ . السكاكى هي عنده اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التي
أثبتت للمشبه .

القرينة : وجملة الكلام فيها يتخلص فيما يأتى

١ . القوم والخطيب يقولون هي اثبات لازم المئبه به للمشبه ، فالتخييلية
والممكنة عندهم متلازمان ، ولازم المشبه به مستعمل في حقيقته والتجوز إنما هو
في الإثبات الذى هو قرينة الممكنة وهو التخييلية . فالتخييلية إنما هي في الإثبات
والتجوز فيه ، فهي مجاز عقلى لا لغوى ، وربما سموا لفظ اللازم كالأظفار مثلا
تخييلية على سبيل التسامح ، والتحقيق أن التخييلية إنما هي في إثبات لازم المشبه
به للمشبه

٢ . الزغشري على ما فهمه السعد يذهب الى أنها هي لازم المشبه به المثبت
للمشبه او المستعار لما يلائمه ، فالقرينة عنده قد تكون استعارة تحقيقية تصريرية ، =

== وضابط القرينة عده أنه إذا لم يكن للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به فالقرينة تخيلية، وإن كان للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به فالقرينة تحقيقية. والسعد على هذا الرأي. فالممكنية والتخيلية غير متلازمتين عنده، فالممكنية قد توجد بدون التخيلية ولا عكس، أى يلزم من وجود التخيلية وجود الممكنية دون العكس

٣ - أما السكاكى فيرى أنها هى لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للشبه، فالتخيلية عده لا تستلزم الممكنية والممكنية تستلزم التخيلية، ورأى السعدنى المطول أن الممكنية عند السكاكى توجد بدون التخيلية كما صرح به فى المجاز العقلى حيث قال. إن قرينة الممكنى عنها إما أمر مقدر وهى كأظفار المنية أو أمر محقق مثل أثبت الربيع البقل، وكذلك التخيلية توجد بدون الممكنية مثل أنشبت المنية الشبيهة بالسبع أظفارها، وذلك ما رآه الأنبايى فى حاشيته على الرسالة البانية حيث قال عن مذهب السكاكى: فلا تلازم بين الممكنية والتخيلية عنده بل توجد كل منهما بدون الأخرى. والتحقيق أن القرينة عنده قد تكون استعارة تحقيقية مثل يا أرض ابلعى ماءك وقد تكون حقيقة كما فى أثبت الربيع البقل وقد تكون استعارة تخيلية مثل أظفار المنية، فالأصح من مذهبه أن التخيلية تلازمها الممكنية كما حمل القوم وإن كان نص كلام السكاكى يشير الى عدم الملازمة، أما المنال أنشبت المنية الشبيهة بالسبع أظفارها فغير صحيح بلاغيا أو أنه كان يحكى مذهب السلف لا مذهبه هو، أما الممكنية فالتحقيق أنها لا تلازمها التخيلية. ولنفصل لك الكلام تفصيلا على الآراء فى القرينة والممكنية والتخيلية.

١ - أما الممكنية فذهب السلف فيها أنها هى لفظ المشبه به المستعار للمشبه المخوف المرموز اليه بشئ من لوازمه، وعلى هذا تكون الاستعارة بأقسامها تصریحية وممكنية هى لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه. وقد نقض هذا المذهب بأن القول باستعارة اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه تكلف ظاهراً ==

== ومذهب الخطيب في الممكنية أنها هي التشبيه المضمحل في النفس المتروك
أركانها سوى المشبه المدلول عليه بأبواب لازم المشبه به للتشبيه. ودلي هذا فلاستعارة
ليست كلمة ولا استعمال كلمة وإنما هي فعل من أفعال النفس ولا وجبة للتسمية
باستعارة وإن صح وجه تسميتها ممكنية لأن التشبيه مضمحل. والداعي له إلى مخالفة
الجمهور أمران : أولاً : المغايرة بين المصرحة والممكنية من جميع الوجوه لفظاً
وتقديراً فتتميز الأقسام أتم تمييزاً ، وثانياً : الفرار من التكلف الذي لزم القوم
ومذهب السكاكي أنها هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به لإدعاء بقرينة
ذكر لازم المشبه به ، فعين العناية مثلاً نقول فيها ، شئت العناية بحارس ذي
عينين وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فصار للمشبه به فردان : حقيقى
وهو الحارس وادعائى وهو العاية المدعى أنها حارس ، فتمتعمل العناية الحقيقية في المشبه
به الادعائى (العناية المدعى أنها حارس) والعين قرينة الممكنية . ويرد على
رأى السكاكي أن القول باستعمال لفظ المشبه في لفظ المشبه به مخالف للواقع ،
فالعناية لا تزال مستعملة في معناها الوضعى بالاتفاق ، وإدعاء أن المشبه فرد من
أفراد المشبه به لا يخرج عنه أن يكون موضوعاً له لفظ المشبه به ، والتغاير بين
المشبه والمشبه به الادعائى مبنى على تدقيق فلسفى لا يعتبره أهل العربية . كما يرد
عليه أن لا وجه لتسميتها ممكنية على رأيه بل هي جديرة بأن تسمى مصرحة لأن
اللفظ المستعار مصرح به .

٢ وأما القرينة فهي عند القوم والخطيب لإثبات لازم المشبه به للمشبه
مع بقاء ذلك اللازم على حقيقته ، والتجاوز في الإثبات على حد المجاز العقلى ،
ويسمى ذلك الإثبات تخيلية أو تخيلاً .

ومذهب الزمخشري على ما فهم السعد أن قرينة الممكنية تارة تكون استعارة تخيلية
كما ذهب الخطيب والقوم إن لم يكن للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به كما في قولنا ويد
الشمال وعين العناية وأظفار المنية ، وتارة تكون استعارة تحقيقية إن كان ==

للمشبه رديف يشبه رديف المشبه به فيستعار لفظ لازم المشبه به لل لازم المشبه كما في
 و ينقضون عهد الله ، فقد استعير النقص للإبطال على طريق الاستعارة التصريحية
 التحقيقية التبعية بعد تشبيه العهد بالحبل على سبيل الاستعارة المسكنية ، ويجوز
 بقاء النقص على معناه الحقيقي فائتانه للعهد تخييل . وعلى مذهب صاحب الكشاف
 تصبح القرينة ضعيفة جدا ، إذ لا دلالة لها أبدا بالظر لأصل معناها
 قبل التجوز .

وذهب السكاكي إلى أن قرينة الاستعارة المسكنية تارة تكون استعارة
 تحقيقية استعير اللفظ لأمر محقق حسا أو عقلا ، وتارة تكون استعارة تخيلية
 استعير فيها اللفظ لأمر متخيل وهمي ، وتارة تكون حقيقة ، فالأول كما في ينقضون
 عهد الله ، ويل يا أرض ابلعي ماءك ، والثاني كما في يد الشمال وعين العناية ،
 والثالث كما في قولنا بنى الأمير المدينة وهزم الجند بناء على ما قرره من رد المجاز
 العقلي إلى المسكنية .

٣ - أما الاستعارة التخيلية فقد ذهب الخطيب والقوم إلى أنها اثبات لازم
 المشبه به للمشبه ، فهي من المجاز العقلي على توسع فيه ، ولفظ ذلك اللازم باق على
 معناه حقيقة لغوية ، وهو ملازم للاستعارة بالكناية لا ينفك عنها كما لا تنفك
 المسكنية عن التخيلية فما مثلا زمان . وأما مثل قولهم أنشبت المنية الشبيهة بالسبع
 أظفارها بفلان ، فليس من أساليب البلاغ أو هو من باب ترشيح التشبيه ؛
 والترشيح كما يكون في الاستعارة مثل أنشبت المنية أظفارها بفلان ولها لبد
 وزئير ، يكون في التشبيه مثل هي الشمس مسكها في السماء ، ويكون في المجاز
 المرسل مثل أسرعن لحوقا في أطولكن يدا ، ويكون في المجاز العقلي مثل سألت
 بأعناق المطى الأباطح ، ويكون في التصريح أيضا

وذهب السكاكي إلى أن التخيلية هي اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية
 التي أثبتت للمشبه ، فهي ما كان المستعار له فيها أمرا متخيلا ، فالمشبه فيها ليس

بمحقق حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية كيد الشبال وعين العناية المخترعتين بواسطة الوهم . وفي هذا الرأي كثرة اعتبارات لا داعي لها فهو من التعسف ويلزمه أن يقول بمثل ذلك في ترشيح الاستعمارة المصروفة ولا سبيل الى ادعاء التخيل فيه . والسكاكي يجوز انفراد التخيلية عن الممكنية مع اعترافه بخلوها من الحسن عند الانفراد ، وقد استدل على هذا بقول أبي تمام : لا تسقني ماء الملام ، ولا حجة له في ذلك لاحتمال أن يكون من اضافة المشبه به للمشبه أو من باب الممكنية بتشبيه الملام بظرف شراب مكروه ، وعلى كل لم يخل الاسلوب من القبح . ويجوز السكاكي أيضا انفراد الممكنية عن التخيلية كما إذا كانت القرينة حقيقية أو استعمارة تحقيقية .

وخلاصة ذلك كله هو :

- ١ - مذهب القوم : الممكنية هي لفظ للمشبه به المستعار للمشبه المحذوف الرموز إليه بشيء من لوازمه ، واثبات لازم المشبه به للمشبه استعمارة - مع بقاء ذلك اللازم على حقيقة القرينة - كراى الخطيب وهو استعمارة تخيلية كراى الخطيب
- ٢ - مذهب الزمخشري : الممكنية رأيه فيها هو رأى القوم ، والقرينة عنده قد تكون استعمارة تخيلية أو تحقيقية ، والتخيلية رأيه فيها هو رأى القوم .
- ٣ - ومذهب المصنف : الممكنية هي التشبيه المضمر في النفس المتروك أركانه سوى المشبه المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، والقرينة عنده إثبات لازم المشبه به للمشبه مع بقاء ذلك اللازم على حقيقة ، وذلك الاثبات يسمى استعمارة تخيلية . ويلزم على مذهبه التلازم بين الممكنية والتخيلية والتخيلية عنده تكون مجازا عقليا .

٤ - ومذهب السكاكي أن الممكنية هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء والقرينة تارة تكون استعمارة تحقيقية وتارة استعمارة تخيلية وتارة تكون حقيقة

== والتخييلية : هذه هي اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التي أثبتت المشبه - ويلزم على مذهبه ان التخييلية مجاز لغوى وأنه لا تلازم بينها وبين الممكنية ولألت بمثال نجري فيه الاستعارة على رأى الجميع ، تقول : وهو طالب يصرع أقرانه في ميدان العلم ، :

١ - فذهب الخطيب أننا شبهنا الطالب بمحارب شجاع مظفر تشبها مضمرًا في النفس ثم حذف المشبه به على سبيل الاستعارة الممكنية ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة التخييلية

٢ - وعلى مذهب القوم شبه الطالب بمحارب تشبها مضمرًا في النفس وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به فاستعربا المشبه به للمشبه ثم حذفناه على سبيل الاستعارة الممكنية ورمزنا إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة التخييلية .

٣ - وعلى مذهب السكاكي شبه الطالب بمحارب حقيقى وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به فصار المشبه به فردان متعارف وهو المحارب وغير متعارف وهو الطالب فاستعربنا اسم المشبه وهو الطالب الحقيقي للمشبه به وهو ذلك الفرد الغير المتعارف أى المحارب الادعائى وهو الطالب المدعى أنه محارب على سبيل الممكنية . واسم لازم المشبه به وهو يصرع أقرانه في ميدان العلم ، استعارة تخيلية .

٤ - ومذهب الزمخشري أننا شبهنا الطالب بمحارب وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وحذفنا لفظ المشبه به على سبيل الاستعارة الممكنية ثم استعربنا صرع الاقران للتفوق عليهم بجامع اذهاب أثرهم في كل وذلك استعارة تحقيقية أصلية واشترى من الصرع بمعنى التفوق يصرع بمعنى يتفوق على سبيل الاستعارة التحقيقية التبعية فقربنة الممكنية عنده قد تكون استعارة تحقيقية كما تكون استعارة تخيلية

قد ^(١) يضم التشبيه ^(٢) في النفس ^(٣) فلا يصح بشيء من

(١) المكنية والتخييلية عند المصنف أمران معنويان أى قولان من أفعال المتكلم القائمة بنفسه ، وهما غير داخلين في تعريف المجاز الذى هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له الملاقة مع قرينة مانعة ، فالمجاز من عوارض الالفاظ وهما عند المصنف ليسا بلفظين لأن أحدهما التشبيه المضمر والآخر إثبات لوازم المشبه به للمشبه .

فالاستعارة عند المصنف ثلاثة : مصرحة - مكنية - تخيلية ولفظ الاستعارة يطلق عليها بطريق الاشتراك اللفظى ، ولكن بعضها داخل في تعريف المجاز وبعضها غير داخل فيه عند المصنف .
١ - هذا وجملة القول أن المكنية :

١ - عند القوم هى اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، وإثبات لازمه للمشبه استعارة تخيلية .

٢ - وعند السكاكى هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به بصورة متوهمة متخيلة شبهت به أثبتت للمشبه .

٣ - وعند الخطايب هى التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهو الاستعارة التخيلية .

ب - والخلاف فى التخييلية يرجع إلى قولين :

١ - فذهب المصنف والقوم الزمخشري أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه .

٢ - ومذهب السكاكى أنها اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه .

ولكن الزمخشري يزيد على القوم أن قرينة المكنية كما تكون تخيلية تكون أيضا استعارة تحقيقية .

فعلم من كل هذا أن فى المكنية ثلاثة مذاهب ، وفى التخييلية مذهبين ، وفى قرينة المكنية ثلاثة مذاهب =

أركانها^(١) سوى لفظ المشبه^(٢) ، ويدل عليه^(٣) بأن يثبت للمشبه^(٤)
أمر مختص بالمشبه به^(٥) ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا
أو عقلا أجري عليه اسم ذلك الأمر^(٦)
فيسمى التشبيه^(٧) استعارة بالسكنية أو مكنيا عنها^(٨) ، وإثبات

= (٢) أي تشبيه شيء بشيء على وجه المبالغة وإدعاء المشبه في نفسه أن المشبه داخل
في جنس المشبه به .

(٣) أي في نفس المتكلم .

(١) أي أركان التشبيه .

(٢) وأما وجوب ذكر المشبه به باقيا على معناه الحقيقي فاعلم هو في التشبيه
المصطلح عليه ، أي وهو ما لا يكون على وجه الاستعارة ، بحيث يدل عليه بالأداة
ظاهرة أو مقدرة ، وأما ما كان على وجه الاستعارة فلا يكون المشبه به فيه باقيا
على معناه الحقيقي . هذا والتشبيه المصطلح عليه غير الاستعارة بالسكنية وغير
الاستعارة التحقيقية التصريحية وغير التجريد .

(٣) أي على ذلك التشبيه المضمحل في النفس .

(٤) أي المذكور .

(٥) أي بأن يكون من لوازمه المساوية له .

(٦) أي يطلق عليه اسم ذلك الأمر الخاص بالمشبه به .

(٧) أي ذلك التشبيه المضمحل في النفس .

(٨) أما تقييد اسمه بالسكنية أو بالمكني عنها فلا ن ذلك التشبيه لم يصرح به
بل إنما دل عليه بذكر خواص المشبه به ولوازمه ، وأما تسمية ذلك التشبيه المضمحل
بالاستعارة فمجرد تسمية خالية عن المناسبة لأن الاستعارة هي الكلمة المستعملة
الح والتشبيه المضمحل ليس كذلك ، وقد يقال أنه يسمى استعارة لأنه أشبهها في
إدعاء دخول المشبه في جنس المشبه به فلها ذكرت اللوازم وأثبتت للمشبه دل =

ذلك الأمر ^(١) للمشبه استعارة تخيلية ^(٢) .

والعلم في ذلك قول لبيد ^(٣) :

وغداة ريح قد كشفت ورقة

إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

فانه جعل للشمال يدا ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حسا أو عقلا تجري اليد عليه ، كاجراء الأسد على الرجل الشجاع ، والصراط

== ذلك على أن المشبه ادعى دخوله في جنس المشبه به حتى استحق خواصه ، وادعاء الدخول شأن الاستعارة ، فسمى ذلك التشبيه استعارة لأجل ذلك .

(١) أى المختص بالمشبه به .

(٢) لأنه قد استعير أى نقل وأثبت للمشبه ذلك الأمر الذى يخص المشبه به وبه يكون كمال المشبه به أو قوامه . والمراد أن به يكون كمال أو قوام وجه الشبه في المشبه كما في اظفار المانية ولسان الحال . ليخيل أن المشبه من جنس المشبه به .

(٣) راجعه في الاسرار ص ٣٤ ، وفي الدلائل ص ٥٣ و ٢٢٤ و ٢٥٤ ، وفي الصنائع ص ٢٧٩ ، والوساطة ص ٢٨ ، والبديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى ص ١١ .

القرة : البرد . الشمال أبرد الرياح . يريد أنه يكف عادية البرد عن الناس باطعامهم ونحر الجزور لهم .

ملاحظة : جعلت التخيلية استعارة وسمى ذلك اللازم بها لأجل أن متعلقه وهو الأمر المختص بالمشبه به نقل عن ملامحه وأثبت للمشبه الذى شبه بما يناسبه . وأما تسميته تخيلية فلأن متعلقه وهو الأمر المختص بالمشبه به لما نقل عن ملامحه وأثبت للمشبه صار يخيل للسامع أنه من جنس المشبه به .

على إله الإسلام في السابق ، وإن كان لما شبه الشمال لتصريفها القوة على حكم طبيعتها في التصريف ، بالإنسان المصروف لما زماه بيده ، أثبت لها يداً على سبيل التخيل ، مبالغة في تشبيهها به ، وحكم الزمان في استعارته للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجعل للقرة زماماً ليكون أتم في إثباتها مصرفة ، كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها متصرفة ، فوفى المبالغة حقها من الطرفين . فالضمير في أصبحت وزمامها للقرة وهو قول الزمخشري ؛ والشيخ عبد القاهر جعله للغداة ، والأول أظهر

واعلم أن الأمر المختص بالشبه به المثبت للمشبه :

[١ -] منه ما لا يكمل المشبه في المشبه به بدونه كما في قول أبي

ذؤيب الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميم لا تنفع^(١)

فانه شبه المنية بالسبع ، في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة ، من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، ولارقة لرحوم ولا بقيا على ذى فضيلة ،

(١) راجع البيت في ص ١١ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجي
وص ٢٠١ المفضليات ، ١١٥ موازنة ، ٢٧٩ صناعتين .
انشبت : علفت . التيممة : الخرزة التي تجعل معاذة .

فأثبت الغنية الأظفار التي لا يكمل ذلك في السمع بدونها ، تحقيقاً
للمبالغة في التشبيه .

(٢ -) ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه في المشبه به كما في
الآخر :

ولئن نظمت بشكر برك مفصلاً فلسان حالي بالشكاية أنطق ^(١)
فانه شبه الحال الدالة على المقصود بانسان متكلم ، في الدلالة ، فأثبت
لها اللسان الذي به قوام الدلالة في الانسان . وأما قول زهير :
صباح القلب عن لى وأقصر باطله . . وعرى أفراس الصبا ورواحله ^(٢)

(١) شبه الحال بانسان متكلم - على تقدير أن لسان الحال ليس من قبيل
إضافة المشبه به للمشبه كالجين الماء - في الدلالة على المقصود ، وهو استعارة بالكناية .
(٢) راجعه في ص ٣٦ الأسرار ، وص ١٦٠ مفتاح ، و ٢٧٦ صناعتين ، و ١٦٩
وساطه ، و ٣٨ الوساطة أيضاً ، ص ٨ البدیع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم
خفاجی - صبحا القلب أى سلا مجازاً . وقد شبه السلو الذى هو زوال العشق بالصحو
الذى هو زوال السكر واستعير اسم المشبه به للمشبه استعارة تصريحية تبعية ، فأصل
الصحو بمعنى خلاف السكر . عن سلمى أى عن حبا . أقصر باطله : يقال أقصر
فلان عن الشئ إذا أقلع عنه أى تركه وامتنع عنه مع القدرة عليه أى امتنع وانقضى
باطله عنه وترك الباطل ذلك القلب ملتبساً بحاله الاصلى وهو الخلو من العشق ،
وقولنا إنما امتنع الخ ، تفسير لقول الشاعر « أقصر باطله » - تفسير مراد ، فالمراد
من الاقصر معناه المجازى وهو مطلق الامتناع لا الامتناع مع القدرة الذى هو
معنى الاقصر الحقيقى . وأقول : لم لانجمل الاسناد ، في أقصر باطله ، مجازياً بدلاً
من جعل التجوز في طرف الاسناد وهو « أقصر » ،

فيحتمل ان يكون استعارة تخيلية وأن يكون استعارة محقيقية :
أما التخيل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو ان المحبة
من الجهل والغنى ، وأعرض عن معاودته ^(١) ، فتمطلت آلاته ^(٢) كأى
أمر وطنت النفس على تركه ، فانه تهمل آلاته فتتعطل ، فشبه ^(٣) الصبا
بجهة من جهات المسير ^(٤) كالخج والتجارة قضى منها ^(٥) الوطرافأهات
آلاتها ^(٦) فتمطلت ، فأثبت له ^(٧) الافراس والرواحل ^(٨) ، فالصبا على
على هذا ^(٩) من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفتوة ، لا بمعنى الفتاء ^(١٠) ؛

(١) وهذا معنى د أقصر باطله ،

(٢) أى التى توصل إليه ، والضمير فى د معاودته ، د وآلاته ، لما كان يرتكبه
و تعطلت آلاته ، تفسير لقوله د وعزى الخ ، فلما كان ترك معاودة الشيء مستلزما .
لبطلان ما يوصل إليه من حيث أنه يوصل إليه رتب وبطلت الآلة ، على ذلك الترك
وأما الافراس والرواحل وتعريتها أو التعرى عنها فعلى حقيقتها

(٣) أى شبه الشاعر فى نفسه

(٤) أى من الجهات التى يسار إليها لتحصيل حاجة كجهة الحج

(٥) أى من تلك الجهة

(٦) أى الموصلة إليها كلافراس والاعوان والمال . ووجه الشبه الاشتغال
النار وركوب المسالك الصعبة فى كل من السير والصبا ، فالوجه مركب من عدة أمور
وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية

(٧) أى للصبا

(٨) أى التى بها قوام جهة المسير والسفر التى يسار إليها ، فأثبت الافراس
والرواحل استعارة تخيلية

(٩) أى على هذا التقدير وهو أن يكون هو المشبه وجهة المسير معها به =

وأما التحقيق فأن يكون أراد^(١) دواعي النفوس وشهواتها والقوى
الحاصلة لها في استيفاء الذات^(٢)، أو الأسباب التي قلما تتأخذ^(٣) في
اتباع الغي إلا أو أن الصبا^(٤)

= (١٠) أي لا من الصباء بالفتح والمدمن صبي صباء مثل سمع سمعا أي لعب
مع الصبيان

(١) أي بالافراس والرواحل

(٢) أي فشبه الدواعي بالافراس بجامع ان كلا آلة واستعار اسم المشبه به للمشبه
استعارة تصريحية تبعية

(٣) أي تجتمع وتنفق

(٤) أي مثل المال والاخوان والاعوان . فتكون استعارة الافراس
والرواحل تحقيقية لتحقيق معناها عتلا إذا أريد بهما الدواعي وحسا إذا أريد بهما
أسباب اتباع الغي من المال وغيره

هذا وقد مثل المصنف بثلاثة أمثلة : الأول التخيلية فيها اثبات ما به كمال المشبه
به في وجه الشبه ، والثاني اثبات ما به قوام المشبه به والثالث ما يحتمل التخيلية
والتحقيقية ، ما يكون به قوام الوجه أو كماله لأن السفر المعتمد به
لا يكون بدون الافراس ، وعند حمل الاستعارة في البيت دلى التحقيقية
تنتفي المكنية عند المصنف والقوم لتلازم المكنية والتخيلية عندهما ، وأما
على رأي الزحمرى من جواز كون قرينة المكنية تحقيقية فلا تنتفي المكنية عند
الحمل على التحقيقية

ملاحظات .

١ - تفسير الخطيب للمكنية لا مستند له في كلام السالف كما يقول السعد ولا
هو مبنى على مناسبة لغوية

ومعنى المكنية عند السالف هو أن لا يصرح بذكر المستعار وهو المشبه به بل =

== يصرح بذكر رديفه ولازمه الدال عليه، فالمتصود بقولنا وأظفار المنية، استعارة السبع للمنية كاستعارة الاسد للرجل الشجاع الا أنا لم نصرح بذكر المستعار أعنى السبع بل اقتصرنا على ذكر لازم مدلول لفظ السبع وهو الاظفار لينتقل من ذلك اللازم الى المتصود استعارته وهو السبع، كما هو شأن الكناية، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية. قال صاحب الكشاف: وان من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء - أى اللفظ المستعار أى اذا كان المقام مقتضيا للاستعارة دون الحقيقة بأن كان مقام تأكيد ومبالغة في مدح أو ذم - ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافده فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو شجاع يفترس اقرانه، ففيه تنبيه على ان الشجاع اسد، وكلام الومخشرى صريح في ان المستعار هو المشبه به المتروك صريحا المراد وزا إليه بذكر لوازمه، فأبىه كراى القوم في المسكنية إلا أنه يخالفهم في قرينتها، لأنهما عند السالف يجب أن تكون تخيلية وعنده لا يجب ذلك بل قد تكون حقيقية عنده، فالقرينة عنده ضابطها أنه إذا لم يكن للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به كانت القرينة تخيلية كأظفار المنية وان كان للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به كانت تلك القرينة استعارة حقيقية كما في « ينقضون عهد الله، فان القرينة فيه عند السلف تخيلية وهى اثبات النقض الذى هو من لوازم الحبل للعهد، وعنده أنه شبه العهد بالحبل في النفس بجامع الربط في كل واحد ان العهد فرد من أفراد الحبل واستعير له اسمه في النفس على طريق المسكنية، وشبه إبطال العهد بنقض الحبل واستعير النقض للإبطال واشتق من النقض ينقض بمعنى يبطل على طريق الاستعارة التصريحية التحقيقية التبعية، ثم ان المستعار على مذهبه كالقوم هو المستعار المخدوف أى المشبه به المخدوف وهذا مشكل لأن اللفظ المستعار من أفراد المجاز الغرورى الذى هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، والاسد المتروك أمر مضمر في النفس لم يقع فيه استعمال في غير ما وضع له، اللهم الا أن يجاب بان المجاز الكلمة للمستعملة أى تحقيا أو تقديرا ==

٢ على تفسير الخطيب للممكنية والتخييلية يكون كل من لفظي الأظفار
والمنية حقيقة مستعملة في معناها الموضوع له وليس في الكلام مجاز لغوي

لأنه الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له الخ وليس في أظفار أو المنية لفظ
مستعمل في غير ما وضع له وإنما المجاز الذي في ذلك هو إثبات شيء لشيء ليس هو
له وهذا مجاز عقلي فالمنصف يخالف القوم في الممكنية لا التخييلية فإنه يوافقهم فيها..
أما السكاكي فيخالفهم فيهما

وعلى تفسيره أيضا الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلم من أفعال
المتكلم وهما التشبيه والاثبات ، لا لفظان ، وهما ملازمان أيضا إذ التخييلية يجب
أن تكون قرينة للممكنية البتة فلا توجد بدون الممكنية لأنها لو صحت مع التصريحية أو
مع مجاز آخر كانت ترشيحا إذ الترشيح يكون في غير الممكنى عنها والتخييل يكون
فيها وإن كان كل منهما لازما للمشبه به فالترشيح للتصريحية أو المجاز المرسل والتخييلية
للممكنية ثم التخييل لا بد أن يكون به كمال أو قوام وجه الشبه في المشبه به أما
الترشيح فيكون بمطلق لازم مختص ، ثم كما سبق يجب أن يعلم أن الترشيح يكون
للتشبيه وللتصريحية وللمجاز المرسل والعقلي كما يكون في الممكنية بعد وجود قرينتها التي
هي التخييلية ويصح في هذه الحالة جعله ترشيحا للتخييلية الواقعة قرينة للممكنية
لأنها إما مصرحة كما يقول السكاكي أو مجاز عقلي كما يقول غيره وكل منهما يجوز
ترشيحه ، فضابط الترشيح أن يذكر ما يلائم المشبه به أو المتجاوز عنه أو الأصل
الذي حق الاستناد أن يكون له في الاستعارة والمجاز المرسل يعتبر بعد قرينتهما وفي
التشبيه والمجاز العقلي يعتبر مطلقا فناله في التصريحية لدى أسد شاكي السلاح الخ ومثاله
في الممكنية أظفار المنية لها لبد وفي المجاز العقلي وسالت بأعناق المطى الأباطح لأن
أعناق المطى مناسب لمن ثبت له السير حقيقة وهم القوم فهو ترشيح للمجاز العقلي
ومثاله في التشبيه : أظفار المنية الشبيهة بالسبع أهلكك فلانا ، ومثاله في المجاز
المرسل : أطول لكن ، في قوله (ص) : أسرعن لحوقا في أطولكن يدا ، فهو =

فصل

(في مناقشة آراء للسكاكي في الحقيقة والمجاز)

اعلم أن كلام السكاكي في هذا الباب - أعني الحقيقة والمجاز - والفصل الذي يليه ، مخالف لمواضع مما ذكرنا فلا بد من التعرض لها وليبيان ما فيها ، منها أنه :

[تعريف السكاكي للحقيقة اللغوية ^(١)] :

عرف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من

من الطول وهو الانعام وهو ملائم لليد الأصلية والصحيح أنه يلائم أيضا النعمة فلا يكون ترشيحا وجعله من الطول ليناسب اليد الأصلية يكون ترشيحا يؤدي إلى خلل الكلام عن الاخبار بكثرة الجود إلا أن يقال إن الطول بالضم مستعار للاتساع في العطاء وهو ترشيح باعتبار أصله

٣ - قال ابن يعقوب : ذكر عبد القاهر فيما سماه المصنف تخيلا ما يناسب ما ذكره المصنف فقال في يد الشمال اليد ثبتت للشمال مع أنها ليست من لوازمه لالمعنى نقلت له بل لتدل على تشبيه الشمال بمالك له تصرف ؛ ولكن لم يسم التشبيه الذي جعلت اليد دليلا عليه استعارة لا بالكناية ولا بغيرها وإنما قال : اليد استعير ليدل على التشبيه ؛ وأما السكاكي فجعل المنية استعارة بالكناية لأنها استعيرت للسمع ادعاء وجعل التخيلية هي الأظفار على أنها نقلت لصورة وممية

٤ - لا فرق بين رأى الخطيب وعبد القاهر في المسكنية ، إلا أن عبد القاهر نظر إلى الرادف وفصل الكلام فيه والخطيب نظر إلى التشبيه وتكلم عن المحذوف والمذكور منه كما تكلم السكاكي عن المشبه والسعد وغيره عن المشبه به . ومذهب عبد القاهر قريب من الذوق والوجدان ويقاربه مذهب الخطيب

(١) راجع ص ١٥١ مفتاح .

غير تأويل في الوضع وقال : إنما ذكرت هذا القيد ، يعني قوله « من غير تأويل في الوضع » ، ليحترز به عن الاستعارة ، وفي الاستعارة تمد الكلمة مستعملة فيما هي موضوعة له على أصح القولين ^(١) ، ولأنسبها حقيقة ، بل نسميها مجازاً لغوياً ، لبناء دعوى المستعار موضوعاً للمستعار له على ضرب من التأويل ^(٢) كما مر

(١) وهو القول بأن الاستعارة مجاز لغوي لكونها مستعملة في غير الموضوع له الحقيقي فيجب الاحتراز عنها ، وأما على القول بأنها مجاز عقلي واللفظ مشتمل في معناه للغوي أي وهذا الفرد الغير المتعارف كالشجاع مثلاً في رأيت أسداً يرمى ، معنى لغوي للأسد بسبب الادعاء وجعل الأسد شاملاً له ، وضعف ذلك القول لأن الاستعارة وإن بولغ فيها في التشبيه حتى أدعى دخول المشبه في جنس المشبه به لا يقتضي ذلك كونها مستعملة فيما وضعت له ابتداءً ، وإنما هي مستعملة في غير ما وضعت له بالإصالة ، فلا يصح الاحتراز عنها : والحاصل أن الاستعارة موضوعة قطعاً على كل قول وإنما الخلاف في أنها مجاز لغوي بمعنى أن التصرف فيها في أمر لغوي وهو اللفظ لأنه استعمل في غير ما وضع له ابتداءً أو عقلي بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي وهو جعل غير الأسد أسداً وأما اللفظ فهو المستعمل فيما وضع له فعلى الثاني هي حقيقة لغوية لا يصح إخراجها وإنما يخرج به المجاز المرسل ، وعلى الأول لا يخرج بالوضع للاتفاق على وضعها بل يخرج بقولاً من غير تأويل ، لأن وضعها للتشبيه بتأويل لى إبداع أنه من جنس المشبه به الذي وضع له اللفظ أصالة .

(٢) أي وضعاً ملتبساً بتأويل وصرف للوضع عن الظاهر فيه وذلك بإدعاء دخول المشبه في جنس المشبه به يجعل أفراداً قسمين متعارف وغير متعارف

[تعريف السكاي للمجاز اللغوي^(١)]:

ثم عرف المجاز اللغوي بالسكاي المستعملة في غير ما هي موضوعه^(٢) له بالتحقيق^(٣) : استعمال^(٤) في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقة لها ، مع قرينة ماذنة عن ارادة معناها في ذلك النوع^(٥) ، وقال : فولى بالتحقيق

(١) ص ١٥٣ مفتاح.

(٢) أى في معنى مغاير للمعنى الذى وضعت الكلمة له :

(٣) أى وضعا ملائما للتحقيق أى لتحقيقه أى تثبيته وتقريره فى أصله بأن يبقى ذلك الوضع على حاله الاصلى الذى هو تعيين اللفظ الدلالة على المعنى بنفسه فخرج بقوله غير ما وضعت له الكلمة المستعملة فى ما وضعت له وضعا حقيقيا وأدخل بقيد التحقيق الكلمة المستعملة فيها وضعت له بالأوّل الذى هو كون اللفظ بحيث يستعمل فى ما أدخل بالادعاء فى جنس الموضوع له بالتحقيق .
(٤) أى المستعملة استعمالا فى غير ما هي موضوعه له ، وصرح به مع فهمه من قوله وفى غير ما وضعت له ، نوطئة لذكر الغير بعده ليتعلق به قوله . بالنسبة ، فالمعنى أن المجاز هو الكلمة المستعملة فى معنى مغاير للمعنى الذى وضعت له الكلمة وضعا حقيقيا وتلك المغايرة بين المعنيين بالنسبة إلى نوع حقيقة الكلمة عند المستعمل أى بالذبة إلى كونها حقيقة أى بالنسبة إلى معناها الموضوع له عند المتكلم . فقوله بالنسبة متعلق بالغير .

(٥) أى الحقيقى عند المستعمل لغويا أو شرعيا أو عرفيا . وخرج بذلك الكناية واللام فى الغير للعهد أى المستعملة فى معنى غير المعنى الذى السكاي موضوعه له فى اللغة أو الشرع أو العرف ، غير بالنسبة إلى نوع حقيقة الكلمة حتى لو كان نوع حقيقة لغويا تكون الكلمة قد استعملت فى غير معناها اللغوي فتكون مجازا لغويا وعلى هذا القياس ، وقوله استعمالا فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقة بمرلة قولنا فى اصطلاح به التخاطب لأن معناه أن المجاز كلمة مستعملة فى غير المعنى الذى يقع به التخاطب والاستعمال وهذا يفيد ما أفاده التعبير الأول .

احتراز أن لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز ، نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له على ما مر^(١) ، وقوله استعمالاً في في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقة بمزلة قولنا في تعريف المجاز في اصطلاح به التخطاب على ما مر ؛ وقوله مع قرينة الخ احتراز عن الكناية كما تقدم

[نقد التعريفين]

وفيها نظر :

(١ -) لأن لفظ الوضع وما يشتق^(٢) منه إذا أطلق^(٣) لا يفهم

منه الوضع بتأويل^(٤) وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق ، لما سبق من

(١) فقيده بالتحقيق ، لتدخل الاستعارة التي هي مجاز لغوي في تعريف المجاز على ما مر من أنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل لا بالتحقيق ، فلو لم يقيد الوضع بالتحقيق لم تدخل هي في التعريف لأنها ليست مستعملة في غير ما وضعت له بالتأويل بل هي مستعملة فيما وضعت له بالتأويل ، وظاهر عبارة صاحب المفتاح هنا فاسد ، لأنه قال : وقرئ بالتحقيق لإحتراز عن أن لا تخرج الاستعارة ، وظاهر أن الاحتراز إنما هو عن خروج الاستعارة إذ هذا تدخل في التعريف لا عن عدم خروجها ، فيجب أن تكون ، لا زائدة ، أو يكون المعنى احتراز لئلا تخرج الاستعارة أي لأجل تحقيق عدم خروجها الذي هو دخولها .

(٢) كالموضوعة مثلاً .

(٣) أي عن التقييد بالتحقيق أو بالتأويل والمراد بالتأويل ادعاء دخول المشبه

في جنس المشبه به

(٤) بل ينصرف للفرد الكامل وهو الوضع الحقيقي ، لأن السكاكي قد =

تفسير الوضع 'فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل ، وفي تعريف المجاز بالتحقيق اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لاتميم^(١) الحد

(٢ -) ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بد منه في تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق^(٣) ، وقد أهمله في تعريفها ؛ لا يقال

== فسر الوضع المطلق بتعيين اللفظ بأزاء المعنى بنفسه أى من غير قرينة ، وقال : وقول : بنفسه ، احتراز عن المجاز المعين بأزاء معناه بقرينة ولا شك أن دلالة الاسد على الرجل الشجاع على وجه الاستعارة إنما هو بالقرينة . وظاهر أن هذا المجاز موضوع بالوضع الشخصى مع أن المقرر أنه موضوع بالنوع [راجع ١٧٤ ج ٤ ؛ ابن يعقوب] - فحينئذ لا حاجة إلى تقييد ذلك الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل لأجل إخراج الاستعارة لأنها خارجة بقوله " ما وضعت له " ، ولا إلى تقييد الوضع في تعريف المجاز بالتحقيق لأجل ادخال الاستعارة لأنها داخلة في التعريف بغير الوضع ولا يحتاج لفيد التحقيق بعده لإدخالها فيه .

(١) هذا جواب أول عن السكاكى وهو جواب بالتسليم ويمكن أن نجيب بعدم التسليم وذلك بأن نقول : الوضع إذا أطلق يتناول الوضع بالتأويل بحسب ما عرض للوضع من الاشتراك اللفظى فاتى السكاكى بالفيد ليدل على أن المراد بالوضع في التعريف ليس مطلق الوضع الشامل للتحقيق والتأويل بل المراد به التحقيق فقط .

(٢) لأنه مستعمل فيما وضع له في الجملة أى باعتبار بعض الاصطلاحات وهو ==

قوله في تعريفها «من غير تأويل في الوضع» أثبتني عن هذا القيد، فإن استعمال اللفظ فيما وضع له في غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويل في وضعه، لأن التأويل في الوضع يكون في الاستعمارة على أحد القولين دون سائر أقسام المجاز؛ ولذلك قال «وأما ذكرت هذا القيد

= اصطلاح اللغويين وإن لم يكن ما وضع له في هذا الاصطلاح ويمكن الجواب عن هذا

١ - بأن قيد الحقيقة مراد في تعريف الأمور التي تختلف باختلاف الاعتبارات، ولا يخفى أن الحقيقة والمجاز كذلك، لأن الكلمة الواحدة كلفظ الصلاة بالنسبة إلى المعنى الواحد كالدعاء قد تكون حقيقة أي باعتبار وضع اللغة وقد تكون مجازاً أي باعتبار وضع الشرع، بحسب وضعين مختلفين، فالمراد أن الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من حيث إنها موضوعة له لاسيما أن تعليق الحكم - وهو الاستعمال المأخوذ من مستعملة - بالوصف -

وهو الوضع المأخوذ من وضعت - مفيد للمعنى المراد، كما يقال: الجواد لا يخيب سائله، أي من حيث أنه جواد، وحينئذ يخرج عن التعريف مثل لفظ الصلاة المستعملة في عرف الشرع في الدعاء لأن استعماله فيه ليس من حيث إنه موضوع للدعاء بل من حيث إن الدعاء جزء من الموضوع له وهو الهيئة المأخوذة من الأفعال والأفعال حيث إن الدعاء جزء من الموضوع له وهو الهيئة المأخوذة من الأفعال والأفعال ٢ - وقد يجاب بأن قيد اصطلاح به التخاطب، مراد في تعريف الحقيقة لكنه اكتفى بذكره في تعريف المجاز لكون البحث عن الحقيقة غير مقصود بالذات في هذا الفن. ويرد بأن التعريفات يجب أن يكون كل واحد منها مستقلاً منقطاً عن غيره.

٣ - أو بأن اللام في الوضع للمهد أي الوضع الذي وقع به التخاطب فلا حاجة إلى هذا القيد ويرد هذا بأن المهدود هو مطلق الوضع وهو أعم من الوضع الذي روعى في اصطلاح التخاطب دون غيره ولا إشعار للاعم بالأخص الذي هو المرعى في اصطلاح التخاطب فلا يخرج به ما ذكر

القييد ^(١) ليحترز به عن الاستعارة

[٣ -] ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم ^(٢)

التمثيل وهل عدده السكاكي من المجاز المفرد ^(٣) ؟ :

ومنها أنه قسم المجاز ^(٤) إلى الاستعارة وغيرها ^(٥) ، وعرف الاستعارة

(١) قوله ولأن التأويل في الوضع الخ ، هو جواب لقوله : لا يقال ، لا تعليل له كما فهم البعض .

(٢) لأن الفرس في دخذ هذا الفرس ، مشيراً إلى كتاب بين يديه . فتعمل في غير ما وضع له ، والاشارة إلى الكتاب قرينة على أنه لم يرد بالفرس معناه الحقيقي ؟

وأجيب بأن نصب القرينة يستدعي اختياره في المنصوب والشعور به وذلك مفقود في الغلط ، ثم هذا الاعتراض إنما يرد إذا كان المراد بالغلط سبق اللسان ، أما إن كان المراد به الخطأ في الاعتقاد فلا يرد بناء على أن اللفظ موضوع للبعنى الذهني لأن الغلط إنما أطلق الفرس على معناه .

(٣) راجع ص ١٥٦ من المفتاح .

(٤) أى اللغوى الراجع إلى معنى الكلمة المتضمن للفائدة .

واحترز بذلك عن اللفظ الدال على المقييد إذا استعمل في المطلق كالمرسن (أنف البعير) يستعمل في أنف الانسان من حيث أنه مطلق أنف ومن حيث تشبيهه به في الانبطاح فانه مجاز لم يتضمن فائدة لأن المعنى الاصلى للكلمة موجود في ضمن المعنى الذى استعملت فيه الآن :

(٥) لانه إن تضمن المبالغة في التشبيه فهو استعارة وإن لم يتضمنها ولكن فيه فائدة أخرى كما تقدم في إطلاق العين على الربيئة فهو غير استعارة بل مجاز مرسل ، فالمجاز المرسل ما تضمن فائدة غير المبالغة في التشبيه ، وأما اسم المقييد في المطلق فخارج عن المجاز المرسل عنده ويسمى المجاز الخالى من الفائدة .

الخامس (١١)

بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به ^(١) الطرف الآخر ^(٢) مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ^(٣) ، وقسم الاستعارة إلى المصريح بها والمسكى عنها ^(٤) ، وعنى بالمصريح بها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به ، وجعلها ^(٥) ثلاثة أضرب: تحقيقية وتخيلية ^(٥)

(١) أى باسم ذلك الطرف المذكور :

(٢) أى اسم الطرف المتروك .

(٣) أى فى حقيقة ، كما تقول رأيت أسدا تريد رجلا شجاعا مدعيا أنه من جنس الاسد فتثبت له ما يخص السبع المشبه به وهو اسم جيسه ، وكما تقول أنشبت المنية أظفارها فليس المراد بالمنية وهى اسم المشبه معناها الحقيقي وهو الموت المجرد عن السبعية الادعائية بل أريد بها معنى السبع الذى هو المشبه به ، لكن أريد معنى السبع الادعائى وهو الموت الذى ادعيت سبعيته لا السبع الحقيقى ولما أطلق لفظ المنية على السبع الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته أثبت لها ما يخص السبع المشبه به وهو الأظفار فالمراد من قوله وتريد به الآخر ، الآخر حقيقة أو ادعاء ، وتقرير الاستعارة على مذهب السكاكي هو شهت المنية وهى الموت بالسبع وادعى أنها فرد من أفراده وأن له فردين : الفرد المعلوم وهو السبع الحقيقى أى الحيوان المقترس والفرد الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته ثم أطلقا لفظ المنية على السبع الادعائى الخ .

فالمشبه به عند السكاكى سواء أكان هو المذكور أو المتروك يسمى مستعارا منه ويسمى اسم المشبه به المذكور أو المتروك مستعارا ويسمى المشبه مستعارا له .

(٤) راجع ص ١٥٨ من المفتاح .

(٥) ولم يجعل مثل هذا التقسيم [التحقيقية والتخيلية] فى المسكنية . ولعل ذلك أن المشبه به فى التحقيقية لا يكون إلا ثابتا فى الحس أو العقل والمشبه به فى التخيلية لم يكن ثابتا إلا فى الوهم والمشبه به فى المسكنية عند السكاكى لا يكون إلا =

ومحتملة للتحقيق والتخييل ، وفسر التحقيقية بما مر ، وعد التمثيل على
سبيل الاستعارة منها^(١)

وفيه نظر :

لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركبا كما سبق^(٢)
فكيف يكون قسما من المجاز المفرد ؟ ولو لم يقيد الاستعارة بالأفراد
وعرفها بالمجاز الذى أريد به ما شبه بمعناه الاصلى مبالغه فى التشبيه
دخل كل من التحقيقية والتمثيل فى تعريف الاستعارة^(٣)

== تخييليا كالسبع الادعائى فى د أنشبت المنية أظفارها بفلان ، فان المشبه
عنده هو المنية والمشب به السبع الادعائى وهو الموت المدعى سببته ، فلما كان
المشب به عنده فيها لا يكون إلا تخييليا امتنع تقسيمها للتحقيقية والتخييلية ، وأما على
رأى المصنف فى الممكنية فامتناع تقسيمها إليهما ظاهر

(١) أى من التحقيقية ، حيث قال فى قسم الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع
القطع : ومن الأمثلة استعارة وصف إحدى صورتين متزعتين من أمور لوصف
صورة أخرى أى التركيب الدال على إحدى الصورتين للآخرى .

وقول الخطيب : وعد التمثيل على سبيل الاستعارة منها ، هو موضع البحث .
(٢) إذ سبق أنه ينقل اللفظ المركب من حالة تركيبية وضع لها الى حالة أخرى

(٣) وأجيب عن هذا الاعتراض بأن السكاكى عد التمثيل قسما من مطلق
الاستعارة التصريحية التحقيقية الشاملة للأفرادية والتركيبية لا من الاستعارة
التي هى مجاز مفرد ، وقسمة المجاز المفرد الى الاستعارة وغيرها وهو المجاز المرسل
لا توجب كون كل استعارة مجازا مفردا . لأنه بين الاستعارة والمجاز المفرد عموم ==

وخصوص وجهي - كقولنا الأبيض إما حيوان أو غيره والحيوان قد يكون أبيض وقد لا يكون فنقسم المجاز المفرد إلى الاستعارة وغيرها لا يقتضي حصر الاستعارة في المجاز المفرد، وهذا الجواب جواب بتسليم كون المقسم الذي قسمه السكاكي للاستعارة وغيرها هو المجاز المفرد، والجواب الآتي بالمنع وأجيب أيضا بأن لفظ المفتاح صريح في أن المجاز الذي جعله منقسما إلى أقسام هو مطلق المجاز وليس هو المجاز المفرد لأنه قال في تعريف المجاز: إن المجاز أي اللفظ الذي يتجوز به عن موضعه سواء كان معنى أو إعرابا أو نسبة عند السلف قسمان: لغوي وعقلي واللغوي قسمان: راجع إلى معنى الكلمة وهو أن تنقل الكلمة عن معناها الأصلي إلى غيره، وراجع إلى حكم الكلمة وهو أن تنقل الكلمة عن إعرابها الأصلي إلى إعراب آخر بسبب نقصان كلمة أو زيادتها مع بقاء اللفظ على معناه، والراجع إلى المعنى قسمان: خال عن الفائدة - وهو اسم المطلق المستعمل في المفيد وعكسه فهو عند السكاكي لا تقوم ليس مجازاً مرسلًا - ومتضمن لها، والمتضمن للفائدة قسمان: استعارة وغير استعارة، وظاهر أن المجاز العقلي والمجاز الراجع إلى حكم الكلمة خارجان عن المجاز بالمعنى المذكور لأن العقلي في الاستناد والراجع لحكم الكلمة محل التجوز فيه هو الأعراب فيجب أن يريد بالراجع إلى معنى الكلمة أعم من المفرد والمركب ليصح الحصر في القسمين وأجيب أيضا بوجوه آخر:

- ١ - منها أن المراد بالكلمة اللفظ الشامل للمفرد والمركب نحو كلمة الله
- ٢ - ومنها أنها لا نسلم أن الاستعارة التمثيلية تستلزم التركيب لأن الصورة المنتزعة من متعدد لا تستدعي إلا متعددا يتزعم منه ولا تدعين الدلالة عاها بلفظ مركب بل يجوز أن يعبر عن الصورة المنتزعة بلفظ مفرد مثل المثل، وإيضافا لاستعارة التمثيلية مبنية على التشبيه التمثيلي وهو ما كان وجهه منتزعا من متعدد وهو قد يكون طرفاه مفردين فكذلك الاستعارة المبنية عليه كما في قوله تعالى: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، =

[الاستعارة التخيلية عند السكاكي ^(١)]:

ومنها أنه فسر التخيلية بما استعمل في صورة وهمية ^(٢) محضة
قدرت مشابهة لمصورة محقة هي معناه ، كلفظ الاظفار في قول

٣ - ومنها أنا لا نسلم أن التمثيل فيه استعارة مركب وإنما فيه استعارة مفرد
وكلمة واحدة وحينئذ لا تنافي بين الاستعارة التي هي قسم من المجاز المسمى بالكلمة
وبين التمثيل لأن التمثيل كلمة على هذا أيضا ، وهذا الجواب مردود للقطع بأن
مجموع اللفظ المركب هو المنقول عن الحالة التركيبية إلى حالة أخرى مثلها
وهذه الاجوبة الثلاثة مردودة ولا داعي لتفصيل الكلام على وجوه ردها

ملاحظة

الاستعارة التمثيلية: التركيب كله ، مثل وإنى أراك الخ ، فيها مستعمل عند الشيخ
في غير ما وضع له وكذلك أجزاءه مستعملة في غير ما هي موضوعة له وإن كانت
هذه الأجزاء (الكلمات التي في التركيب) كالحروف في الكلمة وهذه الأجزاء
غير مستقلة بل كل جزء مضاف إلى الأجزاء الباقية فلا يلتصق لكل جزء شيئا بل
يلتصق للتركيب كله شيء ، ويرى السعدي أن التركيب في الاستعارة التمثيلية كله
مستعمل في معناه الأصلي والمجاز إنما هو في استعمال هذا الكلام في غير معناه الأصلي

(١) راجع ١٤٢ و ١٥٨ و ١٥٩ من المفتاح

(٢) فهي كلمة لفظ لا تحقق لمعناه - أي لما عني به عند التجوز - حساً
ولا عقلاً ، لعدم إدراكه بالحواس ، ولأنه لا ثبوت له في نفس الأمر ، بل هو - أي
معناه - صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقيق العقلي أو الحسي ، ومذهب
السكاكي هذا بخلاف القوم فإنهم اظفار ، المنية عندهم أمر محقق شابه توهم الثبوت
المنية فهناك اختلاط توهم وتحقيق بخلاف ما اعتبره السكاكي فإنه أمر وهمي محض
لا تحقق له لا باعتبار ذاته ولا باعتبار ثبوته .

لهذلى " ، فانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتىال على ما تقدم ، أخذ
الوهم فى تصويرها " بصورته " ، واخترع مثل ما يلائم صورته
ويتم به شكله لها من لها من الهيئات والجوارح " وعلى الخصوص ما
يسكون قوام اغتياه للنفس به ، فاخترع للمنية صورة ، شابهة لصورة
الاظفار المحققة فأطلق عليها اسمها " (٥)

وفيه نظر :

- (١) وهو : وإذا المنية أنشبت أظفارها الخ .
(٢) أى المنية (٣) أى السبع .
(٤) وهو لوازم السبع المخترع للمنية وعلى الخصوص ما يكون كال قوام
اغتيال السبع للنفس به .
(٥) أى أطلق على ذلك المثل أعنى الصورة التى هى مثل صورة الأظفار لفظ
الاظفار ، الموضوع للصورة الحسية بعد رعاية التشبيه ، فيكون استعارة تصريحية
وتخييلية لانه قد أطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه وهو صورة
وهية شبيهة بصورة الأظفار المحققة والقرينة اضافة الأظفار إلى المنية فكونها
تخييلية لأن اللفظ نقل من معناه الاصلى لمعنى تخيل متوهم لاثبوت له فى نفس
الامر وأما كونها تصريحية فلانه قد أطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة
على المشبه وهو الصورة الوهمية والتخييلية عنده تد تكون بدون الاستعارة
بالكناية ولهذا مثل للتخييلية المنفسكة عن الممكنية بنحوه أظفار المنية الشبيهة
بالسبع ، فصرح بالتشبيه لتكون الاستعارة فى الأظفار فقط من غير استعارة
بالكناية فى المنية ، وأما عند القوم فالممكنية والتخييلية متلازمان ، وكذلك عند
المصنف ، وقال المصنف إن وجود التخييلية بدون الممكنية كما ذهب إليه السكاكى
بعيد جدا لا يوجد له مثال فى الكلام البليغ .

[١ —] لأن تفسير التخيلية بما ذكره بعيد لما فيه من التعسف ^(١)

[٢ —] وإيضاف ظاهر تفسير غيره لها بقولهم « جعل الشيء للشيء كجعل لييد للشمال يدا » يخالفه ، لاقتضاء تفسيره أن يجعل للشمال صورة متوهمة مثل صورة اليد ^(٢) لا أن يجعل لها يدا ، فإطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيقة ، والاستعارة اثباتها للشمال كما قلنا في المجاز العقلي الذي فيه المسند حقيقة لغوية

(١) لما فيه من كثرة الاعتبارات التي لا يدل عليها دليل وهي تقدير الصورة الخيالية ثم تشبيهها بالحقيقة ثم استعارة اللفظ الموضوع للمحققة لها وفيه مع الممكن عنها اعتبار مشبهين ووجهين ولفظين وقد لا يتفق أو لا يحسن إمكان ذلك في كل مادة ، بخلاف رأى المصنف والقوم المفسر بأنها اثبات الأمر المختص بالمشبه به للمشبه فانه خال عن تلك الأمور. وقيل أن التعسف هو أنه لو كان الأمر كازعم لوجب أن تسمى هذه الاستعارة توهمية لا تخيلية ، وهذا ضعيف ، لأنه يكتفى في التسمية بأدنى مناسبة على أنهم يسمون حكم الوهم تخيلا ، والحاصل أن تصوير المشبه بصورة المشبه به واختراع لوازم للمشبه بمائلة الوازم المشبه به وإن كان بالوهم لكنه نسبة للتخيال للمناسبة بينهما .

(٢) فالتخيلية عند السكاكي هي لفظ لازم للمشبه به المنقول لصورة وهمية تخيل ثبوتها للمشبه ،

هذا وكان عبد القاهر ينفى ذلك بعد أن أشار إليه ، كما تراعى الأسرار ص ٣٥ وفي الدلائل ص ٣٣٥ ، قال عبد القاهر : انه لا خلاف في أن اليد استعارة ثم أنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء اذ ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يدا .

[٣ -] وأيضا فيلزمه ان يقول: مثل ذلك - أعنى باثبات صورة متوهمة - في ترشيح الاستعارة ^(١) ، لان كل واحد من التخيلية والترشيح فيه إثبات لبعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه ^(٢) ، غير

(١) أى المصرحة ، وترشيح المصرحة جائز باتفاق أما ترشيح الممكنة ففي خلاف

(٢) فلما اثبت للمنية التي هي المشبه ما يخص السبع الذي هو المشبه به من الاظفار كذلك اثبت لاختيار الضلالة على الهدى الذي هو المشبه ما يخص المشبه به الذي هو الاشتراء الحقيقي من الربح والتجارة فكما اعتبر هنا لك صورة وهمية شبيهة بالاظفار فليعتبر هنا في الترشيح أيضا أمر وهمي شبيه بالتجارة وآخر شبيه بالربح ليكون استعمال الربح والتجارة بالنسبة اليهما استعارتين تخيليتين لإذلا فرق بينهما الا بأن التمييز عن المشبه الذي أثبت له ما يخص المشبه به كالمنية مثلا في التخيلية بلفظ الموضوع له كلفظ المنية وفي الترشيح بغير لفظه كلفظ الاشتراء المعبر به عن الاختيار والامتناع الذي هو المشبه مع أن لفظ الاشتراء ليس بموضوع له ، وهذا الفرق لا يوجب اعتبار المعنى المتوهم في التخيلية وعدم اعتباره في الترشيح فاعتباره في أحدهما دون الآخر تحكم

وجواب هذا الاعتراض هو ان الأمر الذي هو من خواص المشبه به لما قرن في التخيلية بالمشبه كالمنية مثلا جعلناه مجازا عن أمر متوهم يمكن إثباته للمشبه ، وفي الترشيح لما قرن بلفظ المشبه به لم يحتاج الى جعله مجازا عن أمر متوهم يمكن إثباته للمشبه لان المشبه به جعل كأنه هو هذا المعنى مقارنا للوازمه وخواصه حتى ان المشبه به في قولنا رأيت أسدا يفترس أقرانه ، هو الأسد الموصوف بالاقتراس الحقيقي من غير احتياج الى توهم صورة واعتبار مجاز في الاقتراس بخلاف ما إذا قلنا رأيت شجاعا يفترس أقرانه ، فاننا نحتاج الى ذلك ليصح اثباته للشجاع

أن التعبير عن المشبه في التخيلية بلفظ الموضوع له وفي الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقا، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضربا من التخيلية، وليس وكذلك

[٤ -) وأيضا فتفسيره للتخيلية أعم من أن تكون تابعة للاستعارة بالسكناء كما في بيت الهذلي، أو غير تابعة بأن يتخيل ابتداء صورة وهمية مشابهة لصورة محقة فيستعار لها اسم الصورة المحقة، والثانية بعيدة جدا، ويدل على إرادته دخول الثانية في تفسير التخيلية أنه قال: «حسنها بحسب حسن المكنى عنها متى كانت تابعة لها، كما في قولك «فلان بين أنياب المنية ومخالبها»؛ وقلمنا تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها، ولذلك استعجنيت في قول الطائي:

لا تسقى ماء الملام فأننى صب قد استعذبت ماء بكأى^(١)
فان قيل: لم لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها؟

قلنا: غير المكنى عنها هي المصريح بها فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة؛ وهو من أحسن وجوه البلاغة، فكيف يصح استعجانه؟

(١) الى هنا ينتهى كلام السكاكى «راجع في المفتاح ص ١٦٤، وبيت أبى تمام في ص ١٦٤ المفتاح، ١١٩ الموازنة، ١٦٥ المثل السائر، ٥ طراز المجالس، وهو من قصيدة فى الأدب العباسى لمحمود مصطفى ص ٤٧١

وأما قول أبي تمام فليس له فيه دليل ، لجواز أن يكون أبو تمام شبه
 الملام بظرف الشراب لاشتراكه على ما يكرهه الملام ، كما أن الظرف قد
 يشتمل على ما يكرهه الشراب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخييلية
 في قوله تابعة للسكنى عنها ، أو بالماء نفسه ، لأن اللوم قد يسكن حرارة
 الغرام ، كما أن الماء يسكن غليل الايام ، فيكون تشبيها على حد جليل
 الماء فيما مر ، لا استعارة ، والاستهجان على الوجهين : لأنه كان ينبغي
 له أن يشبهه بظرف شراب مكروه ، أو بشراب مكروه ، ولهذا لم
 يستهجن نحو قولهم « أغاظت لفلان القول وجرعته منه كأسامة ،
 أو سقيته أمر من العلقم »

[الاستعارة المسكنية عند السكاكي ^(١)] :

ومنها أنه غنى بالاستعارة المسكنى عنها أن يكون المذکور من
 طرفي التشبيه هو المشبه ^(٢) على أن المراد بالمنية في قول الهذلي السبع ،
 بادعاء السبعية لها ^(٣) وانكار أن يكون شيثافير السبع بقرينة اضافة

(١) رابع ص ١٦٠ مفتاح وما بعدها : وقد سبق شرح مذهب السكاكي
 في المسكنية .

(٢) والمصنف لا يخالفه في ذلك ، فالمذكور هو المشبه ولكن على أن يراد به
 المشبه به والمصنف يخالفه فيه فهو محل النزاع .

(٣) وأما عند المصنف فالمراد بالمنية الموت حقيقة .

الاظفار اليها^(١)

وفيه نظر:

[١ -] للقطع بأن المراد بالمنية في البيت^(٢) هو الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق^(٣) ؛ وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شيء من الاستعارات مستعملاً كذلك وأما ذكره^(٤) في تفسير قوله من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسم للسبع ، مرادف للفظ السبع ، بارتكاب تأويل ، وهو أن تدخل المنية في جنس السبع للمبالغة في التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخيل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتهماً لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية فلا^(٥) يفيد ، لأن ذلك لا يقتضى كون اسم المنية غير

(١) وتقرير الاستعارة بالكناية على رأى السكاكى هو أن تقول : شبت المنية التى هى الموت المجرد عن إدعاء السبعية بالسبع الحقيقى وادعينا أنها فرد من أفراد وأن السبع فردان : متعارف وغير متعارف وهو الموت الذى ادعيت السبعية له واستعير لاسم المشبه وهو المنية لذلك الفرد الغير المتعارف وهو الموت الذى ادعيت السبعية له .

(١) وهو قول الهذلى ، وإذا المنية أنشبت أظفارها . .

(٢) للقطع بأن المراد بالمنية هو الموت لا غير .

(٣) راجع ١٦١ مفتاح .

(٤) هذا هو جواب ، أما ، فى قوله ، وأما ما ذكره فى تفسير قوله ، .

مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل فيدخل في تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز؛ وكأنه لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه وعلى أحد نوعي المجاز اللغوي الذي هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي، ويقولون الاستعارة تنافي ذكر طرفي التشبيه، ظن أن مرادهم بلفظ الاستعارة عند الإطلاق وفي قولهم استعارة بالكناية معنى واحد فبنى على ذلك ما تقدم^(١)

(١) فالخلاصة أنه يرد على السكاكي بأنه لو أريد المنية معناها الحقيقي فما هو معنى إضافة الأظفار إليها؟

١ - والجواب أن إضافة الأظفار قرينة التشبيه المضمر في النفس على رأى المصنف يعنى تشبيه المنية بالسبع.

٢ - وقد يجاب أيضا عن هذا الاعتراض الوارد على السكاكي بأنه وإن صرح بلفظ المنية إلا أن المراد به هو السبع لإدعاء وهو الموت المدعى سبعيته كما أشار إليه في المفتاح من أنا نجعل هنا اسم المنية إسما للسبع الادعائي وصادقا عليه بأن ندخل المنية في جنس السبع للبالغة في التشبيه بجعل أفراد السبع قسمين متعارفا وغير متعارف ثم نخيل أن الواضح كيف يصح منه أن يضع اسمين كلفظي المنية والسبع الحقيقة واحدة وهي الموت المدعى سبعيته ولا يكونان مترادفين، فيتأني لنا بهذا الطريق وهو إدعاء دخول المنية في جنس السبع وتخيل أن لفظيها مترادفان دعوى السبعية للمنية - فصح بذلك أن لفظ المنية إذا أطلق عليها إنما أطلق على السبع الادعائي فصار مستعملا في غير ما وضع له وهو الموت المجرد عن دعوى السبعية له. مع صحة إطلاق لفظ المنية على ذلك السبع الادعائي لأن ذلك لازم للترادف بين اللفظين. =

[رأى السكاكى فى الاستعارة التبعية ^(١)]:

ومنها أنه قال فى آخر فصل الاستعارة التبعية :

هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب فى هذا الفصل ، ولو

== وفى هذا الجواب نظر لأن ما ذكره من إيداع السبعية للنية أى الموت لا يقتضى كون المراد بالمنية غير ما وضعت له بالتحقيق حتى يدخل فى تعريف الاستعارة للقطع بأن المراد بها الموت وإيداع السبعية للموت لا يخرجها عن إطلاقها على معناها الحقيقى فى نفس الأمر إذ الادعاء لا يخرج الأشياء عن حقائقها . وهذا اللفظ موضوع له بالتحقيق وجعله مرادفاً للفظ السبع بالتأويل المذكور لا يقتضى أن يكون استعماله فى الموت استعارة

٣ - وقد يجاب أيضاً عن الاعتراض الوارد على السكاكى بأنه قد سبق أن قيد الحيثية مراد فى تعريف الحقيقة أى هى الكلمة المستعملة فيما هى موضوعه له بالتحقيق من حيث إنه موضوع له بالتحقيق ولا نسلم أن استعمال لفظ المنية فى الموت فى مثل أظفار المنية استعمال فيما وضع له بالتحقيق مثله فى قراسا دنت منية فلان ، بل من حيث أن الموت جعل من أفراد السبع الذى لفظ المنية موضوع له بالتأويل . وهذا الجواب وإن كان مخرجاً له عن كونه حقيقة إلا أن تحقق كونه مجازاً ومراداً به الطرف الآخر غير ظاهر بعد لجواز أن لا يكون حقيقة ولا مجازاً بل واسطة .

(١) راجع ص ١٦٣ من المفتاح .

وخلاصة رأى السكاكى فى ذلك أنه يختار رد قرينة الاستعارة التبعية الى المسكنية ويرد التبعية الى قرينة المسكنية .

والاستعارة التبعية كما سبق هى ما تكون فى الحروف والأفعال وما يشق منها كاسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان والمسكان والآلة فهو يجعل قرينة التبعية استعاره مسكنية ==

أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالسكناية ، بأن قلبوا ، فجعلوا في قولهم « نطق الحلال بكذا » الحلال التي ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالسكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق اليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم في قوله [أبي ذؤيب] :
واذا المنية أنشبت أظفارها

يجعلون المنية استعارة بالسكناية عن السبع ، ويجعلون اثبات الأظفار لها قرينة الاستعارة ^(١) ، وهكذا لو جعلوا البخل ^(٢) استعارة بالسكناية عن حي أبطلت حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة الاستعارة ، ولو جعلوا أيضا اللهدميات ^(٣) استعارة بالسكناية عن المطعومات اللطيفة الشبيهة على سبيل التهكم ، وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة الاستعارة ، لكان أقرب إلى

== وهذا إنما يمكن إذا كانت قرينة التبعية لفظية أما إذا كانت حالية فلا يمكن ، إذ ليس هناك لفظ يجعل استعارة بالسكناية ، وهذا مما يذهب السكاكي ، وذلك كما في قوله تعالى « لعلمهم يتقون » ، فإن لعل استعارة تبعية لإرادته تعالى ، والقرينة استحالة الترجي لكونه علام الغيوب

- (١) أى ويجعلون الأظفار المضافة إليها قرينتها لأنها عنده استعملت في صورة وهمية كما مر ، لأن ذلك هو الملائم لمذهب السكاكي .
(٢) أى في قول ابن المعتز « قتل البخل وأحيا السباحا » .
(٣) أى في قول الشاعر : تهريم لهدميات .

الضبط

هذا لفظه ^(١) ، وفيه نظر :

لأن التبعية التي جعلها قرينة تقرينتها التي جعلها استعارة بالسكناية كنطقت في قولنا «نطقت الحال بكذا» لا يجوز أن يقدرها حقيقة ^(٢) حينئذ لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية لأن الاستعارة التخيلية عنده ^(٣) مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخيلية ، لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخيلية ^(٤) واللازم باطل بالاتفاق ^(٥) ، فيتعين أن يقدرها

(١) وإنما إختار السكاكي ذلك لإثارة للضبط وتقليل الأقسام لأنه على هذا لا تكون الاستعارة أصلية أو تبعية ، بل أصلية فقط .

(٢) بأن يراد بها معناها الحقيقي وهو النطق .

(٣) أي عند السكاكي لا عند القوم والمصنف ، لأنه جعلها من أقسام الاستعارة المصرح بها المفسرة بذكر اسم المشبه به وإرادة المشبه إلا أن المشبه في التخيلية يجب أن يكون مما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل وهما فتكون مستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق فتكون مجازا .

(٤) أي فيصع وجود المكنى عنها بدون التخيلية وذلك لأن المكنى عنها قد وجدت بدون التخيلية في مثل نطقت الحال بكذا على هذا التقدير .

(٥) لا تفاقهم على لزوم التخيلية للمكنية . وإنما الخلاف في أن التخيلية هل تستلزم المكنى عنها : فعند السكاكي لا تستلزم كما في قولنا أظفار المنية الشبيهة بالسبع ، فالأظفار أطلقت كما قال السكاكي على أمور وهمية تخيلا مع أنه ليس في الكلام مكنى عنها لوجود التصريح بالتشبيه ، وأما عند غير السكاكي فإن التخيلية تستلزم المكنية كما أن المكنية تستلزم التخيلية فالتلازم عند غير السكاكي من الجانبين وعنده المكنية تستلزم التخيلية دون العكس ؛ فالهال وأظفار المنية الشبيهة بالسبع =

بجازا ، واذا قدرها بجازا لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة ، لسكون العلاقة بين المعنيين هي الشابهة ، فلا يكون ما ذهب اليه مغنيا عن قسمة الاستعارة إلى أصلية وتبعية ، ولكن يستفاد مما ذكر رد التركيب في

== عندهم إذا صح يجعل من ترشيح التشبيه وليس في الكلام مكنية ولا تخيلية .

وقال صدر الشريعة جوابا للسكاكي وردا لاعتراض المصنف : مراد السكاكي بقوله ، لا تفك المكنى عنها عن التخيلية ، أن التخيلية مستلزمة للمكنى عنها في وجدت التخيلية وجدت المكنية ، لا العكس وهو أن المكنية مستلزمة للتخيلية كما فهمه المصنف .

ورأى صدر الشريعة فاسد لا صحة له نعم يمكن أن ينازع في الاتفاق على استلزام المكنى عنها للتخيلية ، قال الخطيب : لا نسلم الاتفاق على أن المكنية تستلزم التخيلية لأن السكاكي يجري على أن المجاز العقلي استعارة بالكناية وليس مستلزما للتخيلية اذ قرينه عند السكاكي قد تكون حقيقة كالانبات في أنبت الربيع البقل ، وقال السكاكي في المجاز العقلي : قرينة المكنية اما أمر وهمي فتكون تخيلية أو أمر محقق فلا تكون تخيلية وكلام السكاكي مشعر كذلك بعدم التلازم فقد قال ، ينقضون عهده ، النقض استعارة تحقيقية تصريحية لأبطال العهد وهي قرينة للمكنى عنها التي هي العهد اذ هو كناية عن الحيل فقد وجدت المكنية بدون التخيلية عند الزمخشري ، وكلام السكاكي في المجاز العقلي من أن قرينة المكنية اما أمر وهمي فتكون تخيلية كاظفار المية وإما أمر محقق فلا تكون تخيلية كالانبات في أنبت الربيع البقل فالربيع شبه بالفاعل الحقيقي تشبيها مضمرًا والانبات قرينة ، إلا أن ما صرح به السكاكي في المجاز العقلي لا يدفع الاعتراض عليه مطلقا لأنه وإن دفع الاعتراض عليه بأن عدم الاستلزام باطل باتفاق لا يدفع الاعتراض الثاني عليه وهو لزوم القول بالتبعية لأنه قد صرح في المجاز العقلي بأن ، نطق ، مستعمل في غير ما وضع ==

التبعية الى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها ، وتصير
التبعية حقيقة واستعارة تخيلية لما سبق أن التخييلية على ما فسرناها
حقيقة لا مجاز .

فصل

[شروط حسن الاستعارة] :

وإذ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية ^(١) والاستعارة التخيلية
والاستعارة بالكناية والنمیل على سبيل الاستعارة ، فاعلم أن لحسنها
شروطاً إن لم تصادفها عريت عن الحسن ، وربما تسبب قبحها :

= له وهو أمر وهمي جمل قرينة للمكنى عنها - لأن ذلك الأمر الوهمي غير
الموضوع له - فيكون مجازاً ولا شك أن علاقته المشابهة للنطق فيكون استعارة ،
ولا شك أنه فعل والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فقد اضطر الى
اعتبار الاستعارة التبعية ، وأيضاً يعترض على السكاكي بأنه لما جوز وجود
الممكنة بدون التخيلية كما في أنبت الربيع البقل ووجود التخيلية بدونها كما
في أظفار المنية الشبيهة بالسبع فلا جهة لقول السكاكي إن الممكنة عنها لا تنفك عن
التخيلية لانهما قد انفكت عنده في أنبت الربيع
هذا والحاصل من مذهب السكاكي في قرينة الممكنة أن قرينة الاستعارة
بالكناية قد تكون استعارة تخيلية مثل أظفار المنية ونظفت الحال ، وقد تكون
حقيقة كما في أنبت الربيع ، وقد تكون استعارة تحقيقية على ما ذكر في قوله تعالى
يا أرض ابلئ ماءك ، أن البلع استعارة عن غور الماء في الأرض والماء استعارة
بالكناية عن الغذاء ، فالبلع مستعار لغوري استعارة تحقيقية وهي قرينة للممكنة ،
(١) هي كما سبق التي تحقق معناها حساً أو عقلاً وهي ضد التخيلية ، وذكر
النمیل على سبيل الاستعارة بعد ذلك بالعطف يكون من عطف المبيان إن خصت
التحقيقية بالافرادية وإن لم تخص بالافرادية كان من عطف الخاص على العام

١٦ -] وهي في كل من التحقيقية والتخييل رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه ^(١) ، وألا يشم ^(٢) من جهة اللفظ رائحته ،

(١) أي بملاحظة الأسباب المحصلة لحسن التشبيه بأن يكون : وجه الشبه شاملا للطرفين أي متحققا فيهما - وإفيا بإفادة ما علق به من الغرض كبيان إمكان المشبه الخ ، ونحو ذلك مثل كون الوجه غير مبتذل بأن يكون غريبا لطيفا لأحد الأسباب السابقة في غرابة وجه الشبه . هذا والصحيح أن شمول وجه الشبه للطرفين شرط من شروط الصحة لا من شروط الحسن فالأولى إسقاطه ، وقال العدوي : المراد بكونه متحققا فيهما أي على أنه جزء من مفهوم كل منهما أو لازم لهما فإن وجد في أحدهما دون الآخر بأن كان في أحدهما جزء من مفهومه وفي الآخر لازمات الحسن وعلى هذا يندفع الاعتراض

(٢) هذا هو الشرط الثاني من شروط حسن الاستمارة وهو أن لا يشم رائحة التشبيه لفظا أي بأن لا يشم في شيء من التحقيقية والتخييل رائحة التشبيه من جهة اللفظ ؛ أما شم التشبيه من جهة المعنى فهو موجود في كل استمارة بواسطة القرينة ؛ وشم رائحة التشبيه لفظا :

١ - إما أن يكون ببيان المشبه كما في الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، فإن قوله من الفجر ، هو المشبه بالخيط الأبيض ، والكلام وإن كان ليس على صورة التشبيه ، لكن تفسير الخيط الأبيض بالفجر جعل التشبيه ، قدرا أي الخيط الأبيض الذي هو شبيه بالفجر .

ب - وإما أن يكون بذكر وجه الشبه لأن ذكره ينفي عن التشبيه ويهدي إليه في التركيب

ج - وأما أن يكون بذكر الأداة مثل زيد كالأسد .

وأما أن يكون بذكر المشبه على وجه لا ينفي عن التشبيه مثل زر أزراره على القمر ، ، حيث ذكر فيه ضميرا للمشبه وهو المحبوب لكن ليس على =

ولذلك يوصى فيه أن يكون الشبه ^(١) بين طرفيها ^(٢) جليبا بنفسه ^(٣)
أو عرف ^(٤) أو غيره ^(٥)، والا صار تسمية ^(٦) وإلغازا لا استعارة
وتمثيلا، كما إذا قيل رأيت أسدا وأريد إنسان أبخر، وكما إذا قيل
رأيت ^(٧) إبلا مائة لا تجد فيها راحلة، وأريد الناس أو قيل رأيت عودا

== وجه ينفي عن التشبيه، فلا يبطل ذلك الاستعارة بعكس الوجوه السابقة في شم
رائحة لفظ التشبيه فتبطل الاستعارة.

فشرط الحسن هو إذا انتفاء الاشتمام الذي لا يخرج به الكلام عن الاستعارة
وإلا فهو شرط في الصحة؛ فراد المصنف الأول لا الثاني.

وإنما كان هذا شرطا من شروط الحسن في الاستعارة لأن شم رائحة التشبيه
يبطل كمال الغرض من الاستعارة أعني ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به،
لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى في وجه الشبه والغرض من الاستعارة
مساواتهما فيه

وراجع ذلك في ص ١٦٤ مفتاح، و ص ٢٤٦ من الدلائل

(١) أى وجه الشبه

(٢) أى بين طرفي الاستعارة

(٣) لكونه يرى مثلا كما في تشبيه الثريا بعنقود ملاحية

(٤) أى عام كما في تشبيه الرجل بالشجاعة في الجراءة فوصف الجراءة ظاهر
في الأسد عرفا

(٥) كاصطلاح خاص كتشبيه نائب الفاعل بالفاعل في حكم الرفع مثلا

(٦) وذلك لأنه إذا لم يكن وجه الشبه ظاهرا بل كان خفيا وانضم ذلك لخفاء

التشبيه بواسطة عدم شم رائحته اجتمع خفاء على خفاء فتكون الاستعارة لإلغازا

(٧) راجع ٢/٣١ بيان

مستقيماً أو ان الغرس وأريد انسان مؤدب في صباه وبهذا ظهر أنهما لا يحيثان في كل ما يجيء فيه التشبيه .

ومما يتصل بهذا أنه اذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل ، لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة ^(١) ؛ وذلك كالنور اذا شبه العلم به ، والظلمة اذا شبهت الشبهة بها ، فانه لذلك يقول الرجل اذا فهم المسألة : حصل في قلبي نور ، ولا يقول : كأن نوراً حصل في قلبي ، ويقول لمن أوقعه في شبهة : أوقعتني في ظلمة ولا يقول : كأنك أوقعتني في ظلمة

ملاحظة .

كل ما يتأتى فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس فيبينهما عموم مطلق لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلي فتصير الاستعارة إلغازاً فان قيل قد سبق أن حسن الاستعارة برعاية جهات حسن التشبيه ومن جعلها أن يكون وجه الشبه بعيداً غير مبتذل فاشتراط جلالة في الاستعارة يتأتى ذلك ؛ فالجواب أن الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا يصير إلغازاً ومن الغرابة بحيث لا يصير مبتذلاً .

(١) أى عند ارادة الاتيان بالحسن ، لا أن التشبيه ممتنع ويجب الاستعارة ، بل التشبيه في تلك الحالة جائز إلا أنه غير حسن . فالتشبيه والاستعارة الحسنان بينهما عموم وخصوص وجهي لصادقهما حيث لا اتحاد ولا خفاء وانفراد الاستعارة حيث وجد الاتحاد وانفراد التشبيه حيث وجد الخفاء ، وأما الاستعارة الحسنة ومطلق التشبيه فيبينهما عموم وخصوص مطلق ، وأما مطلق الاستعارة ومطلق التشبيه فهما متعددان محلاً ، والتشبيه أعم محلاً كما سبق

[٢ -] وكذا ^(١) الممكنى عنها حسناتها برعاية جهات حسن التشبيه ^(٢)

[٣ -] وأما التخيلية فحسنها بحسب حسن الممكنى عنها لما بينا أنها لا تكون إلا تابعة لها ^(٣)

(١) ١٦٤ مفتاح

(٢) وأما عدم إتيان راحة التشبيه لفظا فلا يشترط فيها لأن من لوازم الممكنية ذكر ما هو من خواص المشبه به وذلك يدل على التشبيه فلا ضرر في خفاء وجه الشبه فيها وأما القرينة الموجودة في الاستعارة مطلقا فهي وإن ظهر بها قصد التشبيه لكن خفاء وجه الشبه يكسر سورتها

فالممكنية تشبيه مضمر على مذهب المصنف ، وأما عند القوم فهي لفظ المشبه به المضمر في النفس المرموز إليه بذكر لوازمه .

(٣) فحسنها تابع لحسن الممكنية فيستغنى عن ذكر حسناتها بذكر حسن الممكنى عنها لأنها لا تكون إلا تابعة للممكنى عنها وليس لها في نفسها تشبيه بل هي حقيقة عند المصنف وأما السكاكي القائل بعدم وجوب تبعيتها للممكنى عنها فيقول إن كانت تابعة لها كما في أظفار المية حسنت بحسنها وقبحت بقبحها وإن كانت غير تابعة لها فقلنا نحسن . ولكن إذا كانت التخيلية استعارة تصريحية عند السكاكي فلم لا نقول إن حسناتها برعاية جهات التشبيه؟ وكونها تابعة حيناً للممكنية لا يقتضى أن حسناتها تابع لحسنها ، نعم يقتضى أن حسن الممكنية موجب لمزيد حسنها

ملاحظات :

١ - السر في جمال الاستعارة .

١ - قال المتنبي لسيف الدولة وقد حارب الأعداء :

رميهم يبحر من حديد له في البر خلفهم عباب =

== شبه جيشه بالبحر في اتساعه وكثرة حركاته الشبيهة بحركات الموج المتلاطم
ثم اكتفى من التشبيه بالمشبه به - وهو كلمة بحر - فكان الأسلوب استعارة لها
جمالها وروعها وقوة تصويرها للمعنى وتأثيرها في نفوس السامعين .
٢ - وقال الخطيب يستعطف عمر بن الخطيب اب يطلقه من الحبس ليحول
أولاده الصغار الجياع :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لأماء ولا شجر
أفراخ : استعارة والمراد بها ألقاله الصغار ، فعبر الشاعر عنهم بهذا الأسلوب
المؤثر الجميل .

٣ - وقال تعالى : واشتعل الرأس شيبا ، أى ظهر بياض المشيب كما يظهر
ضوء النار المشتعلة .

في كل من الأساليب الثلاثة استعارة ، لها جمالها وروعها وبلاغتها ، فما السر
في ذلك ؟

السر في جمال الاستعارة يتلخص في :

١ - أنها تصور المعنى تصويرا قويا مؤثرا في نفس السامع

٢ - وأنها تؤدي المعنى بإيجاز

٣ - تحقيقها لغرض القائل الذى يقصده من الكلام .

فالخلاصة : أن السبب في بلاغة الاستعارة أنها تفيد القوة في تصوير المعنى مع شدة
تأثيرها في نفوس السامعين . أما التشبيه فيفيد الإيضاح والشرح ولذلك يكثر
استعماله في باب الوصف .

ب - متى تحسن الاستعارة :

١ - جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السامحا

٢ - لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

٣ - وعد البدر بالزيارة ليلا فاذا ما وفى قضيت نذورى ==

= في الأمثلة السابقة استعارات جميلة ، السرف في جمالها أنها تصور المعنى تصويراً جميلاً قوياً مؤثراً .

وفي الأمثلة الآتية :

- ١ - ملك مشد القريض لديه يضع الثوب في يدي براز
- ٢ - وحرام عليك أن تقرعيها مئة قلبي بدمعك المهرق
- ٣ - أغركم طول الجيوش وعرضها على شروب للجيوش أكل
- ٤ - أكل هذا الرجل ما كذب أباه له من المجد .

فيها استعارات نادرة قبيحة ، لأنها لا تصور المعنى تصويراً جميلاً قوياً مؤثراً .
لان فيها تعقيداً مهنياً ولو أننا قلنا في بيت الخطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لاما . ولا شجر

ماذا تقول لأشبال ، لمكانت الاستعارة قبيحة غير حسنة ، لان التعبير عن الطفل الصغير بالفرخ يصور ضعفه وحاجته للرعاية فيكون ذلك أدعى الى الاستعطاف ، أما التعبير عن الطفل الصغير بالأشبال فانه لا يصور ما يريد الشاعر من الضعف ولا يحقق ما قصد إليه من الاستعطاف

الخلاصة :

١ - حسن الاستعارة ينشأ عن اختيار أليق مشبه به يصور المشبه تصويراً قوياً جميلاً مؤثراً يحقق الغرض من الكلام .

٢ - وقع الاستعارة ينشأ عن اختيار مشبه به غير لائق لأنه لا يصور المشبه تصويراً قوياً أو جميلاً أو مؤثراً .

ج - اختلاف الأذواق في تقدير الاستعارة :

١ - تقول العرب في الاستعارة : أناخ عليه بكلكله ، ووطئه بمنسمة وألتي الحبل على الغارب . وما زال يقتل منه في الذروة والغارب ، ولا ناقة لي فيها ولا جمل . =

فصل^(١)

[المجاز بالحذف]

واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما

= وهي استعارات مأخوذة من الجمل ، وهو أكثر حيواناتهم فائدة لهم في الصحراء .

وفي الدول البحرية نجدهم يقولون : هبت أعاصير الحرب ، ورسى سفينة الدولة في مرفأ أمين ، ودقة الحكومة في يدى بطلها .

ويقول العرب إذا ساء ما بين الصديقين : يدس الأثرى بينهما ، ويقول أمم الشمال : وجد الثلج بينهما ، والعربي لا يستسيغ الأسلوب الثاني وجد الثلج بينهما ، ولا يقبله ذوقه .

ومن هذا ترى أن الاستعارة تختلف باختلاف البيئات .

٢ - ويقول أبو نواس :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
يقول سابقت الغواة في السغي ، وأرسات نفسي حيث شامت في مسارح اللهو
فالشطر الأول استعارة مركبة ، وفي الشطر الثاني استعارة حيث شبه شمواته
بالابل التي ترعى العشب .

وهاتان الاستعارتان مأخوذتان من مشاهد الحياة في العصور القديمة أما الآن فقد بطلت هذه المشاهد وتغيرت تلك المعالم ومن هنا نعرف أن الأذواق تختلف في تقدير الاستعارة باختلاف العصور أيضا .

(١) راجع ص ١٦٦ مفتاح ، ٣٦٢ أسرار - هذا ولفظ المجاز وضع بوضعين :

أحدهما للكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لملاقاة مع قرينة .

والثاني للكلمة التي تغير حكم إعرابها الأصلي فيكون لإطلاق المجاز عليها

حقيقة على هذا الاحتمال . =

مضى ، توصف به أيضا لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره ، لحذف لفظ أو زيادة لفظ :

أما الحذف : فيك قوله " تعال إلى « واسأل القرية » أى أهل القرية ، فأعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونحوه قوله تعالى « وجاء ربك » أى أمر ربك ، وكذا قولهم « بنو فلان يطؤون الطريق » أى أهل الطريق

== وقيل أن الكلمة التى فيها مجاز بالحذف شابهت الكلمة المستعملة فى غير معناها الأصلى بجامع الانتقال عن الأصل فى كل ، وعلى هذا الاحتمال فإطلاق لفظ مجاز على الكلمة التى تغير إعرابها الأصلى مجاز بالاستعارة .

وقسم الغزالى المجاز إلى ١٤ قسما وجعل منها الزيادة فى الكلام بغير فائدة مثل فيما رحمة من الله لنت لهم . قال ابن الأثير : وهذا القول لا أراه صوابا فهذا القسم ليس من المجاز لأن المجاز دلالة اللفظ على غير ما وضع له فى أصل اللغة وهذا غير موجود فى الآية على أن ما ليست بزيادة لأنها لتفخيم الأمر وهى محض الفصاحة (١٤٣ و ١٤٥ المثل السائر) .

(١) راجع ١/٧٢ الكامل للبرد .

ملاحظات : ١ - إذا لم يتغير حكم الأعراب بالزيادة مثل : فيما رحمة من الله ، وكذلك إذا لم يتغير بالنقص مثل أو كصيب من السماء ، أى كدوى صيب ، فلا تسمى الكلمة مجازا على الأصح .

٢ - « واسأل القرية » أى أهلها مجاز بالحذف ، وإن جعلت القرية مجاز عن أهلها لم تكن من هذا القبيل بل من قبيل المجاز بمعنى أن الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة وقربنة لأنها حينئذ مجاز مرسل من إطلاق اسم المحل على الحال .

وأما الزيادة:

فكقوله تعالى: « ليس كمثله شيء »^(١) على القول بزيادة الكاف

(١) فالمقصود نفي أن يكون شيء مثل الله تعالى لانفي أن يكون شيء مثل مثله لأنه لا مثل له حتى ينفي عن ذلك المثل من يكون مثله ، فالحكم الأصلي في مثله هو النصب لأنه خبر ليس وقد تغير إلى الجر بسبب زيادة الكاف .

هذا وظاهر عبارة المفتاح أن الموصوف بهذا النوع من المجاز هو نفس الاعراب المستعمل في غير محله الأصلي ، وما ذكره المصنف من أن الموصوف بكونه مجازا في هذا النوع هو الكلمة التي تغير إعرابها هو الأقرب ؛ ما قاله السكاكي من أن الموصوف بذلك هو الاعراب المستعمل في غير محله الأصلي وذلك لوجهين ١ - أنه على رأى المصنف يكون لفظ المجاز مدلوله في الموضعين هو الكلمة ٢ - أن إطلاق المجاز على الاعراب لكونه وقع في غير محله الأصلي إنما يظهر في الحذف لافي الزيادة .

هذا والقول بزيادة الكاف في نحو قوله تعالى ليس كمثله شيء أخذ بالظاهر ويحتمل أن لا تكون الكاف زائدة بل يكون الكلام نفيا للمثل بطريق السكناية التي هي أبلغ من الحقيقة لما فيها من دعوى الشيء ببينة لأن الله تعالى موجود فاذا نفي مثل مثله الذي هو اللازم لزم نفي مثله الذي هو الملزوم ضرورة أنه لو كان له مثل لكان هو أعنى الله تعالى مثل مثله ، فلم يصح نفي مثل مثله .

والحاصل أنه لو لم ينتف المثل عند نفي مثل المثل لم يصح نفي مثل المثل لأن الله موجود فلو كان له مثل كان الله تعالى مثلا لذلك المثل فيكون مثل المثل موجودا فلا يصح نفية حيثئذ ، لكن النفي صحيح لوقوعه في كلام الله ، فتعين أن يكون المراد من نفي مثل المثل نفي المثل ليصح النفي ، فنفي مثل المثل قد توصل به إلى نفي المثل وهو معنى السكناية ، لأنه أطلق نفي اللازم وأريد نفي الملزوم ، كما نقول ليس لآخى زيد أخ أى ليس لزيد أخ نفيا للملزوم بنفي لازمه ، وذلك أنه إذا فرض لزيد الموجود =

أى ليس مثله شئ ، فأعراب مثله فى الأصل هو النصب ، فزبدت الكاف فصار حرا .

فان ^(١) كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الاعراب ؛ كما فى قوله تعالى « أو كصيب من السماء » إذا أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذف ذوى ، لدلالة يجعلون أصابعهم فى آذانهم عليه ؛ وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله « كمثل الذى استوقد نارا » ، إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب ، وكقوله (فما رجمة من الله لنت لهم) وقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب) فلا ^(٢) توصف الكلمة بالمجاز ، وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة ^(٣)

= أخ لازم أن يكون زيد أخا لذلك الاخ المفروض وجوده ، فقولنا « ليس لـ أخى زيد أخ » نفى للملزوم وهو أخو زيد بنفى لازمه وهو أخو أخيه ، فقد أريد باللفظ لازم معناه فصدق عليه حد الكناية .

(١) ٢٦٣ الاسرار .

(٢) جواب « فان كان الحذف أو الزيادة » .

(٣) أى اللذين لا يوجبان تغييرا فى حكم الكلمة [راجع ٣٦٢ - ٣٦٨ الاسرار]

القول في الكناية^(١)

الكناية لفظ^(٢) أريد به لازم^(٣) معناه ، مع جواز إرادة معناه

حينئذ^(٤) .

(١) هي في اللغة مصدر كنيت بكذا عن كذا والمضارع يكنى ، أو مصدر كنوت والمضارع يكنو إذا تركت التصريح به ويرجع أن لام الفعل يائية قولهم في المصدر كناية بالتزام الياء في المصدر ، قالوا في كنوت ، قلبت عن الياء سماعا

(٢) إطلاقها على اللفظ كثير وقد تطلق على المعنى المصدرى أى الاتيان بلفظ

أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه وهى بهذا المعنى أخص من معناها لغة (٣) أى لا استعماله فيه ، فالكناية لفظ له معنى حقيقى أطلق ولم يرد منه ذلك

المعنى الحقيقى بل أريد به لازم معناه الحقيقى . والمراد بال لزوم هنا مطلق الارتباط ولو بعرف لا اللزوم العقلى ، وخرج بلازم معناه ما أريد به نفس معناه وهو الحقيقة الصرفة

(٤) أى مع إرادة ذلك المعنى مع لازمه فالكناية بعد إرادة اللازم بلفظها يشترط أن لا تصحبها قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، وحينئذ فتجوز إرادته من اللفظ مع لازمه ، وهذا القيد يخرج المجاز إذ لا يجوز إرادة المعنى الحقيقى فيه مع المعنى المجازى عند من يمنع الجمع بين الحقيقة والمجاز كالمصنف لاشتراطه فى قرينته أن تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيقى . والكناية عند المصنف واسطة بين الحقيقة والمجاز . وقيل أنها لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى لينتقل منه إلى المجازى فتكون داخلية فى الحقيقة لأن إرادة الموضوع له باستعمال اللفظ فيه فى الحقيقة أعم من أن تكون وحدها كما فى الصريح أو مع إرادة المعنى كما فى الكنائى

ملاحظات :

١ - المعنى الحقيقى يجوز إرادته لينتقل منه الى المراد فى كل من الكناية والمجاز ، =

كقولك (فلان طويل النجاد) أى طويل القامة ، (وفلانة تؤوم الضحى^(١)) أى مرفهة مخدومة غير محتاجة الى السعى بنفسها فى إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش ، وكفاية أسبابه ، وتحصيل ما يحتاج اليه فى تهئية المتناولات وتدير اصلاحها ، فلا تنام فيه من نساءهم الا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك ، ولا يتمتع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل

= ويمتنع فهما إرادة المعنى الحقيقى بحيث يكون هو المقصود بالذات، وأما أن يراد مع لازمه على أن يكون الغرض المقصود بالذات هو اللازم فهذا جائز فى الكناية دون المجاز .

ب — المجاز والكناية يشتركان فى أنه :

١ — لا بد فهما من ملاحظة المعنى الحقيقى لينتقل منه إلى المعنى المجازى والكنايى .

٢ — ويشتركان أيضا فى إرادة مطلق اللازم ، والانتقال فى كل منهما من المألوم إلى اللازم .

٣ — وكل منهما يمتنع فيه إرادة المعنى الحقيقى وحده بحيث يكون هو المقصود بالذات .

غير أن الكناية يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقى تبعاً للمعنى الكنايى والمجاز لا يجوز فيه ذلك لا تبعاً ولا قصداً عند من لا يجوز الجمع بين المعنى الحقيقى والمجازى كالمصنف .

(١) راجع ٥٢ و ٢٠٣ الدلائل . وقال امرؤ القيس :

وتضحى فتبت المسك فوق فراشها تؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل

فالفارق بينهما وبين المجاز من هذا الوجه: أى من جهة ارادة المعنى^(١)
مع ارادة لازمه، فان المجاز ينافي ذلك؛ فلا يصح في نحو قولك: في الحمام
أسده أن تريد معنى الاسد من غير تأول، لان المجاز ملزوم قرينة معاندة
لارادة الحقيقة كما عرفت، وملزوم معاندة الشيء معاندة لذلك الشيء.
(١) أى الحقيقى مع إرادة لازم ذلك المسمى الحقيقى كإرادة طول النجماد
مع طول القامة

فقد ظهر أن المجاز والكناية يشتركان في إرادة اللازم، ويفترقان من جهة أن
الكناية لا تصحبها قرينة مانعة من إرادة المعنى الاصلى فيها، بل يبقى معها جواز
إرادته والمجاز لا بد أن تصحبه قرينة مانعة.

هذا وقوله: من جهة إرادة المعنى، معناه من جهة جواز إرادة المعنى:
١ - ليرافق ما ذكره في تعريف الكناية إذ لم يشترط في التعريف إلا جواز
الارادة لا وقوعها، ثم إن ابن السبكي يشترط في الكناية وجود القرينة التي تصرف
الى إرادة اللازم أو الى إرادة اللازم مع ملزومه.

٢ - ولأن الكناية كثيرا ما تخلو عن إرادة المعنى الحقيقى، للقطع بصحة
قولنا: فلان طول النجماد وجبان الكلب ومهزول الفصيل، وأن لم يكن له
نجماد ولا كلب ولا فصيل وعدم إرادة المعنى الحقيقى لعدم وجوده كثير في الكلام
هذا والراد بجواز إرادة المعنى الحقيقى في الكناية هو أن الكناية من حيث
إنها كناية لا تنافي إرادة المعنى الحقيقى؛ كما أن المجاز يتنافى مع إرادة
المعنى الحقيقى في الكناية بواسطة خصوص المادة كما ذكر الزمخشري في قوله تعالى
وليس كئله شيء، أنه من باب الكناية أى من حيث أن سلب الشبيهة عن مثل مثله
يستلزم سلبها عن مثله وإلا لزم التحكم في نفي الشبيهة عن أحد المثلين دون الآخر - كما
في قولهم ومثلك لا يبخل، لأنهم إذا نفوا البخل عن يماثل المخاطب وعن يكون على
أخيه أو صافه فقد نفوه عن المخاطب كما يقولون: بلغت أترابه يريدون بلوغه

وفرق السكاكي^(١) وغيره بينهما بوجه آخر أيضا وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم . وفيه نظر : لأن اللازم مالم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم ، فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم^(٢) .

(١) ص ١٧٠ و ١٧٤ مفتاح

(٢) ملاحظة : خلاصة الاعتراض هي أن اللازم إما مساو للملزوم أو أعم منه ، فالانتقال في السكاكية من اللازم الأعم إلى الملزوم الأخص غير صحيح ، وأما الانتقال من اللازم الأعم إلى الملزوم المساوي فصحيح .

ويرد هذا الاعتراض بأن اللازم في الكناية مساو للملزوم ، فالمراد باللازم المساوي أو الأخص فيكون معنى لزوم الارتباط واللازم التابع والملزوم المنبوع ويمترض على رأي السكاكي بأن المجاز كما ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم مثل : رعينا الغيث ، كذلك ينتقل فيه من اللازم إلى الملزوم مثل : أمطرت السماء نباتا ؛ فما الفرق بين السكاكية والمجاز . ويمكن الرد بأن المجاز إن انتقل فيه من اللازم إلى الملزوم كان كناية ؛ لكن هذا تعسف .

هذا ولنسبـط فرق السكاكي بين المجاز والكناية : الانتقال في الكناية من اللازم إلى الملزوم كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة . وفي المجاز الانتقال من الملزوم إلى اللازم كالانتقال من الغيث إلى الثبت ومن الأسد إلى الشجاعة . ورد هذا الفرق بأن اللازم مالم يكن ملزوما — بأن بقي على لازميته ولم يكن ملزوما ملزومه لكنه أعم من ملزومه — بنفسه كالناطق بالنسبة للإنسان أو بانضمام قرينة إليه كالعرف ، لم ينتقل منه إلى الملزوم لأن اللازم من حيث إنه لازم يجوز أن يكون أعم من ملزومه ولا دلالة للعام على الخاص ، وحينئذ كان اللازم ملزوما يكون الانتقال من الملزوم إلى اللازم كما في المجاز فلا يتحقق الفرق ، والسكاكي أيضا معترف بأن اللازم مالم يكن ملزوما امتنع الانتقال منه .

ولو قيل ^(١) : اللزوم من الطرفين من خواص السكناية دون
المجاز أو شرط لها ^(٢) دونه ^(٣) اندفع هذا الاعتراض
لسكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط ^(٤)

(١) أى لتصحيح فرق السكاكى

(٢) هذا بمعنى ما قبله

(٣) أى فيكون مراده من قوله الانتقال فى السكناية من اللازم الى
الملزوم اللازم المساوى للملزوم لأن اللزوم بين الطرفين من خواصها، ومراده
بقوله الانتقال فى المجاز من الملزوم الى اللازم أى الى اللازم مطلقاً لأن اللزوم
بين الطرفين لا يشترط فى المجاز

(٤) لأنه لا دليل على اختصاص السكناية باللزوم بين الطرفين دون المجاز
بل قد يكون اللزوم فيها أعم كما يكون مساوياً وكذا المجاز.

وقد يحاج عن السكاكى بأن مراده باللازم فى جانب السكناية وفى جانب
المجاز ما يكون وجده فى الخارج أو فى الاعتبار على سبيل التبعية لوجود الغير
أو لاعتبار الغير كطول النجاد التابع لطول القامة، ولهذا يجوز كون اللازم
أخص لأن اللازم بمعنى التابع فى الوجود لوجوده غيره أو فى الاعتبار لاعتبار
غيره يجوز أن يكون أخص بخلاف اللازم المتعارف فإنه إما يكون أعم
أو مساوياً ولا يكون أخص. فالسكناية على هذا أن تذكر من المتلازمين - أى
ما بينهما لزوم ولو فى الجملة لا ما بينهما التلازم الحقيقى فقط - ما هو تابع ورديف
ويراد به ما هو متبوع ومردوف، والمجاز بالعكس.

وفى هذا الجواب كما قالوا نظر بالنسبة لقوله والمجاز بالعكس، لأن المجاز قد
يتنقل فيه من التابع فى الوجود الخارجى إلى المتبوع فيه كالنبات فى الغيث.
هذا ولا يخفى عليك أنه ليس المراد باللزوم هنا اللزوم العقلى وهو امتناع
الانفكاك بل المراد باللزوم مطلق الارتباط ولو بقريئة أو عرف.

[أقسام الكناية ^(١)]

ثم الكناية ثلاثة أقسام :

لأن المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة ، أو نسبة ، أو نسبة
والمراد الصفة العنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها ، لا

النعمة .

الاولى ^(٢) المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ^(٣) :

[١ -] ففيها ^(٤) ما هو معنى واحد ^(٥) كقولنا المضياف كناية

عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب ^(٦) :

(١) راجع ١٧٠ المفتاح .

(٢) تأنيث الأولى باعتبار كونها عبارة عن الكناية .

(٣) أى ولا نسبة صفة لموصوف ، بأن كان المطلوب بها هو الموصوف .

(٤) ١٧٠ مفتاح .

(٥) بأن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكر

تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف .

(٦) هو لعمر بن معد يكرب الزبيدي . والبيت في ص ٣٤ من الموازنة

وص ٢٢٢ صناعتين . الضاريين منصوب على المدح . الخدم : القاطع . الاضغان

جمع ضغن وهو الحقد . يجمع الاضغان معنى واحد كناية عن القلب فان قيل

إن مصدوق قولنا يجمع الضغن ، هو القلب وإطلاق اللفظ على مصدوقه حقيقة

لا كناية ، فالجواب أن مجامع ، وإن كان مشتقاً لم يرد منه الذات الموصوفة

بالصفة بل المراد منه خصوص الصفة وهي يجمع الضغن وهي لا تظن فيكون

الشاعر أطلق الصفة التي هي لازم وأراد محلها وهو الموصوف كناية .

الحاشية (١٣)

الضاربين بكل أيض مخذم والطاعنين مجامع الاضغان
 ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله للذئب :
 فأبتعتها أخرى فأضلت نصلها
 بحيث يكون اللب والرعب ^(١) والحقه
 فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقه ثلاث كنايةات لا كناية
 واحدة ؛ لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود
 [ب] ومنها ما هو مجموع معان ^(٢) كقولنا كناية عن الانسان :
 حى مستوى القامة عريض الظفار
 وشرط كل واحد منهما أن تكون ^(٣) مختصة بالكنى عنه لا تعداه ليحصل
 الانتقال منها اليه وجعل ^(٤) السكاكى الاولى قريبة ^(٥) والثانية بعيدة .

(١) فالشطر الثانى كله ثلاث كنايةات عن موصوف هو القلب .
 (٢) بأن تؤخذ صفة فنضم إلى لا زم آخر وآخر لتصير جماتها مختصة بموصوف
 فيتوصل بذكرها إليه .

(٣) هذا الشرط لا يختص بهما وحدهما بل كل كناية يشترط فيها ذلك .
 (٤) ص ١٧٠ مفتاح .

(٥) الاولى ، هى ما تكون معنى واحداً وسميت قريبة لسهولة المأخذ
 والانتقال فيها لبساطتها واستغنائها عن ضم لازم إلى آخر وتلفيق بينهما ، أما الثانية
 وهى ما تكون مجموع معان فمماها بعيدة لخلاف ذلك ، وهذه غير البعيدة بالمعنى
 الذى سيبيح . ، وهو تعدد الوسائط .

وفيه أنظر ^(١)

الثانية ^(٢) المطلوب بها صفة ^(٣) :

وهي ضربان : قريبة وبعيدة :

[١ -] القريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب ^(٤) بها لا بواسطة ^(٥)

وهي :

(١) لأن دلالة الوصف الواحد على الشيء ليست أقرب من دلالة الأوصاف بل ربما كان الأمر بالعكس .

هذا ومن مثل الكناية عن موصوف قول الشاعر :

وإن جعلت لا ينقض التأني وعدما فليس لمخضوب البنان يمين
(١٠٢ ج ٢ حامة) ، ونسبه المصري لكثير (٥٢ ج ١ زهر الآداب)
(٢) ١٧٠ مفتاح .

(٣) أي من الصفات كالجود والكرم ونحو ذلك ، ومعنى طلب الصفة بالكناية دون النسبة أن يكون المقصود بالذات هو لفهم معنى الصفة من صفة أخرى أقيمت مقام تلك الصفة فصار تصور المثبتة أعنى المكنى عنها هو المقصود بالذات ، لا نفس إثباتها لأنه كالمعلوم من وجود نسبة المكنى بها ، وأما طلب النسبة بالكناية دون الصفة ففيها إذا صرح بالصفة وقصد الكناية بإثباتها لشيء عن إثباتها للراد فيصير الإثبات بسبب ذلك هو المقصود بالذات ، وأما طلب النسبة والصفة بالكناية ففيها إذا جهل ما وقصد الانتقال لهما . فالصفة لا تخلو من النسبة والنسبة لا تخلو من الصفة ، ولكن اختلفا في الاعتبار والقصد الأولي وعدمه .

(٤) الذي هو الصفة المكنى عنها .

(٥) ليكون المعنى المنتقل إليه يسهل إدراكه بعد إدراك المنتقل عنه ليكون

لازما يونا بحسب العرف أو القرينة أو بحسب ذاته .

[١ -] إما واضحة كقولهم كناية عن طول القامة طويل نجاده
وطويل النجاد ^(١) . والفرق بينهما ^(٢) : أن الأول ^(٣) كناية
ساذجة ^(٤) ، والثاني ^(٥) كناية مشتملة على تصريح ^(٦) ما تضمنت
الصفة ^(٧) فيه ضمير الموصوف ^(٨) بخلاف الأول ، ومنها قول
الحماسي :

(١) قال المبرد : الرجل يمدح بالطول فلذلك يذكر طول حمائله والنجاد حمائل
السيف (٢ / ١٢) الكامل للمبرد
وقال : قالت الخنساء :

طويل النجاد رفيع العباد وسعد عشيرته أمردا
(٢٨٠ / ٢) الكامل ، ثم قال :

النجاد : حمائل السيف يزيد بطوله طول قامته ، وهذا بما يمدح به الشريف ،
ورفع العباد إنما تريد ذلك ، أي رجل ممد أي طويل (٢٨١ / ٢) الكامل .
وراجع في ذلك ٢٤٣ من الصناعتين

(٢) أي طويل نجاده وطويل وطويل النجاد

(٣) وهو طويل نجاده

(٤) أي لا يشوبها شيء من التصريح بالمعنى المقصود وهو الممكن عنه لأن
فاعل طويل هو النجاد فينتقل منه إلى طول القامة .

(٥) وهو طويل النجاد

(٦) أي بالمقصود الذي هو طول القامة الممكن عنه

(٧) وهو ، طويل ،

(٨) فكأنه قيل : فلان طويل ، ولو قيل ذلك لم يكن كناية بل تصريحاً بطوله
ولما لم يصرح بطوله لاختارته فنجاد وأومئ إليه بتحمل الضمير كانت كناية
مشوبة بالتصريح ولم تجعل تصريحاً حقيقياً . =

أبت الروادف والتدنى لقمصها

مس البطون وأن تمس ظهوراً^(١)

[٢ -] وإما خفية^(٢) كقولهم كناية عن الابله عريض^(٣) للقفا، فان

عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة، ألا ترى إلى قول طرفة بن العبد^(٤) :

== هذا والدليل على تضمن طويل ، الضمير أنك تقول هند طويلة النجاد والزيدان طويلان النجاد والزيدون طوال النجاد فتؤنت وتثنى وتجمع الصفة البتة لاسنادها الى ضمير الموصوف ، بخلاف هند طويل نجادها والزيدان طويل نجادها والزيدون طويل نجادهم ، ولما جعلنا الصفة المضافة كناية مشتملة على نوع تصريح ولم نجعلها تصريحاً للقطع بأن الصفة في الحقيقة ونفس الامر صفة للمضاف اليه ، واعتبار الضمير رعاية لامر لفظي وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها .

(١) راجع (٨٧ ج ٢ حماسة ، ٤٦٥ ج ١ المقد)

الروادف : الاعجاز . التدنى جمع ندى . القمص جمع قميص . وهذا كناية عن عظم الروادف والتدنى .

(٢) وخفاؤها بأن يتوقف الاتصال منها على تأول وإعمال روية وذلك حيث يكون اللزوم بين المكنى به وعنه فيه غموض ما فيحتاج الى إعمال روية في القرائن وسير المماتى ليستخرج المقصود منها .

(٣) هو مؤخر الرأس

(٤) الرجل الضرب : أى الخفيف اللحم . الخشاش صغير الرأس .

ففى البيت كناية عن الاكاء

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه

خشاش كراش الحية المتوقد

[ب -] والبعيدة ^(١) ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ،
كقولهم كناية عن الابل عريض الوسادة ، فانه ينتقل من عرض
الوسادة إلى عرض القفا ، ومنه الى المقصود . وقد جعله السكاكي من
القريبة على أنه كناية عن عرض القفا ، وفيه نظرو . كقولهم كثير ^(٢)
الرماد ، كناية عن المضياف ؛ فانه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة
احراق الحطب تحت القدور ، ومنها إلى كثرة الطبايح ، ومنها إلى كثرة
الأكلة ومنها إلى كثرة الضيفان ؛ ومنها إلى المقصود ^(٣) .
وكقوله

ومايك في مسن عيب فاني

جبان السكب مهزول الفصيل ^(٤)

فانه ينتقل من جبن السكب عن الهرير في وجه من يدنو من دار
من هو بمرصد لان يعس دونها ، مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه

(١) لبعد زمن ادراك المقصود فيها لاحتياجها في الغالب الى استحضار تلك
الوسائط

(٢) راجع ١٧١ مفتاح ، ٣٢٠ الدلائل

(٣) وهو الكرم والمضيافية

(٤) هو لابن مرمة ، وهو في المفتاح ص ١٧١ ، والدلائل ص ٢٣٧ ،

والصناعتين ص ٢٤٢ ، والحاسة ص ٢٨٢ ٢٨٣ . والفصيل ولد الناقة

طبيعياً له ، الى استمرار تأديبه لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب
لا يقوى ، ومن ذلك الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته
وجوها أثر وجوه ، ومن ذلك الى كونه مقصد أدان وأقاص ، ومن
ذلك الى انه مشهور بحسن قرى الأضياف ، وكذلك ينتقل من هزال
الفصيل الى فقد الام ، ومنه الى قوة الداعى الى نحرها ، ليكمال عناية
العرب بالنوق لاسيما التلييات ، ومنها الى صرفها الى الطبائع ومنها الى
انه مضياف . ومن هذا النوع قول نصيب ^(١) :

لعمد العزيز على قومه وغيرهم ممن ظاهرة
فسابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين من الام بالابنة الزائرة

فانه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر الى أن الزائرين معارف عنده ،
ومن ذلك الى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً ، ومنه الى لزومهم
سدته ، ومنه الى تسنى مبالغتهم لديه من غير انقطاع ، ومنه الى وفور
احسانه الى الخصاص والعام ، وهو المقصود
ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

(١) هو في المفتاح ص ١٧١ ، والدلائل ص ٢٣٨ ، وطرز المجالس ص ٩٩

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا

يسكاه من حبه وهو أعجم^(١)

ومنه قوله^(٢) :

لا أتع العوذ بالفصال ولا أباع الا قريبة الاجل

فانه ينتقل من عدم امتاعها الى أنه لا يبقى لها فصاها لتأنس بها
ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها ومن ذلك الى نحرها ، أولا يبقى
العوذ ابقاء على فصاها . وكذا قرب الاجل ، ينتقل منه الى نحرها ،
ومن نحرها الى أنه مضيف . ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى : ولما
سقط في أيديهم ، أي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لان
من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعرض يده غما فتصير يده مسقوطة
فيها لان فاه قد وقع فيها . وكذا قول أبي الطيب كناية عن الكذب
تشتكى ما اشتكى من ألم الشو

ق اليها والشوق حيث النحول^(٣)

(١) هو لابن هرمة ، وهو في البيان ١٢٢ ج ٢ ، والمفتاح ص ١٧١ ،
والدلائل ص ٣٣٩ ، وهو في الحماسة مع أبيات [٢٤٨ ج ٢] ولكن لم ينسبها
لشاعر . وفي النهر الجامع لمحمد هاشم (ص ١١٣) ذكر أنه ينسب للناطقة
الجمدى

هذا وفاعل ، يكاد ، ضمير يعود على الكلب

(٢) أي ابن هرمة الشاعر ايضا . وهو في ١٧٩ رسالة الغفران مع أبيات ،
وفي الدلائل ص ٢٤١ و ٢٠٧ ، وفي المفتاح ص ١٧١ و ١٤١
(٣) ضمير ، تشتكى ، يعود لحييته

وكذا قوله ^(١).

الى كم ترد الرسل عما أتوا له كأنهمو فيما وهبت مسلام
فأن أوله كناية عن الشجاعة ، وآخره كناية عن السماحة.

وكذا قول أبي تمام ^(٢):

فإن أنا لم بحمدك عنى صاغرا عدوك فاعلم أنني غير حامد
يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده ، أى إن لم أكن أجيد
القول فى مدحك حتى يدعوا حسنه عدوك الى أن يحفظه ويلهج به
صاغرا فلا تعدنى حامدا لك بما أقول فيك ؛ ووصفه بالصغار لأن من
يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكفى يحفظ عدو الممدوح
مدحه له عن اجادته القول فى مدحه .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيف العصا بابا دى العروق ترى له

عليها إذا ما أجذب الناس أصبما ^(٣)

(١) هو لابي الطيب أيضا فى مدح سيف الدولة

(٢) هو فى زهر الأدب ص ٢٦ ج ٣

(٣) نسبة الجاحظ للراعى [٢٩ ج ٢ البيان] ، قال الجاحظ : يقال للراعى

ضعيف العصا إذا كان قليل الضرب بها الأبل شديد الاشتغال عليها ، وأنشد البيت
ثم قال : وإذا كان الراعى جلدا قويا عليها قالوا صلب العصا (٢٩ ج ٢ البيان) .
والبيت فى الاسرار ص ٣٠٦ ، والصناعتين فى ٩٠ . والأصبع معناه الأثر الحسن
من السمن وغيره على طريق المجاز المرسل .

وقول الآخر:

صلب العصا بالضرب قد دماها^(١)

أى جعلها كالدم فى الحسن . والغرض من قول الاول ضعيف العصا
وقول الثانى « صلب العصا ، وهما وان كانا فى الظاهر متضادين فانهما
كتابتان عن شىء واحد ، وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن
أثره عليها ، فأراد الاول أنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل
العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لان من العصا .
وأراد الثانى أنه جيد الضبط لها عارف بسياساتها فى الرعى ، يجرها عن
المراعى التى لا تحمد ويتوخى بها ما تسمن عايه ، ويتضمن أيضا انه
يمنعها عن التشردد والتبدد ، وانها لما عرفت من شد شكيمة وقوة
عزيمته تنساق فى الجهة التى يريد ها ، وقوله « بالضرب قد دماها »
تورية حسنة^(٢) ، ويؤكد أمرها قوله صلب العصا

(١) راجع هذا الشطر فى ص ٣٠٦ الأسرار . وقال أبو ملال : ومن الغلط
قول أبى النجم ، صلب العصا جاف عن التعزل ، يصف راعى الابل بصلابة
العصا وليس بالمعروف (٩٠ صناعتين)

(٢) لأن معناه جعلها كالدمى فى الحسن ، جمع دمية ؛ ويحمل معنى قريبا وهو
أن يضربها فيسبل دماها

ملاحظة : بحسب قوة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحا وخفاء .
وذلك لأن كثرة الوسائط من شأنها خفاء الدلالة ، وإن كان يصح فيها
الوضوح لكثرة الاستعمال فيسرع الانتقال . أما قلة الوسائط فن شأنها الوضوح
وإن كان يمكن فيها أن تكون مع قلتها فيها خفاء كما تقدم فى عرض القفا .

الثالثة : المألوف بها نسبة^(١)

كقول زياد الأعجم^(٢) :

ان الصماحة والمروءة والندی في قبة ضربت على ابن الحشرج
فانه حين أراد أن لا يصرح باثبات هذه الصفات لابن الحشرج ،
جمعها في قبة ، تقييها بذلك على أن محلها^(٣) ذوقية ، وجعلها مضروبة عليه
لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات للصفات المذكورة
له بطريق الكناية ؛ ونظيره قولهم « المجد بين ثوبيه والسكرم بين
برديه » قال السكاكي^(٤) : وقد يظن هذا من قسم « زيد طویل نجاده
وليس بذلك فطویل نجاده باسناد الطویل إلى النجاد تعريض باثبات
الطول للنجاد ، وطول النجاد كما تعرف قائم مقام طول القامة فاذا صرح

(١) أمه اثبات صفة لموصوف أو نفى صفة عن موصوف وهو المراد
بالاختصاص هنا .

(٢) هو في المفتاح ص ١٧٢ ، والدلائل ص ٢٣٧ . القبة : شبه الخيمة
ولكنها أعظم منها وتقام لرؤساء وابن الحشرج هو المدوح وهو عبد الله بن
الحشرج من ولاية الدولة الأموية .

(٣) وهو المدوح

(٤) راجع ١٧٠ مفتاح ، ٢٣٩ الدلائل

من بعد باثبات التجاد لزيد بالاضافة كان ذلك تعريحا باثبات الطول
لزيد فتأمل ، وكقول الآخر ^(١) :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعي ابن العميد نظامه
فانه شبه المجد بانسان بديع الجمال في ميل النفوس اليه ، وأثبت له جيدا
على سبيل الاستعارة التفضيلية ، ثم أثبت لجيده عقدا ترشيعا للاستعارة ،
ثم خص مساعي ابن العميد بأنها نظامه ، فبه بذلك على اعتنائه خاصة
بزيده . وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعا
المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك
على اختصاصه به

وكقول ابى نواس ^(٢) :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير
فانه كنى عن جميع الجود بأن نكره وتنى أن يجوز ممدوحه ويحل
دونه فيكون توزعا يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا ، وعن اثباته له
بتخصيصه بجهته ، بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم ، ونظيره قولهم :

(١) هو في المفتاح ص ١٧٢

الجيد : العنق . العقد : القلادة . المساعي : المكارم . هذا وفي اليد استعارتان
وكنائتان .

(٢) راجعة في ص ٢٢٣ وساطة ، و ٣٣ موازنة ، و ٦٤ ج ٤ زهر الآداب ،

٤٢٥ ج ٣ العقد ، ١٧٣ مفتاح ، ٢٣٩ الدلائل

مجلس فلان مظنة الجود والكرم، هذا قول السكاكي وقيل كنى بالشرط
الاول عن اتصافه بالجود وبالثاني عن لزوم الجود له؛ وباحتساب وجهها آخر،
وهو أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به، وعدم الاختصار
على أحدهما للتأكيد والتقرير، وذكرهما على الترتيب المذكور لأن
الاولى بواسطة بخلاف الثانية^(١) : وكقولهم : « مثلك لا يدخل »، قال
الزحشرى : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا
المباينة في ذلك، فسلخوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عن
يسد مسده، وعن هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه . ونظيره
قولك للعربي . العرب لا تحقر الذم فإنه أبـلـغ من قولك أنت
لا تحقر . ومنه قولهم ' أيفعت لذاته وبلغت أثرابه ' يريدون إيفاعه
وبلوغه وعائيه قوله ' ليس كمثل شيء '،^(٢) على أحد الوجهين؛ وهو أن
لا تجمل السكاف زائدة : قيل : وهذا غاية لنفي التشبيه، إذ لو كان له
مثل لكان لمثله شيء وهو ذاته تعالى، فاما قل . ليس كمثل . دل على أنه
ليس له مثل . وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله، ورد

(١) في البيت ثلاثة توجهات :

١ - أن فيه كناية عن صفة في الشرط الاول وعن نسبة في الشرط الثاني

٢ - أو أنه كناية عن نسبة في الشرط الاول وعن صفة في الشرط الثاني .

٣ - أو أن كل شرط منهما كناية عن نسبة .

(٢) راجع ٤٠٦ من المطول

يمنع أنه تعالى مثل مثله، لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله، تعالى
عن ذلك. وكقول الشافعي الأزدي في وصف امرأة بالعفة^(١)

بيدت بمنجاة من اللوم يديها إذا ما بيوت بالملامة حلت

فانه فيه بنى اللوم عن يديها على انتفاء أنواع الفجور عنه، وبه على
برائتها منها، وقال 'ديبت' دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش.
هذا على ما رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكي، وفي الأغني الكبير
'يحل بمنجاة'

وقد يظن ان هذا قسما رابعا وهو ان يكون المطلوب بالكناية
الوصف والنسبة معاً، كما يقال 'يكثر الرماد في ساحة عمرو'^(٢)، في
الكناية عن ان عمرا مضياف؛ وليس بذلك، اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة،
بل هو كنايةتان: احدهما عن^(٣) المضيافية؛ والثانية عن اثباتها

(١) هو في المفتاح ص ١٧٢ والدلائل ص ٣٣٩ والمفضليات ص ٤١.

(٢) الساحة هي الفسحة التي بين بيوت الدار وقدام بابها - ففي المثال كناية
عن المضيافية وإثباتها لعمرو، أما الأثبات فلأنما ثبت كثرة الرماد لعمرو ولا لما
أضيف لضميره كافي طويل نجاحه حتى تكون النسبة معلومة وإنما أثبتناها في ساحتها
لينتقل من ذلك إلى ثبوتها له وأما المضيافية فلأنما نصح بها حتى يكون المطلوب
نفس النسبة بل كنيهاً عنها بكثرة الرماد

(٣) أى أن المطلوب بها صفة وهي كثرة الرماد كناية عن المضيافية.

لعمرو^(١) ، وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكفيا عنه أيضا ، كما في هذا المثال ، ونحوه يثبت الشنفري المتقدم ، فإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة

واعلم أن الموصوف في القسم الثاني والثالث^(٢) قد يكون مذكورا كما مر ، وقد يكون غير مذكور^(٣) كما تقول في عرض^(٤) من يؤذى

(١) فالثانية مطلوب بها نسبة المضائية إلى زيد وهو جعلها في ساحتها ليفيد إثباتها له .

كما أن قولنا وكثر الرماد في ساحة العالم ، إذا دل الدليل كالشهرة على أن المراد بالعالم زيد . ففيه كناية عن صفة وكناية عن موصوف وكناية عن نسبة . ملاحظة البيت : بيت بمنجاة من اللوم الخ ، :

اللوم مجاز مرسل أطلق اللوم وأراد سببه ، ومعنى ومنجاة من اللوم ، بعد عنه ، ومنجاة من اللوم كناية عن صفة هي العفة فكانه قال يبيت بيتها عفيفا وذلك كناية عن نسبة العفة إليها .

وقوله : بيتها ، لا يصح . لإطلاقه على المرأة مجازا مرسلا علاقته المحلية وذلك لإضافة البيت إلى ضمير المرأة . هذا وفي الشطر الثاني كناية عن نسبة هي نسبة الفجش إلى بيوت غيرها . حلت باللامة كناية عن صفة هي الفجور واللامة مجاز مرسل .

(٢) وهما الكناية المطلوب بها صفة ، والمطلوب بها نسبة .

(٣) أي لالفاظ ولا تقديرا . أما الموصوف في القسم الأول فهو طبعيا غير مذكور لأنه نفس المطلوب بالكناية ، فثالث ذكره في القسم الثاني زيد كثير الرماد في الثالث إن الساحة البيت ، ويلاحظ أنه إذا كان المطلوب بها صفة وكانت النسبة موجودة فلا =

المسلمين المسلم من سلم المسلمون من لسانه " ويده ، أى ليس المؤذى مسلما ، وعليه قوله تعالى فى عرض المنافقين : « هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » اذا فسر الغيب بالغيبة أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبى (ص) أو أصحابه ض ؛ أى هدى للمؤمنين عن اخلاص لا للمؤمنين عن تفاق
قال السكاكى (٣) :

الكناية تتفاوت (٣) الى : تعريض ، وتلويع ، ورمز ، وإيماء ، وإشارة :

== بد ذكر الموصوف لفظا أو تقديرا ضرورة استحالة نسبة لغير منسوب اليه مثل : زيد كثير الرماد

(٤) أى جانب ، والمراد به التعريض بمن يؤذى المسلمين
(١) فهو كناية عن نقي صفة الاسلام عن المؤذى وهو غير مذكور ووجه الكناية أن مدلول الجملة حصر الاسلام فيمن لا يؤذى ، ولا ينحصر فيه الا بانتفاءه عن المؤذى فأطلق الملزوم وأريد اللازم .
هذا وأما القسم الاول وهو ما يكون المطلوب بالكناية نفس الصفة لكون النسبة مصرحا بها مثل زيد كثير الرماد فلا يخفى أن الموصوف فيها يكون مذكور لا محالة لفظا وتقديرا ،

(٢) راجع ١٧٠ مفتاح و ١٧٣ و ١٧٤

(٣) أى تنوع

ملاحظات :

١ - الكناية كما سبق الانتفال فيها بحسب ذهن السامع من اللازم الى ==

== الملزوم ، وبحسب ذهن المتكلم بالعكس .
والجواز الانتقال فيه بحسب ذهن السامع من الملزوم إلى اللازم وبحسب ذهن المتكلم بالعكس .

٢ - المجاز يحصل فيه الانتقال من اللازم إلى الملزوم تارة كما في « أمطرت السماء نباتاً » ، وتارة من الملزوم إلى اللازم كما في رعيها الغيث : وجعل السكاكي الانتقال في المجاز دائماً من الملزوم إلى اللازم . في الكناية بالعكس .

٣ - التعميم هو أن تذكر الشيء تدل به على شيء لم تذكره مثل « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، فقولنا المسلم من سلم يقتضي الحصر أي إحصاء الإسلام فيمن سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومعنى هذا ثبوت الإسلام لمن سلم منه الناس وفيه عمن لم يسلم الناس منه ؛ أي انتفاء الإسلام عن المؤذي مطلقاً ، ونفي الإسلام عن مؤذ معين لازم لذلك المعنى الذي هو نفيه عن المؤذي مطلقاً ، فهو تعريض

هذا وإنما قال « تفاوت » ، ولم يقل « تنقسم » ، لأن التعميم وما عطف عليه [التلويح والرمز والإيحاء] ليس من أقسام الكناية فقط بل هو أعم ، فالتعميم مثلاً قد يكون مجازاً وقد يكون كناية .

وفي ذلك نظر من وجهين :

- ١ - أن تعدية التفاوت بالي إنما يصح بتضمينه معنى الانقسام ،
- ٢ - أن أقسام الشيء لا يجب أن تكون أخص منه لصحة أن يكون بينها وبين المقسم عموم من وجه كما مر في تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره والحيوان إلى أبيض وغيره ، هذا رأى السعد ، والمحققون على أن قسم الشيء يجب أن يكون أخص .

هذا والأقرب أنه إنما قال « تفاوت » ، لأن هذه الأقسام قد يدخل بعضها في بعض فيمكن اجتماع الجميع في صورة واحدة باعتبارات مختلفة لجواز أن يعبر ==

- [١ -] فان كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضاً^(١)
- [٢ -] وإلا فان كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط^(٢) ، كما في « كثير الرماد » واشباهه ، فالمناسب أن يسمى تلويحاً ، لأن التلويح هو أن يشير الى غيرك من بعد .

== عن اللازم باسم الملزوم فيكون كناية ، ومع ذلك قد يكون تعريضاً بالنظر لسامع يفهم أن اطلاقه على ذلك التقييد بالسياق ، وقد يكون تلويحاً بالنظر لسامع آخر يفهم كثرة الوسائط ولم يفهم المعرض به ، وقد يكون رمزاً بالنسبة لسامع آخر يخفى عليه اللازم ، فهي أقسام اعتبارية لا أقسام حقيقية .

(١) أى أن الكناية إذا كانت مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض لأنه إمالة الكلام وتوجيهه إلى عرض - أى ناحية وجانب - يدل ذلك العرض على المقصود ، فالعرض الذى أميل الكلام إليه هو المعنى الكنائى ، والمقصود هو المعنى المعرض به المقصود من سياق الكلام ، فالمسلم من سلم المسلمون الخ المعنى الصريح حصر الاسلام في غير المؤذى ، ويلزم منه نفي الاسلام عن كل مؤذ وهذا هو المعنى الكنائى ، والمقصود من السياق نفي الاسلام عن المؤذى المعين كزبد وهذا هو المعرض به ، وليس اللفظ مستعملاً فيه بل هو مستعمل فى المعنى الكنائى ، والمعنى المعرض به ليس حقيقياً ولا مجازياً للفظ ولا كنائياً له ، لأن التعريض هو أن يفهم من اللفظ معنى بالسياق والقرائن من غير أن يقصد استعمال اللفظ فيه أصلاً ، والحقيقة مستعملة فى الموضوع له ، والمجاز فى غير الموضوع له (لازم معناه) ، والكناية فى اللازم مع جواز إرادة الملزوم ، ولذلك يكون لفظ التعريض تارة حقيقة وتارة مجازاً وتارة كناية ، فقولهم إن الكناية تكون تعريضاً أى إن اللفظ قد يستعمل فى معنى مكنى عنه ليلوح بمبنى آخر بالقرائن .

(٢) أى بين اللازم الذى استعمل لفظه والملزوم الذى أطلق اللفظ عليه كناية .

[٣ -] والا^(١) فان كان فيها نوع خفاء^(٢) فللمناسب أن تسمى
رمزا لان الرمز هو أن تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال^(٣)
رمزت الى مخافة من يملها من غير أن تبدي هناك كلامها
[٤ -] وإلا^(٤) فللمناسب أن تسمى ايماء وإشارة كقول أبي
تمام يصف^(٥) إبلا:

أبين فما يزن سوى كريم وحسبك أن يزن أبا سعيد
فانه في افادة أن أبا سعيد كريم غير خاف ؛ وكقول البحتري^(٦)
أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول
فانه في افادة أن آل طلحة أما جد ظاهر ؛ وكقول الآخر^(٧) :
إذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكرا من الغيث في الزمن للمحل^(٨)

(١) أى بأن قلت الوسائط أو انعدمت .

(٢) أى في اللزوم كمرض القفا وعريض الوسادة .

(٣) هو في ص ١٧٤ المفتاح .

(٤) بأن قلت الوسائط بلا خفاء .

(٥) البيت في ص ٢٤١ دلائل ، وص ١٧٤ مفتاح .

(٦) البيت في ص ٢٤٠ دلائل ، وص ١٠٤ مفتاح . فالقاء المجد رحله في آل

طلحة معنى مجازى على طريق المكنية ، ويلزم من ذلك كون محله وموصوفه آل
طلحة لعدم وجود غيرهم معهم .

(٧) الزمن المحل : المجدب . والكناية هنا عن ثبوت الكرم لبني حنبل .

وقال الآخر :

متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم
ثم قال^(١) :

والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازاً ، تقولك « آذيتني
فستعرف » ، وأنت لا تريد المخاطب ، بل تريد انساناً معه ، وإن
أردتهما جميعاً كان كناية^(٢) .

تفليہ —^(٣)

أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة^(٤)

(١) ١٧٤ مفتاح . أي انتقل السكاكي من الكناية في التعريض إلى تحقيق
المجاز فيه ؛ والحاصل أن السكاكي بعد ما سمى أحد أقسام الكناية تعريضاً انتقل
إلى تحقيق الكلام التعريضى وأنه قد يكون تارة مجازاً وقد يكون تارة أخرى كناية .
(٢) ولا بد في الصورتين — أى صورة كون الكلام التعريضى مجازاً وكونه
كناية — من قرينة دالة على أن المراد في الصورة الأولى هو الإنسان الذى معه
المخاطب وحده ليكون مجازاً ، وفي الثانية كلاهما ليكون كناية .
وتحقيق ذلك أن « آذيتني فستعرف » ، كلام دال على تهديد المخاطب لسبب
الايذاء ويلزم منه تهديد كل من صدر عنه الايذاء ، فإن استعملته وأردت به تهديد
المخاطب وغيره من المؤذنين كان كناية ، وإن أردت به تهديد غير المخاطب بسبب
الايذاء لعلاقة اشتراكه مع المخاطب في الايذاء أما تحقيقاً وأما قرصاً وتقديراً مع
قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب كان مجازاً .

(٣) راجع ١٧٤ مفتاح ، ٥٥ — ٨٥ دلائل .

(٤) المراد بها التحقيقية والتفصيلية لا الممكنية والتخييلية فليسا مرادين له هنا =

أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر ؛ قال الشيخ ^(١) عبد القاهر : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لاثبات المعنى لا يفيد خلافه ، فليست فضيلة قولنا « رأيت أسداً » على قولنا « رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة » أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني ؛ وليست فضيلة قولنا « كثير الرماد » على قولنا « كثير القرى » أن الأول أفاد زيادة لقراء لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لاثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ؛ والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع من المألوم إلى ^(٢) اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء بيبنة ، ولا شك

لأنهما ليسا من المجاز اللغوي عنده .

(١) ٥٦ - ٥٨ دلائل ، ٣٤٣ - ٣٤٥ دلائل أيضاً .

ملاحظة : قوله « أبلغ من الحقيقة ، الظاهر أنه من بلغ بلاغة ، فيرد عليه أن البلاغة لا تكون صفة للمفرد ولا شك أن الكناية لفظ مفرد والمجاز قد يكون مفرداً . والجواب أن المراد بأبلغ معناها اللغوي أي أفضل وأحسن .

(٢) فلا يفهم المعنى المراد من نفس اللفظ بل بواسطة الانتقال من المألوم إلى اللازم : أما في المجاز فظاهر أنه لا يفهم الرجل الشجاعة من نفس قوله « رأيت أسداً » بل بواسطة الانتقال من الحيوان المفترس إلى لازمه وهو الشجاع =

أن دعوى الشيء بيينة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بيينة ؛ ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه وأظهر ، فقولنا ، رأيت أسدا ، يفيد المرئى شجاعة أتم مما يفيد ها قولنا ، رأيت رجلا كالأسد ، لأن الاول يفيد شجاعة الاسد والثاني شجاعة دون شجاعة الاسد ، ويمكن أن يحجب بحمل كلام الشيخ على أن السبب في كل صورة ليس هو ذلك لأن ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلا

هذا آخر الكلام في الفن الثاني .

== وأما في الكناية فلا نال لازم لدى قيل أن الانتقال فيها منه إلى الملزوم هو اللازم المساوى فهو ملزوم أيضا فصح أن الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم فالمراد بالملزوم بالنسبة لها الملزوم في الذهن وإن كان لازما في الخارج .

ملاحظات :

- ١ - الكناية والاستعارة قد يكون كل منهما خبرا وقد يكون إنشاء . وأما التشبيه فالظاهر أنه خبر .
- ٢ - بلاغة الكناية تتخلص فيما يلي :
 - أ - التعبير عن اللفظ الخسيس بلفظ شريف .
 - ب - تمثيل المعنى للذهن بمجزيات محسوسة يستدل بمجموعها عليه .
 - ج - والكناية تفيد الالفاظ جمالا وتكسب المعاني سحرا .
 - د - وتزيد بلاغة الكناية إذا وفقت بالفرض المقصود منها وأدت الفائدة الموجودة بلفظ شريف حسن .

[البلاغة والفصاحة عند السكاكي]

وذكر السكاكي بعد الفراغ منه ^(١) تفسير البلاغة بما نقلناه عنه
في صدر الكتاب ^(٢).

ثم ^(٣) قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية :

[١ -] وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد ، وعنى بالتعقيد
اللفظي على ما سبق تفسيره .

[٢ -] وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ،

وقال ^(٣) : وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعريتهم
أدور ، واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثه المولدون ، ولا مما أخطأت
فيه العامة ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة
عن التنافر ، فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة وحصر مرجع البلاغة
في الفنين ، ولم يجعل للفصاحة مرجعا لشيء منه .
ثم قال ^(٤) :

وإذ قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية ، فأنا
أذكر على سبيل الأتموزج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة
والفصاحتين ما عسى يسترها عنك ، وذكر ما أورده الزمخشري في

(١) أى من بحوث الفن الثانى

(٢) راجع ص ١٧٥ مفتاح

(٣) راجع ص ١٧٦ مفياح

(٤) ١٧٦ مفتاح

تفسير قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء اقلعي ، وغيض
الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم
الظالمين ، ^(١) وزاد عليها نسكتا لا بأس بها ، فرأيت أن أورد تلخيص
ما ذكره جاريا على اصطلاحه في معنى ابلاغه والفصاحة ، قال ^(٢) :

[١ - أ] أما النظر فيها من جهة علم البيان :

فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما اتعبر من
الأرض إلى بطنها فارتد ، وانقطع طوفان السماء فانقطع ، وان يغيض
الماء التازل من السماء فغاض ، وان يقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا
وعدناه من اغراق قومه فقضى ، وان نسوى السفينة على الجودي
فاستوت ، وابقينا الظلمة غرقى . بنى الكلام على تشبيه المراد منه
بالمأمور الذي لا يقاى منه لكمال هيئته المصيان ، وتشبيهه تكوين
المراد بالامر الجزم النافذ في تكوين المقصود ، تصويرا لاقتداره تعالى
وان السموات والأرض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته كأنها عقلاء
مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الاتقياد لامره ،
وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نظم

(١) راجع الآية والكلام عليها في ص ٢٦ من الدلائل ، وفي ص ١٦٩

صناعتين .

(٢) ١٧٦ مفتاح

الكلام ، فقال تعالى « قيل » على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها
قول القائل ، وجعل قرينة المجاز خطاب الجمد وهو ، يا أرض ويا سماء ،
ثم قال « يا أرض ويا سماء » مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور
ثم استعاض لغور الماء في الأرض البلع الذي هو أعمال الجاذبة في المظوم ،
بجامع الذهاب إلى مقر خفي واستمتع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق
الاستعارة بالكناية ، لتقوى الأرض بالماء في الانبات للزرع والاشجار
وجعل قرينة الاستعارة لفظ « ابلى » ، لكونه موضوعا للاستعمال
في الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره ،
ثم قال « ماءك » بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز ، تشبيها
لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالملك ، واستعار حبس المطر الاقلاع
الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ، وخاطب في
الامرين ترشيعا للاستعارة ؛ ثم قال « وغيض الماء وقضى الأمر واستوت
على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » فلم يصرح بالفائض والقاضى
والمسوى والقائل كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء ، سلوكا في كل
واحد من ذلك سبيل الكناية ، وأن تلك الأمور العظام لا تتأني إلا من
ذى قدرة لا تسكتنه ، قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن
يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ؛ ثم ختم الكلام بالتمريض لسالكى
مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم ، ختم اظهار لمكان السخط
ولجهة استحقاقهم اياه .

[٢ -] وأما النظر فيها من حيث علم المعاني (١) :

وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها ، ووجهة كل تقديم وتأخير بين
جملها ، فذلك أنه اختير « يا » دون سائر أخواتها ، لكونها أكثر
استعمالاً ، ولدلالتها على بمد المفادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة
ويؤذن بالتهاون به ؛ ولم يقل « يا أرض » ، بالكسر تجنباً لاضافة التشريف
تأكيداً للتهاون . ولم يقل « يا أيها الأرض » للاختصار ، مع الاحتراز عما
فى « أيها » من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام ، لكون المخاطب
غير صالح للتنبيه على الحقيقة ، واختير لفظ الأرض دون سائر أسماءها
لكونه أخف وأدور ؛ واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة ؛
واختير « ابلعى » على ابتلى لكونه أخصر ، ولجىء حفظ التجانس
بينه وبين أقامى أو فى ؛ وقيل « ماءك » بالافراد دون الجمع لدلالة الجمع
على الاستكثار الذى ياباه مقام اظهار الكبرياء ؛ وهو الوجه فى افراد
الأرض والسماء ؛ ولم يحذف مفعول ابلعى لثلا يفهم ما ليس بمراد من
تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها ، نظراً الى مقام ورود
الامر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ؛ ثم اذ بين المراد اختصر الكلام
على اقلعى ، فلم يقل اقلعى عن ارسال الماء احترازاً عن الحشو المستغنى

عنه من حيث الظاهر ، وهو الوجه في أنه لم يقل يا أرض ابلعي ماءك
 قبلت وياسماء أقلى فأقمت ، واختير « غيض الماء » على غيض
 المشددة لكونه أخصر وأخف وأوفق لقليل ، وقيل الماء ، دون أن
 يقال ماء طوفان السماء ، وكذلك الامر دون أن يقال أُر نوح ،
 للاختصار ، ولم يقل سويت على الجود بمعنى أقرت على نحو قيل
 وغيض وقضى في البناء للمفعول ، اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة
 في قوله وهي تجري بهم مع قصد الاختصار ، ثم قيل ، بعدا للقوم ،
 دون أن يقال ليعبد القوم طلبا للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول
 ' بعدا ، منزلة ليعبدرا بعدا ، مع افادة أخرى وهي استعمال اللام مع
 بعد الدال على معنى أن ابعد حق لهم ثم أطلق الظلم ليعتدل كل نوع
 حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هـ — هذا من حيث النظر إلى الكلام ، وأما من حيث النظر إلى
 ترتيب الجمل ، فذلك أنه قدم النداء على الامر ، فقيل يا أرض ابلعي
 وياسماء أقلى ، دون أن يقال ابلعي يا أرض وأقلى ياسماء ، جريا على
 مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة ، من تقديم التنبيه ليتمكن
 الامر الوارد عقبيه في نفس النادى ، قصدا بذلك لمعنى الترشيع ، ثم
 قدم أمر الارض على أمر السماء لا ابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك

في القصة منزلة الاصل ، ثم أتبعهما قوله ، وغيض الماء ، لاتصاله بقصة
الماء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله « وقضى الأمر »
أى أنجز الوعد من اهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة
ثم أتبعه حديث السفينة ، ثم ختمت القصة بما ختمت .

هذا كله نظر في الآية من جانب البلاغة .

وأما ^(١) النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية :

فهى كما ترى نظم للمعاني لطيف ، وتأدية لها ملخصة مبينة ،
لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ، ولا التواء يشيك الطريق إلى
المراد بل ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها .

وأما ^(٢) النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية : فالألفاظ على ما ترى
عربية مستعملة ، جارية على قوانين اللغة ، سايمة عن التنافر ، بعيدة عن
البشاعة ، عذبة على العذبات ، سلسلة على الاسلات ، كل منها كالماء في
السلسلة ، وكالعسل في الحلاوة ، وكالنسيم في الرقة ^(٣) والله أعلم .

(١) ١٧٨ مفتاح

(٢) ١٧٨ مفتاح

(٣) راجع الكلام على الآية في دلائل الإعجاز ص ٣٦ و ٣٧

آراء في الكناية

بحث للأستاذ محمد خفاجي

١ -- التعريض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء^(١).

والكناية قسمان : لغوية واصطلاحية ؛ فاللغوية ذكرها المبرد في كامله وذكر أقسامها^(٢) ، ويشير إلى مثل الكناية الاصطلاحية^(٣) وكلامه يفهم منه أنه يسميها إيماء ، ويسميها قدامة ، الأرداف^(٤) ، وكذلك أبو هلال^(٥) ، ويسميها ابن رشيق التبع^(٦) ، ويقول الجاحظ في البيان عن أبي عبيدة : المعارضة كناية عن الإذناء وإذا قالوا فلان مقتصد فنلك كناية عن البخل الخ^(٧) ، وقال شريح : الحدة كناية عن الجهل وذكر مثلاً أخرى^(٨) . وقال الجاحظ : وقد يستعمل الناس الكناية وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون أن يظهر المعنى بألين لفظ إما تنوها وإما تفضلاً كما سموا المعزول مصروفاً والبخيل مقتصداً^(٩).

وفي خطابة أرسطو : « ومن حسن أدب الخطيب إذا حاول العبارة عن معنى فاحسن ألا يصرح بل يستعير له ويقيم شيئاً بدله ، وذلك أساس لبحث الكناية التي ذكرها الجاحظ في بيانه .

(١) ٣٦٠ صناعتين .

(٢) ٥ و ٦ / ٢ الكامل .

(٣) ٧٧ و ١٦٦ / ١ و ٩٢ و ٢٨١ / ٢ الكامل .

(٤) ٩٢ نقد الشعر .

(٥) ٣٤١ الصناعتين .

(٦) ٢٨٢ / ٩ العمدة .

(٧) ١٨٠ ج ١ البيان .

(٨) ٢٩ - ٣١ ج ٢ البيان .

(٩) ١٢٣ ج ١ رسالة النساء للجاحظ حفظ بهامش الكامل للبرد .

وقد ذكر ثعلب « لطافة المعنى » وعرفه بأنه هو الدلالة بالتمريض على التصريح^(١) و ذكر مثلاً له^(٢) . وفي العقد باب للكناية والتمريض^(٣) ، وفي الصاحب أيضاً^(٤) . ويذكر صاحب نقد النثر ، اللحن ، بمعنى التمريض والكناية^(٥) ، وتكلم ابن المعتز في كتابه البديع عليه وجعله نوعاً من أنواع البديع .

٢ - هذا وراجع الكناية في ص ١٧٠ مفتاح ، والارداف في الصناعتين ص ٣٤١ ، وراجع ص ٥ و ٦ ج ٢ السكاكيل للبرد ، وفي الصناعتين باب باسم الكناية والتمريض [ص ٣٦٠] : وفي الدلائل (ص ٥٢ و ٢٢٧) كلام على الكناية ، وراجع نقد الشعر ص ٩٢ .

وراجع الفرق بينها وبين المجاز في شرح الدسوقي ص ١٠٨ ج ١ و ص ٢٨٧ ج ٢ ، و ص ٢٨٣ ج ٣ وما بعدها السبكي .

وراجع معناها عند المصنف والسكاكي في ص [٣٠٠ ج ١ شرح الدسوقي] .
٣ - هذا و زيد كثير الرماد ، لما لم يكن له رماد ولا طبخ من قبيل الكناية التخييلية (٦٣ ج ٢ السبكي) .

واخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر كتابة عند السكاكي (ص ٥١ مطول)
٤ - الكناية على مذهب السكاكي كما سبق هي اللفظ المستعمل في ملزوم معناه أى الذى أريد به الملزوم ، وعند المصنف هي اللفظ المستعمل في لازم معناه ، أى

(١) ٩ قواعد الشعر .

(٢) ١٩ - ٢١ المرجع .

(٣) ١٠ - ١٤ ج ٢ العقد .

(٤) وينقد ابن الأثير الجاحظ لعدة بنا لنصيب من الكناية وهو :

فما جوا فأنثوا الذى أنث أهله ولو سكتوا أنثت عليك الحفائب

ويرى أن البيت من التشبيه المضمرة الأداة الخارج عن الكناية [٤٩] وما بعدها المثل السائر .

(٥) ٥٩ نقد النثر .

لفظ الملزوم المستعمل في اللازم مع جواز إرادته .

١٢ — الكناية حقيقة ، وقيل مجاز ، وقيل لاحتمال حقيقة ولا مجاز (٧ ج ٤ دسوقي) .
ويرد السبكي على الخطيب في أنها ليست حقيقة ولا مجازا ، ويذكر أن الكناية بحاجة
أقربته (٢٣ ج ٤ السبكي) . والكناية عند المصنف ليست حقيقة لاستعمالها في غير
ما وضعت له والحقيقة يجب أن تكون مستعملة في ما وضعت له ، وليست مجازا
لأن قريبتها غير مازنة والمجاز قريبته يجب أن تكون مازنة (٢٦ ج ٤ دسوقي) ...
والكناية عند الجمهور ومنهم السكاكي حقيقة ، وعند السبكي قد تكون حقيقة وقد
تكون مجازا . وقيل إنها مجاز .

٦ — الفرق بين الكناية والمجاز :

عند السكاكي الانتقال في الكناية من اللازم إلى الملزوم وفي المجاز بالعكس ،
وعند المصنف يجوز فيها إرادة المعنى المطابق مع إرادة لازمه والمجاز لا يجوز
فيه ذلك .

وعند السبكي الكناية لفظ أريد به موضوعه ليستفاد غير موضوعه ، والمجاز
لفظ أريد به غير موضوعه ، وغير الكناية من الحقيقة لفظ أريد به موضوعه
ليستفاد منه ذلك الموضوع له ، والمقصود بالكناية بالذات اللازم وإرادة الملزوم
تبع ؛ والمقصود بالحقيقة الملزوم فإن فهم منه بعض لوازم معناه تضامنا والتزاما
كان إرادة اللازم تبعا وكان حقيقة قطعاً (٢٨٧ ج ٣ ابن يعقوب) .

فإن الكناية يصح أن يقال فيها إنها لفظ أريد به غير معناه باعتبار إرادة
الإفادة وأن يقال لفظ أريد به معناه باعتبار الاستعمال ، فالكناية عند السبكي
تفارق المجاز في أنها ليس هي — انتقال الاستعمال بل انتقال الذهن فقط (وهو
انتقال الإفادة) .

ملاحظة رأى السبكي في الفرق بين المجاز والكناية : هي أن في الكناية إرادة
شيئين : أحدهما مدلول اللفظ وتلك إرادة استعمال ، والثاني ملزومه وتلك إرادة
إفادة ، أما المجاز ففيه إرادة شيء واحد هو مدلول اللفظ ، والتحقيق أن المجاز فيه
إرادتان أيضا : إرادة استعمال وإرادة إفادة ، غير أنهما تواردا على محل واحد ،

بخلاف الكناية فإن إرادة الاستعمال فيها في الموضوع وإرادة الأفادة في متعلقه ، فلا تفاوت بينهما إلا في أن محل الإرادتين في أحدهما واحد وفي الآخر متعدد .
٧ - الفرق بين التشبيه والاستعارة والكناية :

١ - التشبيه من أساليب الحقيقة ، والاستعارة من أساليب المجاز ، والكناية وسط بين الحقيقة والمجاز لجواز إرادة المعنى الحقيقي والكِنائي فيها ، فقولك : فلان نقي الثوب ، تكني به عن طهارته واستقامته ، وقد يكون مع ذلك نقي الملابس أيضا .
ب - التشبيه فيه أداة للتشبيه . والاستعارة لا أداة للتشبيه فيها مع ملاحظة التشبيه . والكناية بعيدة عن أسلوب التشبيه .

ج - والتشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بأداة لغرض مثل محمد كالأسد .

وأما الاستعارة : فهي نقل اللفظ من معناه الأصلي الذي وضع له إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي مشابة لقصد المبالغة . مثل : رأيت أسدا .
والكناية تأدية المعنى المراد بذكر لازم من لوازمه . مثل الكرم في أثوابه .
٨ - الانتقال عند السكاكي في الكناية لا المجاز من اللازم إلى الملزوم : واعترض عليه المصنف بأن اللازم قد يكون أعم فلا ينتقل منه إلى الملزوم : إذ لا إشعار للأعم بالأخص . والجواب عن السكاكي أن اللازم إنما ينتقل عنه لا من حيث إنه لازم بل من حيث أنه ملزوم : وإنما سباه لازما من حيث إنه تابع للغير وإلا فهو ملزوم في المعنى .

فالخلاف بين السكاكي والمصنف في الانتقال من الكناية لفظي (٢٨٧ ج ٣ دسوقي) . ومذهب المصنف أن الانتقال في الكناية كالمجاز هو من الملزوم إلى اللازم . ولتوضيح ذلك نقول : عرفت الكناية بأنها لفظ أريد به لازم معناه : فعنى اللفظ إذا ملزوم والمعنى الكِنائي لازم : وفرق السكاكي بين الكناية والمجاز بأن الكناية مبنية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ؛ فقضى هذا أن معنى اللفظ لازم والمعنى الكِنائي ملزوم .

وهذا تناقض واضح ، لذلك رأى الخطيب أن اللازم يراد به ضرورة في الكناية

ما كان مساوياً للزوم ، حتى يصح الانتقال حينئذ من اللازم إلى الملزوم وما دام اللازم مساوياً فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم . وهناك رأى آخر في دفع هذا التناقض ، فقد قيل : إن هناك تلازماً في الوجود وتلازماً في العلم ، فاللزام الوجودي أن يوجد شيء أولاً ، ثم يستتبع وجود ذلك الشيء وجود شيء آخر ، كنزول المطر مع النبات ، فنزول الماء ملزوم وظهور النبات لازم ، وكطول النجم والقامة فالأول لازم والثاني ملزوم ؛ وأما التلازم في العلم فإن يكون العلم بوجود شيء مستتباً العلم بوجود شيء آخر فيكون أول المعلومين ملزوماً وثانيهما لازماً ، فالعلم بظهور النبات في صحراء مستلزم للعلم بنزول المطر ، والعلم بطول النجم لشخص مستلزم للعلم بطول القامة ، فرى أن اللازم في الوجود قد صار ملزوماً في العلم فإذا نظر إلى التلازم من حيث الوجود لا يخرج الملزوم عن كونه ملزوماً واللازم عن كونه لازماً ؛ أما إذا نظر إلى التلازم في العلم فيصح اعتبار كل منهما لازماً وملزوماً والسكاكي إنما أراد اللزوم في الوجود ، فدلول اللفظ الحقيقي دائماً هو اللازم في الوجود والمعنى الكينائي هو الملزوم ؛ فاعراض الخطيب على السكاكي باشتراط التساوي في التلازم غير صحيح ، ومنشؤه إغفال الفرق بين التلازم في الوجود وفي العلم ، ففي الأول الملزوم في الوجود ملزوم واللازم لازم ، والثاني يقتضى التساوي فيه صحة كونه لازماً وملزوماً . فتعريف الخطيب ملاحظ فيه التلازم في العلم ، فعنى اللفظ الحقيقي ملزوم في العلم والمعنى الكينائي لازم ؛ وسننه لى الكلام على ذلك فيما يل . والخلاصة أن الكينائية عند السكاكي الانتقال فيها على ما ذكره من اللازم إلى الملزوم والمجاز بالعكس ، أما المصنف فالانتقال عنده في المجاز والكينائية من الملزوم إلى اللازم ، وعند السبكي الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم أو من اللازم إلى الملزوم

٩ — عرفوا^(١) الكينائية بأنها لفظ أريد به لازم معناه ومقتضى هذا التعريف أن معنى اللفظ يكون ملزوماً والمعنى الكينائي يكون لازماً ، ولما فرق السكاكي بين المجاز والكينائية قال : إن مبنى الكينائية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم

(١) من بحث للاستاذ حامد محيسن في البلاغة

ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم، ومقتضى هذا الفرق أن المعنى
السكراني يكون ملزوما والمعنى الحقيقي للفظ يكون لازما، فيكون هذا الفرق مناقضا في
مقتضاه للتعريف، فإن المعنى السكراني كما رأيت لازم بمقتضى التعريف وملزوم
بمقتضى فرق السكاكي. والخطيب في إيضاحه قد نظر فيما فرق به السكاكي بأن
اللازم مالم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم، يريد أن اللازم مالم يكن
مساويا للملزوم لا يمكن الانتقال فلا تصح السكرانية، ثم أخذ الخطيب بعد ذلك
يحتمل على تصحيح الفرق الذي نقله عن السكاكي، وانتهى الأمر بعدم صحة ذلك الفرق
.. وأقول إن هناك تلازما في الوجود وتلازما في العلم أما التلازم في الوجود فإن
يوجد شيء أولا ثم يستتبع وجود ذلك الشيء وجود شيء آخر، كنزول المطر
مثلا مع النبات، وكتناول الماء والرى، وكطول القامة وطول النجاد، فأت
تري في هذه كلها أن أول الشئين وجد أولا وثانيهما وجد ثانيا، فنزول الماء
ملزوم وبدو النبات لازم، وتناول الماء ملزوم والرى لازم، وطول القامة
ملزوم وطول النجاد لازم، وكله تلازم في الوجود. وأما التلازم في العلم: فإن
يكون العلم بوجود شيء مستتبعا للعلم بوجود شيء آخر، فيكون أول المعلومين
ملزوما وثانيهما لازما، كما ترى في الأمثلة الثلاثة المتقدمة: ترى أن العلم بيدو النبات
في صحراء لا يأتيها الماء إلا من السماء مستلزم للعلم بنزول الماء من السماء، والعلم
بالرى مستلزم للعلم بتناول الماء، والعلم بطول النجاد لشخص مستلزم للعلم بطول
القامة، فترى أن اللازم في الوجود قد صار ملزوما في العلم، ومن هذا ما تراه في
استدلالم بوجود هذه المخلوقات على وجود الصانع: من أن وجود المخلوقات تابع
لوجود الصانع، ولكن وجود المخلوقات لما اعتبر دليلا على وجود الصانع، والدليل
كما قرروا ملزوم والنتيجة لازمة، فقد صار بذلك اللازم في الوجود ملزوما في
العلم، والتساوى بين اللازم والملزوم إذا نظر إلى التلازم من حيث الوجود
لا يخرج الملزوم عن كونه ملزوما واللازم عن كونه لازما، أما إذا نظر إلى
التلازم من حيث العلم صح أن يعتبر كل منهما لازما وملزوما؛ فإذا كانت الناطقية
مساوية للإنسانية فلك أن تعتبر الناطقية ملزوما من حيث العلم والإنسانية لازما،

ولك أن تعتبر الانسانية من هذه الحزمة ملزوما والناطقة لازما وعلى هذا الاعتبار انبنى التلازم في السكناية ، فلم يكن اللازم مساويا للملزم لا تصحح السكناية .

بهذا يتبين لك أن ما أورده الخطيب في إيضاحه على ما فرق به السكاكي بين السكناية والمجاز مبنى على عدم الالتفات الى الفرق بين اللازم في الوجود واللازم في العلم . والسكاكي إما أراد اللزوم ، وأنت إذا تتبعت أساليب السكناية وجدت مدلول اللفظ الحقيقي دائما هو اللازم في الوجود ، والمعنى السكناي هو الملزم في الوجود . واليك الامثلة : يقولون فلان كثير الرماد ، كثرة الرماد في الوجود تابعة للكرم فيه ، فالكرم أولا وكثرة الرماد ثانيا ؛ ويقولون بعيدة مهوى القرط فبعد مهوى القرط في الوجود تابع لطول العنق فيه ؛ ويقولون المجد بين برديه ، وجود المجد بين بردي الشخص إن فرض وجوده إنما يكون بعد وجود ذي البردين ؛ وهكذا لا ترى المعنى السكناي إلا تابعا في الوجود لمعنى اللفظ . وعلى هذا فاعتراض الخطيب على السكاكي باشتراط التساوي في التلازم غير صحيح ، ومنشؤه اغفالهم هذا الفرق بين التلازمين ، فانك كما علمت ترى التساوي بين المتلازمين لا يخرج الملزم في الوجود عن كونه ملزوما واللازم فيه عن كونه لازما ، وإنما يقتضى التساوي صحة اعتبار كل منهما لازما وملزوما إذا نظر إلى التلازم في العلم .

أما تعريف الخطيب فهو ملاحظ فيه التلازم في العلم ، والذي يوضح لك هذا أنهم يقولون إن السكناية بمثابة دعوى الشيء ببيئة ، والبيئة كما تعلم هي الدليل ، والدليل ملزم في العلم والنتيجة لازمة . فيكون معنى اللفظ الحقيقي في أسلوب السكناية هو البيئة والدليل ، فهو ملزم في العلم ، والمعنى السكناي لازم . فإذا قلت مثلا : فلان مهزول الفصيل ، فمعنى مهزول الفصيل الحقيقي محمول دليلا على الكرم ، فمتى علمت هزال الفصيل لا مرى علمت أنه كريم : وهم حين يستدلون على العلم بوجود الشيء يستدلون عليه بوجود آثاره ولوازمه ، فاللوازم في لوجود ملزومات في العلم

هذا وأما التعميرض : فيقال في اللغة على غير التصريح فإذا قلت عرض فلان بفلان أو لفلان كان معناه أنه رماه بشيء لا عن طريق التصريح بل أفهمه بواسطة المقام

والقرينة . وعلى ذلك جاء قول الرسول الكريم : إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ، وعلى ذلك أيضا جاء قوله تعالى : ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ، أما التعريض في اصطلاح البيانين فقد اختلفت عباراتهم في تعريفه ولقد يكون أظهر ما يقال في تحديده : أنه إيراد الكلام لافهام معنى ليس له بمعنى اللفظ المراد منه علاقة كالمشابهة أو التلازم ، لا المعمول في إفهامه على القرينة والمقام . فانك مثلا إذا قلت في مجلس فيه كذاب : أنا لست بكذاب ، معرضا بهذا الكذاب تريد أن تنسب إليه الكذب وذلك هو المعنى التعريضى ، فإذا نظرت الى المعنى الحقيقى للفظ وهو نفى الكذب عن المتكلم ، والمعنى التعريضى الذى هو نسبة الكذب ، لشخص معين ، اذا نظرت اليهما لم تجد بينهما ما بين الرجل الشجاع والأسد من مشابة اذا قلت رأيت أسدا يخطب الناس ، ولم تجد بينهما كذلك ما بين الجنة والرحمة من حالية ومحلية في مثل قوله تعالى : ففى رحمة الله هم فيها خالدون ، ، ولم تجد بينهما كذلك ما بين طول النجاد وطول القامة من تلازم حين تقول فلان طويل النجاد لتكنى به عن طول القامة ، لا تجد بينهما من مثل ذلك شيئا ، بل كل ما انفهم به المعنى التعريضى هو القرينة والمقام ، ولذلك ترى بعضهم قد قارب في تعريفه فكاد يصيب حين قال : « التعريض هو افهام المعنى بواسطة السياق والقرائن » .

فإذا كان التعريض هو ذلك المعنى الذى فهمته من التعريفين المتقدمين في اصطلاح البيانين ، ظهر لك أن التعريض شئ غير الكناية والواقع كذلك ، اذ الكناية قد عرف بما تقدم أنها تدور على أن تذكر شيئا وتريد متبوعه في الوجود وملزومه ، فلا تتم الكناية حتى يكون بين المعنيين الحقيقى والكنائى تلازم ، يرجع الى عقل أو الى عرف أو الى عادة . أما المعنى التعريضى فلا يتوقف افادته على ذلك الارتباط بينه وبين المعنى المراد من اللفظ ، بل مدار افهامه وفهمه على القرينة والسياق ، كما اتضح لك هذا فى المثال السابق . وكما ظهر أن التعريض غير الكناية ، فقد ظهر أن التعريض غير المجاز ، اذ المجاز لا بد أن يكون فيه ارتباط بين المعنى الحقيقى وبين المسمى المجازى وهو ما يسمونه بالعلاقة ، والعلاقة قد تكون المشابهة وقد تكون غير المشابهة . وهى ما فصلوه فى المجاز المرسل

وقد يدور بالذهن سؤال ، هو أن مقتضى تعريف التعريض أنه يبين الكناية
 كإيصال المجاز ، ومقتضى ما نقله صاحب التلخيص عن السكاكي من قوله : « الكناية
 تنفاوت إلى تعريض وتلويع ورمز وإيماء وإشارة ، أن التعريض كالتلويع والرمز
 وغيرهما قسم من الكناية ، والمقتضيان كما ترى متناقضان ، وهذا هو الاشكال الذي
 يعترض القارىء في هذا المقام ، ولا يقدح في هذا التعبير بالتفاوت دون التعبير بالانقسام
 إذ أن ما وجهوا به عبارته لا يفضى على أى حال إله أن التعريض مبين للكناية بل
 يؤدى على أى تقدير إلى أن التعريض قسم من الكناية ، لأن التوجيه بأن التعبير
 بالتفاوت إنما أوتر على التعبير بالانقسام لأن التعريض أعم من الكناية من وجه إذ
 قد يكون كناية تارة وقد يكون مجازا أخرى ، لا يجعل التعريض مبينا للكناية ، بل
 يجعله باعتبار من اعتباراته قسما من الكناية ، كما نظروا لذلك بتقسيم الحيوان إلى
 الأبيض والأسود حيث لم يكن عموم الأبيض من وجهه حين يوجد في الثلج
 والقطن مثلا مانعا من اعتبار الأبيض قسما للحيوان بقيد كونه حيوانا فكذلك
 يكون التعريض قسما من الكناية بقيد كونها كناية ، وتوجيه بعضهم التعبير بالتفاوت
 دون الانقسام بأنه إنما عبر بهذا لتداخل تلك الأقسام التي هي التعريض والتلويع والرمز
 والإيماء والإشارة ، كذلك لا يخرج التعريض عن كونه قسما من الكناية ، فالاشكال على
 أى تقدير واضح محوج إلى تحقيق المقام ، ويزيد في هذا الاشكال ما نقله صاحب التلخيص
 أيضا عن السكاكي من أن التعريض أيضا قد يكون مجازا كقولك أذيتنى فستعرف
 وأنت تريد إنسانا مع المخاطب دونه ، وإن أردتهما كان كناية ، فأنت ترى أن ما نقله
 السكاكي صريح في أن التعريض يكون مجازا تارة ويكون كناية أخرى على حسب
 إرادة المتكلم واختلاف المقام المقتضى لاختلاف الإرادة ، وهو يقضى بأن التعريض
 ليس مبينا للكناية مما يتم به الاشكال ويتضح -

الواقع أن التعريض يبين الكناية ، وأن الصحيح هو ما يقتضيه تعريف
 التعريض ، أما ما نقله صاحب التلخيص عن السكاكي ، فالعبرة الأولى التي هي
 قوله : « الكناية تنفاوت الخ » ، فرض السكاكي من هذا الإشارة إلى أن الكناية

أحيانا قد تكون طريقا للتعريض ، على معنى أن اللفظ إن كان يستعمل في معنى كثنائي فقد يقصد منه إفادة معنى تعريضى عن طريق السياق والتقرينة ، فيكون اللفظ أحيانا مفيدا للمعنى كثنائى ولمعنى تعريضى عن طريق السياق والتقرينة ، وأحيانا لا يصحب الكناية تعريض ، وسين ذلك يتحقق فيها معنى التلويح إذا كان المعنى الكثنائى بعيدا كثير الوسائط ، أو معنى الرمز إذا كان المعنى الكثنائى قريبا خفيا ، أو معنى الايماء والاشارة إذا لم يكن خفيا ولا بعدا ولنوضح هذا بمثال يتبين الامر جليا ، مثلا إذا أنت قلت : المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، فان المعنى الحقيقى لهذا اللفظ قصر الاسلام على الذى لا يؤذى الناس أبدا غير أن هذا المعنى ليس هو المقصود إنما المقصود لازم هذا ، وهو نفي الاسلام عن المؤذى مطلقا وهذا هو المعنى الكثنائى وأنت أحيانا قد تريد التعريض بشخص معين فتريد نفي الاسلام عن مؤذ معين ، وهذا هو المعنى التعريضى فانت تراه قد جاء مع المعنى الكثنائى ، فإذا قال السكاكى إن الكناية قد تتفاوت إلى تعريض وتلويح الخ . كان المعنى أن الكناية قد يصحبها التعريض كما فى المثال المتقدم وقد لا يصحبها . وبهذا يتبين ، أن عبارة السكاكى لم تقتض أن التعريض قسم من الكناية إلا أنه يبقى أن عبارته الثانية التى نقلها صاحب التخليص . وهى قوله :

والتعريض قد يكون مجازا كقولك آذيتنى فستعرف الخ : نص فى أن التعريض يكون أحيانا كناية ، ويبقى الاشكال بحاله كما كان ، والواقع ليس كذلك إذ أن صاحب التلخيص عزى تلك العبارة إلى السكاكى مع أن عبارة السكاكى فى هذا المقام ليست كذلك ، وإليك نصها : حتى تعلم أنها تفيد غير ما تفيد تلك العبارة التى فى التلخيص ، عبارة السكاكى فى المفتاح : « وأعلم أن التعريض تارة يكون على سبيل الكناية وأخرى على سبيل المجاز فإذا قلت آذيتنى فستعرف وأردت مخاطب ومع المخاطب إنسانا آخر معتمدا على قرائن الاحوال كان من القبيل الاول ، وإن لم ترد إلا غير المخاطب كان من القبيل الثانى ، وتأمل وعلى هذا فقص وفرع إن شئت فقد نهنتك ، وأنت ترى أن عبارة السكاكى تفيد بكثير من الوضوح أن التعريض

ثارة يجرى مجرى المجاز على معنى أنه قد يمنع المقام من إرادة غير المعنى التعريضى مع المعنى التعريضى فيكون شأنه شأن المجاز من أن قرينته تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، وقد يجرى التعريض مجرى الكناية ، على معنى أنه قد يراد المعنى الحقيقي للفظ مع المعنى التعريضى ، فيكون شأنه شأن الكناية ، إذ الكناية لا تمنع قرينتها من إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى الكنائى . وليس معنى كلام السكاكى أن التعريض تكون حقيقة — ، حقيقة الكناية تارة وتكون حقيقة حقيقة المجاز تارة أخرى ، والا لما قال : التعريض تارة يكون على سبيل الكناية ، بل لو كان الامر كما يئيده عبارة التلخيص لقال : التعريض تارة يكون كناية ولا يقول على سبيل الكناية ، المفيد أنه يريد أن التعريض قد يكون طريقه كطريق المجاز ، من حيث أنه قد يراد مع المعنى التعريضى المعنى الحقيقي ، فيكون شأنه كشأن الكناية ، وقد لا يراد فيكون شأنه كشأن المجاز . — هذا ما أراده السكاكى وبفهمه يندفع الاشكال والاضطراب الذى وقع بين الكاتبين ، وسبب ذلك كله فهم صاحب التلخيص لعبارة السكاكى على غير وجهها فقلها بالمعنى الذى فهمه ، وإلا فالكناية غير التعريض وأنه ليتجلى لك هذا حين تتبع كلام العرب ، فتجدهم يفرقون فى كلامهم بين التعريض والكناية .

١٠ — أغراض الكناية وبلاغتها :

تستعمل الكناية لتحقيق الاغراض الآتية :

١ — تأكيد المعنى بتصويره تصويراً واضحاً مصحوباً بما يؤيده ، وذلك كالكناية عن الندم بعض الانامل وعن الحزن بتقطيب الجبين .

٢ — تهجين الشيء والتنفير منه ، كما فى قوله تعالى فى التنفير من البخل وتهجينه ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . .

٣ — تحسين المعنى وتجميله مع إخفاء الامر على المخاطبين ، كقولك فى رجل لا يحيد الشعر ، هو نبي الشعر ، تكنى به عن عدم إجادته للشعر لقول الله تعالى فى نبيه : وما علمناه الشعر وما ينبغي له . .

٤ — التعبير عن الشيء بلفظ جميل بدل اللفظ المستعمل في الموضوع له كالكناية عن الصمم بنقل السمع وعن العمى باستمرار لبس النظارة .

السر في بلاغة الكناية :

١ — الكناية تأدية المعنى بذكر لازم من لوازمه والسلازم يستدعي وجود الملزوم حتماً ، ففي أسلوب الكناية تؤدي المعنى مصحوباً بدليله ، وذلك أوقع في النفس ، وآكد لاثباته ؛ وهذا هو سر بلاغة الكناية ؛ مثل قولك في رج — والمجديين ثوبيه ، وقول الشاعر :

فساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب
في الشطر الأول كناية عن العز والغنى وفي الشطر الثاني كناية عن الذل والفقر
٢ — والكناية يؤتى بها لتحقيق الأغراض السابقة ، وكلما كانت الكناية أكثر تحفيظاً للغرض الذي سبقت له كانت أكثر بلاغة وجمالاً .

اختلاف الأذواق في تقدير الكناية باختلاف الزمن والبيئة :

١ — تختلف الكناية باختلاف الزمن :

فقد كان العربي يمدح المرأة فيمكنى عن ترفها بقوله : (هي ثوم الضحى) ، ونحن الآن نجد ذلك مظهر الكسل والخول .

والكناية : هو كثير الرماد كناية عن الكرم ، كانت لها بلاغتها في العصور القديمة . أما الآن فلا نكاد نشعر لها بجمال ، لأن الذوق يختلف في تقدير الكناية باختلاف العصور . شأنه في ذلك شأنه في التشبيه والاستعارة .

ب — وتختلف الكناية باختلاف البيئة :

يمكنى العربي في الصحراء عن الإقامة فيقول : ألقى عصا التنسيار .

ويمكنى عن المجد فيقول : جبان الكلب ومهزول الفصل .

قال شاعرهم : وما بك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصل

أما نحن فنسكني عن الثراء مثلاً بقولنا : فلان يقطن السيارات الفاخرة ، أو هو
معروف الاسم في المصارف
توايد الصور البيانية :

١ - الأديب الفذ يولد دائماً صور البيان بما يرى ويلاحظ من أشياء ومناظر
واختراعات .

١ - فيقول في التشاؤم : يرى الأمور بمنظار أسود .

ب - ويقول في الرجل الطموح : هو - لقي في أفق من الآمال والمجد
والعبقريّة .

ج - وقال أبو تمام يستدل على أنه لبس بعيب ، أن يكون كريماً مع فقره بما
يراه كل الناس من عدم استقرار المطر على رؤس الجبال .

د - لا تنكروا عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
ويصور الله عز وجل الحق في بقائه والباطل في تلاشيهِ بما يراه الناس
في كل وقت من رسوب الأجسام الكثيفة في الماء وتأرجع الأجسام الخفيفة فوق
سطح الماء :

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

٢ - وبعض الصور المولدة الجديدة قد يعم استعمالها لشهرتها . فيؤدى ذلك
لا تمثالها وضئاع كبير من بهجة جدتها وطاقاتها وجمالها كما نرى من : تشبيه الوجه
الجميل بالفمر أو الشمس ، وكتشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالبحر .

٣ - وقد يتناول البليغ الأديب هذه الصور المألوفة . فيتصرف فيها تصرفاً
ساحراً يجعلها كأنها جديدة طريفة . وذلك كقول المتنبي :

كالبدر من حيث التفت رأيتَه يَهْدِي إلى عينيك نورا ثاقباً
كالبحر يقذف للقريب جواهرها جوداً ويعث البعيد سخائبها
كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

وگفت قول البحرى :

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشا أنك انحدار وارثفاع
كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
تشبيه الزجل بالشمس فى الرفع ممتد . ولكن البحرى جعل الممدوج قريبا
بتواضعه بعيدا بمجده كالشمس قريبة بشعاعها وضوئها بعيدة بمكانها وجرمها .
تحدد صور البيان :

١ — صور البيان فى تجديد دائم . تختصر أساليب قديمة مبتذلة . وتحل محلها
أساليب جديدة طريفة .

٢ — والصور التى تضع قيمتها البلاغية إنما يحدث ذلك لها بسبب تغير مناظر
البيئة وعادات العصور وإلفها . . . والصور الجديدة تتولد من مشاهد البيئة والزمن
والحضارة ومناظرها .

فقد كان العرب يدلون على الكرم بكثرة الرماد وجبن الكلب . وقد أصبحنا
لا نستجيد هذه الصور البدائية . كما ضربوا المثل فى الذلة بالوتد فقالوا : هو أذل
من وتد . ولا نباهة لهذا المثل عندنا . وكانوا يقولون : زار زئير الأسد . ونحن
الآن نقول : زار زئير المدفع والقنبلة . وكانوا يقولون : هو فى عدوه كالفرس والطير
ونحن نقول : يطير ويطوى الأرض كالطيارة .

٣ — ورغم ذلك فصور البيان القديمة من تشبيه ومجاز وكناية لا تزال كثيرة
جدا ، أما صور البيان الجديدة الرائعة فلا تزال قليلة نادرة رغم أننا نعيش فى
عصر الكهرباء والطيران والمذياع والبخار والذرة .

٤ — ومن الواجب أن نستمد ما يحيط بنا من مناظر الحضارة ومستحدثاتها
الكثير من صور البيان وألوانه من التشبيهات والكنائيات والاستعارات ، كما
فعل حافظ إبراهيم حين قال .

كان فؤادى لمبرة قد تمغطست بحبك أنى حرفت عنك تعطف

٥ — وإحداث الصور البيانية الجديدة يزيد فى ثروتنا الأدبية واللغوية ، ويجعل

اللغة سهلة التقياد ويدل على مدى نشاطنا الفكري والأدبي ، فلملون صور التشبيه والاستعارة والكنائية بألوان حضارتنا وحياتنا وبيئتنا وعصرنا الحاضر.
تراكم صور البيان :

١ - قال الشاعر :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس ، وسقت وردا ، وعصفت على العناب بالبرد
استعار اللؤلؤ للدموع ، والنرجس للعيون ، والورد للخدود ، والعناب للأنامل
والبرد للإنسان في بيت واحد فكثرت الاستعارات وكانت كثرتها وتراكبها
سببا في ضعف قوة الأسلوب وضعف المعنى وعدم وضوحه .

٢ - وقال آخر :

بدت قمر ، ومالت خوطا بان وفاحت عنبرا ، ورنت غزالا
شبه طلعتها القمر ، وقامتها بالغصن ، ورائحتها بالعنبر ، وعيونها بعيون الغزال
في بيت واحد ، فكان الأسلوب ضعيف التصوير قليل التأثير . ومن هذا ترى كيف
أن تراكم صور البيان وكثرتها يضعف روعة الأسلوب وقوة المعنى . والخلاصة أنه :
١ - قد تكثر صور التشبيه أو الكناية في الكلام فتكون سببا في ضعف
قيمه البيانية وقلة تأثيره في النفوس وتصويره للمعنى .

٢ - والأديب البليغ هو الذي يستعمل ألوان الاستعارات والتشبيهات
والكنائيات بقدر ، ووفق إرشاد ذوقه وطبعه ، ليكون الكلام أبلغ وأتم تصويرا
للمعنى .

٣ - ومهما كان فيجب ألا يقصد الأديب الناشئ إلى استعمال التشبيهات
والكنائيات والاستعارات لذاتها ونفسها ولا لتجميل الكلام وتزيينه بها ، ولكن
يجب أن يفهم أنها وسائل لتوضيح المعاني وتصويره تصويرا جميلا أويا مؤثرا .

الكلمة الأخيرة

هذا هو الجزء الخامس من شرحنا على الإيضاح في علوم البلاغة
للخطيب الفزويني المتوفى عام ٧٣٩ هـ ، وهو يشمل بحوث المجاز
والاستعارة والكناية جميعا .

ورغم دقة هذه البحوث وصعوبتها ، فإن كتابتنا فيها تعتبر من
أوفى ما كتب حولها حتى الآن ؛ وفي هذه البحوث خلاصة لآراء
عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، ولا آراء سواه من
أئمة الملائكة .

وكانت لدى بحوث كثيرة كنت عازما على نشرها في ملحق هذا
الجزء ، ومن بينها بحوث في الاستعارة ونقد آراء عبد القاهر
والبلاغيين حولها ، ومنها بحث جديد عن نقد النثر ؛ إلا أن طول هذا
الجزء جعلني أؤخر ذلك إلى الجزء السادس الذي سيظهر قريبا جدا
إن شاء الله .

وبعد فاني أحمد الله على توفيقه ، وأسأله السداد والعون والرشادة ،
وما توفيقى إلا بالله

محمد عبد المنعم ههنا
الأستاذ بكلية اللغة العربية

١٩٥٠ / ١٦

كلمة إنصاف

نشرت مجلة الرسالة في أحد أعدادها الكلمة الآتية :

نشر الأستاذ الكاتب الموهوب عباس خضر رأيه في معركة الخطيب القزويني في الأزهر، وقد تفضل أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ عبدالمعالم الصعيدي، فنشر في الرسالة تمقيها على كلمته. ويبدو أن أستاذنا الجليل يريد أن ينقل المعركة إلى ميدان الرسالة الغراء إذ بدأ فنشر واتهم. وإن إنصافا للحقيقة أضع أمام القراء الحقائق الآتية :

١ - ليس شرح الأستاذ الصعيدي للإيضاح مقرر في الكلية، ولا شرحت أيضا
٢ - لكثير من كبار الأساتذة في كلية اللغة كتب متعددة في علم واحد ومقرر سنة واحدة، فلم يؤد ذلك إلى أن يهاجم السابق اللاحق ولا العكس، بل إنى أثبت في شرحتي على الأستاذ الصعيدي وبمجهوده في شرح الإيضاح.

٣ - وأساتذتنا في الكلية يحرمون على إباحة حرية البحث والتأليف لطلبتهم فكيف يحجر أستاذ على زميله أن يؤلف في البلاغة لأن له كتابا فيها ؟

٤ - وعندما ظهر الجزء الأول من شرحتي بدأني الأستاذ الجليل بالخصومة، وطاف على الطلبة في الفصول ينههم إلى أن كتابه هو المتمد للدراسة وكتاني مملوء بالأخطاء ثم نشر بيانا للطلبة سماه تنوير الطلبة كلية اللغة، يزدد فيه بأخطاء مزعومة في الجزء الأول من شرحتي.

وقال له كثير من الأساتذة : إنه ينهم في نقده مهمل كان، لأن هذا النقد لا يحمل على شيء أكثر من أنه دفاع عن كتاب.

٥ - ورأى أنه لا يصح أن يلحق بغباره أحد، لأن له عشرين مؤلفا. والطريف أن أحد الأساتذة الأجلاء ذكر له أن هذا ليس موضعاً للفخر، لأن للذي ينقده - خفاجي - أكثر من عشرين كتابا بعضها مراجع ومصادر، مع أنه أستاذ ناشئ.

وليت شعري بعد ذلك كله كيف انقلبت هذه المعركة العلوية إلى خصومة اشخصية ضد أستاذنا الجليل الشيخ الصعيدي.

٦ - وإلى أعين القارىء من أن أطيل عليه ، وأكتفى بملاحظات صغيرة
أنشرها توضيحا لمذهب أستاذنا الجليل في إصلاح البلاغة :

١ - ذكر أستاذنا الجليل الجاحظ في شرحه ، فعرّفه بأنه عمرو بن بحر
الاصفهانى ١١ رُسب فيه بيت حافظ المشهور : « الأم مدرسة إذا أعددتها ، اشوقى »
ورأى أن جميع الآراء والمذاهب البلاغية بما حككت لفظية ساقطة ؛ وأن الخلاف
بين عبد القاهر والسكاكى في التقديم والتأخير مثلاً جدل بمل ، إذ ليس بينهما نزاع
حقيقى فى القديم وإفادته التخصيص أو التقوى ، وعبد القاهر عند أستاذنا الجليل
اضطرب كلامه فى البلاغة ، وكذلك أبو هلال . فإذا ما ذكرت الآراء والمذاهب
البلاغية ووازنت بينها فى شرحى كان ذلك عملاً يستحق النقد من أستاذنا الجليل ،
وكذلك إذا كتبت بعض بحوث جديدة عن نشأة البلاغة وعلمائها ومصادرها
كان ذلك خطأ كبيراً منى لأنهم مذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة ،
وإذا ما حققت للكلام على متعلقات الفعل ألامها كسورة أم مفتوحة كان ذلك
عملاً لا داعى إليه فى عصر الذرة ، وإذا ورد ذكر الكناية مثلاً فى علم المعانى
فشرحت معناها فى شرحى كان ذلك ذكراً للشيء فى غير موضعه ، والبيت :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

صدره زيادة زدتها أنا على الايضاح كما يرى أستاذنا الجليل والطريف أن
البيت موجود كما هو أيضاً فى شرحه هو على الايضاح .

ب - ومن مذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة أن ينشر إيضاح
الفزوينى ويكتب على الكتاب ما نصه : « تأليف هبى المتعال الصميدى المدرس
فى كلية اللغة العربية » ، وأن يفصل بين كلام صاحب الايضاح بعنوانين وتطبيقات
دون أن ينبه على أن ذلك مزيد على الكتاب .

ج - وذكر أستاذنا الجليل فى شرحه هذا البيت :

ظمنوا فكان بكأى حولاً كاملاً ثم ارعويت وذاك حكم ليبد

وقال إن فيه تعقيدا معنويا ، فلفت نظره إلى أنه ليس فيه شيء من التعقيد .
نقطاً أنى وقال إنه ليس هو الذى يقول بذلك وحده ، ولكن صاحب الصناعتين
صرح بذلك ، فرجعت إلى كلام صاحب الصناعتين ، فوجدته ذكر البيت ، ووصله
بيت ثان هو :

أجدر بجمرة لوعة إطفائها بالدمع أن تزداد طول وقود
وقال أبو هلال : هذا خلاف ما يعرفه الناس لأنهم قد أجمعوا على أن البكاء
يطفى الغليل الخ ، والمتذوق للأدب يفهم أن كلام صاحب الصناعتين إنما هو عن
البيت الثانى ، أجدر الخ ، ولكن أستاذنا الجليل صرف كلامه إلى البيت الاول
وظعنوا الخ ، فذكره وحده وحذف موضع الشاهد . وبدل كلام صاحب
الصناعتين فنسب إليه القول بأن فى البيت تعقيدا معنويا ، وأبو هلال لا يعنى
أكثر من أنه معنى جديد مبتدع .

وذكر أستاذنا الجليل أن بيت الخطيئة ، أو لك قوم إن بنوا أحسنوا البناء الخ ،
قد نسبه السبكي لابن الرومى ، فلفت نظره إلى أن السبكي ينسبه للثبتي لا لابن الرومى
فرد على بأنه نقل ذلك عن السبكي لوجود ابن الرومى فيه بجوار المتنبي !!

وقال أستاذنا إنه كان يريد أن يؤاخذنى فى تكرار التعليق على بيت أبى نواس
وصيرنى هوالك الخ ، وإن كان قلبه قد سبق إلى بيت آخر بجواره ، ومن الطريف
أن هذا البيت ليس لأبى نواس إنما هو لابن البواب .

أليس فى ذلك وغيره مما لم أذكره يامسدى القارىء ما يصلح أن يكون دعامة
مذهب جديد فى إصلاح البلاغة ، يجب أن ننسبه إلى أستاذنا الجليل ، ولا يصح
أن يؤلف فيها أحد بعده لأنه صاحب مذهب جديد فيها .

محمد عبد المنعم خفاجى
المدرس فى كلية اللغة العربية

ظهرت الكتب الآتية :

١ - أبو هلال العسكري وأثره في البلاغة العربية - تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي .

٢ - شاعر وكتاب - تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

٣ - بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي - الجزء الأول والثاني .

وتطلب من

المطبعة الفاروقية الحديثة بشارع الأمير أرغون بالناصرية بالقاهرة
أو من مكتبة الجامعة الأزهرية لصاحبها نجيب الرافعي بميدان الأزهر

تحت الطبع :

كتاب

عبد القاهر والبلغة العربية

تأليف

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

وكتاب

سر الفصاحة

تأليف الإمام الأديب الناقد ابن سنان الخفاجي م ٤٦٦ هـ

شرح

حسن جاد

محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ بكلية اللغة

الأستاذ بكلية اللغة

ملحق للجزء الخامس من شرح الايضاح

بحوث جديدة في البلاغة للاستاذ محمد خفاجي

سر الفصاحة

دراسة وتحليل للكتاب وأثره في دراسات البلاغة

- ١ -

مر الفصاحة كتاب جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر في بحوث النقد والبلاغة، مشهور بين العلماء، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق

مؤلفه علم من أعلام النقد والبلاغة في القرن الخامس الهجري، هو ابن سنان الخفاجي ٤٢٢ - ٤٦٦ هـ

- ٢ -

وهو سر الفصاحة، بحث مفصل في أسرار الفصاحة والبلاغة

تكلم فيه الخفاجي على اللغة ثم على الحروف ثم على الالفاظ المفردة وصفاتها وأسباب الفصاحة فيها ثم على الالفاظ المؤلفة وأسرار فصاحتها ثم على المعاني المفردة وما يجب أن تكون عليه في التأليف ليكون الكلام موافقاً للنقل والتفكير

بدأ الخفاجي بمقدمة أبان فيها أن الغرض من كتابه معرفة حقيقة الفصاحة وسرها لما للبلاغة والفصاحة ومعرفة ما من تأثير بعيد في العلوم الأدبية ولأنهما اللذان يكشفان عن سر الإعجاز في الذكر الحكيم

لذلك بدأ بحثه في الكلام على الصوت وتعدد معناه وخصائصه وأنه يخرج مستطيلاً ساذجاً حتى يعرض له في الخلق والفهم والشفتهن مقاطع تثنيه عن امتداده فيسمى المقطع أينما وجد حرفاً

ثم تكلم على الحروف ومعناها وأن عدد الحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً وأن المراد يجعلها ثمانية وعشرين لأنه لا يعتمد بالهمزة، وأن هذه الحروف

يحسن استعمال بعضها في الكلام الفصيح ولا يحسن استعمال البعض الآخر؛ وأبان مقاطع الحروف وصفاتها

ثم حدد معنى الكلام وأنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة إذا وقع من تصح منه الالف : ذاعبا الى أنه يشمل المفيد وغيره ، مخالفا لمن رأى قصره على المفيد ، وأبان فساد رأى الجبائي من أن جنس الكلام يخالف جنس الصوت كما أبان فساد رأى المجيزة التي تزعم أن الكلام معنى في النفس ، ثم ذكر أقسام الكلام ، وان المفيد من الكلام منه حقيقة وبجواز ، وأنه كله يرجع الى معنى الخبر ، كما أبان ان المتكلم من وقع منه الكلام قصدا ، وأن الحكاية هي المحكي عند قوم ، فالتالى للقرآن يسمع منه كلام الله على الحقيقة ، وهي غير المحكي عند قوم آخرين وإن كانت مثله وانتصر لهذا رأى

ثم ذكر اللغة ومعناها وأصلها ومواضع ام توقيف وانتصر للرأى القائل إن أساس اللغة مواضع واصطلاح ، وأن العقلاء استعانوا على هذه المواضع بالحروف لسهولة وتكلم على فضل اللغة العربية وميزاتها وخصائصها ، وذكر أقام تأليف الحروف وأن منه ما هو تأليف من الحروف المتباعدة مخرجا وهو الاحسن ومنه ما هو تأليف من الحروف المتقاربة وهو قليل أو نبوذ

ثم تكلم على الفصاحة وانها مقصورة على الالفاظ بمكس البلاغة فهي وصف للالفاظ مع المعاني ، وأبان عن شرف الفصاحة وانها صفة للالفاظ متى ما استكملت عناصر عدة ؛ وأنه متى تكاملت تلك العناصر فلا مزيد على فصاحة الالفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ نصيبها من الوصف ، وبوجود أعضادها تستحق الالم بأها غير فصيحة ، وذكر أن تلك العناصر والشروط قسمان :

١ - ما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها

٢ - وما يوجد في الالفاظ المنظومة

١ - فأما ما يجب ان يوجد في اللفظة المفردة فتأني عناصر :

١ - ان يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج

٢ - ان يكون لتأليفها في السمع حسن ومزية على غيرها

٣ - ان تكون الكلمة غير متوعدة وحشية، ونقدتها رأى من مدح المعرى
بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الادباء

٤ - ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية

٥ - ان تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح

٦ - ان لا تكون قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره

٧ - ان تكون الكلمة غير كثيرة الحروف

٨ - ان تكون مصغرة فى موضع عبر بها فيه عن شىء لطيف أو خفى
ب - وأما عناصر الفصاحة فى الالفاظ المؤلفة :

١ - فنما ما تشترك فيه مع الالفاظ المفردة وهى (١) :

١ - اجتناب تكرار الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام ويرى ابن سنان
ان التأليف على ضربين فقط : متلائم ومتنافر، والمتلائم درجات ولا فرق بين
القرآن وغيره فى ذلك ؛ وأبان أن وجه الإعجاز هو صرف الله العرب عن الاتيان
بمثله وناقش رأى الرماني الذى ذهب فيه الى أن تباعد الحروف فى المخرج
تباعدا شديدا مدعاة للتشافر كتقارب الحروف، وذهب الخفاجى الى
الثانى فقط

٢ - ان يكون التأليف جاديا على العرف العربى الصحيح

٣ - ان لا يكون التأليف قد عبر به عن أمر آخر يكره ذكره

ب - ومنها ما يختص به التأليف بما يرجع الى الالفاظ بانفرادها أو اشتراكها
مع المعانى

(١) وقبل ان يذكر الخفاجى ذلك يوضح أن تأليف الكلام صناعة موضوعها
هو الكلام مخالفا لقدامة الذى ذهب الى أن موضوعها المعانى، وان الفصاحة
عبارة عن حسن التأليف فى الموضوع المختار، ولذلك بدأ يتكلم على التأليف
ووجوه حسنه أو قبيحه ليبين أمر الفصاحة

فن أصول حسن التأليف :

١ - وضع الالفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً :

١ - بأن لا يكون في الكلام تأخير أو تقديم يفسد المعنى أو الاعراب ،

٢ - وبأن لا يكون الكلام مقولوباً فيفسد المعنى .

٣ - ومن وضع الالفاظ موضعها حسن الاستعارة ، وهنا يشرح الاستعارة

ويذكر خصائصها والفرق بينها وبين التشبيه وينقد رأى الرماني الذي جعل من الفروق بينهما عدم ذكر أداة التشبيه في الاستعارة وذكرها في التشبيه ، ثم ذكر أثر الاستعارة في الفصاحة ، وأقسامها ، وأنها قليلة في شعر المتقدمين كثيرة في شعر المحدثين وخاصة أبا تمام .

٤ - ومن وضع الالفاظ موضعها أن لا تكون الكلمة حشواً وهنا يتحدث عن الحشو والغرض المنشود منه وما عيب منه وما استحسن ؛ وأدخل في الحشو الإيغال ، وكلام الخفاجي في الحشو له صلة وثيقة برأى قدامة فيه .

٥ - ومن وضع الالفاظ موضعها ألا يكون فيها معاملة وهنا يتحدث عن المعاملة والفرق بينها وبين مشاكلة النظم بعضه لبعض ودلالة البيت على قافيته (نما يسمى تسبيحاً أو توشيحاً) . والخفاجي في هذا متأثر بقدامة والآمدي جد التأثير .

٦ - ومن وضع الالفاظ موضعها أن لا يعبر عن المدح بالالفاظ الذم ولا العكس .

٧ - ومنه حسن السكناية في الحال الذي يستدعي عدم التصريح .

٨ - وعدم استعمال الالفاظ العلمية والاصطلاحية ، وهو هنا متأثر برأى الجاحظ في ذلك .

ب - ومن شروط الفصاحة المناسبة بين الالفاظ : من طريق الصيغة ، أو من طريق المعنى :

فأما المناسبة بينها من طريق الصيغة فأثرها في الفصاحة ظاهر ، ومن هذه المناسبة :

١ - السجع والازدواج وهنا يذكر الخفاجي مذاهب العلماء في قبول السجع

والازدواج وفي كراهتهما ويستحسن السجع المطبوع، وهو هنا متأثر بالجاحظ وينقد النثر، وينقل هنا كلمة بشر بن المعتز - التي ذكرها الجاحظ في البيان - في قلق الالفاظ في مكانها، ثم يبين معنى السجع وأقسامه، وينقد الرمانى فيما وآه من ذم السجع وفصاحة الفواصل، ويتكلم عن منهج القرآن في أسلوبه وأنه لم يكن كله مسجوعا لأن ذلك من أمارات التكلف والاستكراه، كما أنه لم يخل من السجع لأن السجع من صفات الفصاحة، ويذكر الكتاب المحدثين الذين أكثروا من السجع والذين أقلوا منه والذين كانوا بين هؤلاء وهؤلاء. كما ذكر أن جعل الرسالة كلها مسجوعة قبيح

٢ - القوافى في الشعر ويذكر الخفاجى أنها تجرى بجرى السجع وان المختار منها ما كان متمكنا يدل الكلام عليه، وان الخطيئة وحسان التزماء في بعض قصائدهما ما لا يلتزم في القافية، وكذلك كثير وابن الرومى والمعري ويتكلم على شروط حسن القافية ويلم بكثير من عيوبها

٣ - التصريح ويفيض في الكلام فيه

٤ - الترتيب وهو ان تكون الجمل التي يشتمل عليها البيت أو الفحل المنثور مسجوعة، ويستحسن الخفاجى من ذلك ما قل دون ما أكثر. وهو في ذلك يحتذ حذوقدامة في نقد الشعر وان كان يخالفه فيه فان قدامة يستحسن الكثير منه والخفاجى يستحسن القليل دون الكثير

٥ - الف والنثر المرتب

٦ - عدم كثرة الزحاف في الشعر، وتساوى الفصول او ان يكون الفصل الثانى اطول من الأول دون العكس في النثر

٧ - التجانس وهنا يفيض الخفاجى في الكلام عليه وفي تحديد معناه وذكر اقسامه وفي استحسان القليل الغير المتكلف منه، والخفاجى متأثر فيما كتبه عن الجناس بقدامة والآمدى

وأما المناسبة بين الالفاظ من طريق المعنى فعلى وجهين :

١ - تقارب معنى اللفظين

٢ - تضاد معنيهما أو تقارب المعنى من التضاد. وهذا هو المطابقة عند العلماء
ويعنيها قدامة تكافؤا وأنكر عليه ذلك الأمدى والأخفش ، وأبان الخفاجي
أن علماء الشعر يسمون ما كان قريبا من التضاد المخالف ، ثم يذكر الخفاجي
اقسام الطباق واسم كل قسم عند العلماء. ويختار تسمية الجميع بالمطابق ، ثم يذكر
حقيقة الطباق وما يستحسن منه ومثلا لجيده ورديه ؛ ويجعل التقديم والتأخير في
الاسلوب مما يجري مجرى الطباق

ج - ومن شروط الفصاحة والبلاغة: الإيجاز؛ وهنا يذكر مقام الإيجاز ومقام
الاطناب ، متأثرا في ذلك بنقد النثر ، ومناقشا لمن يجعل الاطناب بلاغة ، ويشترط.
في الإيجاز وضوح المعنى وعدم خفائه والاكال قبيحا مذموما ، ويتبع هذا بالكلام
على المساواة والتذييل والإشارة والمقام الذي يستوجب كل واحد منها ، ويؤثر
منها الإيجاز ويذكر رأى علماء الأدب فيه ، ويوضح أقسامه ، ويناقش تعريف
الرماني للإيجاز ، ويشرح معنى الاطناب والتطويل والمساواة والتذييل والحشو
الى آخر هذه البحوث القيمة

د - ومن شروط الفصاحة والبلاغة الوضوح في الاسلوب شعرا أو نثرا ، وهنا
ينقد رأى الصابي الذي ذهب الى استحصان الوضوح في النثر دون الشعر ، ويشرح
الخفاجي أسباب غموض الكلام ، ويؤكد أن سر الإعجاز هو صرف الله تعالى
الناس عن معارضته ، ويمثل للكلام الواضح والمغلق ، ويذكر وصية بشر ابن المعتمر
التي ذكرها الجاحظ من قبل والتي توصي بعدم التوسع ، كما يذكر كلمة للجاحظ في ذلك
ه - ومن اوصاف الفصاحة والبلاغة الكناية التي تكلم عليها الخفاجي متأثرا
في ذلك بقدامة في نقد الشعر

و - ومنها التثليل

ج - وأما أسباب الفصاحة في المعاني التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام فهي:

١ - صحة التقسيم .

٢ - تجنب الاستحالة والتناقض .

- ٣ - الايضع الجائز موضع الممتنع .
- ٤ - صحة التشبيه .
- ٥ - صحة الاوصاف في الاغراض .
- ٦ - صحة المقابلة في المعاني .
- ٧ - صحة النسق والنظم وحسن التخلص .
- ٨ - صحة التفسير .
- ٩ - وأما المسالفة والغلو في المعنى فنقاد الادب مختلفون فيهما : مدحا وذما ..
والخفاجي يستحسن الغلو مع استعمال ما يقربه إلى الصحة .
- ١٠ - الاستدلال بالتمثيل .
- ١١ - الاستدلال بالتعليل .
- والخفاجي في هذا الباب كله متأثر بخطى قدامة في نقد الشعر إلى حد بعيد .
وبعد ذلك كله يذكر الخفاجي الآراء الفاسدة في نقد الشعر وفي نقد الكلام :
- ١ - فيخطيء من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين ، ويناقش هذا الرأي في تفصيل وقوة
- ٢ - ويبين أن مذهب النقاد والمنهج في نقد الشعر هو ما قدمه من نعوت الالفاظ والمعاني ، دون التفات إلى تقدم الزمن أو تأخره . فذلك لا تأثير له ، وهذا مذهب الجاحظ والمبرد والمعري .
- ٣ - ويبين أن المعنى الفاحش (من المجنون ووصف الخمر وسواها) لا يعيب الشعر - كما ذهب إليه بعض النقاد - ما دام تأليفه جميلا .
- ٤ - ويبين المناهج الخاطئة لبعض النقاد في النقد ، من اختيار ما يوافق ذوق طبع الناقد وحده ، ومن إثارة الوحش دون المشهور ، ومن عكس ذلك ، ومن استحسان الشعر لأجل قائله .
- وأخيرا يتكلم الخفاجي على النثر والشعر ومكانة كل منهما .
ويذكر ما يحتاج إليه البليغ من العلوم اللغوية والأدبية وسواها .
وكل هذه البحوث يذكرها الخفاجي في إفاضة وجمال شرح وقوة حجة وعفة مناقشة وطهارة نقد وسداد غرض وصواب غاية وأعدل منهج .

وأخيرا وبعد ذلك كله ينتهى الكتاب .

- ٣ -

فهذا الكتاب إذا بحث مفصل في أسرار الفصاحة والبلاغة وأوصافهما في اللفظ وفي النظم وفي المعنى .

وهو في ذلك كله وبما فيه من كثير من الآراء الحافلة في الأدب والنقد والبيان ذو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية ، وقد نوه ابن الأنبرم ٥٦٢٧ هـ في أول مثله السائر بالكتاب وبمؤلفه وأشاد به أعظم إشادة وتأثر به في بحوث كتابه المثل السائر ، ونقد بعض آراءه في بعض الأحايين ، وكتب البلاغة المؤلفة في العصور الأخيرة وخاصة الإيضاح للخطيب م ٧٣٩ هـ قد تأثرت بسر الفصاحة وآرائه إلى حد بعيد ، فهو المصدر الأول للبلاغيين كما هو أهم مصدر من مصادر الأدب والنقد .

- ٤ -

ومع ذلك كله فيمكننا أن نقول إن مصادر ابن سنان الأولى التي اعتمد عليها في تأليف كتابه الحافل هي :

١ - البيان والتبيين للجاحظ م ٢٥٥ حيث احتذى حذوه في كثير من الآراء البيانية والأدبية التي تضمنها الكتاب .

٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة م ٢٧٦ حيث اعتمد على مقدمته اعتمادا كبيرا .

٣ - نقد الشعر لقدامية بن جعفر م ٣٣٧ وقد وضعه الحفاجي موضع العناية حين ألف كتابه وسار على نهجه في التأليف واحتذى حذو مؤلفه في كثير من الآراء .

٤ - نقد النثر حيث اعتمد عليه في بعض فصول الكتاب وخاصة حينما كتب على مقامات الإيجاز والاطناب

٥ - الموازنة للأمدى م ٣٧١ فقد اعتمد عليها الحفاجي اعتمادا كبيرا وحفل

بآرائها ونقد الكثير منها ناهجا في ذلك منهج الرافض في نقده للأمدى في كتابه
« الشيب والشباب »

٦ - الوساطة الجرجاني م ٣٩٢ فقد ركن اليها في بعض الآراء ونقل عنها
الكثير من مباحث الاستعارة ونقدها

٧ - كتاب الرماني م ٣٨٤ في البلاغة فقد أخذ منه الخفاجي بعض آرائه ونقد
ما هو في حاجة الى النقد

٨ - اعجاز القرآن للباقلاني م ٤٠٦ فهو كذلك يظهر أثره في سر الفصاحة
وخاصة في مباحث السجع والفواصل في القرآن

ومع ذلك كله فشخصية الخفاجي قوية جدا في كتابه بنقده لما يستحق النقد من
هذه الآراء وبحسن عرضه وجمال تنسيقه وقوة حجته وحسن ذوقه في النقد
والتحليل

وابن سنان كما يبدو من كتابه رجل ذو ثقافة واسعة درس كتب الادب
والنقد واللغة، وكانت من خصائص وميزات ثقافته هذه الناحية السكلامية التي مهر
فيها، وأسلوبه في الجدل أسلوب قوى من اساليب المتكلمين، وهو ينتصر لهم حتى
يرى كلامهم دون ما سواه هو الحجة الدامغة
وهو فوق ذلك كله منصف في حكمه معتدل في نقده يعتمد على الحجة والدليل
قبل كل شيء. ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير ويرتب كل شيء على أساس
حكم العقل واستنتاجه

ومع ذلك كله فانا نأخذ على ابن سنان الخفاجي بعض المآخذ :

١ - فقد عاب قول أبي تمام :

يضحكن من أسف الشباب المدير ... وزعم أن المدير مثل الأدبار
وهذا لا أراه الا نتيجة التفكير البعيد الذي امتاز به ابن سنان والذي لا يصل
ير الجمهور ولا يقبله ذوقهم

٢ - ونقده ابن الأثير في عيبه للكلمات الطويلة مثل المستنشدین
٣ - كما نقده في جعل الاستعارة المبنية على غيرها قبيحة . وأقول ان ذلك
مذهب أرسطو في الخطابة ، احتذى حذوه قده في كتابه نقد الشعر ، ثم
احتذى حذوها الخفاجي في هذا الكتاب ، وقد شرحت ذلك شرحا وافيا
في كلمة نشرتها عن الموازنة

وبعد فقد عاصر الخفاجي ٤٦٦ شيخ البلاغة والبيان عبد القاهر الجرجاني
٤٧١ م ٥ كما عاصر ابن رشيق صاحب العمدة المتوفى سنة ٥٥٦
ويغلب على ظني أن بعد مواطن هذه الشخصيات الفذة عن بعض كان سببا
في عدم تأثر كل شخصية منها بالأخرى في تفكيرها في النقد واحكام البلاغة
فبعد القاهر عاش في جرجان والخفاجي في حلب وابن رشيق في القيروان ،
وألف الاول اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز من حيث ألف الثاني كتابه
سر الفصاحة ، ومن حيث ألف الثالث العمدة في صناعة الشعر ونقده
فأما الصلة الباقية بين ابن رشيق وابن سنان فصدرها اعتماد الرجلين في
تأليفهما على مصدر واحد له أهميته وهو نقد الشعر ، فكان كتاب العمدة وكان
كتاب سر الفصاحة تجديدا يسير حول منهج قدامة في النقد وفي التأليف
وللان لا تتجلى صلة واضحة بين الخفاجي والجرجاني ولا يظهر أى أثر للشبه
أو التأثير بين الرجلين اللهم الا في مواضع قليلة :

فقد ذكر ابن سنان - كما ذكر عبد القاهر - شبهة الذين زعموا أن الحكاية هي
المحكى ، ودليلهم عليها أن الحكاية لو كانت غير المحكى بل مثله لكان من قرأ
القرآن آتيا بمنثله على الحقيقة ، وأجاب الخفاجي عن هذه الشبهة كما أجاب عبد القاهر
في دلائله بأن التحدى إنما وقع بفعل مثل القرآن على الابتداء دون الاحتذاء
والتالى للقرآن قد أتى بمنثله محتذيا فلا يكون بذلك معارضا وعلى هذا أيضا كان
يقع التحدى بين العرب بالشعر على سبيل الابتداء [سر الفصاحة والدلائل
ص ٢٧٠] .

وأرى أن ذلك مصدره هو التشابه بين الثقافة العامة في عصر الرجلين لا غير وعلى ذلك فلم يتأثر الخفاجي بالجرجاني ولم يتأثر الجرجاني بالخفاجي ، ولو أن الرجلين اطلع أحدهما على مجرود الآخر في دراسة البلاغة لكان لذلك أثره الخطير في تحويل مناهج البحث البلاغي .

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى أن مؤلف الخفاجي أعمق تفكيراً وأشمل فكرة وأوسع مدى وأبلغ بياناً من كتابي الجرجاني : الاسرار والدلائل . ولا يفوتنا أن نذكر أن ابن الأثير في كتابه المثل السائر ، أشاد بسر الفصاحة وأيد الكثير من آرائه ونقد بعضها .

ابن الأثير وسر الفصاحة :

١ - أشاد ابن الأثير في مطلع كتابه بكتاب سر الفصاحة ونوه بمنزله في علم البلاغة ،

ب - وتعقب آرائه بكثير من النقد :

١ - فهو في أول الكتاب يأخذ عليه إكثاره في ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها .

٢ - وذكر في [ص ٩٢ - ٩٥] ما ذكره ابن سنان من بعد مخارج الحروف وأثره في فصاحة الكلمة وينقد رأيه في جعل ذلك شرطاً في اختيار الالفاظ وينقد رأيه أيضاً فيما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربي ، وفي تصغير اللفظة فيما يعبر عن شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه .

٣ - وقد أيد رأيه في نقد بيت الشريف الرضي :

أعز علي بان أراك وقد خلا عن جانبيك مقاعد العواد
[ص ١١٠ المثل السائر] .

٤ - وينقد رأيه في جعله أن أوصاف فصاحة الكلمة أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً [١١١ المثل السائر] ،

٥ - ويأخذ صاحب المثل السائر على ابن سنان وسواه أنهم لم يفرقوا بين الاستعارة والتشبيه المضمحل ، ويجعل ابن الأثير بيت إمريه القيس فقلص

له لما تمطى بصلبه ، من التشبيه المضمر الاداة لا من الاستعارة كما يذهب إليه ابن سنان ، ويأخذ عليه جملة البيت من الاستعارة الوسطى التي ليست بجيدة ولا رديئة . [ص ٢٣٠ المثل السائر]

٦ - ويأخذ على ابن سنان وسواء عدم فرقه بين الكناية والتعريض .

٧ - وينقد رأى ابن سنان في ترك ألفاظ المتكلمين والتحويين والمهندسين ومعانيهم (ص ٤٦٣ المثل السائر) .

وأخيرا فهذا هو خاتمة ذلك البحث الجديد عن كتاب " سر الفصاحة " ، وأثره ومنزله في البلاغة

صور لابن سنان من شعره

قال ابن سنان :

هل تسمعون شكاية من عاتب أو قبلون إنابة من تائب
 أم كل ما يتلو الصديق عليكم في جانب وقلوبكم في جانب
 أما الوشاة فقد أصابوا عندكم سوا تنفق كل قول كاذب
 فقلت من صابر ، ورقدت من عن سامر وزهدتم في راغب
 وقال على مذهب لزوم ما لا يلزم

مضى الصبا وأناس في الصبا عرفوا أستودع الله أطرابي وأترابي
 ولو عقلت لما عنيت بعدم نفسي وأتعبت آرابي بأرابي
 وكنت في جانب الفبراء معتزلا عوى فنوعى وحصى ظل محرابي
 لا أطلب الرزق من سيف ومن قلم ولا أفكر في روم وأعراب
 أقول حقاً ولكني أخالفه ولو عقلت لكان الصمت أحرابي

وقال :

من مبلغ اللوام أن مطامعي صارت حديثاً بينهم وقصائدا
 ركضت على اعراضهم وهي التي تطوى البلاد شواردا ورواكدا

مالي أجازب كل وقت معرضا منهم وأصلح كل يوم قاسدا
وأقيم سوق المجد في نادهم حتى أنفق فيه فضلا كاسدا
أرأيت أضيع من كريم راغب يدعوا لخلقه لثيا زاهدا
ومعرس بركابه في منزل يلقي الصديق به عدوا حاسدا
عكس الأنام فان سموت بناقص فاعلم بأن لديه حظا زائدا
وتفاوت الارزاق ارجب فيهم ان يجعلوه مصالحا ومفاسدا
ومعدد في الفخر طارف ماله حتى تلوت عليه مجدا تالدا
طوقته بأوابدى ولطالما اهديت أغلالا بها وقلاندا
مهلا فانك ما تعد «مباركا» خالا ولا تحصى «سنانا» والدا
يبت له النسب الجلى، وغيره دعوى تريد أدلة وشواهدا

وقال

أستغفر الله لا تفر ولا شرف ولا وفاء ولا دين ولا أنف
كأنما نحن في ظلام داجية فليس ترفع عن أبصارنا السجف
تزيد بالبحث جهلا ان طلبت هدى وهل يضى لعين المدلج السدف
وفي الفلاسفة الماضين معتبر فطالما قصدوا فيها وما عسفوا
وقد أتوك بمين من حديثهم يكاد يضحك منه الجبر والصحف
ظن بعيد وأقوال ملفقة تخفى على الغمر أحيانا وتنكشف
الامر أكبر من فكر يحيط به والعمر أقصر أن يلقي له طرف
فاعظم بدائك ان حاولت واضحة ومث به فعلى هذا مضى الساف
جاءت أحاديث عن قوم أظنهم عاشوا طويلا وقالوا بعد ما خرفوا
يدين قوم بأن الشهب خالدة وعند قوم لها وقت ومنصرف
وما رضيت بعقلي في جدالهم ولا توهمت إلا غير ما وصفوا
ورب قوم أضاعوني وقد فهموا قدرى فما أنكر وأفضلى ولا اعترفوا

وقال على طريق الشعر المعروف باستغفر واستغفرى :

استغفر الله القديم وعذبه من لطم في الحطام منافس

وأفعل جميلا لا يضع لك صنعه واسمح بقوتك للضعيف البائس
 واقنع في عيش القناعة نعمة لا تنق كف الزمان الخالس
 لا تركنن إلى المراء فانه سبب لكل تنافر وتشامس
 عاذت بنو حواء من إبليس في الدنيا م وكم فيهم فنون أبالس
 درسوا العلوم ليملاؤا بجداهم فيها صدور مراتب ومجالس
 وتزهّدوا حتى أصابوا فرصة في أخذ مال مساجد وكنائس (١)
 لمبو ان كسرى صار مرتع ثلة ودياره بانت مناخ عرائس
 والحيرة البيضاء بدل أنسها قدر أطاعته مدائن فارس
 يا عقل مالك في اللطائف منهج فاذا عثرت فلألما للناعس
 عندي لقد ذهب الذين تصكروا فيها وما ظفروا بغير وساوس
 ما قول بطليموس عنها حجة عدى ولا المروى من ربيطالس
 جار الأنام فلا دلالة ناظر تشقى العقول ولا إمارة قابس
 لا تحفل بما حوته صحائف لهم وإن وجدت بخط دارس
 عجا لها لم ينزع خصمه في آل يربوع وأسرة حابس
 هيأت ما شرف الأصول بنافع حتى يكون ذوائب كمفارس
 لا تفخرون وإن فضلت فبالنقى ناضل وفي بذل المكارم نافس

(١) وينسب هذا البيت والذي قبله لابن خفاجة الأندلسي (راجع ديوان

ابن خفاجة شاعر الأندلس م ٥٢٢ طبع سنة ١٢٦٦ مصر ص ٧٨)

ترجمة فوات الوفيات لابن سنان

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد الخفاجي الشاعري الأديب ، كان يرى رأى الشيعة ، وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب ، كان بينه وبين أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الوزير لمحمود بن صالح أودة مؤكدة ، فأمر محمود أبا نصر بن النحاس أن يكتب إلى الخفاجي كتابا به تعطفه ويؤنسه ، وقال لا يأمن إلا إليك ، ولا يثق إلا بك ، فكتب إليه كتابا ، فلما فرغ منه وكتب إن شاء الله تعالى شدد النون من إن ، فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصدا حلب ، فلما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب فلما رأى التشديد على النون أمسك رأس فرسه ، وفكر في نفسه : وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثا ، فلاح له أنه أراد أن الملا " يأترون بك ليقتلوك " ، فعاد إلى عزاز ، وكتب الجواب : أنا الخدم المعترف بالانعام ، وكسر الألف من أنا ودد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سر وعلم أنه قصد به دينا أن تدخلها أبدا ما داموا فيها ، وكتب الجواب يستصوب رأيي ، فكتب إليه الخفاجي

خف من أمنت ولا تركز إلى أحد فما نصحتك إلا بعد تحريب
إن كانت الترك فيهم غير وافية فما تزيد على غدر الأعراب
تمسكوا بوصايا اللزم بينهم وكاد أن يدرسوها في المحارب

واستدعى محمود أبا نصر بن النحاس ، وقال : أنت أشرت على بتولية الخفاجي ، وما أدركه إلا منك ، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك ، وألحقت بك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة ، فقال له :

مرني بأمر أمته ، قال : تمضي إليه وفي صحبتك ثلاثون فارسا ، فإذا قاربته عرفه بمحذورك فإنه يلقيك ، فإذا حضر سالك الزول عنده والاكل معه ،

فامتنع؟ وقل له: إني حلفتك أن لا تأكل زاده، ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك في الحضور عندى؛ وطاوله في الحديث، وأخرج هذه الخشكانيين فكل أوت هذه، وأطعمه هذه، فاذا استوفى أكلها عجل الحضور إلى، فان منيته فيها، ففعل ما أمره به، ولما أكلها الخفاجى رجع أبو نصر إل حلب ورجع الخفاجى إلى عزاز، ولما استقر بها وجد مغصا شديدا، ورعدة شديدة، فقال: قتلى والله أخى أبو نصر، ثم أمر بالركوب خلفه ورده، ففاتهم؛ ووصل إلى حلب وصبح من الغد بمحمود، فجاءه من عزاز^(١) من أخبره أن الخفاجى فى الرمق الأخير، ومات.

وكانت وفاته فى سنة ٤٦٦ هـ. وحمل إلى حلب^(٢).

وبلى ذلك عدة مختارات صغيرة من شعره

(٢٩٧ - ٣٠٠ / ١ فوات الوفيات لابن شاکر ط ١٢٨٣ هـ).

وما توفيقنا الا بالله، منه نستمد العون والهداية والتوفيق

(١) بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب. بينهما يوم، وهى طيبة الهواء، عذبة الماء، صحيحة لا يوجد فيها عقرب وليس بها شئ من الهوام (١٦٧/٦ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦).

(٢) جاء فى معجم البلدان لياقوت عند ذكر حلب من رسالة لابن بطلان كتبها سنة ٤٤٠ هـ ما نصه: وفيها حدث يعرف بابى محمد بن سنان قد ناهز العشرين، وعلا فى الشعر طبقة المحنكين، فمن قوله:

إذا هجرتكم لم أخش صولتكم ولإذ مدحت فكيف الرى بالللب
فحين لم ألق لا خوفا ولا طمعا رغبته فى الهجو اشفاقا من السكذب

(٣١٣ ج ٣ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦ م).

بحث جديد في المجاز^(١)

وهل هو مبنى على تقدير مضاف أو على المبالغة ؟

١ - الحديث من المجاز وحقيقته مشهور معروف ؛ فالتعبير في شتى اللغات يجرى على إحدى طريقتين : إما على أسلوب الحقيقة الذي تجد فيه الالفاظ والكلمات مستعملة فيما وضعت له ، والجل موضوعه على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه عارياً عن التأول لاسا ثوب الاسناد المألوف والمعروف^(٢) ، وإما على أسلوب المجاز الذي نجد فيه الكلمات قد أريد بها غير ما أرادته اللغة وجرى عليه الوضع المألوف ، لمعنى سوغ هذه الارادة ، وارتباط بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الوضعي الذي اقترن اسمها بالدلالة عليه ، أو نجد فيه الجل وقد أخرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل وطريقته في المألوف من الاسناد لضرب من التأول والتقدير^(٣) .

٢ - والمجاز في الكلمة المفردة لغوي ، وفي الجملة من الكلام عقلي ؛ إذ طريق التجوز في الاول هو اللغة والوضع ، وفي الثاني المعنى والمعقول^(٤) .
والمجاز - لغوياً أو عقلياً - يقع على وجه لا يمرى من ملاحظة أصله في الوضع أو الاسناد ، فلا يكون مجاز حتى يكون هناك سبب بين معنى اللفظ المجازي وبين أصله الذي نجعله حقيقة فيه أو بين أصل الاسناد وما خرج إليه وتجوز به عنه^(٥) .

(١) للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي .

(٢) راجع تعريف الحقيقة اللغوية ص ٣٠٢ أسرار البلاغة ، وحدث الحقيقة العقلية ص ٢٣١ الأسرار .

(٣) راجع تعريف المجاز اللغوي ص ٣٠٤ الأسرار .

(٤) ٣٥٥ الأسرار .

(٥) ٣٤٣ و ٣٠٤ الأسرار .

والاسباب السائدة بين المنقول والمقول عنه - في المجاز اللغوي - تختلف في القوة والضعف والظهور وخلافه : فنقول : رأيت اسدا نريدا رجلا شجاعا شديدا بالاسد، فلا يشتهر علينا الامر في حاجة الثاني الى الاول، اذ لا يتصور أن يقع الاسد للرجل على هذا المعنى الذي أردناه على التشبيه على حد المبالغة وايهام أن معنى من الاسد حصل فيه إلا بعد أن نجعل كونه اسما للسبع ازاء العين، فهذا إسناد نعله ضرورة، ولو حاول محاول دفعه عن وهمك حاول محالا، فتن عقل فرع من غير أصل ومثبه من غير مثبه به ؟ وكل ما طريقه التشبيه فهذا سبيله، وهو حري بلقب الاستعارة : وأما ما عدا ذلك فلا يقوى استناده هذه القوة حتى لو حاول محاول أن ينكره امكنه في ظاهر الحال كإلبد للنعمة، لو تكلف متكلف فزعم أنه وضع مستأنف أو في حكم لغة مفردة لم يمكن دفعه الا برفق وباعتبار خفي، وهذا وأشبهه يأخذ اسم المجاز الرسل^(١) .

فالخلاصة أن المجاز عقلي ولغوي، واللغوي استعارة ومرسل، والاستعارة ضروب : تحقيقية وممكنية وتخيلية وإفرادية وتمثيلية . هذا هو تحديد البيانين لأنواع المجاز وشي ألوانه، ولكن لن نقنع بذلك التحديد، ففيه للتقصير، وهو بعيد عن أن يشيع حاجة البحث والنوق .

والمجاز حكيم ولغوي، واللغوي مرسل واستعارة، والاستعارة يدخل فيها عندى التشبيه البليغ : والحقيقة إما قياس أو غير قياس، والقياس تشبيه وتمثيل على غير حد المبالغة، والتمثيل ألوان عدة : وهو عندى ينتظم ما كان مثل يد الشمال بما يعملونه استعارة ممكنية، وما كان مثل أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، وأخذ القوس بارها بما يسمونه استعارة تمثيلية، وما وضعت فيه صورة التمثيل مثل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا : وغير القياس يشمل الأمثلة المنوعة والألوان المتعددة لأساليب الحقيقة، كما يشمل الكناية بشي ألوانها بما يذكر فيها التابع والرادف ويراد منه المنبوع والمردوف . ثم الكلام إما تحقيق وسم بميسم العقل

والحق، ولما تخيل إلى ألبسه الوهم والخيال صوراً لا يؤيدها الواقع المحسوس ولا المعقول. والاستعارة التخيلية إنما هي تخيل وإيهام لا استعارة ومجاز، والتخييل لا يستلزم المجاز ولا الاستعارة (١)، فلدننا من صور المجاز الأساليب الآتية :

١ - أسلوب المجاز العقلي .

٢ - أسلوب المجاز المرسل .

٣ - أسلوب الاستعارة المفردة ومنها التشبيه البليغ وهذه الأنواع هي التي يشتملها بحثنا الآن .

٣ - والذي نريد بحنه هو : هل جاءت ألوان المجاز هذه في كلام العرب على المبالغة أو على تقدير مضاف محذوف ؟ فأمثال هذه الأساليب : نام ليلي وشاعت يدك النيلة في الآفاق ، وجاء الأسد ظافراً من ميدان الحرب ؛ أم هي على تقدير محذوف حتى كأن تقدير الكلام : نمت في ليلي ، وشاعت آثار يدك النيلة ، وجاء شبيه الأسد ، أم هي لا تجرى هذا الجرى ولا تسير على ذلك النهج ، بل جرى بها على حد المبالغة ، ليريك المتكلم الليل نائماً ، واليد تفيض بالنعم والأسد مقبلاً ظافراً لا تشك ولا يشك معنا كل ذي ذوق سليم أن ليس إلى تقدير محذوف في شتى ألوان المجاز من سبيل ، وأي بليغ وأية بلاغة أراد وتريد من أسلوب : جاء الأسد ظافراً جاء شبيه الأسد ، ومن أسلوب نام ليلي نمت في ليلي ، ومن أسلوب ذاعت يدك النيلة ذاعت نعمة يدك ؟ ثم أي فرق حينئذ بين بلاغة أساليب المجاز هذه وأساليب الحقيقة المجددة ، وأي فضل لأسلوبه على أسلوبها ؛ ومبنى المجاز بشتى ألوانه على المبالغة في التصور أو التشبيه ، وأي مبالغة تبقى حينذاك إذا ما ذهبنا هذا المذهب السطحي في فهم بلاغة أساليب المجاز ؟ ، لا يمكننا على أي حال أن نسير في هذا النهج ولا أن نذهب هذا المذهب ، فانما المجاز مبالغة والمبالغة لا تعرف طريق هذا التأويل ، فانما نريد ويريد كل بليغ إذا قال : نام ليلي أن يصور لك الليل نائماً . لنحس من وراء ذلك ما يريد ذوقه من مثل هذا الأسلوب ، وإذا قال : برت

(١) راجع تفصيل ذلك كله في كتابي « عبد القاهر وأثره في البلاغة العربية » ،

وهو تحت الطبع .

بعهد الانسانية الكريمة يده الثبيلة فانما أراد أن يصور اليد نفسها وقد فاضت بالجلود وكريم السنخاء في صورة رائعة تشير إلى أنها هي نفسها الجلود وانها مطبوعة عليه وأن آثارها لا بد أن تنطلق منها انطلاق الخير من الغريزة الكريمة والفطرة الطاهرة الطيبة، كما تشير إلى اليد وقد امتدت بالخير وتصورها في صورتها الصادقة حين خرجت إلى ميدان الفعل والتنفيذ وكأنها مفكر يعمل وإنسان يريد، وإذا قال قائل: جاء الأسد الظافر فقد أراد أن يدعى لهذا القائد في شجاعته معاني الأسد في قوته. وكل ذلك محال أن يكون على سبيل تقدير محذوف.

ولكن من أين أخذ العقل والفكر أصول هذه الاساليب المجازية، ومن أين استمدها: أم من طريق الحقيقة أم من طريق التمثيل والادعاء؟ فالأسد الظافر حضر: كيف تناول عقل أجدادنا العرب هذا الأسلوب المجازي، اذهبوا إلى الدعوى والمباغة فجعلوا القائد الظافر أسداً، وصار اسم الأسد، وهو العلم في الشجاعة، أولى به من هذا الحيوان المفترس، وكأن خيالهم حلق في آفاق الوهم فتخيّلوه أسداً، أم أنهم ذهبوا إلى معنى المشابهة والحقيقة والقياس والتقدير فقالوا: زيد شجاع كالأسد ثم قالوا زيد أسد ثم قالوا جاء الأسد، وهم في صعودهم في سلم التدرج البياني في الاداء يلاحظون معنى الحقيقة ويحملون الأصل الأول - وهو زيد شجاع شبيه بالأسد في شجاعته - أمامهم ونصب أعينهم في كل تدرج بياني تدرجت إليه أساليبهم في الاداء؟

أما أنا فأذهب إلى أن العقل الأدبي والعربي والبياني الأول إنما استعمل هذه الاساليب الجديدة على سبيل التخيل والوهم والادعاء، لا على طريق الحقيقة الأولى المجردة؛ ونحن في استعمالنا لهذه الاساليب نسير معهم في هذه السبيل؛ ورأى أن ذلك أسلم من التكلف الذي تكثر فيه بعض اللبانيين، كما أنه آلف للذوق وأكثر ملاءمة لمشاعر الانسان الأولى التي تنزع إلى التخيلات قبل الحقائق، وتجسد في تخليق الخيال في الآفاق سبيلا إلى التعبير عما يجيش في صدرها من عواطف يصعب على الحقيقة كثيراً أو أحياناً التعبير عنها:

أما جمهور البيانين من أصحاب الذوق البلاغي فيرون عكس ذلك ، ويعملون الكلام على أنه فرع أصله الحقيقة ، وبناء أسه الواقع ، وإن جميع أساليب المجاز إنما هي على تقدير محذوف . ووقف عبد القاهر موقفا وسطا ، فذهب إلى أن المجاز من أسلوب التحقيق لا التخيل ، وإلى أن المجاز على تقدير المبالغة لا على تقدير محذوف فإن تقدير المحذوف في رأيه أصل تنوسى وصار شريعة منسوخة لا ينظر اليها الذوق ولا يمتبرها ببلغ ؛ وأول كلام من ذهب إلى أن الكلام على تقدير محذوف بأنهم أرادوا أنه كذلك في أصله الاول وفي شريعته المنسوخة ، أما الآن وما نفهمه من هذا السحر وذلك البيان فلا

وعبد القاهر في إنكاره لهذا الرأي الساذج ساحر متذوق لسحر الكلام وبلاغة الأساليب صاعد في ذلك إلى الذروة العليا ، ولكنه في تكلفه ردنا ويل من أول أسلوب المجاز على تقدير محذوف إلى أصل سليم لا يجافى الذوق ولا يعرضهم للتكدس المتكلف ، يحاول لما يجب أن لا نسلك فيه سبيله ، ولم لا نذهب إلى خطأ رأى أمثال هؤلاء اللغويين الذين حاولوا أن يقيسوا اللغة وأساليبها بحدود الأوضاع لا بمقاييس الذوق والفطرة ؟ ولم لا نسلك سبيل البيانين الناقدين المتذوقين لسحر الكلام وبلاغة الأساليب كالجاحظ ، وقد رأينا حين مر بالبيت :

وظفقت سحابة تغشاها . تبكى على عراصها عيناها - حله وأشار إلى ما ألاه ذوقه عليه فقال : « جعل المطر بكاء من السماء على سبيل الاستعارة ، أو نجعل المطر بكاء من السماء الا ونحن قد نهجنا منهج التخيل ، وصدقنا عن سبيل الحقيقة والتقدير المتكلف ؟ »

هذا رأي في هذه الناحية الخطيرة في البيان وحقيقة نشأة أساليبه المجازية .

٤ - ولكن ما هو نص رأى عبد القاهر الذى يحدد فكرته ، ويوضح

مذهبه في ذلك ؟

أقول إن كلام عبد القاهر في ذلك هو غاية الغايات في الدقة والبيان وهو صريح لا لبس فيه ولا التواء ، ويغتنينا كل الغنى عن أن نتجشم جمع آراء البيانين سواء من أولى الذوق اللغوى للرد عليها ونقدتها :

أ قال عبد القاهر عن المجاز العقلي ونق أن يكون على تقدير مضاف محذوف
وتعرض للاستعارة ، مانصه :

« واللم أن ليس الوجه أن يعد هذا على الإطلاق معد ما حذف منه المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه ، مثل قوله : « وأسأل القرية ، ومثل قول النابغة :
وكيف تواصل من أصبحت خللته كافي مرحب
وقول الاعرابي :

حسبت بغام راحلتى عناقا فاهو ويب غيرك بالعناق
ولأن كذا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون إنه في
تقدير : « فانما هي ذاك إقبال وإدبار »^(١) ؛ ذاك لأن المضاف المحذوف من الآية
والبيتين في سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد من المعنى ، كمثل أن يحذف الخبر
أو المبتدأ إذا دل الدليل عليه إلى سائر ما إذا حذف كان في حكم المنطوق به ، وليس
الامر كذلك في بيت الحنساء ، لأننا إذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى إذا نحن قلنا
« فانما هي ذات إقبال وإدبار ، أفسدنا الشعر ، وخرجنا إلى شيء مغسول ، وإلى
كلام عامي مردول ، وكان سبيله سبيل من يزعم مثلا في بيت المتنبي : بدت قرا
ومأت خطوط بان ، أنه في تقدير محذوف ، وأن معناه الآن كالمعنى إذا قلت بدت
مثل قرو ومثل خطوط بان ، في أنا تخرج إلى الغنائة ، وإلى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها ،
ويسد باب المعرفة بها وبلطائفها علينا ؛ فالوجه أن يكون تقدير المضاف في هذا
على معنى أنه لو كان الكلام قد جرى به على ظاهره ، ولم يقصد إلى الذي ذكرنا
من المبالغة والاتساع ، وأن تجعل الناقه كأنها صارت بجملتها إقبالا وإدبارا حتى
كأنها تجسمت منهما ، لكان حقه حينئذ أن يجماء فيه بلفظ الذات ، فيقال : « فانما هي
ذات إقبال وإدبار » ؛ فأما أن يكون الشعر الآن موضوعا على إرادة ذلك وعلى

(١) أى في بيت الحنساء :

ترقع مارتعت حتى إذا ادكرت فانما هي إقبال وإدبار

نزيهه منزلة المنطوق به ، حتى يكون الحال فيه كالحال في ، حسب بقاء راحتي
عناقا ، فما لا مصادغ له عند من كان صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، ناسبة للمعاني^(١)

ب - وقال عن المجاز المرسل ونفى أن يكون على تقدير محذوف ما نصه :

« ويشبه هذا في أن عبر عن أثر اليد والاصبع باسمهما وضعهم الخاتم موضع
الختم كقولهم : عليه خاتم الملك ، وعليه طابع من الكرم ، والمحصل أثر الخاتم
وأثر الطابع ، قال : « وترك أموال عليها الخواتم ، ، وكذا قال الآخر : « إذا
فضت خواتمها وفكت ، ، وأما تقدير الشيخ أبي علي في مدين البيتين حذف المضاف
وتأويله على معنى : وترك أموال عليها نقش الخواتم ، وإذا فض ختم خواتمها ،
فبيان لما يقتضيه الكلام في أصله ، دون أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرته من
جعل أثر الخاتم خاتما ، وأنت إذا نظرت الى الشعر من جهته الخاصة به ، وذقته
بالحاسة المهمة لمعرفة طعمه ، لم تشك في أن الأمر على ما أشرت لك اليه ، ويدل على
أن المضاف وقع في المنسأة وصار كالشريعة المنسوخة تأنيث الفعل في قوله وفضت
خواتمها ، ولو كان حكمه باقيا لذكرت الفعل كما تذكره مع الاظهار ، وينظر الى هذا
قولهم ضربته سوطا ، عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسمه وجعلوا أثر السوط
سوطا ، وتفسيرهم له بقولهم ان المعنى ضربته ضربة سوط بيان لما كان عليه الكلام
في أصله وأن ذلك قد نسي ونسخ وجعل كأن لم يكن^(٢) .

ح - وقال أيضا عن التشبيه البليغ : إذا قلت : زيد الأسد ، فالتصديق أن تبالغ
في التشبيه ، فتجعل المذكور كأنه الأسد ، وتشير الى ما يحصل لك من المعنى اذا
حذفت ذكر المشبه أصلا فقلت : رأيت أسدا ، فأما نحو : فانك كالليل الذي هو
مدركي ، ، فلا يجوز أن تقصد جعل الممدوح الليل ، ولكنك تتوى أنك أردت
أن تقول انه مثل الليل ، ثم حذفت المضاف من اللفظ ، وأبقى المعنى على حاله
اذا لم تحذف ؛ وأما هناك فانه وان كان يقال أيضا ان الأصل زيد مثل الأسد ثم

(١) ٢٣٣ - ٢٣٥ دلائل الإعجاز .

(٢) ٣٧ و ٣٠٨ أسرار البلاغة

تخذف فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأنه لم يكن لقصد المبالغة ألا تراهم يقولون جعله الأسد وبعيد أن تقول جعله الليل^(١) .

هذا هو رأى عبد القاهر في وضوحه وقوته ودقته ، ولا يلتبس علينا بعد ذلك فهم رأى عبد القاهر في رد الاستعارة الى التشبيه ، فانما يعنى بذلك الرد أن أصل الاستعارة التشبيه ، ولكن هذا الأصل نسي وصار شريعة منسوخة كما قال سابقا ، ولا بأس أن ننقل أهم فقرة لعبد القاهر في رد الاستعارة الى التشبيه ، ليرى أن ما ذكرناه في تأويلها وفهمها صحيح لا يتعارض معه نص ، لأنه هو الذى صرح به عبد القاهر سابقا ، قال :

أما المجاز فالاسم والشهرة فيه لشيئين :

الاستعارة، والتثيل على حد الاستعارة ، فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتستعيره للمشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا (٥٣ دلائل) .

وكذلك إنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، الأصل فيه أراك فى ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم رجلا ويؤخرها على الحقيقة كما كان الأصل فى قولك رأيت أسدا رأيت رجلا كالأسد ثم جعل كأنه الأسد على الحقيقة (٥٤ الدلائل)

..

فالحلقة فى ذلك : أن المجاز كله مبنى على المبالغة والادعاء لا على تقدير محذوف لا الآن كما يسم به عبد القاهر ولا فى الأصل كما يذهب إليه هو واللغويون من البيانين ، وأن أساليب المجاز تخلق فى أفق التخيل بمنح من الوهم ؛ وليس سيرها إلى المبالغة فى طريق الحقيقة المعبرة ، فذلك مالم يلاحظه ذوق أجدادنا العرب ولا ذوق من

من ينطق بهذه الأساليب المجازية الآن، وأن تقدير اعتماد الاستعارة على التشبيه إنما هو تقدير من عبد الفاهر لأصلها الأول المنسوخ؛ وإن كنا لا نوافقه في هذه الدعوى، ولا نسلم له ابتناء الاستعارة على التشبيه لا الآن ولا في الأصل الأول المنسوخ.

وهذا آخر ما نراه... وما توفيقنا إلا بالله

محمد عبد المغمم خفاجي

- الأستاذ بكلية اللغة العربية

بالأزهر الشريف

والحاصل على العالمية من درجة أستاذ

في الأدب والبلاغة

١٩٥٠/٨/١٦

استدراك

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٧	١٣	الشرع	في الشرع
٧	١٣	المخصوصة له	المخصوصة
٥٧	١٧	فقصده	فقد
٦٨	١٠	٥٦٣	٣٦٥
٩٧	٦	بنهم	٣٣
١٠١	٣	التشبيه	التشبيه
١٠٢	٢٠	٤	١
١٠٤	١٠	التفصيل	التفصيل
١٠٥	١٦	بالرفاد	بالرقاد
١٠٩	١٦	النطق	فالنطق
١١٢	١١	الثانية	الثانية
١٧٦	١٣	قرينه	قرينه
١٩١	١٦	الملزوم	الملزوم
١٩١	٢١	يتحقق	يتحقق
١٩٢	٣	الاختصاص	الاختصاص
١٩٢	١٥	الاعتبار	الاعتبار
٢٢٣	٢	١٢	٥

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
الكلمة الاولى	٣
القول في الحقيقة والمجاز	٤
المجاز المفرد	١٣
الضرب الاول المجاز المرسل	٣٢
الضرب الثاني الاستعارة	٤٣
المجاز المركب	١٢٦
الاستعارة المكنية والتخييلية	١٣٩
مناقشة آراء السكاكي في الحقيقة والمجاز	١٥٥
شروط حسن الاستعارة	١٧٧
المجاز بالحذف	١٨٤
القول في الكناية	١٨٨
أقسام الكناية	١٩٣
تنبيه	٢١٤
الفصاحة والبلاغة عند السكاكي	٢١٥
آراء في الكناية - ٣٣٦ الكلمة الاخيرة	٢٤١
كلمة إنصاف	٢٣٧
سر الفصاحة ومنزله في كتب البلاغة	١
بحث جديد في المجاز	١٧
استدراك - ٢٧ فهرست	٢٦
مطبوعات المؤلف	٢٩٠

انتهى الجزء الخامس

من شرح

الإيضاح في علوم البلاغة

الخطيب القزويني [٦٦٦ - ٧٣٩ هـ]

بشرح وتعليق

محمد عبد العزيز ضياء

الأستاذ بكلية اللغة العربية

وبليغه

الجزء السادس

وهو خاص بعلم البديع

وفي آخره بحوث جديدة في البلاغة

مطبوعات المؤلف

- ١ - شرح الايضاح - ٦ أجزاء - ١٦٠٠ صفحة
- ٢ - فن الشعر - جزآن - نحو ٣٠٠ صفحة
- ٣ - بنو خفاجة - ٥ أجزاء - الف صفحة - ظهر الجزءان

الاولان منه

- ٤ - الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام - ٦٠٠ صفحة
- ٥ - الحياة الادبية في العصر الجاهلى - ٤٠٠ صفحة
- ٦ - ابن المعتز وتراثه في الادب والتقدوالبيان - ٤٠٠ صفحة
- ٧ - فصيح ثعلب - ٤٠٠ صفحة
- ٨ - الشعراء الجاهليون - ٢٠٠ صفحة
- ٩ - رسائل ابن المعتز - ١٤٤ صفحة
- ١٠ - شرح للبديع لابن المعتز - ١٣٦ صفحة
- ١١ - شرح قواعد الشعر لثعلب
- ١٢ - شرح متن التلخيص - ١٤٤ صفحة
- ١٣ - الشعر الحرى أوزاله وقوافيه - ١٢٠ صفحة

- ١٤ -- التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي
١٥ -- حكومة القاضي الجرجاني في النقد
١٦ -- ابو هلال وأثره في البلاغة
١٧ -- شاعر وكتاب
١٨ -- ليلى الاخيلية الشاعرة
١٩ -- موقف النقد من الشعر الجاهلي
٢٠ -- الشاعر الخالد
٢١ -- مرشد البيان في البلاغة
٢٢ -- أحلام الشباب - ديوان شعر
٢٣ -- وحي العاطفة - ديوان شاعر
٢٤ -- نشيد الصحراء - قصة
٢٥ -- أعلام الشعر الجاهلي - بالاشتراك مع أستاذ
٢٦ -- عبد الفاهر والبلاغة العربية
٢٨ -- سر الفصاحة - يطبع بالاشتراك مع الاستاذ حسن جاد
المدرس بكلية اللغة

الايضاح في علوم البلاغة

للامام الخطيب القزويني

كتاب الخطيب : « الايضاح ، أهم كتب البلاغة ، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا ، وأجملها بيانا ، وأوفاهما بحثا ، وقد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقدمين في البلاغة وخاصة عبد القاهر الجرجاني إمام البلاغة ، والسكاكي فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ هـ . وكتاب الايضاح هو الكتاب الدراسي المقرر في شتى كليات اللغة والأدب في الشرق العربي .

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا ؛ في ستة أجزاء كبيرة تبلغ صفحاتها ألف وستة مائة صفحة ، والتزم طبعه ونشره مكتبة الجامعة الأزهرية بميدان الأزهر بمصر لصاحبها نجيب الرفاعي .

وقد حرص في شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدها . وأعظم عمل في هذا الكتاب فوق ذلك : ذكر جميع المصادر والمراجع ؛ وشرح الشواهد ، وذكر مصادرهما ، ووضع الشاهد فيها ؛ فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات في غاية الأهمية للمعالم البلاغة ودراساتها

وفي آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة في البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها مما لم يبق إليه أحد الناصر ؟

الإيضاح في علوم البلاغة

للخطيب القزويني (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ)

شرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء السادس

عني بطبعه ونشره

محمد علي صبيح وأولاده

بميدان الأزهر الشريف بمصر

١٣٦٩ - ١٩٥٠

الطبعة الأولى
سنة محمدية ١٤٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الاول - الى آخر المجاز العقلي .

الجزء الثاني - الى آخر مملقات الفعل .

الجزء الثالث - الى آخر علم الماماني .

الجزء الرابع - الى آخر التشبيه .

الجزء الخامس - الى آخر علم البيان .

الجزء السادس - علم البديع .

الكلمة الاولى

هذا هو الجزء السادس والاخير من شرحى على الايضاح فى
علوم البلاغة للخطيب القزوينى (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ) .

وإنى لأحمد الله على توفيقه ، وأسأله الرعاية والعون والسداد ،
وأضرع إليه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد عبد المنعم خفاجى
أستاذ بكلية اللغة العربية

الفن الثالث

علم البديع

وهو علم يعرف به وجوه تحسين^(١) الكلام، بعد رعاية: تطبيقه على مقتضى الحال^(٢)، ووضوح^(٣) الدلالة.

(١) أى يتصور معانيها ويبلغ أعدادها وتفصيلها بقدر الطاقة، ووجوه تحسين الكلام إشارة إلى الوجوه المذكورة فى صدر كتاب الإيضاح، فى قوله «ويتبعها وجوه آخر تورث الكلام حينئذ». وهذه الوجوه كثيرا ما يعد بعضها من مباحث علم المعانى، ولكن يجب أن نعلم أنها إذا طلبت من حيث المطابقة كانت من مباحث علم المعانى، وإن طلبت من حيث التحسين كانت من مباحث علم البديع.

(٢) فلا يعتمد بوجوه التحسين عند فقد المطابقة ووضوح الدلالة، كما أنه لا يعتمد بوضوح الدلالة عند فقد المطابقة لمقتضى الحال.

(٣) أى وبعد رعاية وضوح الدلالة أى بالخلو عن التعقيد المعنوى فوجوه التحسين إذا إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين، وإلا لكانت زينة فى وجه جارية سوداء.

وقوله «بعد رعاية» متعلق بالمصدر أعنى «تحسين الكلام»، ولا يجوز أن يكون المراد بوجوه التحسين مفهومها الإجماع الشامل للمطابقة لمقتضى الحال والخلو عن التعقيد وغير ذلك مما يورث الكلام حسنا سواء كان داخلا فى البلاغة أو غير داخل، ويكون قوله «بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة احترازا عما يكون داخلا فى البلاغة مما يقين فى علم المعانى والبيان والقصة والنحو والصرف؛ لأنه يدخل فى وجوه التحسين حينئذ - أى حين يراد بها مفهومها الإجماع - بعض ما ليس من المحسنات التابعة لبلاغة الكلام كالخلو عن التناثر مثلا، بل نقول =

وهذه الوجوه ^(١) ضربان : ضرب يرجع الى المعنى ^(٢) ، وضرب يرجع الى اللفظ ^(٣)

[المحسنات المعنوية]

أما المعنوى ^(٤) :

فنه :

= لا يخرج منها الا مطابقة مقتضى الحال والخلو عن التعقيد مطلقا بأن يجرى وضوح الدلالة أيضا على مفهومه المتبادر، فيبقى الخلو عن التنافر بين الحروف أو الكلمات والخلو عن مخالفة القياس والخلو عن ضعف التأليف كلها مندرجة فيها مع انها ليست من علم البديع، وأما الخلو عن الغرابة فيمكن ادراجه في وضوح الدلالة هذا ووضوح الدلالة قد خص بالخلو عن التعقيد المعنوى مع انه بحسب مفهومه يتناول الخلو عن التعقيد اللفظي أيضا ، ليكون إشارة الى علم البيان على ما ذكر في صدر الكتاب ، كما أن رعاية المطابقة إشارة الى علم المعاني ، فهذا تنبيه على أن منزلة علم البديع بعد منزلة هذين العليين

(١) أى وجوه التحسين

(٢) أى يرجع الى تحسين المعنى بحسب الاصل ، وان كان بعضها لا يخلو من تحسين للفظ

(٣) أى يرجع الى تحسين اللفظ بحسب الاصل ، وان كان بعضها لا يخلو من تحسين للمعنى

وراجع ذلك في المفتاح ص ١٧٩

(٤) أى المحسن المعنوى الراجع الى المعنى ، وقد ذكر المصنف منه ثلاثين نوعا .

وبدأ بذكر المحسن المعنوى لأن المقصود الاصل والغرض الاوى هو المعاني والالفاظ وتوابع وقوالب لها . =

المطابقة^(١)

== ويؤكده عبد القاهر رجوع النحسين في بعض الوجوه المذكورة في المحسنات المعنوية إلى المعنى فيقول :

« وأما التطبيق والاستعارة وسائر أفعال البديع فلا شبهة أن الحسن والقبیح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة ، من غير أن يكون اللفاظ في ذلك نصيب ، . ويقول : « وأمر التطبيق في ذلك أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر فهو مقابلة الشيء بضده ، والتضاد بين اللفاظ المركبة محال ، وليس لأحكام المقابلة ثم محال ، [١٤ و ١٥ الاسرار] .

(١) راجع ١٧٩ مفتاح ، ١٤ و ١٥ و ٣٥٠ الاسرار ، ٢٩٧ الصنائع ، ٢٧٥ - ٢٧٩ المثل السائر .

ولا بأس بأن نعرض عليك كلمة موجزة في بدء البحث البديعي وأطوره عن هذا اللون من المحسنات البديعية المعنوية فنقول : ذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال : أصلها وضع الرجل موضع اليد في مثنى ذوات الأربع ، ثم قال : وأحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

أيث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا
(٦ ج ٢ العمدة) . وقال الأصمعي والخليل :

يقال طابقت بين الشئين إذا جمعتهما على حذو واحد وألصقتهما (٧٤ شرح البديع ، ٦ ج ٢ العمدة) ، فذلك هو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان ، كما قال الرماني : المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان ، قال ابن رشيق : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة وهو يشتمل على قول القوم وغيرهم جميعا (٦ ج ٢ العمدة) . ==

وتسمى الطباق والتضاد أيضا .

== وفي البيان للجاحظ وردت كلمة التطبيق بمعنى إصابة الكلام الغرض المسوق له : ٨٧ - ٨٩ ج ١ و ١٣٣ ج ٢ البيان - وذكر تطبيق الحديث وأنه غير التطبيق الأول (١٠٢ ج ١ البيان) ، وفي كامل المبرد : كلمة المطابقة بمعنى الجمع بين الشيء وما يقابله في الكلام (١٤١ ج ١ الكامل) ؛ وكذلك أراد ابن المعتز هذا المعنى من هذا الاصطلاح ؛ ويسميه ثلث مجاورة الأضداد (٢٤ قواعد الشعر للعلاب) ويسميه قدامة التكاثر (٨٥ نقد الشعر)

فالمطابقة إذا لها معنيان : مساواة المقدار ، والجمع بين الشيء وضده ، وأول من سماه هذا الاسم الأصمعي مريدا منه المعنى الثاني ، وورد في اشتقاقه كلام عن الخليل والأصمعي رآه ابن رشيق ظاهرا في المعنى الأول . ويتول الياقلاقي : وأكثر العلماء على أن المطابقة أن يذكر الشيء وضده كالليل والنهار وإليه ذهب الخليل والأصمعي ومن المتأخرين ابن المعتز ، وقال آخرون : المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة وإليه ذهب قدامة (٧٩ إعجاز القرآن للباقلاني) ويذكر الآمدي أن قدامة لقب هذا الباب المتكافئ . وأنه سمي ضربا من المجانس ، المطابق ، وينقده في مخالفته للعلماء . ولا ابن المعتز في هذه الاصطلاحات (١٢٤ الموازنة) ، ورد الأخفش على قدامة أيضا (٢٩١ ج ١ العمدة) ونقل ابن سنان كلمة الآمدي في نقده وأشاد بها (١٨٥ سر الفصاحة) .

وقد ذكر ابن المعتز في هذا الباب في كتابه البديع كثيرا من الشواهد ، وذكر مثلا لما عيب منها (٧٤ - ٩٢ البديع شرح محمد خفاجي) .

ومن الغريب أن يكون أرسطو قد تكلم على المطابقة والمقابلة حيث ذكر التقابل وأن المتقابلات إذا توافقت أحدثت رونقا لظهور بعضها ببعض وأن المعتدل (الذي لا يفرط في الصفة حتى يدخل في حيز الكذب الظاهر) وخصوصا إذا شجن بالمطابقات المأخوذة من المتقابلات لذيد جدا وأن المتقابلات بعضها أعداد وبعضها كأضداد .

وهي (١) أجمع (٢) بين المتضادين (٣)، أى معنيين متقابلين (٤) في الجملة (٥).
ويكون ذلك إما :

== وابن المعتز فرق معرفته بالمطابقة فهو يعرف المقابلة ويذكرها باسمها (١١) رسائل ابن المعتز) ولم يذكرها في كتابه البديع، وقد ذكر قدامة المقابلة وعرفها في نقد الشعر (ص ٧٩) تعريفًا متأثر فيه بأرسطو، وأخذ السكاكي تعريف قدامة رأيا له في تعريفه للمقابلة، وفي الصنائع باب للمطابقة متأثر فيه أبو هلال باب المعتز (٢٩٧ - ٣١٠ صناعتين) وكذلك فعل ابن رشيق (٥ ج ٢ العمدة) (١) هي في اللغة الموافقة. وسمى المعنى الاصطلاحي موافقة لأن المتكلم وافق بين المعنيين المتقابلين، أو لموافقة الضدين في الوقوع في جملة واحدة واستوائهما في ذلك مع بعد الموافقة بينهما.

(٢) أى في كلام واحد أو ما هو كالكلام الواحد في الاتصال.

(٣) أى أو أكثر، فالجمع بين الأمور المتضادة أيضا مطابقة.

(٤) لما توهم أن المراد بالمتضادين هنا خصوص الأمرين الوجوديين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض، وليس ذلك شرطا؛ بين المصنف أن المراد بالمتضادين ماهر أعم عن ذلك، أعنى الأمرين اللذين بينهما تقابل وتناف ولو في بعض الأحوال وذلك كما في التقابل الاعتباري فإن التنافي فيه باعتبار المتعلق.

(٥) أى ولو في الجملة، فليس التنافي في بعض الأحوال شرطا بدليل التعميم فسواء كان التقابل حقيقيا - كتقابل الأمرين اللذين بينهما غاية الخلاف لذاتهما كتقابل القدم والحدوث - أو اعتباريا - كتقابل الأحياء والاماتة فانهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الأحوال وهو أن يتعلق الأحياء بحياة جرم في وقت والاماتة باماتته في ذلك الوقت، وإلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما ولا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت. وسواء كان التقابل الحقيقي تقابل التضاد - كتقابل الحركة والسكون على الجرم الموجود بناء على أنهما وجوديان - أو تقابل الإيجاب ==

[١ -] بلفظين من نوع واحد :

[١ -] اسمين : كقوله تعالى : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود » .

[٢ -] أو فعلين ؛ كقوله تعالى : « تؤتى الملك من تشاء » ، وتنزع الملك

من تشاء ؛ وتزعم من تشاء ، وتذل من تشاء ^(١) ، وقول النبی علیه السلام للانصار :

« إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » ، وقول أبي صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر ^(٢)

وقول بشار :

إذا أيقظتک حروب العدی فبیه لها عمرا ثم ثم ^(٣)

والسلب - كتنقابل مطلق الوجود وسلبه - أو تنقابل العدم والمسلكة - كتنقابل العمى والبصر - أو تنقابل الإضاف - كتنقابل الابوة والبنوة ؛ وقيل أن الجمع بين الابوة والبنوة من باب مراعاة النظير لا من المطابقة ؛ ورد بأن مراعاة النظير الجمع بين أمور لا تنافي فيها كالشمس والقمر بخلاف ما فيه التنافي كالابوة والبنوة - أو ما يشبه شيئا من ذلك مما يشعر بالتنافي لاشتراكه بوجه على ما يوجب التنافي كهاتما وتلك في بيت أبي تمام لما في هاتما من القرب وتلك من البعد .

(١) « وتزعم من تشاء وتذل من تشاء » زيادة موجودة في الإيضاح طبعة

مصر ، وليست موجودة في نسخة تهذيب الإيضاح للتوشحي . طبع سوربا ١٣٦٧ هـ

(٢) راجع البيت في ٦١ ج ٢ الحماسة ، ١٧٩ مفتاح ، ٥٩ ج ١ زهر الآداب

٢٩٧ صناعتين ، ص ٢ ج ١ الكامل للمبرد ، ٣٠ ج ٢ البيان ؛ وهو من قصيدة

تجدها في الأمل ص ١٤٩ ج ١ - وأبو صخر إسلامي أموي مدح عبد الملك .

وجواب القسم في البيت التالي وهو :

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

ومن الطباق قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى » [راجع ٤٣٤ صناعتين]

(٣) هو لبشار في عمر بن العلاء (راجع ٤٦ ج ٢ زهر الآداب ، ١٧٥ ج ٢

المعدة ، ١٩٣ ج ٣ الأغاني ، ٥٥١ السمط) .

[٣ -] أو حرفين كقوله تعالى : (لهما ما كسبت وعليها ما اكتسبت ^(١))
وقول الشاعر ^(٢) :

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا
[ب -] ولما بلفظين من نوعين ^(٣) : كقوله تعالى : أو من كان ميتاً
فأحييناه ^(٤) ، أى ضللاً فهديناه ؛ وقول طفيل :

بساهم الوجه لم تقطع أباجله يسان وهو ليوم الروح مبدول ^(٥)

° ° °

ملاحظة :

التقابل في وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود، من شبه العدم والمملكة باعتبار لازمهما
أما باعتبار أنفسهما فمن التضاد لأن النوم عرض يمنع إدراك الحواس واليقظة
عرض يقتضى الإدراك بها .

أما التقابل في ويحي ويميت، فمن تقابل العدم والمملكة باعتبار متعلقهما وهما
الحياة والموت ، أو من التضاد بناء على أن الموت عرض وجودى فالتنافي
بينهما اعتبارى .

(١) فإن في اللام معنى الانتفاع وفي على معنى التضمر، أى لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعصيتها غيرها .

(٢) هو مجنون ليلي كما في روضة الأدب ص ١٨٨ ، وفي تهذيب الإيضاح
للتنوخى : ولم نعر على صاحب هذا البيت مع فرط البحث عنه .

(٣) وهو الاسم مع الفعل

(٤) أفانته قد اعتبر في الأحياء معنى الحياة والموت والحياة بما يتقابلان ، والتقابل
اعتبارى هنا لأن تقابل الأحياء للموت باعتبار تعلقه بالحياة التى هى ضد الموت وقد
دل على الأول بالاسم وعلى الثانى بالفعل . وراجع الآية فى ص ٢٦٠ صناعتين .

(٥) البيت فى الصناعتين ص ٢٠٢ . ساهم الوجه أى متغيره من كثرة الجرى .

الأباجل : جمع أبجل وهو عرق من الفرس والبمير بمنزلة الأكمل من

الانسان . الروح : الفزع والحرب — طفيل الغزوى شاعر جاهلى مشهور مجيد

ومن لطيف الطباق قول ابن رشيق :
وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا نجوم العوالى فى سماء عجاج^(١)
وكذا قول القاضى الارجاني :
ولقد نزلت من الملوك بماجد فقر الرجال اليه مفتاح الغنى
وكذا قول الفردزق^(٢) :

لعن الاله بنى كليب أنهم لا يغدرون ولا يفون لجار
يستيقظون إلى نقيق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار
وفى البيت الأول تكميل حسن إذ لو اقتصر على قوله « لا يغدرون » لاحتل
السلام ضرباً من المدح ، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقال « لا يفون » ،
ليفيد أنه للعجز كما أن ترك الوفاء للؤم ؛ وحصل مع ذلك إيغال حسن لأنه لو
اقتصر على قوله « لا يغدرون ولا يفون » ، تم المعنى الذى قصده ، ولكنه لما
احتاج إلى التافية أفادها معنى زائداً حيث قال (لجار) لأن ترك الوفاء للجار
أشد قبحاً من ترك الوفاء لغيره
والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا ، وقد يكون خفياً نوع خفاء كقول
تعالى « بما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا ناراً ، طابق بين « أغرقوا » وأدخلوا ناراً » .
وقول أبى تمام^(٣) .

(١) العوالى . جمع عالية وهو أعلى الرمح أو النصف الذى يلى السنان الدجاج
الغبار — وابن رشيق هو صاحب العمدة المتوفى عام ٤٦٣ هـ .
(٢) فى الصناعتين ص ٣٠٣ . والأوتار جمع وتر وهو النار . والبيتان من
قصيدة فى هجاء جرير وقومه .
(٣) نجده فى الوساطة ص ٤٦ ، وراجع نقد الأمدى البيت فى
الموازنة ص ٦٩

المها واحداً مهاة وهى البقرة الوحشية يشبه بها فى حسن العينين . والقنا
واحداً قناة وهى الرمح . والخط بلد تصنع فيه الرماح . والنوابل
الأغصان الجافة .

مها الوحش إلا أن ماتا أو انس قنا الخط ط إلا أن تلك ذوابل
طابق بين هاتا ، وتلك ،

والطباقي ينقسم :

[١ -] إلى طباق الايجاب كما تقدم ^(١)

[٢ -] وإلى طباق السلب :

وهو الجمع بين فعلی مصدر واحد : مثبت ^(٢) ومنفی : أو أمر ^(٣) ونهى : كقوله
تعالى ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وقوله
ولا تخشوا الناس ، واخشون ، وقول الشاعر ^(٤) :

ونسكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
وقول البحترى ^(٥) .

يقبض لى من حيث لا أعلم النوى ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم
وقول أبي الطيب

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولا ^(٦)

(١) وهو أن يكون اللفظان المتقابلان معناهما موجبا

(٢) فيكون التقابل بين الايجاب والسلب لا بين مدلولي الفعل : [راجع
طباقي السلب في ص ٣٩٤ من الصناعتين]

(٣) أى أن يجمع بين فعلين أحدهما أمر والآخر نهى

(٤) هو السؤال [١/٣٩ الحماسة] ، وهو في ص ٣٩٥ صناعتين

(٥) راجع البيت في الوساطة ص ٤٦ . النوى : الفراق . يقبض : ينيأ ،
والنوى نائب فاعل ، يقبض ،

(٦) البيت من قصيدة يمدح بها ابن همار ، ومعناه واضح ، يقول عرف الناس
شخصك وما عرفوا شخصيتك وثمانلك ، وجهلوك لأنك عبقري الصفات على القدر ،
ولم يجهلوك لأنك خامل الذكر

وقول الآخر :

خلفوا وما خلفوا لمكرمة فكأنهم خافوا وما خلفوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا
قبل ومنه قوله تعالى: ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، أى
يعصون الله فى الحلال ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل ، وفيه نظر لأن
العصيان يضاد فعل المأمور به فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضاداً
(التدبيح) :

ومن الطباق قول أبى تمام :

تردى ثياب الموت حمراً فما أنى لها الليل إلا وهى من سندس خضر
وقال ابن حيوس (١) :

طالما قلت للمسائل عنكم واعتمادى هداية الضلال
أن ترد علم سألهم عن يقين فالفهم يوم فائل أو نزال
تلق ببيض الوجوه سود مشار النـ

وقول الحريرى : فذا زور المحبوب الأصفر ، واغبر العيش الأخضر ، اسود
بوى الأبيض ، وأبيض فودى الأسود : حتى رثى لى العدو الأزرق ، فيا حبذا
الموت الأحمر (٢) .

(١) لقبه . ابن حيوس ، لا أبو حيوس ، كما صنع الشينخ عبد المتعال
الصعيدى خطأ فى كتاب متن الايضاح الذى نشره صبيح - الطبعة الثانية وابن
حيوس من شعراء الشام وتوفى عام ٤٧٣ هـ ، وكان يمدح بنى مرداس ملوك حلب
وله ديوان شعر .

هداية الضلال من إضافة المصدر إلى مفعوله . النائل : العطاء . مشار النقع : منتشر
انتشار . النصال : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين .

(٢) خضرة العيش كناية عن طيبه ، واغبراره كناية عن ضيقه .

ومن الناس من سمي وما ذكرناه تدييحا^(١)، وفسره بأن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان، بقصد الكناية أو التورية^(٢) أما تدييح الكناية فكبيت أي تمام^(٣) وبيت ابن حيوس؛ وأما تدييح التورية فكلفظ الأصغر في قول الحريري^(٤).

ويلحق بالطباق شيطان :

(١) والتدييح دخل في تعريف الطباق لما بين الألوان من التقابل . وهو من ديج المطر الأرض بألوان النبات إذا زينها .

(٢) فإن كان المقصد الحقيقة أو المجاز فلا يكون تدييحا ؛ وذكر بعضهم أن ذكر الألوان على وجه الحقيقة لا يمنع التدييح .

وقوله « أو التورية » ، أو فيه ما نعمة خلو تجوز الجمع كما في مثال الحريري . والذي يقصد به الكناية أو التورية هو الكلام المشتمل على تلك الألوان . والمراد بالألوان ما فوق الواحد .

(٣) فقد ذكر لون الحمرة والخضرة ، والقصد من الأول الكناية عن القتل ، ومن الثاني دخول الجنة .

(٤) التورية هي أن يكون للفظ معنيان : قريب وبعيد ، ويراد به البعيد ، وقوله . هو أما تدييح التورية ، أي وأما التدييح المشتمل على التورية .

ففي قول الحريري السابق : المعنى القريب للمعجوب الأصغر هو الإنسان الذي له الصفرة ، والبعيد هو الذهب وهو المراد هنا ؛ فيكون تورية .

فإذا وجمع الألوان لقصد التورية لا يقتضى أن يكون في كل لون منها تورية كما توهم بعضهم ، فالحريري قد جمع بين عدة ألوان وكل تلك الألوان في كلامه كناية إلا الأصفر فإن فيه التورية ، فجمع الألوان لا يجب أن يكون على أنها كلها كنيات أو تورات ، بل يجوز جمعها على أن بعضها كناية وبعضها تورية .

أحدهما^(١) نحو قوله تعالى وأشداء على الكفار رحماء بينهم ، ، فإن الرحمة مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة؛ وعليه قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ، فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل ، لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لمفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية ؛ ومن فاسد هذا الضرب قول أبي الطيب^(٢) .

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مجرم
فإن ضد المحب هو المبغض والمجرم قد لا يكون مبغضا ، وله وجه^(٣) بعيد
والثاني^(٤) ما يسمى إيهام التضاد كقول دعبل^(٥) :

(١) هو الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر فرع تعلق مثل السببية والازوم ، والحال أنه ليس بين هذين المعنيين اللذين تعلق أحدهما بما يقابل الآخر تناف بل يجتمعان كالرحمة والشدة فإن الرحمة قد تكون شديدة ، وبهذا يمتاز عن الطباق .

(٢) راجعه في المثل السائر ص ٢٧٨ ، وفي الأمانة عن سرقات المتنبي للعميد ص ٨١

(٣) هو أن بين الأجرام والبغض تلازما بحسب الادعاء كأنما يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضا له .

(٤) وهو الجمع بين معنيين غير متقابلين ولا يستلزم ما أريد بأحدهما ما يقابل الآخر وبهذا فارق ما قبله وإنما عبر عنهما بلفظين يتقابل معناه الحقيقية والفرق بين التدبيح الذي فيه الكناية وبين إيهام التضاد مع أن في كل منهما المعنيين المرادين لا تضاد بينهما ولكن يتوهم التضاد من ظاهر اللفظين باعتبار معنييهما الأصليين أن الكناية التي في التدبيح يصح أن يراد بها معناه الأصلي فينافي مقابلة بخلاف إيهام التضاد فلا يصح فيه معناه الأصلي .

(٥) هو في الصناعتين ص ٢٩٧ ، وفي الوساطة ص ٤٥ ، وفي المقدم ص ٢٤٠ .

لا تعجب يا سلم من رجل ضحك المشيب رأسه فبكى
 وقول أبي تمام :
 ما إن ترى الاحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنيا سودا (١)
 وقوله أيضا في الشيب :
 له منظر في المين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع (٢)
 وتنظرى خبب الركاب ينصها يحيى الفريض إلى يميت المال (٣)
 [المقابلة] . (٤)

ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة :
 وهو أن يؤتى معنيين متوافقين (٥) ، أو معان متوافقة

* * *

- == ضحك المشيب رأسه ، أى ظهر ظهورا تاما فهو استعارة تبهية .
 وقوله ، فبكى ، أى ذلك الرجل يمتنى نفسه .
 فظهور الشيب لا يقابل البكاء إلا أنه قد عبر عنه بالضحك الذى معناه الحقيقى
 مقابل البكاء .
- (١) والبيت فى المثل السائر ص ٢٧٧ ، وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن
 يزيد الشيبانى .
- (٢) أبيض ناصع : شديد البياض . أسود أسفع : أسود إلى حمرة (١) والبيت
 لأبي تمام من قصيدة يمدح بها أبا سعيد النخعى .
- (٣) تنظرى : انتظرى . ينصها : يستحثها ويسوقها . يحيى الفريض هو الشاعر ،
 ويميت المال هو الممدوح . والخبب أن يراوح الفرس فى عدوه بين يديه ورجليه
 بأن يقوم على إحدهما مرة وعلى الأخرى مرة
- (٤) راجع ص ١٧٩ متناح ، و ص ٧٤ دلائل
- ومجملة السكاكى وغيره نوعا مستقلا من أنواع المحسنات البدعية .
- (٥) أى غير متقابلين .

ثم بما يقابلها ، أو يقابلها ، على الترتيب (١)

والمراد بالتوافق خلاف التقابل (٢) . وقد تركب المقابلة من طباق وملحق به

[١ —] مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا

(١) أى بحيث يكون الأول للأول والثاني للثاني ، فيدخل في الطباق ، لأنه جمع بين معنيين متقابلين في الجملة ، أى على وجه مخصوص دون آخر إذ ليس التقابل بين كل اثنين من المعاني ، الا ترى انه لا تقابل بين الضحك والقلّة ولا بين البكاء والكثرة في المثال الآتي وان كان فيه مقابلة بين الضحك والبكاء والقلّة والكثرة . ثم في الطباق حصول التوافق بعد التنافي ، وفي المقابلة حصول التنافي بعد التوافق ، وفي كليهما اراد المعنيين بصورة غريبة ، فكل منهما محسن بانفراده

(٢) حتى لا يشترط أن يكونا متناسبين أو متماثلين بخلاف مراعاة النظير فانه يشترط فيها ذلك

هذا وقوله ، خلاف التقابل ، أى فيشمل المتناسبين أى ما يكون بينهما مناسبة وإن اختلفا ما صدقا ومفهوما كالشمس والقمر كما في مراعاة النظير ولذا توجد المقابلة معه ، ويشمل المتماثلين في أصل الحقيقة مع عدم التناسب في المفهوم كمصدوق الغائم والانسان ، ويشمل الخلافيين كالطائر والانسان وكالضحك والقلّة فانهما غير متماثلين وغير متناسبين

هذا والمقابلة كما ذكرنا داخلة في الطباق باعتبار جمع المتقابلين ، ولم تجعل داخلة في مراعاة النظير باعتبار جمع المتوافقين لأنه يشترط في المراعاة تماثل المعنيين وتناسبهما ولا يشترط ذلك في المقابلة ، وهذا لا ينبغي كون بعض المقابلة من مراعاة النظير لأنه كما يشترط في المقابلة التناسب لم يشترط عدمه

كثيراً) (١) وقول النبي عليه السلام : إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه. وقول الذبياني (٢)

فني تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء
وقول الآخر :

فواجباً كيف اتفقنا : فتأصح وفي ، ومطوى على الغل غادر
فان الغل ضد النصيح ، والغدر ضد الوفاء

[٢ —] ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دلالة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والأفلاس بالرجل
وقول أبي الطيب (٣)

فلا الجود يفنى المال والجود مقبل ولا البخل يبقى المال والجود مدبر

[٣ —] ومثاله مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، فان المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق

(١) فأنى بالضحك والقلّة المتوافقين ثم بالبكاء والكثرة المتقابلين لهما أى أنى بالضحك والقلّة وهما متوافقتان ثم بالبكاء والكثرة وهما متوافقتان أيضاً وقابل الأول من الطرف الثانى وهو البكاء بالأول من الطرف الأول وهو الضحك وقابل الثانى من الطرف الثانى وهو الكثرة بالثانى من الطرف الأول وهو القلّة

(٢) يريد النابغة الذبياني ، وهو خطأ لأنه للنابغة الجمدي [راجع ١/ ٤٠٨]
الحجاسة ، ١/ ٤٧ ، [وهو فى ص ٢٣٠ الأما ، ٢٣٠ و ٢٩٧]
صناعتين .

(٣) راجعه فى ص ٣٠٥ صناعتين

[٤ - مقابلة خمسة بخمسة] : قيل وفي قول أبي الطيب :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثى وبياض الصبح يغري بي
مقابلة خمسة بخمسة ، على أن المقابلة الخامسة بين لي وبي : وفيه نظر ، لأن
السلام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما ؛ وقد رجح بيت أبي الطيب على
بيت أبي دلالة : بسكرة المقابلة ، مع سهولة النظم ، وبأن قافية هذا ممكنة وقافية
ذاك مستدعاة فإن ما ذكره غيره يختص بالرجال ؛ وبيت أبي دلالة على بيت أبي
الطيب بجودة المقابلة ، فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح .

* * *

ومن لطيف المقابلة ما حكى عن محمد بن عمران الطالحي (١) ، إذ قال له المنصور
بلغني أنك بخيل ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أجد في حق ، ولا أذوب في باطل

* * *

وقال السكاكي (٢) .

المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ثم إذا شرطت (٣)
هنا شرطاً (٤) شرطت هناك ضده كقوله تعالى : « فأما من أعطى الآيتين ، فما جمل

(١) وفي البديع لابن المعتر شرح محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٣ : « التيمى ،
وكان محمد هذا قاضي المدينة [٣٠٩ ج ١ زهر الآداب]

(٢) ص ١٧٩ مقتباح ، فقد زاد السكاكي في تعريف المقابلة قيدها آخر

(٣) أى فيما بين المتوافقين أو المتوافقات

(٤) أى إذا قيدت المعاني الأولى بقيد فلا بد أن تقيد المعاني المتأخرة لها بقيد
يضاد القيد الأول ، والمراد بالشرط هنا الاجتماع في أمر لا الشرط المعروف ،
لأن التيسير والتيسير ليسا شرطين بل هما أمران اشترك كل منهما في أمور متوافقة
ملاحظة :

المقابلة قد تتركب من الطباق ، وقد تتركب مما هو ملحق بالطباق كما في مقابلة =

التدبير مشتركاً بين الأفعال والالتقاء والتصديق ، جعل ضده وهو التدبير مشتركاً بين أصداد تلك ، وهي المنع والاستغناء والتكذيب .

[مراعاة النظير ^(١)]

ومنه ^(٢) مراعاة النظير ، وتسمى التماسب والالتلاف والتوفيق أيضاً .
وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه ^(٣) لا بالتضاد ^(٤)
كقوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » ^(٥) ، « وقول بعضهم للمهلبى الوزير :
« أنت أيها الوزير اسماعيل الوعد ، شئى التوفيق ، يومى العفو ، محمدى الخلق ،

== الالتقاء بالاستغناء ، فإنه جمع بين « منين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعاق
ثم قد يكون الطباق مقابلة ستة بستة كما مر مثل قول عترة :

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

(١) راجع ١٧٦ مفتاح ، ويعرفه السكاكى بأنه الجمع بين المتشابهات

(٢) أى من الضرب الذى يرجع الى المحسنات المعنوية

(٣) أى هي أن يجمع بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة

(٤) أى بل بالتوافق فى كون ما جمع من واحد واحد لصحته فى إدراكه

أو لمناسبته فى شكله أو لترتب بعضه على بعض أو ما أشبه شيئاً من ذلك

هذا والمناسبة بالتضاد أن يكون كل منهما مقابلاً للآخر أى ما فيها له ، هذا

وبقوله « لا بالتضاد » يخرج الطباق لأنه جمع بين أمرين متضادين أى بينهما

مطلق النقابل

(٥) جمع هنايين أمرين متناسبين وهما الشمس والقمر ، بحسبان : بحساب مقدر

وقول أسيد بن عنقاء الفزاري^(١) :
كأن الثريا عاقت في جبينه وفي خده الشعري وفي وجهه القمر
وقول الآخر في فرس :
من جلسار ناضر خده وأذنه من ورق الآس^(٢)
وقول البحتري في صفة الابل الانضاء^(٣) :

(١) راجعه في ص ٣٢٣ معجم الشعراء للمرزباني ، ٢٥٢ ج ٢ الحماسة ، ٩٦ ج ٤ زهر الآداب ، ١٣٧ ج ١ أمالي
ومن الغريب أن الدسوقي ينسب للبحتري [٣١٧ ج ٤ الدسوقي] وقد استشهد
بأغلبه علي بن أبي طالب يعني به طلحة :
فتى كان يدينه الغي من صديقه إذا ما هو استغنى ويبيعه الفقر
كأن الثريا علقت في يمينه وفي خده الشعري وفي الآخر البدر
(ص ١٠٠ ج ٣ العقد) ، ورواية الايضاح : وفي وجهه البدر
على أن الأبيات المروية من هذه القصيدة توجب أن يكون البيت هكذا
« وفي وجهه القمر »

هذا والثريا : سبعة كواكب في عنق الثور . والشعري : كوكب في الجوزاء .
والشاهد في البيت مراعاة النظير بجمع « الثريا والشعري والبدر » ، وكذلك
بجمع « الجبين والحد والوجه » .

(٢) البيت لابن خفاجة الأندلسي في وصف فرس
الجنار : زهر الرمان . الآس : الریحان . والشاهد في البيت تناسب : الجنار
والآس ، ، الحد والأذن ،

(٣) الانضاء . جمع نضو وهو المهزول . القسي جمع قوس . المعطفات :
المنحنيات . مبرية : منحوتة . الاوتار جمع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفي
القوس وهي أرق من السهام

فقد جمع بين أمور متأسبة هي القسي والسهام والاوتار . والبيت في ص ٢١٣
صناعتين ، ١٧٧ المثل السائر

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

وقول ابن رشيقي (١) :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث تروىها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم
فانه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسباع والخبر المأثور والاحاديث والرواية
ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم ؛ مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب
في العنفة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع في سند الاحاديث ، فان
السيول أصلها المطر والمطر أصله البحر على ما يقال ، ولهذا جعل كف الممدوح
أصلا للبحر مبالغة

[تشابه الاطراف] :

ومن مراعاة النظر ما يسميه بعضهم وتشابه الاطراف ، وهو : أن يختم الكلام
بما يناسب أوله (٢) في المعنى : كقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير) ؛ فان اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر (٣) ؛ والخبرة تناسب من

(١) البيت في ص ١٣ حسن التوصل في صناعة النرسل

(٢) ليكون ما ختم به الكلام كالعلة لما بدىء به أو العكس أو كالدليل
عليه أو نحو ذلك ، فهذا نوع خاص من مراعاة النظر لأنها الجع بين متناسبين مطلقا
سواء كان أحدهما في الختم والآخر في الابتداء كما في تشابه الاطراف أو كانا
معاً في الابتداء أو في الاختتام أو في الوسط ؛ والمراد بالكلام هنا ما يقصد من
التراكيب المفيدة سواء كان جملة واحدة أو أكثر ، والمراد بأول ما ليس بآخر
(٣) هذا إذا كان اللطيف مشتقا من اللطافة ، أما إذا كان مشتقا من اللطف
أى الرأفة وهو المراد هنا فلا يظهر إلا أن نقول إن بين اللطيف ، ودلا تدركه
الابصار ، إيهام تناسب كالمثال الآتي والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر إلخ ،

يدرك شيئا ، فإن من يدرك شيئا يكون خيرا به ؛ وقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الأرض وإن الله هو الغنى الحميد) ، قال: الغنى الحميد ، لينه على أن ماله ليس حاجة بل هو غنى عنه جواد به فإذا جاد به حمده المنعم عليه . ومن خفى هذا الضرب قوله تعالى وإن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم ، فإن قوله : وإن تغفر لهم ، يؤم أن الفاصلة الغفور الرحيم ، وليكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة ؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس قوته أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز لأن العزيز فى صفات الله هو الغالب ، من قولهم عزه يزهه عز إذا غلبه ، ومنه المثل : من عزى أى من غلب سلب ، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا لأن الحكيم من يضع الشيء فى محله والله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان فى الوصف بالحكيم احترام حسن ، أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لاحد فى ذلك والحكمة فيما فعلته

[إيهام التناسب (١)]:

ونما يلحق بالتناسب (٢) نحو قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم (٣) والشجر يسجدان ، ، ويسمى إيهام التناسب (٤)

(١) راجع ص ٣٨٥ / ١ الكامل للمبرد

(٢) أى بمراعاة النظير

وهذا الذى يلحق بالتناسب هو أن تجمع بين معنيين غير متناسبين فى أنفسهما - لعدم وجود شيء من أوجه التناسب - بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان ، وإن لم يكونا مقصودين هنا ، بأن لا يقصد واحد منهما أو يكون أحدهما مقصودا دون الآخر كما فى المثال المذكور فى المتن

(٣) النجم هو النبات الذى ينجم أى يظهر فى الأرض لا ساق له كالبقول .
والشجر الذى له ساق ، ويسجدان أى يقادان لله تعالى فيما خلفا له . فالنجم =

[التفويف^(١)] :

وأما ما يسميه بعض الناس « التفويف » ، وهو أن يؤتى في الكلام بمعان
متلازمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربها
كقول من يصف سحابا^(٢) :

تسريل وشيا من خزوز تطرزت مطارفها طرزا من البرق كالنبر
فوشى بلا رقم ، ونقش بلا يد ودمع بلا عين ، وضحك بلا نغر
وكقول عترة :

إن يلحقو أكرروا أن يستلحقوا أشددوا نزلوا بضنك انزل^(٣)

== بهذا المعنى وإن لم يكن مناسباً للشمس والقمر لكنه قد يكون بمعنى الكوكب وهو
مناسب لها لاقتراحه معها في الخيال

(٤) لمثل مما مر في إيهام التضاد ، من أن اللفظين الذين ذكر بهما المعنى
يوهمان التضاد فكذا هنا يوهمان التناسب هذا ومن مراعاة النظير قول أبي القاسم
الزاهي :

سفرن بدورا ، وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا

(١) راجع جمع المؤلف في الصناعتين ص ٣٩٢

وهو من قولهم « برد مفوف » ، للذي على لون وفيه خطوط بيض على الطول

(٢) هو أبو العباس الناشي . (٢٤٠ هـ ، زهر الاداب) وينسب البيت للمهاجر

الوزير أيضا . ولم ينسب البيتين لأحد جميع من كتبوا على الايضاح

الضمير في « تسريل » ، للسحاب . الوشى : نوع من الثياب منقوش . المطارف

أردية من خز . مربة بها أعلام . الطرز جمع طراز وهو علم الثوب ، والخزوز جمع
خز تطرزت اتخذت الطراز

والشاهد في البيت الثاني لأنه أربع جمل متساوية وما فيها متلازمة

(٣) الحقوق : الادراك . الاستلحاق : طابه . الكر : الحمل على العدو . الشد :

الركض . والبيت في الوساطة ص ٤٧

وكقول ابن زيدون .
ته أحتمل، واحتكم أصبر، وعزأدن ودل أخضع، وقل أسمع، ومر أطلع
وكقول ديك الجن :

أحل وأمر وضر واقع وان واخ شن ورش وابر وانتدب للمعالي^(١)
فبعضه (٢) من مراعاة النظير، وبعضه من المطابقة

- ٣ -

[الارصاد^(٣)]

ومنه (٤) الارصاد، ويسمى التسهم (٥) أيضا

وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة (٦) أو البيت ما يدل على العجز (٧) إذا

(١) «رش» أمر من راش بمعنى أصلح . «ابر» أمر من برى بمعنى أفسد
وأصله من برى السهم والقلم تحتها . انتدب أمر من انتدب يقال : ندبه لأمر
دعاه ، فانتدب هو أى فأجاب

(٢) هذا جوابه وأما ما يسميه بعض الناس ، ويريد ببعضه مثل الأول،

وبعضه الثانى مثل البيت الأخير

(٣) هو نصب الرقيب فى الطريق من رصدته أى رقبته ، والرصيد السبع الذى

يرصد ليشب ، والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث

ويسميه قدامه التوشيح (ص ٩٩ نقد الشعر) وكذلك العسكرية (ص ٣٧٤

صناعتين) - وراجع المثل السائر ص ٢٩٦

(٤) أى من الضرب المعنوى

(٥) يقال : بردهم أى فيه خطوط مستوية

(٦) هى فى النثر بمنزلة البيت فى النظم فى أن رعاية الروى واجبة فيهما والفقرة

بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف فى الأصل حلى يصاغ على شكل فقرة الظهر

(٧) أى كلمة تدل على مادة العجز وصورته فالمادة يدل عليها الارصاد والصورة

يدل عليها الروى ، فالمتوقف على معرفة الروى هو الصورة فقط . والعجز : آخر

كلمة من الفقرة أو البيت

عرف الروى (١). كذوله تعالى (وما كان الله ليضلهم ولكن كانوا أنفسهم يضلون) (٢) وقوله (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون) ، قول زهير (٣)

سمت تكاليف الحياة ومن يش
ثمانين حولاً لا أبالك بسم
وقول الآخر (٤)
إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ما نستطيع
وقول البحري .

(١) أى مع معرفة صيغة القافية ، وقوله ما يدل ، فاعل يجعل ، وقوله وإذا عرف ، متعلق بقوله يدل ، فمعرفة الروى وصيغة القافية شرط فى الدلالة . هذا والروى : الحرف الذى يبنى عليه أواخر الآيات أو الفقر ويجب تكرار الروى فى كل منهما .

وقيد بقوله وإذا عرف الروى ، لأن من الأرصاد ما لا يعرف به العجز — أى باعتبار صورته ومادته لا باعتبار مجرد مادته — لعدم معرفة حرف الروى كما فى قوله تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا الخ) ، فلم يعرف أن حرف الروى هو التون . ولا بد من العلم بصيغة القافية أيضاً — لربما نوهم أن العجز فيما هم فيه اختلفوا أو فيما اختلفوا فيه

(٢) فيظلمهم إرصاد لدلالته على أن مادة العجز هى الظلم ويدين كون المادة محتومة بنون بعد واو معرفة الروى السكّان فيما قبل الآية

وراجع الآية فى الصناعتين ص ٣٧٥

(٣) راجع كلام الآمدى على البيت فى الموازنة ص ١٢٦

والارصاد فى البيت هو د سمت ،

(٤) هو عمرو بن معدى كرب [٢٠٩ معجم الشعراء للمرزبانى] . والبيت

فى الصناعتين ص ٢٧٩ . والارصاد فيه قوله ، إذا لم تستطع ،

أبكيكما دمعاً ولو أنى على قدر الجوى أبكى بكيتكما دماً (١)
وقوله (٢)

أحلت دمي من غير جرم، وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللته بمحلال وليس الذي حرمته بحرام

- ٤ -

(المشاكله^(٣))

ومنه (٤) المشاكلة، وهي: ذكر الشيء (٥) بلفظ غيره (٦) لوقوعه (٧) في
صحبته (٨) تحقيقاً (٩) أو تقديرًا.

(١) الارصاد فيه قوله «أبكيكما دمعاً» لأنه لا يبقى بعد بكا الدمع عندهم
إلا بكا الدم

(٢) هما للبحرئى أيضاً، وهما في الصناعتين ص ٣٧٦
والارصاد في قوله «حرمت»

(٣) راجع ص ٥٩ و ١٧٧ ج من الكامل طبعة قديمة في الكلام على
البيت «مقلداً سيفاً وريحاً»، و ص ٤٠٣ ج : الكامل طبعة التجارية، وراجع
المشاكله في المفتاح ص ١٧٩

(٤) أى من المعنوى

(٥) كالخياطة في المثال الآتى

() كلفظ الطبخ أى بنفس لفظ غيره أى وكذلك ذكره بلفظ ضد المذكور
أو بلفظ مناسبه فجريانها في الضد مثل لم تجعد شهادتى لمن قال لك أنت سبط الشهادة
وأما جريانها في المناسب مثل لا إله إلا الله مفتاح الجنة وما من مفتاح الاوله
أسنان فان جمعت بالاسنان (المراد بها الاعمال) فتح لك

(٧) أى لوقوع ذلك الشيء وهو الخياطة

(٨) أى في صحبة ذلك الغير كالطبخ (٩) بأن ذكر ذلك الشيء عند ذكر الغير
والمبتادر من الكلام أن المشاكلة مجاز لغوى لأنها كلمة مستعملة في غير ما وضعت =

أما الأول فكقوله :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبعه قلت اطلبخوا لى جبة وقيصا (١)

= له للعلاقة بناء على أن السلام فى : د لوقوع ، تعليلية وأن الوقوع المذكور من العلاقات المعبرة لرجوعها للمجاورة ، فذكر الشيء بلفظ غيره شامل للمجاز والكناية و د لوقوعه فى صحبته ، مخرج لما عدا المشاكلة ، فوقوع الشيء فى صحبة غيره أى قصد المتكلم الوقوع فى الصحبة يرجع إلى علاقة المجاورة وقيل المشاكلة لا حقيقة ولا مجاز ، فهى غير حقيقة لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ، وهى غير مجاز ، لعدم العلاقة المعبرة لأن الوقوع فى الصحبة ليس من العلاقة ولا يرجع إلى المجاورة لأنها المجاورة بين مدلول اللفظ المتجاوز به وبين مدلول اللفظ المتجاوز عنه أى تقاربهما فى الخيال ، والمشاكلة ليست كذلك ، لأنها العدول عن اللفظ الدال على المعنى المراد إلى لفظ غيره من غير أن يكون هنا مجاورة وتقران بين مدلولي اللفظين فليس فيها إلا ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما فى الذكر وهذا القدر لا يسكنى فى التجوز ، فعلى هذا اللام فى د لوقوعه توقيتية أى وقت وقوعه فى صحبته وعلى هذا نخرج المجاز والكناية بهذا القيد ظاهر ، ومعنى د الوقوع فى صحبته على هذا أنه ذكر هذا ، عند ذكر هذا وليس المراد وقوعه فى صحبته فى قصد المتكلم كما يقوله الأول وهذا الوجه ارتضاه عبد الحكيم وابن يعقوب : لأن القول بأنها مجاز ينافى كونها محسناً بديعاً

ولأن المشاكلة قد لا يكون بين المعنيين فيها علاقة من العلاقات ولأن فى المشاكلة نقل المعنى من لباس إلى لباس وفى المجاز نقل اللفظ من معنى إلى آخر ، والتغليب كالمشاكلة فيه نقل المعنى من لباس إلى لباس لنسكتة فهو لا حقيقة ولا مجاز وإن صرح الشارح فيما سبق بكونه مجازاً

(١) البيت لأبى الرقعمق أحمد بن محمد الإنطاكى م ٣٩٩ هـ وهو شاعر ماجن ظريف

كانه قال خيطوا لي ؛ وعليه قوله تعالى وتعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك (١)
 وقوله « وجزاء (٢) سيئة سيئة مثلها ؛ ومنه قول أبي تمام :
 من م يبلغ أفناء يعرب كلها أنى بنيت الجار قبيل المنزل (٣)
 وشهد رجل عند شريح ، فقال إنك اسبط الشهادة (٤) ، فقال الرجل لأنها لم
 تجعد عني (٥) ، فالذى سرخ بناء الجار وتجويد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ، ولولا
 بناء الدار لم يصح بناء الجار ، ولولا سبوطه الشهادة لا متع تجعيدها
 ومنه قول بعض العراقيين في قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم
 يقبل شهادته (٦) .

اقترح من اقترحت عليه شيئا إذا سأله إياه من غير رؤية ، وطلبه على سبيل
 التكليف والألزام . نجد هو جواب الشرط من الاجادة وهي تحمين الشيء : اطلبخوا
 لي جبة أى خيطوا لي ، وذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ
 الطعام

(١) حيث اطلق النفس على ذات لله لوقوعها في صحبة « نفسى ،
 (٢) راجع الآية في ٣٨ ج ٤ السبكي ، وكذلك ٤٤ ج ٤ السبكي
 حيث سماها مجاز المقابلة

(٣) الافناء جمع فن . وهو الجماعة . ومحل الشاهد قوله « بنيت الجار ،
 (٤) أى تامها

(٥) أى لاني حافظ لها وليست قاصرة عن إدراكى كما فى البديع لابن المعتز
 وفى بعض المراجع أن سبط الشهادة ، بمعنى أنها ليست مضبوطة من
 قولهم شعر سبط أى مسترسل ، وقوله « لأنها لم تجعد عني ، يعنى به أنه لو قبل
 شهادته لكانت مجمدة أى مضبوطة من قولهم شعر مجمد أى مضبوط مملو .
 وهذا تفسير خاطئ . ويخالف ما فى البديع لابن المعتز .

(٦) راجع ٢٦١ ريحانة الالباء . ونسبها الثعالبي فى يتيمة للصاحب بن عباد .
 والشاهد فى « سرق العيد ، فهو مشاكلة لوقوعه فى صحبة أموال يتامى .

أرى القاضى أعمى أم تراه يته ——— اى
سرق السعيد كان العيد أموال اليتامى
وأما الثانى ^(١) فكذلك قوله تعالى وصبغة الله ، وهو مصدر مؤكد منتصب عن
قوله: آمنا بالله ، والمعنى تطهير (٢) الله ، لأن الايمان يطهر النفوس ، والاضل فيه
أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى أصفر ماء يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير
لهم ، فأمر المسلم أن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل
صبغنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا ، أو يقول المسلمون وصبغنا الله بالايمان
صبغته ولم يصبغ صبغتك ، وجىء بلفظ الصبغة للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ
الصبغ ، لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى
الماء الأصفر دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الاشجار : أغرس كما يغرس
فلان ، تريد رجلاً يصطنع (إلى) الكرام (٣) .

(١) وهو ما يكون وقوعه فى صبغة الغير تقديراً بأن ذكر الشئ عند حضور
معنى الغير فيكون اللفظ الدال على معنى الغير مقدراً والمقدر كالمذكور .
(٢) فإطلاق لفظ الصبغة على التطهير استعارة .

والشاهد التعبير عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة أى لمناسبة المعنى المعبر
عنه والمعنى الذى يستحق أن يعبر عنه بلفظ الصبغة ، وذلك لوقوعه فى صبغة صبغة
النصارى تقديراً بالقرينة الحالية التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم
فى الماء الأصفر

(٣) أى يحسن البهم ، فعبر عن الاصطناع بلفظ الغرس للمشاكلة بقرينة
الحال وإن لم يكن له ذكر فى المقال .

والصحيح أن هذا المثال مقلوب ، لأنه على ما هو عليه من الضرب الاول
للمشاكلة ، لا من الضرب الثانى لأنها وقعت فى مصاحبة مشاكل محقق .
فأصل المثال أن يقول لرجل : أغرس إلى الكرام كما يغرس هذا مشيراً لرجل
يغرس الشجر . قال الدسوقي : عبرت عن الصنع بالغرس لمصاحبته للغرس الحاضر
ولو لم يذكر ، فكانت ما قلت هذا يغرس الاشجار فأغرس أنت الاحسان مثله ،
فإن قدرته مجازاً للتشبيه فى رجاء النفع كان مجازاً للتشبيه ومشاكلة للصبغة وإن لم
تقدره كان مشاكلة محضة .

[الاستطراد]

(قال الخطيب) :

ومنه ^(١) الاستطراد ^(٢) :

وهو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل لم يقصد بذكر الاول التوصل الى ذكر الثاني

كقول الحماسي (٣) :

ولما لقوم لا نرى القتل سبة اذا ما رآته عامر وسلول
وقول الآخر (٤) :

اذا ما اتقى الله الفنى وأطاعه فليس به بأس وان كان من جرم
وعليه قوله تعالى . يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا
ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . قال الزمخشري : هذه
الاية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوآت وخصف الورق عليها اظهارا
للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة
واشعارا بان التستر باب عظيم من أبواب التقوى *
هذا أصله (٥)

وقد يكون الثانى هو المقصود ، فيذكر الاول قبله ليتوصل اليه ، كقول
أبي اسحاق الصائغ

(١) أى ومن المعنوى

(٢) راجع ص ٣٨٩ صناعتين

(٣) هو السؤال (٣٨ / ١ / حاشية) . والبيت فى الصناعتين ص ٢٩٠ .
السبة : العيب . أراد الشاعر مدح نفسه فاستطرد الى ذم هاتين القبيلتين

(٤) ص ٣٩٠ صناعتين ، والبيت ازباد الاعجم

(٥) أى أصل الاستطراد

ان كنت خنتك في المودة ساعة فذمت سيف الدولة المحمودا
وزعت أن له شريكا في العلي ووجدته في فضله التوحيدا (١)
قسما لو أني حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا (٢)

(١) أي بتوحيد الناس إياه في الفضل
(٢) الغموس . أشد الإيمان أو التي لم توصل باستثناء
والشاهد في هذه الآيات ذكره حديث الخيانة ليتوصل به إلى ما ذكره
من مدح سيف الدولة
ملاحظة :

١ - الاستطراد يسميه بعض علماء البديع حسن الخروج ، ولا بأس بأن
تبسط القول في حسن الخروج والاستطراد معا فنقول :

قال ابن رشيق : حسن الخروج هو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأن
الخروج إنما هو أن تخرج من أسبب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتبادى
فيما خرجت إليه [٢٠٦ ج ١ العمدة] ، والاستطراد أن يبني الشاعر كلاما كثيرا
على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها الكلام وهي مرادة دون جميع ما تقدم
ويعود إلى كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة من غير قصد [٢٠٨ ج ١ العمدة] .
فحسن الخروج على هذا الرأي هو حسن التخلص ، ويقول ابن رشيق : ومن
الناس من يسمي الخروج تخلصا وتوسلا ، وعلى هذا الرأي سار ثعلب في قواعد
الشعر ، وهو أول من لقبه هذا اللقب قال : حسن الخروج من بكاء الطلل ووصف
الابل وتحمل الأظفان وفراق الجيران بغيره دع ذا ، و . دع عن ذا ،
و . اذكر ذا ، بل من صدر إلى عجز لا يتعداه إلى سواه [٢٢ قواعد الشعر]
وقد سار ابن المعتز على نهج أستاذه ثعلب في اللقب ، وعرفه بأنه حسن الخروج
من معنى إلى معنى [١٠٩ البديع] ولم يرد على ذلك ، على أن المثل التي ذكرها
له منها أمثلة واضحة فيها الاستطراد كقول الشاعر : =

== إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم
ومثل أخرى واضح فيها حسن التخلص كقول الشاعر :

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا
فالظاهر أن ابن المعتز يريد بحسن الخروج ما يشمل التخلص والاستطراد . والحائمي
يسمى الخروج استطرادا اتساعا كما يقول ابن رشيق (٣٨ ج ٢ العمدة) ، وعلى
أى حال فالاستطراد قريب من التخلص ، وكان شبيب بن شبة يقول : الناس موكلون
بتفضيل جودة القطع وممدح صاحبه (٨٩ ج ١ العمدة) وجودة القطع هي حسن
التخلص ، فإذا قد كان القدماء يمدحون هذا المعنى ولا يسمونه « تخلصا » ، أما
الاستطراد فقد أشار إليه الجاحظ في بيانه دون أن يلقيه هذا اللقب (٢٠٥ ج ١
و ١٣٨ ج ٢ البيان) ، وهو ضرب من البديع يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى فيمن له
آخر فيأتى به كأنه على غير قصد وعليه يبنى وإليه كان مغراه وقد أكثر المحدثون
منه ، ومنه قول أبي تمام يصف فرسا :

أيقنت إن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان
واحترى البحرى هذا الخدو في حمدويه الأحول فقال في فرس .
ما إن يماف قذى ولو أوردته يوما خلائق حمدويه الأحول
وهذا المعنى (الاستطراد) أعجب به المحدثون ، وقد وقع لمن قبلهم
قال الفرزدق .

كان فقاح الأزد حول ابن مسمع إذا جالسوا أفواه بكر بن وائل
وأقى جرير بهذا الذرع فقال .

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل
وأول من ابتكره السموأل وكل أحد تابع له فقال :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رآته عامر وسلول ==

[المزاجية ^(١)]

ومنه المزاجية :

وهي أن يزواج ^(٢) بين معنيين في الشرط ^(٣) والجزاء كقول البخري :

[١٤٩ - ١٥١ ج ٤ زهر الآداب ، ٣٨٨ - ٣٩١ ج ٢ الذخيرة] =
ولأحق الموصلي :

فاذ قرن الشمس حتى رأيتنا من العي نحكي أحمد بن هشام
ومن الاستطراد قول ابن المعتز :

علت بجم بارد فكأنما علت ببرد قصيدة (ابن سعيد)
وأول من سماه استطراداً أبو تمام ، قال البخري أنشدني أبو تمام بيته ، أيقنت
إن لم تثبت أن حافره الخ ، ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ، قال هذا
المستطرد والاستطراد ، يرى أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان ، قال
الصولي : فافتدى البخري في هذا بأبي تمام فقال : ما إن يعاف قذى البيت ،
[٦٨ أخبار أبي تمام ، ٢٨ ج ٢ العمدة ، ١٩٣ الباقلاني] :

وقال صاحب حسن التوسل : الاستطراد هذه التسمية نقلها البخري عن أبي تمام
وسماه ابن المعتز الخروج (٨١ المرجع) . وقد تكلم على الاستطراد أبو هلال وابن
فارس [٣٨٩ صناعتين ، ٢٢٦ الصاجي]

(١) راجع ١٧٩ مفتاح ، ٧٤ و ٧٥ دلائل

(٢) أي يوقع المزاجية . وهو بكسر الواو والفاعل ضمير الغائب وبفتحتها
ونائب الفاعل ضمير يود على المصدر المفهوم من الفعل أي يزواج الزواج أي يوقع
المزاجية أو نائب الفاعل هو الظرف ، بين ، على قول من قال إنه ظرف متصرف
غير ملازم للنصب على الظرفية

(٣) الظرفية ، بين ، من ظرفية المدلول في الدال ، فالمراد بجعل المعنيين في =

إذا ما نهى الناهى فلج بي الهوى أصاغت الى الواشى فلج بها الهجر^(١)
وقوله أيضاً :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القرى ففاضت دموعها^(٢)

— ٧ —

(العكس^(٣))

ومنه العكس والتبديل وهو أن يقدم في الكلام جزء^(٤) ثم يؤخر^(٥) ويقع
على وجهه :

== الشرط والجزاء أن تجعل أحدهما في مكان الشرط بأن يوثى بعد أدائه والآخر في
موضع الجزاء بأن يربط بالشرط ويساق جواباً له. والمعنى : يجعل معنيان واقعان
في الشرط والجزاء مزدوجين أى مستويين في أن يرتب على كل منهما معنى مرتب
على الآخر

(١) زواج بين نهى الناهى وإصاغت إلى الواشى الواقمين شرطاً وجزاء في
أن رتب عليهما لجاج شيء وإن كان في الشرط لجاج الهوى وفي الجواب لجاج الهجر.
وقد يفهم من ظاهر العبارة أن المزاوجة هي أن تجمع بين معنيين في الشرط ومعنيين
في الجزاء كما جمع في الشرط بين نهى الناهى ولجاج الهوى وفي الجزاء بين اصاغت
إلى الواشى ولجاج الهجر ؛ وهو فاسد إذ لا قائل بالمزاوجة في مثل قولنا : إذا جاء
زيد فسلم على أجلسه فأنعمت عليه. وما ذكرناه هو المأخوذ من كلام السلف . هذا
والبيت من قصيدة بعضها في ١١١ ج زهر الآداب

(٢) هو للبحرئى أيضاً ، وهو في ص ٧٤ دلائل ، وض ٢٠٢ صناعتين ؛
احتربت : تحاربت

(٣) ٣٦٣ صناعتين . والعكس محسن بدعى معنوى ، لأن فيه عكس المعنى
وتبديله أولاً ثم يتبعه تبديل اللفظ ، بخلاف رد المعجز على الصدر فإنه إيراد اللفظين
أحدهما في أول الكلام والآخر في آخره مثل (وتخشى الناس والله أحق أن
تخشاه) فلذا كان محسناً لفظياً بخلاف العكس ==

[١ -] منها أن يقع بين أحد طرفي (١) جملة وما أضيف (٢) إليه كقول بعضهم : عادات السادات سادات العادات (٣) .

[٢ -] ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين (٤) ، كقوله تعالى : (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ، وكقول الحماسي :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا (٥)

= (٤) أى كلمة ، فخرج تقديم الحرف مثل ، مودته تدوم لكل هول البيت ، فهو قلب لأن فيه تقديم حروف ثم عكسها

والمراد يقدم جزء على جزء

(٥) أى يؤخر ذلك المقدم على الجزء المؤخر أولا

والعبارة الواضحة ما ذكره بعضهم ، وهو أن تقدم في الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت ، وظاهر عبارة المصنف هنا صادق على نحو : عادات السادات أشرف العادات ، مع أنه ليس من العكس بل من رد العجز على الصدر ، والحاصل أن تقديم جزء من الكلام على جزء آخر ثم عكس ذلك بتقديم المؤخر وتأخير المقدم هو العكس ، وهو يستلزم تكرار الجزء من الواقع فيهما العكس بالتقديم والتأخير . أما تقديم جزء من الكلام على جزء آخر ثم تأخير المقدم على غير المؤخر فهو من رد العجز على الصدر ولا يقتضى تكرار الجزء من مما

(١) وهو المبتدأ مثلا إذا كان ذلك المبتدأ مضافا إلى شيء

(٢) أى وما أضيف ذلك الطرف إليه . والمعنى أن يقع متعلقا بهما أى

بالطرف وما أضيف إليه ويكون العكس هو الخبر في تلك الجملة

(٣) فالعادات أحد طرفي الكلام والسادات قرن بذلك الطرف ، وقد

وقع العكس بينهما بأن قدم أولا العادات على السادات ثم السادات على العادات

(٤) ففي المثال : الحى والميت متعلقان بيخرج وقد قدم أولا الحى على الميت

وثانيا للميت على الحى

(٥) البيت لعبد الله بن الزبير الاسلامي الشاعر [٢٩٧ ج ١ حماسة] =

[٣-] ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين^(١) كقوله تعالى (من لباس لكم وأنتم لباس لهن، وقوله لاهن حل لهم ولا هم يحلون^(٢) لهن، وقوله: ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء، وقول الحسن البصري^(٣)) :
 وإن من خوفك حتى تلقى الأمان خير من أمنك حتى تلقى الخوف... وقول
 أبي الطيب :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده^(٤)
 وقول الآخر^(٥) :

إن الليالي للأنام مناهل تطوى وتنشر دونها الأعمار
 فقصارهن مع الهموم طويلة وطولهن مع السرور قصار

= أو لفظة بن شريك الكوفي لمات يزيد بن معاوية [٣٠٨ و ٣٠٩ معجم الشعراء] ؛ والبيت مشروح في البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجي هذا وضمير هـ من ، لنسوة آل حرب

- (١) أي موجودين في طرفي كل من جملتين
 (٢) فقد قدم أولاده من ، على هـ ، ، وثانيا هـ ، على هـ من ، وهما لفظان وقع أحدهما في جانب المسند إليه والآخر في جانب المسند
 (٣) هو في البديع لابن المعتز ، وفي البيان (٩٧ / ٢)
 (٤) ومثله قول الخوارزمي :

فلا حر إلا وهو عبد لجوده ولا عبد إلا وهو في عدله حر
 وقول الشاعر [١٤٠ رسالة الغفران] :
 وما كل ذي لب يؤتيك نصحه

وما كل مؤت نصحه بليد

- (٥) هو عتاب بن ورقاء (ص ١٣٤ من الأقصى القريب للتوخى) ، وقال التوخى في تهذيب الايضاح : هو للتبني على رأى بعض العلماء بالشعر ولم أجد البيتين في الديوان ولا في زيادات اليمنى صاحب سبط اللآلئ

[الرجوع ^(١)]

ومنه الرجوع :

وهو العود على الكلام السابق بالنقض لتكته ، كقول زهير ^(٢) :

قف بالديار التي لم يعفها القدم

بلى ، وغـيرها الأرواح والديم

قيل لما وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلته ، فأخبر بما لم يتحقق فقال

« لم يعفها القدم » ، ثم تاب إليه عقله ، فتدارك كلامه ، فقال : بلى وغيرها الأرواح

والديم ، وعلى هذا بيت الحماسة ^(٣) :

أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك ، وكلا ليس منك قليل

ونحوه :

« فأف هذا الدهر ، لا بل لاهله »

(١) عرفه ابن المعتز بأن تقول شيئا وترجع عنه (١٠٨ شرح البديع) ،

وذكر شواهد له (١٠٨ و ١٠٩ البديع و ٣٦٧ خزائن الأدب) ، وابن المعتز

أول من ابتكر هذا اللقب له ، فكانت الرواة تعيب مثل هذا الأسلوب البياني

لان الشاعر يكذب نفسه ، وكان استاذ الاسدي يشتد في نقد زهير في قوله :

بلى وغيرها الأرواح والديم ، (٣٥ و ٣٦ الموشح للبرزباني) ، ويرد صاحب

العقد على هذا القيد (١٦ ج ٣ العقد) ، وابن المعتز يعمد من ألوان البديع . هذا

وراجع « الرجوع » في الصناعتين ص ٣٨٦

(٢) راجعه في الوساطة ص ٣٢٤

لم يعفها : لم يلبها . الأرواح جمع ريح . الديم : جمع ديمة وهي السحابة الكثيرة

المطر . وتكتة الرجوع هنا إظهار التحير أو إظهار التحسر

(٣) هو ايزيد بن الطثري من قصيدة في (٤/٤ زهر الآداب ١٩٦ ج ١

الامالي) ، والبيت في الصناعتين ص ٣٨٩ ، وفي الوساطة ، وفي البديع

لابن المعتز .

[التورية] (١)

ومنه التورية ، وتسمى الابهام أيضا :
وعى أن يطلق لفظ لة معنيان (٢) : قريب (٣) وبعيد، ويراد به البعيد منهما (٤)
وهى ضربان : مجردة ومرشحة :
أما المجردة : فهى التى لا تتجمع شيئا مما يلائم المورى به ، أعنى المعنى القريب ،
كقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » (٥)

(١) منقولة من مصدر ورى الخبر أى ستره وأظهر غيره لأن فيها ستر المعنى
البعيد بالقريب .

(٢) سواء كانا حقيقةين أو مجازيين أو أحدهما حقيقةيا والآخر مجازيا فلا يعتبر بينهما
لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر وهذا تمتاز التورية عن المجاز والكناية .
(٣) أى الى الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه ، والبعيد بعكسه فكان المعنى
القريب ساتر للبعيد والبعيد خلفه وبه صارت التورية محسنا معنويا فلو كان المعنيان
متساويين لم يكن تورية بل اجمالا .

(٤) اعتمادا على قرينة خفية لأجل أن يذهب الوهم قبل التأمل الى المعنى
القريب فلو كانت القرينة واضحة لم يكن اللفظ تورية لعدم ستر المعنى القريب
للبعيد ، وخفاء القرينة لا يشترط أن يكون بالنسبة للمخاطب بل يسكنى ولو باعتبار
السامعين .

هذا فان لم توجد قرينة أصلا لم يفهم الا القريب فيخرج اللفظ عن التورية .
(٥) اراد من استوى معناه البعيد وهو استولى ولم يقرن به شئ مما يلائم المعنى
القريب الذى هو الاستقرار . والقرينة خفية وهى استحالة الاستقرار حسا (وهو
المعنى القريب) على الله تعالى .

وأما المرشحة : فبى الى قرن بها ما يلائم المورى به (١) :
[١ -] إما قبلها كقوله تعالى : والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون (٢) ، .
قيل : ومنه قول الحماسي : (٣)

فلما تأت عنا الشيرة كلها أنحنأ فحلفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كريمة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر
فإن الإغضاء : ما يلائم جفن العين ، لا جفن السيف ، وإن كان المراد به أغمد
السيوف ، لأن السيف إذا غمد انطبق الجفن عليه ، وإذا جرد انفتح ، للخلاء الذى
بين الدفتين .

(١) أما التورية المقترنة بما يلائم المعنى البعيد عكس الآية المقدمة فبى
لا تسمى مرشحة تحقيقا ، والظاهر أنها تسمى مجردة لأن عدم مجامعة شئ بما يلائم
المعنى القريب فى المجردة ظاهره جامعته شئ من ملامات البعيد أولا . ثم الفرق
بين التورية المرشحة والاستعارة المرشحة هو أن مع الاستعارة قرينة تصرف اللفظ
لها وتجعل المعنى البعيد قريبا والتورية ليس كذلك والغالب عليها الترشيح بما يبعد
إرادة المجاز ولذلك سميت تورية ، والتورية المرشحة فى الأصل نوع من الاستعارة
المرشحة ، والتورية المجردة تدخل فيها الاستعارتان المجردة والمطلقة .
هذا وترشيح التورية تارة يكون بلفظ قبلها وتارة يكون بعدها .

(٢) فقد أراد بالأيدي معناه البعيد وهو القدرة والقوة وقد قرن بها ما يلائم المعنى
القريب الذى هو الجارحة المخصوصة ، وهو قوله : بنيناها ، إذ البناء يكون
باليد وهذا مبنى على ما اشتهر بين أهل الظاهر من المفسرين والا فالتحقيق أن هذا
استعارة تمثيلية .

(٣) هو يحيى بن منصور الحنفى [١٢٦ / ١ / الحماسة] وفى الوساطة : موسى بن
جابر الحنفى (ص ١٧٩) ، وكذلك : وفى المؤلف والمختلف فى أسماء الشعراء ،
نسبها لموسى (ص ١٦٠ المرجع) ، وكذلك فى معجم الشعراء (ص ٣٧) .
نأت : بعدت . أنحنأ : أقنأ بدارنا واكتفيناً بأنفسنا . الكريمة : الحرب . أغضينا
أغضنا . الوتر النار .

[٢ -] ولما بعدها كلفظ الغزالة في قول القماضي الامام أبي الفضل عياض في صيفية باردة .

كأن كانون أدهى من ملابسه لشهر تموز أنواعا من الحمل
أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدى والحمل (١)
واعلم أن النجوم ضربان ضرب يستحكم حتى يصير اعتقادا كافي قوله :
حملنا طرا على الدم بعدما خلطنا عليهم بالطعان ملابسا (٢)
وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ، ولكنه شيء يجري في الخاطر ، وأنت تعرف
حاله كما في قول ابن الربيع :

لولا التطير بالخلاف وأنهم قالوا مريض لا يهود مريضا
لقضيت نحبي في فنائك خدمة لا تكون مندوبا قضى مفروضا (٣)

(١) كانون من أشهر البرد : تموز من أشهر الدفء . الحمل أول بروج الربيع
الجدى برج ملاصق للدلو .

والشاهد هنا في الغزالة فإن المراد منها المعنى البعيد وهو الشمس وقد قرن بها
ملابئهم للمعنى القريب الذي ليس بمراد وهو الحبيب وان المعروف بذكر الخرافة
وكذا ذكر الجدى والحمل ، وفي الجدى والحمل أيضا تورية ولكنها مجردة ، وقيل
كل من التوريتين ترشيح للآخر والاولى ترشيحها واقع بعدها والثانية ترشيحها
قبلها .

ومعنى البيت الأخير : كان الشمس من كبرها وطول مدتها صارت خرقا
قليلة العقل فنزلت في برج الجدى في اوان الحلول ببرزج الحمل .

(٢) الابهام هنا واقع في الدم فالمراد به القيود ويوم الكلام أن المراد به الأفراس
(راجع ١٨٠ مفتاح)

(٣) التطير : التشاؤم . الخلاف المراد به مخالفة العرف والعادة . والنحب : الاجل .
ومندوبا صفة لمخدوف أي ميتا مندوبا عليه ، وهو محل الشاهد لأنه ظاهر في معنى
السنة وليس بمراد .

ولا بد من اعتبار هذا الأصل (١) في كل شيء بني على التوهم فاعلم .
وقال السكاكي : أكثر متشابهات القرآن من التورية :

[الاستخدام]

ومنه الاستخدام (٢) :

وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره (٣) معناه الآخر ؛ أو يراد بأحد ضميريه (٤) أحدهما (٥) وبالأخر (٦) الآخر (٧) :

(١) وهو الاكتفاء بمجرد ظهور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكما .

(٢) راجع الفرق بين : الاستخدام ، ورجوع الضمير على متقدم باعتبار لفظه لا معناه في الدسوقي (ص ٢٨٩ ج ١)

(٣) أي ثم يراد بالضمير العائد إلى ذلك اللفظ

(٤) ولا بد أن يراد بالاسم الظاهر غير مفاد الضميرين وإلا كان أحدهما

ليس استخداما ، وهذا القسم مستلزم للقسم الأول لأنه لا يتحقق استخدام باعتبار الضمير إلا ويتحقق استخدام باعتبار الاسم الظاهر ، ثم الفرق بين التورية والاستخدام أن المراد من التورية أحد المعنيين وهو البعيد وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد ملاحظة : راجع الاستخدام في ص ٢٧٢ من طراز المجالس ، ، وص ١٤

من ربحانة الألبا ، للشهاب الخفاجي

(٥) أي أحد المعنيين للفظ الذين لم يراد باللفظ بل أريد به غيرهما معا ، فلا

بد أن يراد بالاسم الظاهر غير مفاد الضميرين

(٦) أي بضميره الآخر

(٧) هذا وفي كلا المعنيين للاستخدام يجوز أن يكون المعنيان حقيقيين وأن يكونا مختلفين ؛ فالاستخدام يكون بالضمير ؛ قيل وقد يكون بالاستثناء مثل « أبدا حديثي ليس بالمنسوخ إلا في الدفاتر » ، وباسم الإشارة مثل « رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره » ، وبالتمييز مثل « حكى الغزال طلعة ولفته » . والحق أن هذا من شبه الاستخدام

فالاول كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضا^(١)

أراد بالسماء الغيث وبضميرها التبت .

والثاني كقول البحترى :

فسقى الغضا والساكنيه وإن هو

شبهه بين جوانح (وقلوب) ^(٢)

أراد بضمير الغضا ، في قوله ، والساكنيه ، المسكان ، وفي قوله ، شبهه ،

النار ^(٣) .

(الف والنشر ^(٤))

ومنه الف والنشر :

وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ^(٥) ، ثم ما ^(٦) لكل واحد من غير تبيين ^(٧) ، ثقة بأن السامع يردده ^(٨) اليه : فالاول ^(٩) ضربان : لأن النشر إما

(١) البيت لجرير . ونسبه صاحب المفضليات لمعاوية بن مالك (١٧٢ مفضليات)

الغضا : نوع من الشجر . شبهه : أوقدوه ، والإيقاد في الحقيقة لناره والصحيح أن آخر البيت ، وقلوب ، ، لاد وضلوع ، كما ذكر الخطيب خطأ ، وذلك لأن البيت من قصيدة بائية للبحترى

(٢) في الاصل : الشجر ، بدل النار

(٤) راجع ١٧٩ مفتاح

(٥) وهذا هو الف

(٦) أي تم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد . وهذا هو النشر

(٧) فلو عين لم يكن من الف والنشر بل من التقسيم

(٨) أي يرد ما لكل من آحاد هذا المتعدد الى ما هو له لعلمه بذلك بالقارئ

اللفظية أو المعنوية ، فاللفظية مثل رأيت الشخصين : ضاحكا وعابسة ، فتأنيث عابسة =

على ترتيب الف، كقوله تعالى: ومن رحمته (١) جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله وقول ابن حيوس :

فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجتيه وريقه
وقول ابن الرومي :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ، ومصايح تجلوا لدجى ، والآخرى ترجوم
ولما على غير ترتيبه كقول ابن حيوس (٢) :

كيف أسلو وأنت حقف وشنن وغزال : لحظا وقدا وردفا
وقول الفرزدق (٣) :

لقد خنت قوما لو لجأت اليهم طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

= لا ضاحكاي دل على أن الشخص العابس هو المرأة والضاحك هو الرجل، والمعنوية
مثل : لقيت الصديق والودو فأكرمت وأهنت

(٩) وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل

(١) تكلم العسكري على الآية في صحة التفسير (ص ٣٣٦ صناعتين) ، ويقول
المبرد : والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم نرمي بتفسيرهما جملة نقمة بأن السامع يرد
الى كل خبره ، قال تعالى : ومن رحمته الخ ، (٦٥ ج ١ السكامل ، وراجع أيضا
٣٦ ج ٢ السكامل ، هذا والآية ذكر فيها الليل والنهار على التفصيل ثم ذكر ما
ليليل وهو السكون فيه وما للنهار وهو الابتغاء من فضله على الترتيب . فان قيل
ان المجرور من فيه عائد الى الليل ففي الآية تعيين ، قلنا : نعم ولكن باعتبار أن
أن يعود الى كل من الليل والنهار - بالنظر للفظ لا للواقع - يتحقق عدم التعمين
(٢) نسبة العسكري لنفسه (٣٣٨ صناعتين) . الحقف مجتمع الرمل اذا عظم
واستدار شبه به ردفا

(٣) هما في المثل السائر ص ٢٨٦ والصناعتين ٣٢٧

لألقيت فيهم معطيا ، أو مطاعنا

ورامك شررا بالوشيج المقوم ^(١)

والثاني ^(٢) : كقوله تعالى ، وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ،
 قان الضمير في ، قالوا ، لاهل السمكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى وقالت
 اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان
 نصارى ، خالب بين الفولين ، ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله ، وأما من
 الالباس ، لما علم من التماذى بين الفريقين ، وتضليل كل واحد منها لصاحبه .

(١) طريد دم كناية عن ارتكابه جناية قتل ، حاملا ثمل مغرم اى غرم
 مالا فوق طاقته فى صلح أو غيره . الوشيج : شجر الرماح .
 ، معطيا أو مطاعنا ، : الاول يرجع لقوله ، حاملا ،

والثاني يرجع : لقوله ، طريد دم ، والفرزدق يهجر بالبيتين هيرة بن ضمضم
 لقتله القمعاق بن زرارة .

ملاحظة :

هذا النوع من اللف والنشر وهو ما كان على سبيل التفصيل من غير ترتيب
 اللف يسمى اللف والنشر المشوش سواء كان معكوس الترتيب كالبيت ، وكيف
 اسلو الخ ، فان اللحظ فيه للغزال والقدر للفضن والردف للحقة ، أو كان مختلطا
 كقوله ، هوشمس وأسد وبحر وجودا وبهاء وشجاعة ، والذي فى شرح
 المفتاح ، أن المشوش هو المختلط الترتيب .
 (٢) وهو ان يكون ذكر المتعدد على الاجمال .

ملاحظة : من غريب اللف والنشر أن يذكر متعددان أو أكثر ثم يذكر
 فى نشر واحد ما يكون لكل من آحاد كل من المتعدين ، كما نقول الراحة والتعب
 والعدل والظلم قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا وفتح من طرقها ما كان مسدودا ،
 فقوله ، قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا ، =

« الجمع ^(١) »

ومنه الجمع :

وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد : كقوله تعالى ، المال والبنون
زينة الحياة الدنيا ، وقول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة ^(٢)

ومنه قول محمد بن وهيب :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

« التفريق ^(٣) »

ومنه التفريق :

وهو إيقاع بيان بين أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره ، كقوله ^(٤)

= راجع لراحة من اللف الاول وللعدل من اللف الثانى ، وقوله ، ، وفتح من
طرقها ما كان مسدودا راجع للتعيب من اللف الاول وللظلم من اللف الثانى ؛ فالشق
الاول من النشر راجع للاول من كل من اللفين ، والشق الثانى فيه راجع للثانى من
كل من اللفين فالمعنى سد من ابواب الراحة والعدل ما كان مفتوحا وفتح من ابواب
التعب والظلم ما كان مسدودا .

(١) ١٧٩ مفتاح

(٢) البيت لآبى العنايه . الجدة : الاستغناء من وجد فى المال وجدا (مثلت

الواو) وجدة (بحذف الواو وتوويض الهاء عنها) والبيت فى ص ١٧٩ مفتاح

(٣) ١٧٩ مفتاح

(٤) البيتان للوطواط وهما فى المفتاح ص ١٨٠

البسدره بفتح الباء كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم . والمراد
بالعين المال .

والشاهد التفريق بين الثوابين

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سقاء
فنونال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء
ونحوه قوله (١) :

من فاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شاكين
أنت إذا جدت ضاحك أبدا وهو إذا جاد دامع العين

[التقسيم] (٢)

ومنه التقسيم :

وهو ذكر متعدد ثم إضافة مالكل إليه على التعيين (٣) كقوله أبي تمام (٤) :

فأهو إلا الوحي أو حدمرهف تميل ظبياه أخذعى كل مائل

(١) هما للوطواط أيضا ، وفي ص د ٢ من حسن التوسل
وينسبان للواء الدمشقي أيضا . الجدوى : العطية . شاكين تشية شكل بمعنى مثل
والشاهد التفريق بين جدواه وجدوى الغمام

(٢) راجع ٧٤ دلائل ، ١٨٠ مفتاح :

(٣) بهذا القيد يخرج اللف والنشر .

وقد أهمل السكاكي ذكر هذا القيد فتوهم بضعم أن التقسيم عنده أهم من
اللف والنشر ، لأنه شرط في اللف عدم تعيين مالكل واحد وترك قيد التبيين
في التقسيم ، فصدق التقسيم بأن يكون هناك تعيين أولا .
والجواب عن السكاكي أن ذكر الإضافة مفعن عن هذا القيد إذ ليس في
اللف والنشر إضافة مالكل إليه بل يذكر فيه مالكل حتى يضيقه السامع
إليه ويرده .

(٤) هما في ض ٢٨٦ المنزل السائر .

الضمير للإسلام أو الحق . المرهف : المحدد . الظبا . جمع ظبة : حد السيف .

الإخدعان : عرفان في صحفتي العنقي :

فهذا دواء الداء من كل عالم وهذا دواء الداء من كل جاهل
وقول الآخر (١) :

ولايقيم عـلى ضميم يراد به إلا الاذلان : غير الحى والوتد
هذا على الخسفت مربوط برمته وذا يشج فلا يرث له أحد
وقال السكاكى (٢) :

هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه
ما هو له عندك : كقوله (٣) .

أديان فى بائخ لا يأكلان إذا صحبنا المرء غير المكبد
فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الوند
وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والذشر (٤) .

(٤) هما للمتلئس خال طريقة . الضم : الظلم : الضمير فى «يراد به»، راجع
الى المستثنى منه المقدر : العام وهو «أحد»، مقدر : العير : الحمار الاهلى .
الخسفت : الذل : الرمة : قطعة حبل بالية . يشج : يدق : يرثى : يرق . ذكر العير
والوند ، ثم أضاف الى الاول الربط على الخسفت وإلى الثانى الشج على التبيين لأن ،
ذا إشارة للقريب ، وهذا إشارة للبعيد

وقيل : لا تعيين لأن هذا وذا متساويان فى الإشارة إلى القريب فكل
منهما يحتمل أن يكون إشارة الى العير أو الوند ، فالبيت من اللف والمشر دون
التقسيم . والجواب : أنا لا نسلم التساوى بين ، هذا وذا ، بل فى حرف التنبيه فى هذا
إيماء الى أن القرب فيه أقل بخلاف المجرد عن هاء التنبيه ، فهذا للقريب أعنى العير
وذا للاتقرب أعنى الوند (١) ص ١٨٠ مفتاح

(٢) ١٨٠ مفتاح . وهما لبعض شعراء الفرس . القناة : الرمح . وأكل المكبد
كناية عن الغيبة وسوء العشرة أو وصف لها بسوء المأكل
(٣) أى عموماً مطلقاً كما سبق تحقيقه وشرحه . ورأى السكاكى مأخوذاً عن

قدامة فى نقد الشعر

[الجمع مع التفريق ^(١)]

ومنه الجمع مع التفريق :

وهو أن يدخل شيآن ^(٢) في معنى ^(٣) واحد ويفرق بين جهتي الإدخال :
كقوله ^(٤) :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

شبه وجه الجيب وقلب نفسه بالنار ، وفرق بين وجهي المشابهة ، ومنه قوله
تعالى : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ،

[الجمع مع التقسيم ^(٥)]

ومنه الجمع مع التقسيم :

(١) ١٨٠ مفتاح : (٢) أى أو أكبر

(٣) أى فى حكم أى فى شىء محكوم به كالمشابهة بالنار ، والمراد بجمعهما فى
الحكم أن يحكم عليهما بشىء واحد .
(٤) هو للوطواط .

فقد أدخل قلبه ووجه الجيب فى كونهما كالنار أى فى المماثلة للنار وهذا هو
الجمع ، ثم فرق بين التشبيهين بأن جعل وجه الشبه فى الوجه الضرب والدعان وفى
القلب الحرارة والاحتراق .

(٥) ١٨٠ مفتاح ، ٧٤ و ٧٥ دلائل

وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ^(١) أو تقسيمه ثم جمعه :
فالاول (٢) كقول ابي الطيب : (٣)

حتى اقام على ارباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي مانكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا
جمع في البيت الاول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمال ، حيث قال :
تشقى به الروم ، ثم قسم في الثاني وفصله .
والثاني كقول حسان :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعوا
بجية تلك منهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم شرها البدع ^(٤)
قسم في البيت الاول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الاولياء ثم جمعها
في البيت الثاني حيث قال سجيية تلك .

(١) أى تقسيم الحكم أى إضافة ما لكل متعدد إليه من ذلك الحكم :

(٢) أى الجمع ثم التقسيم .

(٣) هما في ص ٢١ شرح لامية العجم . فاعل أقام يعود إلى سيف الدولة الممدوح ،
وضمن الإقامة معنى التسليط فعداها بعلى . ارباض جمع ربض بفتح الباء وهو ما حول
المدينة . خرشنة : بلدة من بلاد الروم : الصلبان جمع صليب النصرى . البيع جمع
بيعة : وهى متعبدتهم . وحتى متعلقة بالفعل في البيت السابق « قاذ المقانبات الخ ،
(المقانبات : العساكر)

جمع في هذا البيت الروم الشاملين للنساء والاولاد والمال والزروع في حكم
وهو الشقاء ، ثم قسم ذلك الحكم الى سبى وقتل ونهب واحراق ، ورجع لكل
واحد من هذه الأقسام ما يناسبه ، وأما ما عطف على الصلبان والبيع فلم يتعرض
له في التقسيم :

(٤) هما في ٧٤ دلائل ، و ١٨٠ مفتاح . الاشياء الانواع . الخلائق جمع خليفة
وهى الطبيعة والخلق . البدع : المبتدعات .

ومن لطيف هذا الضرب قوله الآخر : (١)
لو أن ما أنتم فيه يدوم لكم ظننت ما أنا فيه دائماً أبداً
لكن رأيت اللبالي غير تاركة ما يمر من حادث أو مساء مطرداً
فقد سكنت الى انى وأنكم سنستجد خلاف الحالتين غداً
فقوله وخلاف الحالتين ، جمع لما قسم لطيف ، وقد ازداد لطفاً بحسن ما بناه
عليه من قوله :

فقد سكنت الى انى وأنكم

[اجمع مع التفريق والتقسيم (٢)]

ومنه اجمع مع التفريق والتقسيم :
كقوله تعالى : «يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ، فأما الذين شقوا
ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك إن ربك فعال لما يريد ؛ وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدون فيها ما دامت
السموات والارض ، إلا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ .
أما اجمع ففى قوله : «يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه» ، فإن قوله نفس متعدد معنى ،

(١) الآيات لابراهيم بن العباس الصولى ، وهى فى ص ٧٥ من الدلائل
ولم ينسبها أحد قبلى إلى صاحبها .

(٢) راجع ١٨٠ مفتاح وهو أن يجمع بين متعدد فى حكم ، ثم يفرق أى
يوقع الثباين بينها ، ثم يضاف لكل واحد ما يناسبه .

لأن النكرة في سياق النفي تعم . وأما التفريق ففي قوله : فمنهم شقي وسعيد . . وأما التقسيم ففي قوله : فأما الذين شقوا الى آخر الآية الثانية ، (١) .

وقول ابن شرف القيرواني :

لختلف الحاجات جمع ببابه فهذا له فن ، وهذا له فن
فللخامل العليا ، وللمعدم الغنى والذنب العتي وللهائف الامن
(معنيان آخران للتقسيم) :

وقد يطلق التقسيم على أمرين :

أحدهما : أن يذكر أحوال الشيء مضافا (٢) الى كل حال ما يليق بها كقول
أبي الطيب :

سأطلب حتى بالقنا وشايخ كاتمهم من طول ما التشموا مرد

(١) قوله تعالى (غير مجذوذ) أي غير مقطوع ، بل امتدلا الى نهاية و ، معنى الاستثناء في الاول أن بعض الاشقياء لا يخلدون في النار كالعامة من المؤمنين الذين شقوا بالعصيان ، وفي الثاني أن بعض السعداء لا يخلدون في الجنة ، بل يفارقونها ابتداء ، يعني أيام عذابهم كالفساق من المؤمنين الذي سعدوا بالايمان ؟ والتأييد من مبدأ معين كما ينتقض باعتبار الانتهاء فكذلك باعتبار الابتداء ، فقد جمع الانفس بقوله : لا تسكلم نفس ، ثم فرق بينهم بأن بعضهم شقي وبعضهم سعيد بقوله : فمنهم شقي وسعيد . . ثم قسم بأن أضاف الى الاشقياء ما لهم من عذاب النار والى السعداء ما لهم من نعيم الجنة بقوله : فأما الذي شقوا الى آخره ،

(٢) المراد بالاضافة مطلق النسبة ولو بالاسناد لا خصوص الاضافة النحوية وهذا المعنى مغاير للتقسيم بالمعنى المتقدم لأن ما تقدم أن التقسيم يذكر متعدد أولا ثم يضاف لسكل ما يناسبه على التعمين بخلاف ما هنا فإنه يذكر المتعدد ويذكر مع كل واحد ما يناسبه

نقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا^(١)
وقوله أيضا (٢) :

بدت قرا، ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ، ورنت غزالا
ونحوه قول الآخر (٣) :

سفرن بدورا ، وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا
والثاني (٤) استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، كقوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله،
وقوله : يهب لمن يشاء إمانا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإنانا
ويجعل من يشاء عقيما، ومنه ما حكى عن أعرابي وقف على حلقة الحسن فقال (٥)
رحم الله من تصدق من فضل أو آسى من كفاف أو آثر من قوت ، فقال الحسن :
ما ترك لأحد عنذرا ، ومثاله من الشعر قول زهير (٦) :

وأعلم علم اليوم والامس قبله ولكننى عن علم مافى غدعى

(١) القنا الرماح. انشموا : لبسوا لثام الحرب على مامى عادة الأبطال. المرد
جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تنبت لحيته. نقال : شديده الوطأة على الأعداء.
خفاف : مسرعون. شدوا : حملوا على العدو
ذكر أحوال المشايخ وأضاف لكل حال ما يناسبها ، ذكره معها

(٢) هو لابی الطيب أيضا. وقد سبق فى التشبيه

(٣) هو لابی هلال العسكرى ، وبعض البغداديين ، ونسبه الثعالبي للزاهى
(١٩٨ ج ١ اليتيمة ، ٨٩ صناعتين) . وينسب لديدك الجن أيضا

الجساذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية

(٤) راجع ٣٣٢ صناعتين

(٥) راجع ٣٣٢ الاسكافى

(٦) راجع ١٥٧ ج ٣ البيان للجاحظ

(٧) راجعه فى ص ٤٣٠ صناعتين

وقول طريق^(١) :

إن يعلوا الخير يخفوه، وإن علوا شرا أذاعوا، وإن لم يعلوا كذبوا
وقول أبي تمام في الأفشين لما أحرق :

صلى لهم حيا، وكان وقودها ميتا، ويدخلها مع الفجار^(٢)
وقول نصيب^(٣) :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم نعم : وفريق ، لين الله ما ندرى
قانه أيس في أقسام الإجابة غير ما ذكر ، وقول آخر :

فمها كشيء لم يكن ، أو كتنازع به الدار ، أو من غيبته المقابر^(٤)

- ١٨ -

(التجريد)

[قال الخطيب] :

ومنه التجريد :

(١) راجع في ١٨ ج ٢ الكامل للمبرد

(٢) صلى لها أى للنار . الوقود : ما توفد به . الفجار : العصاة

الأفشين قائد تركى غضب عليه المعتصم الخليفة العباسى فقتله حرقا وكان يتهم

بالمجوسية وعبادة النار

(٣) هو فى ١٤٧ و ٢٧٣ ج ٢ من الكتاب لسيبويه ، وفى ص ٣٣٢ صناعتين

(٤) النازح : البعيد . لم يكن أى لم يوجد . مها : أى احسبها

والبيت فى الأسرار ص ٢٩١ ، والمفتاح ص ١٥١ . وهو لعمر بن أبى ربيعة

كما فى ديوانه

وقال صاحب العمدة [٢١ ج ٢] بعد أن ذكر البيت :

فلم يبق مما يعبر به عن [إنسان مفقود] إلا أتى به فى هذا البيت

وهو أن ينتزع من أمر^(١) ذى صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة^(٢) مبالغة^(٣) في كمالها فيه^(٤) وهو أقسام^(٥)

[١ -] منها (٦) نحو قولهم لى من فلان صديق (٧) حميم ، أى بلغ من الصداقة مبلغا صح معه أن يستلخص منه صديق آخر

[٢ -] ومنها نحو قولهم (٨) لئن سألت فلانا لتسألن به البحر

[٣ -] ومنها نحو قول الشاعر :

وشوهاء تعدوني الى صارخ الوغى بمستلثم مثل الفنيق المرحل (٩)

(١) أى أو أكثر

(٢) أى مماثل لذلك الامر ذى الصفة في تلك الصفة

(٣) أى لاجل المبالغة أى لفائدة أنك بالغت في وصف المنتزع منه بتلك الصفة .

(٤) أى فى ذلك الامر ، أى لادعاء كمال تلك الصفة فى ذلك المنتزع منه ، ووجه دلالة الانتزاع على المبالغة المبينة على ادعاء الكمال ما تقرر عقلا من أن الاصل والمنشأ لما هو مثله يكون فى غاية القوة أى يفيض بمثلاته

(٥) أى سبعة أقسام

(٦) أى ما يكون بمن التجريدية ، وقد جعل بعضهم التجريد معنى برأسه لكلمة « من » ، والاصح انها ابتدائية كما أن باء التجريد باء المصاحبة ، وأما جعل من للبيان فلا تفيد المبالغة فان بيان شئ بشئ لا يدل على كمال المبين فى الوصف ، بخلاف جملة مبدأ ومنشأ لذى وصف باعتبار ذلك الوصف وتدخل « من » على المنتزع منه ولم يوجد دخولها على المنتزع بخلاف الباء .

(٧) أى لى صديق حميم ناشئ من فلان أى مبدأ ومنزع منه

(٨) أى يكون بدخول باء المعية فى المنتزع

(٩) شوهاء : أى فرس قبيح المنظر لسمعة اشد اقها أو لما أصابها من شدائد

أى تعدو بنى ومعنى من نفسى لئكال استعدادها للحرب مستلتم أى لابس لامة
(٤-) ومنها نحو قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) فان جهنم أعادنا الله منها
هى دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل مودا فيها للكفار تهويلا لامرها

(٥-) ومنها (٢) نحو قول الحماسى (٣) :

== الحرب . تعدو : تمرع . صارخ الوغى . أى مستغيث فى الحرب . مستلتم :
لابس لامة وهى الدرع ، والباء للملابسة والمصاحبة . الفتيق الفعل المكرم .

المرحل من رحل البعير . أى شخصه عن مكانه وأرسله . أى تعدو ومعنى من
نفسى شخص مستلتم مصاحب لى ، ويصح جعلها للسببية ، وليست للتعدية ، وليس
قوله بمستلتم بدلا من الباء فى قوله (بنى) لأن ذلك يفوت التجريد ولأنه لا يبدل
الظاهر من ضمير الحاضر الا اذا كان مفيدا للاحاطة ، ولا للسببية متعلقة بتعدو أى
تعدو بنى بسبب مستلتم لانه على هذا يكون المستلتم ، الذى هو المنتزع كالسبب للمجرد
منه مع أن المقرر هو أن المجرد منه سبب ومنشأ لا العكس . أما جعلها للسببية بدعوى
أن فى الكلام قلبا حتى صار الاصل فرعا والفرع اصلا وسببا فتكلف محض .
(١) وهو ما يكون بدخول د فى ، على المنتزع منه .

(٢) أى ما يكون بدون توسط حرف بل يؤتى بالمنتزع على وجه يفهم منه

الانتزع بقرائن الاحوال من غير حرف مستعان به على إفادة التجريد

(٣) هو قتادة الخنفي [٣٢٧ / ١ الحماسة]

تحوى : يجمع . كريم يعنى نفسه .

انتزع من نفسه كريما مبالغة فى كرمه ، فان قيل هذا من قبيل الالتفات من
التكلم إلى الغيبة ، وحينئذ لا يكون من قبيل التجريد لأن الالتفات مبنى على
الاتحاد والتجريد مبنى على التعدد وهما متنافيان وذلك لأن المعنى المعبر عنه فى
الالتفات على أن الطريق الأول والثانى واحد والمعبر عنه باللفظ الدال على المنتزع منه

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم
وعليه قراءة من قرأ ، فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ، بالرفع
بمعنى خصلت سماء وردة : وقيل تقدير الاول أو يموت منى كريم ^(١) والثاني فكانت
منه وردة كالدهان ، وفيه نظر ^(٢) :

== باللفظ الدال على المنتزع متعدد بحسب الاعتبار، إذ يقصد أن المجرد شيء آخر
غير المجرد منه قلنا : الالتفات لابتنافى التجريد على ما ذكرنا أى على مقتضى
ما ذكرنا من تعريف التجريد فانه يقتضى أنه قد يجامع الالتفات اذ المراد
بالاتحاد فى الالتفات الاتحاد فى نفس الامر لا الاتحاد فيه وفى الاعتبار والمراد
بالتعدد فى التجريد التعدد بحسب الاعتبار لافى نفس الامر أيضا حتى ينافى الالتفات
فى البيت تجريد نظرا للتغاير الادعائى والنفات نظرا للاتحاد الواقعى . وقال بعضهم :
إن الالتفات لا ينافى احتمال التجريد فكما صح فى البيت الالتفات يصح فيه
التجريد على البدلية لاعلى الاجتماع وذلك لأن من المراد ما يصلح لقصد التجريد
فقط مثل لى من فلان صديق ومنها يصلح للالتفات فقط مثل إنا أعطينا السكوتر
إذ لا معنى للانتزاع فيه كما أنه لا معنى للالتفات فى الاول لاتحاد الطريقتين فيه
إذ هما معا غيبة ومنها ما يصلح لهما معامثل هذا البيت وأما كون الالتفات والتجريد
يجتمعان فى مادة قصدا فلا يصح . قال عبد الحكيم والصواب أن اجتماعهما واقع
فى صورة يسكون الاسلوب المنتقل اليه دالا على صفة كالييت . فسكريم ، النفات
من حيث إنه انتقل من التكلم الى الغيبة وتجريد من حيث التعبير بصيغة الصفة لأجل
المبالغة فى السكرم .

(١) أى فيسكون من قبيل لى من فلان صديق حميم ولا يسكون فسيما آخر

(٢) أى للحصول التجريد وتمام المعنى بدون هذا التقدير .

(٦-) ومنها ^(١) نحو قوله :

ياخير من يركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا ^(٢)

(١) أى ما يكون تجريدا معه كناية بأن ينتزع المعنى ثم يعبر عنه بكناية ، كما كما أنه يعبر عنه بصريح .

(٢) هو الأعرشى [١/٢٩ السكامل] . فالمراد وهو المعنى السكتائى : يشرب السكاس بكف جواد ، قال المبرد [١/٢٩ السكامل] : أى إنما تشرب بكفك ولست تبخيل . انتزع من المخاطب جوادا آخر غير المخاطب يشرب الممدوح بكفه أى بكف ذلك الجواد المنتزع على طريق الكناية ، حيث اطلق اسم المذموم الذى هو نفى الشرب بكف البخيل على اللازم وهو الشرب بكف كريم ومعلوم أنه يشرب بكف نفسه فيكون المراد بالكريم نفسه ، ففيه تجريد ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف كريم ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم .

وقد خفى كونه انتزع منه جوادا - على طريق الكناية الذى يفهم منه اجتماع التجريد والكناية - على الخلخالى فزعم أن الخطاب فى قوله : ياخير من يركب المطى ، ان كان لنفسه فهو تجريد لأنه صير نفسه إنسانا مخاطبا ، فقوله ولا يشرب كناية عن الكريم ، وإلا فليس من التجريد فى شيء بل كناية عن كون الممدوح غير بخيل مستفادة من قوله ولا يشرب . ونقول باختيار أن الخطاب لغيره والتجريد حاصل وكونه كناية لا يتنافى التجريد على ما قررنا ، لأنه ان كان الخطاب لنفسه لم يكن قسما بنفسه بل يكون داخلا فى النوع الآتى

هذا وتقرير السيد للكناية فى البيت فى حاشيته على المطول هو : كونه بخيلا يستلزم شربه بكف بخيل فكفى بنفى اللازم عن نفى المذموم فهمى كناية فقط لا تجريد . وتقرير السعد هو : نفى عنه الشرب بكف بخيل فأثبت له الشرب بكف كريم منتزع منه مفاير له ادعاء فكان تجريدا وكناية معا

وقول الآخر (١) :

إن تلقى لا ترى غيرى بنظره

تذس السلاح وتعرف جهة الأسد (٢)

(٧ -) ومنها مخاطبة الانسان نفسه (٣) كقول الأعشى

ودع هريرة أن الركب مرتحل وقد تطيق وداعا أيها الرجل

وقول أبي الطيب (٤)

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد للنطق إن لم يسعد الحال

(١) هو أوطاة بن سبية

(٢) ناظرة صفة لمخدوف أى عين ناظرة ، نسيانه السلاح يعتريه من الدهشة

والشاهد قوله وتعرف جهة الأسد ، لأن أصله وتعرف من أسدا وقد كنى بذلك عنه .

(٣) وبيان التجريد في ذلك أنه ينتزع من نفسه شخصا آخر مثله في الصفة الذي

سبق لها الكلام ثم يخاطبه

(٤) ٢٥٧ الوساطة

فكانه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الخيل والمال وخاطبه

ملاحظة :

بحوث التجريد تجدها في ص ١٦٢ المثل السائر ، وفي المصباح لبدر الدين ابن

ابن مالك ، وفي حسن التوسل في صناعة التوسل للحلي وفي ص ١٢ طراز المجالس ،

وفي ١٥١ مفتاح ، وص ٢٩١ الأسرار

ولا بأس بأن أعرض أمامك كلمة في هذا الموضوع :

== اختلف البيانون في التجريد مما كان على مثل أسلوب : لقيت من فلان أسدا .
وصحبت من فلان بحرا .

فن قائل : انه تشبيه ، ويكون المشبه هو المنتزع منه ، وهو لفظة فلان في المثالين السابقين ، والمشبه به هو المنتزع ، وهو لفظة أسد وبحر ؛ غاية الامر أنه لم يجرأ به على الأسلوب المعتاد في التشبيه ، ويرى صاحب هذا الرأي أن ذلك أسلوب آخر في التشبيه . وردوا ذلك بأن أساليب التشبيه يكون الحكم فيها باثبات المشابهة وأسلوب التجريد ليس كذلك .

ومن قائل : انه استعارة . ولكن لم يدر على أي وجه تجرى هذه الاستعارة ، إذ الاستعارة لابد فيها أن يجرى المشبه به على المشبه بوجه من وجوه الاجراء كان يستعمل فيه أو يحمل عليه .

وأسلوب التجريد ليس فيه شيء من ذلك إذ قولك : لقيت من زيد أسدا لا ترى فيه اجراء أسد على زيد بأحد الوجهين . فلا هو مثل رايت أسدا . ولا هو مثل زيد أسد

ويرى البعض أن يكون ذلك الأسلوب استعارة بالكناية فيكون لفظة زيد في لقيت من زيد أسدا هو لفظ المشبه ويكون لفظة أسد هي القرينة .

ويمكننا أن نقول إن هذا الأسلوب ليس تشبيها وليس استعارة على الوجه الذي بينوه والذي شرحه الخطيب في علم البيان واستدل عليه بأن هناك أساليب ليس فيها جمع بين ما يصح أن يكون مشبها وما يصح أن يكون مشبها به حتى تعتبر استعارة أو تشبيها . وذلك كقولهم : لي بزيد صديق وفي .

فهذا التركيب لا يمكن أن يكون تشبيها لأن زيدا هو الصديق الوفي ، وليس كالصديق الوفي حتى يكون تشبيها ، أو حتى يكون استعارة لأن الاستعارة مبناها التشبيه . ولو كان أسلوب التجريد استعارة كما قرروا ، أو تشبيها

== لا طرد في أسلوبه التشبيه . أما وقد وجد من أساليب التجريد ما لا يمكن فيه التشبيه لاتحاد المنتزع والمنتزع منه فهذا شاه . على أنه لم يقصد فيه ذلك ، ويجب ألا يفرق في القصد بين تركيب وتركيب .

والحق هو أن أسلوب التجريد ليس فيه بين المنتزع والمنتزع منه تشبيه ولا استعارة ، ولكن المنتزع قد يعبر عنه أحيانا بلفظه الحقيقي ، وقد يعبر عنه أحيانا بلفظه المجازي .

مثل : لقيت من زيد رجلا شجاعا ، لقيت من زيدا أسدا .

فأسلوب التجريد إن وجدت فيه الاستعارة فانما تكون في خصوص لفظ المنتزع ، أما بلاغة هذا الأسلوب فهي آتية من ناحية أن الذي يقول صحبت زيدا فصحت منه بحرا فياضا . أراد أن يثبت له صفة للسكرم على سبيل المبالغة . لكن لما كان اثبات صفة السكرم لزيد المعروف للسامع ، قد يكون في ذهن السامع عن زيد ما يتعارض مع إثبات تلك الصفة أراد المتكلم أن يثبتها له على وجه لا يتنازع فيه منازع فترك إثباتها لزيد المعروف الذي يقال إنا عرفنا عنه حوادث بخل إلى إثباتها لزيد عنه جديد كان المتكلم يريد أن يقول إن حال زيد قد تغير فليس كما تعرفون بل أصبح شيئا آخر جديدا له هذه الصفة .

يدل على ذلك أنك لا تسكاد تظفر بأسلوب التجريد الا وقد جعل فيه تولد المنتزع عن المنتزع منه مرتبا يحدث من الأحداث كاللقاء و لقيت من زيد أسدا مما يفهم أن هذه الصيغة قد ادركها فيه المتكلم إثر ذلك الحديث كان المتكلم بين هذا الوصف فيه بذلك الحديث بعد أن لم يكن يعرفه .

(المبالغة)

ومنه المبالغة المقبولة ^(١) :

والمبالغة أن يدعى لوصف ^(٢) بلوغه في الشدة أو الضعف حدا ^(٣) مستحيلا أو مستبعدا ^(٤) لئلا يظن ^(٥) أنه غير متناه في الشدة أو الضعف .. وتنحصر في التبليغ والاغراق والغلو ؛ لأن المدعى ^(٦) للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكنا في نفسه أولا ، الثاني الغلو ^(٧) ، والاول إما أن يكون ممكنا في العادة أيضا أولا : الاول ^(٨) التبليغ والثاني الاغراق ^(٩) .

(١) فلمردودة لا تكون من المحسنات. وفي هذا إشارة إلى الرد على من قال إن المبالغة مقبولة مطلقا ، وعلى من زعم أنها مردودة مطلقا

(٢) أى يثبت لوصف بالدعوى لا بالتحقيق

(٣) أى طرفا ومكانا

(٤) يقرب من المحال

(٥) أى بلوغ الوصف تلك المنزلة لدفع توهم أن ذلك الوصف غير بالغ فيه النهاية

(٦) وهو بلوغ الوصف الى النهاية شدة أو ضعفا

(٧) وهو غير الممكن لا عقلا ولا عادة ، لا متناع أن يكون ممكنا عادة متمتعا

عقلا إذ كل ممكن عادة ممكن عقلا ولا عكس

(٨) وهو الممكن عقلا وعادة ، أى فدعوى بلوغه ما ذكره تسمى تبليغا لأن فيه

بجرد الزيادة على المقدار المتوسط فتاسب معناه اللغوي المتقدم

(٩) وهو الممكن عقلا لا عادة ، فدعوى بلوغه الى حيث يستحيل بالعادة

تسمى اغراقا لأن الوصف بلغ الى حد الاستفراق حيث خرج عن المعتاد فالاقسام ثلاثة :

الغلو : وهو غير الممكن لا عقلا ولا عادة =

^(١) [التبليغ]

أما التبليغ فكقول امرئ القيس: ^(٢)

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا فلم ينضح بماء فيغسل
وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثورا وبقرة وحشيين ، في مضمار واحد ، ولم
يعرق ، وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة ، ومثله قول أبي الطيب ^(٣)
واصرع أى الوحش قفيته به وانزل عنه مثله حين أركب

^(٤) [الأغراق]

وأما الاغراق فكقول الآخر ^(٥) :

ونكرم جارنا مادام فينا وتبعه الكرامة حيث مالا

= التبليغ : وهو الممكن عقلا وعادة

الاغراق : وهو الممكن عقلا لا عادة

(١) هو الممكن عقلا وعادة .

(٢) العداء : الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما اثر الآخر في شوط واحد .

الثور الذكور من بقر الوحش . النعجة : الانثى منها . ينضح : يهرق .

(٣) راجعه في الوساطه ص ٣٠٢

الصرع : الطرح على الارض . قفيته : أتبعته والضمير فيه للوحش ، وفي
به ، لفرسه . والشاهد في الشطر الثاني :

(٤) هو الممكن عقلا لاعادة . والمبالغة عند صاحب الصناعتين تشمل الاغراق

والتنميم (٣٥٧ صناعتين) .

(٥) هو عمرو بن الايهم التغلبي ، كما في نقد الشعر ، وترجمته في ص ٢٤٢

معجم الشعراء .

وفي الصناعتين ، عميرة ، بدل عمرو ، (٥٧ صناعتين) . وفي تهذيب الايضاح

للتنوخى : الاهتم ولعله تحريف .

فانه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يتبعه الكرامة وهذا ممتنع عادة ؛ وإن كان غير ممتنع عقلا (١) وهما (٢) مقبولان

[الغلو (٣)]

وأما الغلو فكمقول أبي نواس (٤) وأخفت أهل الشرك حتى إنه لنخافك النطف التي لم تخلق والمقبول منه (٥) أصناف : أحدها (٦) ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة ، نحو لفظة يكاد في قوله تعالى « يكاد زيتا يضيء ولو لم تمسه نار » وفي قول الشاعر يصف فرسا (٧)

ويكاد يخرج مرعة عن ظله لو كان يرغب في فراق رفيق
والثاني : ما تضمن نوعا حسنا من التخيل (٨) كقول أبي الطيب .

(١) فقد ادعى الشاعر أنهم يكرمون الجار في حال إقامته عندهم وفي حال ارتحاله عنهم وكونه مع غيرهم ، فالوصف المبالغ فيه كرمهم ، وإكرام الجار حال ارتحاله عنهم محال عادة .

(٢) أى التبليغ والإغراق .

(٣) هو غير الممكن لا عقلا ولا عادة . أى أن ادعاء بلوغ الشيء إلى حد كونه غير ممكن عقلا وعادة يسمى غلوا

(٤) بحمد الكلام عليه فى ٦٠ و ٣٢٣ الوساطة ، وفى العقد [ص ٢١ ج ١] ويرد ابن عبدربه على من تقدمه (٢٩٨ ج ٣ العقد) إذ أن خوف النطفة الغير المخلوقة ممتنع عقلا وعادة

(٥) أى من الغلو (٦) راجع ٣٥٥ صناعتين

(٧) هو ابن حمديس الصقلی

(٨) أى من تخيل الصحة وتوهمها

وأرى أن معناها : من تلوين الشيء بلون مستمد من الخيال .

عقدت سنايبكها عليها عثيرا لو تبتغى عنقا عليه لا يمكننا (١)
وقد جمع القاضى الارجاني بينهما (٢) فى قوله يصف الليل بالطول :
يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجى وشدت بأعديان الين أجفاني (٣)
والثالث : ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقول الآخر :
اسكر بالامس ان عزمى على الشرب شدا ان ذا من العجب

(١) السنايب : حوافر الخيل . عليها يعنى فوق رؤوسها . العثر : الغبار

ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنايب الخيل فوق رؤوسها بحيث صار أرضا يمكن
السير عليها . وهذا يتمتع عقلا وعادة لكنه تخيل حسن

(٢) أى بين ادخال ما يقرنه الى الطهجة وتضمنين التخيل الحسن

(٣) سمر : أى أحسكت بالمسامير . المدجى : ظلام الليل . الاهداب جمع هدب
وهو شعر أشفار العينين

ملاحظة :

المبالغة راجعها فى ص ٢٤٨ صناعتين ، باب الغلو ، وفى ص ٤٠ ج ١ الكامل
للمبرد ، ٧٦ و ٧٧ ج ٢ المرجع نفسه ، وفى الاسرار ص ٣٠٠ - ٣٦٢
ويسمى ابن المعتز فى كتابه (البديع) الافراط فى الصفة

وقد ذكر الافراط أرسطو فى خطابه فذهب إلى أنه لا يحسن استعمال اللفظ
المفرط فى الصفة حتى لا يدخل فى حين الكذب ولا يفرط أيضا تقصيرا لسلب
الصفة ورويقها ، ويقول : ومن الافراطات التى تقال للتعظيم مع العلم بكذب
من يدعيها قول القائل : لو أعطيت مثل هذه المرأة ذهباً لما رضيت فى نكاحها ،
فهذه ليست أمثالا ولا تشبيهات بل هى أكاذيب ظاهرة ؛ ويؤخذ المبرد الشعراء
على إفراطهم فى شعر لهم فى كامله ، ويذكر ثعالب لافراط فى الاغراق وشواهد له =

(المذهب الكلامي)^(١)

ومنه المذهب الكلامي، وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق

= [قواعد الشعر لثعلب]، وذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء [ص ١٩ و ١٠٦ و ١٨٦].

وقد ذكره ابن المعتز مع شواهد له في كتابه البديع [١١٦ - ١٢١] وذكره
الصاحبي [ص ٢٢٤]، واستحسن قدامة السرف والمبالغة في الشعر لأن أرسطو
ذكر أن الكذب فيه أكثر من الصدق [٩٠ نقد النثر]، ويذكر قدامة الغلو
في المعنى والافراط فيه ويستحسنه ويؤثره على الاختصار على الحد الوسط [٣٥
نقد الشعر] ويذكر البيت (وأخفت أهل الشرك الخ) [٢٦ نقد الشعر]
ويستحسنه، وذكره صاحب العقد [٢١ ج ١ و ٤١٨ ج ٣] واعتذر عن إفراطه
فيه كما اعتذر عن النابغة في إفراطه في وصف السيف [٩١ ج ١ العقد]، وفي
نقد النثر باب للمبالغة [٧٠ و ٧١] وفي نقد الشعر باب للمبالغة [٨٤ نقد
الشعر] وكذلك ذكرها الباقلاني [٨٤ الأعجاز]؛ ويقول صاحب الخزانة:
وتسمية المبالغة منسوبة إلى قدامة ومنهم من سمي هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز
الافراط في الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن الناس رغبوا في تسمية
قدامة لحفنها [٢٢٥ خزانة الأدب للحموي]

وقد ذكر ابن سنان الخفاجي م ٤٦٦ هـ صاحب سر الفصاحة في كتابه المبالغة
والغلو وحدهما [ص ٢٥٦ سر الفصاحة طبع الخانجي].

وراجع تعريف أبي هلال للغلو [ص ٣٤٨ صناعتين] وللمبالغة [ص
٣٥٦ صناعتين].

(١) هو إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق، وهي أن تكون
المقدمات مستلزمة للمطلوب، والجاحظ أول من سماه هذا الاسم [١٠١ البديع

أهل الكلام^(١) كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، وقوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)، أى والاعادة أهون عليه من البدء، والاهون من البدء أدخل في الامكان من البدء، فالاعادة أدخل في الامكان من البدء، وهو المطلوب... وقوله تعالى (فلما أقبل قال لا أحب الآفلين) أى القمر أقبل، وروى ليس بأقل، فالقمر ليس برقى... وقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم)، أى أنتم تعذبون والبنون لا يعذبون فلستم يذنبون له، ومنه قول النابغة يعتمر إلى النعمان.

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للرم مطلب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الوائى أغش وأكذب
ولكننى كنت أمراً لى جازب من الارض فيه مستراد ومذهب^(٢)
ملوك وإخوان^(٣) إذا ما مدحتهم أحكم فى أموالهم وأقرب
كفعلك فى قوم أراك اصطفتهم فلم ترم فى مدحهم لك أذنبوا

يقول: أنت أحسنت الى قوم فدحوك، وأنا أحسن الى قوم فدحتهم، فكما أن مدح أوائك لا يعد ذنباً، فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنباً.

== لابن المدينى شرح محمد عبد المنعم خفاجى، ١/ ٧٥، العمدة [وابن المعتز يذكر أنه ليس فى القرآن منه شيء وأنه ينسب للتكلف] ١٠١ البديع [وقد نفده أبو هلال لأنه عد هذا الباب من البديع مع أنه نسب إلى التكلف] ٣٩٨ صناعتين [، وذكر ابن المعتز شواهد له] ١٠١ - ١٠٤ البديع [، ومثلاً لما عيب منه ١٠٤ و ١٠٥ المرجع] واحتذاه أبو هلال [٣٩٩ - ٣٩٩ صناعتين] وابن رشيق [٢٧٥ وما بعدها العمدة] .

(١) بأن يؤتى بها على صورة قياس استثنائى أو اقترانى، فكونها على طريقتهما من المحسنات لأن المحاورة لا تتوقف على كونها على طريقتهما .

(٢) المستراد موضع طلب الرزق .

(٣) يعنى بهم بنى جفنة ملوك بنى غسان بالشام .

[حسن التعليل]

ومنه حسن التعليل :

وهو أن يدعى ^(١) لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف ^(٢) غير ^(٣) حقيق

وهو ^(٤) أربعة أقسام :

لأن الوصف ^(٥) إما : ثابت قصد بيان علته ، أو غير ثابت أريد إثباته .
والأول ^(٦) إما أن لا يظهر له في العادة علة ^(٧) أو يظهر له علة غير المذكورة ^(٨)
والثاني ^(٩) أما ممكن أو غير ممكن .

(١) أي يثبت .

(٢) أي بأن ينظر نظرا يشتمل على لطف ودقة ، أي حال كون الاثبات ملتبسا
بنظر دقيق بحيث لا يدرك كون هذا المثبت علة إلا من له تصرف في دقائق المعاني
(٣) صفة الاعتبار بمعنى الأمر المعتبر لا بمعنى المصدر ، أي لا يكون ما اعتبر
علة لهذا الوصف علة له في الواقع ، كما إذا قامت (قتل فلان أعاديه لدفع ضررهم)
فانه ليس من حسن التعليل في شيء .

(٤) أي باعتبار الصفة ، وأما العلة في الجميع فغير مطابقة للواقع .

(٥) أي الذي أريد إثباته في نفسه بما أتى به من العلة المناسبة .

(٦) وهو الثابت الذي قصد بيان علته .

(٧) أي غير التي أريد بيانها ، وإن كانت لا تغلو في الواقع من علة .

(٨) أي يظهر لتلك الصفة في العادة علة غير العلة المذكورة أي غير العلة

التي ذكرها المستكمل لحسن التعليل .

(٩) أي الوصف الغير الثابت الذي أريد إثباته .

أما الأول ^(١) فكقول أبي الطيب ^(٢):

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصيبها الرحضاء
فان نزول المطر لا يظهر له في العادة علة... وكقول أبي تمام ^(٣)

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فاسيل حرب للمكان العالى
علل عدم إصابة الغنى الكريم القياس على عدم إصابة السيل المسكان
العالى كالطود العظيم، من جهة أن الكريم لا تصافه بعلو القدر كالسكان العالى،
والغنى حاجة الخلق إليه كالسيل.

ومن لطيف هذا الضرب قول أبي هلال ^(٤) العسكرى،

زعم البنفسج أنه كعذاره حسنا فسلوا من قفاه لسانه ^(٥).

(١) أى الوصف الثابت الذى قصد بيان علته لانه لا يظهر له في العادة علة.

(٢) البيت في صفحة ١٤٦ وساطة، والكلام عليه في الاسرار ص ٢٤٢.

يحكى : يشابه : النائل : العطاء . السحاب . فاعل يحكى . حمت به أى
صارت محمولة بسبب نائله وتفوقه عليها . الصيب : المصبوب . من السحاب .
الرحضاء : عرق الحمى .

فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة علة ، وقد علله بأنه
عرق حماء الحادثة له بسبب غيرته من عطاء الممدوح .

(٣) راجعه والكلام عليه في ٢٣١ الاسرار .

(٤) راجع ص ٢٤٨ الاسرار .

ولأبي هلال في فرس [٢٤١ صناعتين] :

فكأنما لطم الصباح جبينه فاقصص منه نخاض في إحسانه .

(٥) العذار : أول ما يبدو على الخد من شعر ، وللبنفسج شئ من تحت ورقه ،

لجعل كاللسان له سل من قفاه عقابا له على زعمه والبيت في ديوان المعاني ص ٢٤ ج ٢

وقول ابن نباتة في صفة فرس^(١) .

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه النريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا ويطوى خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الموت منه تشبث بالقوائم والمحيا
وأما الثاني^(٢) فكقول أبي الطيب :

مابه قتل أعاديه ولم يكن يتقى لإخلاف ما ترجوا^(٣) الذئاب

فان قتل الملوك أعداءهم في العادة لارادة هلاكهم ، وأن يدفعوا مضارهم عن
أنفسهم ، حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم ، لالما ادعاء من أن طبيعة الكرم
قد غلبت عليه ، ، ومحبة أن يصدق رجاء الراجين بمشته على قتل أعدائه ، لما علم
أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تنوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا
مبالغة في وصفه بالجلود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييل ،
أى تنأى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيونات العجم فاذا غدا للحرب رجعت الذئاب
أن تنال من لحوم أعدائه : وفيه نوع آخر من المدح ، وهو أنه ليس بمن
يسرف في القتل ، طاعة للغيظ والحق . . . وكقول أبي طالب المأموني في بعض
الوزراء ببخارى^(٤)

(١) ٢٤٩ و ١٠٢ الأسرار .

يستمد الليل منه : أى يستمد ظلمته منه . سرى : سار ليلا والضمير للفرس
الموصوف . يطوى : يقطع . الوشك : السرعة والقرب . القوائم : جمع قائمة وهى
وهى الرجل أو اليد . المحيا : الوجه .
(٢) وهو الوصف الثابت الذى يظهر له فى العادة علة غير العلة التى ذكرها
المتكلم لحسن التعليل . فيقصد بيان علة أخرى له فالعلة المذكورة غير حقيقية
فتكون من حسن التعليل .

(٣) البيت والكلام عليه فى الأسرار ص ٢٥٧

(٤) راجع ذلك فى ص ٢٥٨ الأسرار

السباح : الجود . الاغفاء : النوم الخفيف . الرواح : العشى
الشاهد هو البيت الثانى لانه علل نومه بهذه العلة وهى غير علته فى العادة

مغرم بالثناء ، صب بكسب المحم
لا يذوق الاغفاء إلا رجاء أن يرى طيف مستميع رواحا
وكأن تقييده بالرواح ليشير إلى أن العفاة إنما يحضرونه في صدر النهار على
عادة الملوك فاذا كان الرواح قبلوا فهو يشقائق اليهم فينام لئلا نس برؤية طيفهم ؛
وأصله من نحو قول الآخر (١) .

ولاني لاستغنى وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خيالبا
وهذا غير بعيد أن يكون أيضا من هذا الضرب ، إلا أنه لا يبلغ في الغرابة
والبعد عن العادة ذلك المبلغ فانه قد يتصور أن يريد المغرم المقيم إذا بعد عهده
بحبيه أن يراه في المنام ، فيريد النوم لذلك خاصة
ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز (٢) :

قالوا اشتكت عينه ، فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم في الفصل شاهد عجب
وقول الآخر (٣) :

أنتنى توفيني بالكاء فأهلا بها وبتأنيها

(١) هو لمجنون لبلى [١٢٤ ج ٣ زهر الاداب] . والبيت في الاسرار
ص ٢٥٩ . أستغنى : أى أطلب النوم . ولم ينسب البيت إلى صاحبه أحد من الشراح
(٢) راجع البيتين والتعليق عليهما في الاسرار ص ٢٤٤
الوصب : المرض . الفصل : السيف . فالعلة الحقيقية لحمرة العين الرمء ، ولكنه
ادعى أنها من دماء من قتلهم من العشاق

(٣) هى أبو بكر ابن العربى م ٥٤٣ هـ [٨٨ ج ٣ أزهار الرياض - ط لجنة التأليف]
وهى في الاسرار ص ٦٢ وفى الصنائع ص ٤٣٢ . وورودها فى أسرار البلاغة والصنائع
ينبى نسبتها لآبى بكر ابن العربى لأن عبد القاهر وأبا هلال توفيا قبل أبى بكر بكثير .

تقول وفي قولها حشمة أتبكي بعين تراني بها
فقلت إذا استحسنتم غيركم أمرت الدموع بتأديها

وذلك أن المادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب، أو
اعتراض الرقيب؛ ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب؛ لا ما جعله من
التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب.

وأما الثالث^(١) فكقول مسلم بن الوليد:

يا واثيا حسنت فينا إساءته نجي حذارك إنساني من الفرق^(٢)

فإن استحسان إساءة الواثي ممكن^(٣)، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر
سببه، وهو أن حذاره من الواثي منه من البكاء فلم إنسان عينيه من الغرق في
الدموع وما حصل ذلك فهو حسن.

وأما الرابع^(٤) فكمعنى بيت فارسي ترجمته^(٥):

لولم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليهما عقد منتطق
فإن نية الجوزاء خدمته بمنتهى^(٦).

(١) وهو أن يكون الوصف غير ثابت أريد إثباته، وهو ممكن.

(٢) حذارك أي حذارى إياك: إنساني أي إنسان عيني.

(٣) وإن كان غير واقع عادة.

(٤) وهو أن يكون الوصف غير ثابت أريد إثباته وهو غير ممكن.

(٥) نسبة السعد للقرظوني الخطيب، والظاهر أنه ليس كذلك لأن عبد القاهر
قد ذكره في ص ٢٦١ من الأسرار، وعبد القاهر يقول (ترجمته) فنقل الخطيب ذلك
فظن السعد أنها (ترجمته) فنسبه للمصنف. وهذا من غريب الخطأ والتحريف.

(٦) ولكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة، وعلى هذا لا تكوّن لو هذا لامتناع
الجواب لامتناع الشرط بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط؛ فإن حمل =

وعما يلحق بالتعليل ، وليس به ، لبناء الأمر فيه على الشك (١) نحو قول أبي تمام (٢)

== معناها هنا على الأول بأن جعل نية خدمة الممدوح علة لانتطاق الجوزاء كان هدامن الضرب الأول لامن هذا الضرب .

هذا وانتطق أى شد النطاق ، وحول الجوزاء كواكب يقال لها نطاق الجوزاء ، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها أى بالعلة المناسبة لها وهى كونها منتطقة أى شادة النطاق وسطها وفى ذلك بحث لأن مفهوم هذا الكلام هو أن نية الجوزاء خدمة الممدوح علة لرؤية عقد النطاق عليها أعنى لرؤية حالة شبيهة بانتطاق المنتطق ، كما يقال لولم تجتنى لم أكرمك ، يبنى أن علة الاكرام هى المجيء ، وهذه صفة ثابتة قصد تعليلها بنية خدمة الممدوح ، فيكون من الضرب الأول وهو الصفة الثابتة التى قصد علتها ، وما قيل إنه أراد ان الانتطاق صفة بمنزلة الثبوت للجوزاء ، قد أثبتها الشاعر وعللها بنية الجوزاء خدمة الممدوح ، فهو مع أنه مخالف لصريح كلام الخطيب ايس بشىء ، لأن حديث انتطاق الجوزاء اعنى الحالة الشبيهة بذلك ثابت بل محسوس ، والاقر ب أن يجعل لو هنا مثلها فى قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) أعنى الاستدلال بانتفاء الثانى على انتفاء الاول كما ذكرنا فيكون الانتطاق علة لكون نية الجوزاء خدمة الممدوح ، أى دليلا عليه ، وعلة للعلم ، مع أنه وصف غير ممكن .

(١) فلذلك لم يجعل من حسن التعليل الذى فيه ادعاء وإصرار ، والشك ينساق به .

(٢) راجع ص ٢٤٢ الاسرار . الرنى : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض الصبا : ريح تهب جهة الشرق . المزن : السحاب الابيض . جادهما : أمطرها . هامع : سائل فى كثرة . الغر جمع الاغر والمراد السحاب الماطرة الغزيرة الماء . غيبين تحتها أى تحت الربا . . . ترقى الاصل ترقأ بالهمزة تخففت أى تسكن ==

رَبِّي شَفَعْتَ رِيحَ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى الْمَزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعٌ
كَانَ السَّحَابُ الْغَرِيبِينَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنِ مَدَامِعِ
وَقَوْلِ ابْنِ الطَّيِّبِ (١) :

رَحَلَ الْعِزَاءُ بِرَحَلَتِي فَكَانَتِي أَتْبَعْتُهُ الْإِنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ
علة تضعيد الإنفاس في العادة هي التحسر والنأسف لا ما ج.وز أن
يكون إياه، والمعنى رحل عني العزاء بارتحال عنك أي معه، أو بسببه؛ فكأنه
لما كان الصدر محل الصبر، وكانت الإنفاس تتصعد منه أيضا، صار العزاء
والنفس الصعداء كأنهما نزيلان، فلما رحل ذلك كان حقا على هذا أن يشيعه
قضاء لحق الصلابة

[التفريع^(٢)]

ومنه التفريع :

وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم (٣) بعد إثباته (٤) لمتعلق له آخر (٥) ،

== علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك
الربا فمضى تبكي عليه .

(١) الأسرار

(٢) هو لغة كون الشيء فرعاً لغيره

(٣) أي أن يثبت أمر محكوم به على شيء بينه وبين أمر آخر نسبة وتعلق
بعد أن يثبت ذلك الحكم لمنسوب له آخر

(٤) أي إثبات ذلك الحكم

(٥) أي على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ؛ أي على وجه يشعر بتفريعه على =

كقول الكميت :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب (١)
 فرع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من
 داء الكلب .

== إثباته الاول وذلك بأنه يثبت الحكم ثانيا للمتعلق الثانى مع أداة ليست لمطلق الجمع
 مثل غلام زيد مسرور كما أن أباه مسرور ، فالمراد بالتفريع التبعية في الذكر
 والتعقيب الصورى من غير أن يكون هناك أداة تفيد مطلق الجمع سواء كان ذلك
 بأداة تفريع أم لا وليس المراد أن يكون ذلك الاثبات بأداة تفريع فقط وإلا
 لم يكن البيت المذكور من هذا النوع

(١) الكلب بفتح اللام شبه جنون يحدث للإنسان من عض الكلب إذ
 لادواء له أنجح من شرب دم ملك كما قال أبو البرج المرى .
 بناء مكارم وأساة كلم دماؤكم من الكلب الشفاء
 فرع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب
 يعنى أنهم ملوك وأشراف وأرباب العقول الراججة .
 ملاحظة :

قولنا على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب احتراز كما سبق عن نحو غلام زيد
 راكب وأبوه راكب . لأن الواو لمطلق الجمع فاقبلها وما بعدها سيان في التقدم
 لكل والتأخر للآخر . . أما غلام زيد راكب وأبوه راكب فقد خرج من التفريع
 لأن التفريع يستدعى اتحاد الحكم للمتعلقين وفي المثال المذكور حكيان مختلفان
 ثبتا لمتعلق أمر فالمراد من التفريع (أى تفريع الثانى على الاول) كونه ناشئا ذكره
 عن ذكر الاول حيث جعل الاول وسيلة للثانى كالتقدمة والتوطئة .

[تأكيد المدح بما يشبه الذم ^(١)]

ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وهو ضربان :

[١ -] أفضلهما أن تستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها : كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم من فلول من قراع الكتائب ^(٢)
أى إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب ، فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه ، وذلك محال ، فهو فى المعنى تعليق بالمحال كقولهم : حتى يبيض القار ، . . . فالتأكيد فيه ^(٣) من وجهين :
أحدهما أنه كد عوى الشيء بيئته :

والثانى أن الاصل فى الاستثناء ^(٤) أن يكون متصلا فاذا نطق المتكلم بالا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتى بعدها مخرج مما قبلها ، فيكون شئ من صفة الذم ثابتا : وهذا ذم ، فاذا أتت بعدها صفة مدح

(١) هو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه ، ويجعله أبو هلال ضربا من أضرب نوع من البديع يسميه الاستثناء [٣٩٦ صناعتين] ، وكذلك فعل ابن رشيق [٢/٤٥ العمدة] .

وهو الباب الخامس من أبواب البديع لابن المعتز . وهو فى المفتاح ص ١٨٠
(٢) الفلول جمع فل وهو الثلمة فى حد السيف . القراع . المضاربة . الكتائب جمع كتيبة وهى الجماعة المستعدة للقتال .

(٣) أى فى هذا الضرب .

(٤) أى فى مطلق الاستثناء لا فى كل استثناء لأن الاصل فى الاستثناء فى الضرب الثانى الانقطاع

تؤكد المدح ، لكونه مدحا على مدح وإن كان فيه نوع من الخلابة .
 [٢ —] والثاني أن يثبت لشيء صفة مدح ، ويعقب بإداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيدي من من قریش » : وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا (١) لكنه (٢) باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ، ولهذا قلنا الأول (٣) أفضل

ومنه قول النابغة الجعدي

ففي كلمات أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا (٤)
 وأما قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيا . إلا قليلا سلا سلا)
 فيحتمل الوجهين . . وأما قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلا) فيحتملها ،
 ويحتمل وجها ثالثا وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلا لأن معنى السلام

(١) أما الانقطاع في الضرب الأول فلأن محصله أن يستثنى من العيب خلافه فلم يدخل المستثنى في جنس المستثنى منه . وأما الانقطاع في الضرب الثاني فلا تنافي بينه وبين
 العموم في المستثنى منه فيه

وقوله أيضا ، أي كما أن الاستثناء في الضرب الأول متقطع لعدم دخول المستثنى في المتن منه وهذا لا ينافي أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال ، لأن أصالة الانقطاع هي بالنظر لخصوص هذا الضرب وإصالة الاتصال نظرا لمطلق الاستثناء
 (٢) لما كان الاستثناء منقطعا في الضربين أراد يفرق بينهما ، وقوله (لكنه)
 أي الاستثناء المنقطع في هذا الضرب

(٣) أي المفيد للتأكيد من وجهين

(٤) استشهد سيدي به بالبيت على نص غير على الاستثناء المنقطع [٣٦٧ ج ١]
 وينسب أبو هلال البيت لجندل بن جابر الفزاري [ص ٣٦٦ صناعتين]

(٥) راجع ٦٢ من البديع

هو الدعاء بالسلامة، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الاكرام.

[٣ -] ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب «١» ثالث، وهو أن يأتي الاستثناء فيه مفرغاً، كقوله تعالى (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا)، أي وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان بآيات الله ونحوه قوله قل (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا)، فإن الاستفهام فيه الانكار. واعلم أن الاستدراك (٢) في هذا الباب يجري مجرى الاستثناء. كما في قول أبي الفضل بديع الزمان الحمداني (٣)

هو البدر إلا أنه البحر زاخر سوى أنه الضرغام، لكنه الوبل

(تأكيد الذم بما يشبه المدح)

ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح.

(١) أرى أن يلحق بهذا النوع مثل قول عبد الله بن عباس لعمر بن العاص: لك بيان وفيك خطل، ولك رأى وفيك نكند، ولك قدر وفيك حسد (راجع ٢١٣ ج ٢ بيان)

وهذا الضرب الثالث هو أن يوقى بمسئتي فيه معنى المدح معمولاً لفعل فيه معنى الذم فيكون الاستثناء مفرغاً

(٢) أي المفهوم من لفظ لكن

(٣) يمدح خلف بن أحمد. والبيت في المفتاح ص ١٨

فقوله إلا وسوى استثناء مثل (بيد أنى من قرش)

الضرغام: الاسد. الوبل المطر الغزير

وهو ضربان :

أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة فام ، بتقدير دخولها كقولك : وفلان لاخير فيه إلا أنه يسىء إلى من أحسن إليه ،
وثانيهما أن يثبت للشيء صفة ذم ويهقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كقولك وفلان فاسق إلا أنه جاهل ، . وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم (١)

[الاستتباع (٢)]

ومنه الاستتباع :

وهو المدح بشيء على وجه يستتبع (٣) المدح بشيء آخر كقول أبي الطيب (٤) :

نهبت من الأعمار ما لحويته لهنت الدنيا بأنك خالد
فانه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة ، إذ كثر قتلاه ، بحيث لو ورث أعمارهم

(١) في تأكيد المدح بما يشبه الذم .

فالأكيد في الضرب الأول من وجهين ؛ وفي الثاني من وجه واحد .

(٢) ١٨١ مفتاح

(٣) أى يستلزم ، وقوله (هو المدح بشيء) أى كالتأني في الشجاعة ، على وجه يستتبع المدح بشيء آخر أى ككونه سبباً لصلاح الدنيا

(٤) راجعه في ٤١١ صناعتين ، و ١٨١ مفتاح ، ٥٩ الابانة عن سرقات المتنبي للعميدى

هذا وراجع باب المضاعفة في الصناعتين ص ٤١١ . . . والمضاعفة عنده تشمل الاستتباع وكذلك تشمل الإدماج الآتى

لخلاف الدنيا ، على وجه استيعاب مدح بكونه سببا لصالح الدنيا ونظامها ، حيث جعل الدنيا مهنة مخلوده . . قال علي بن عيسى الرعي (١) : وفيه وجهان آخران من المدح : أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال . الثاني أنه لم يكن ظالما في قتل أحد من مقتوليه ، لأنه لم يقصد ذلك إلا لصالح الدنيا وأهلها ، فهم مسرورون ببقائه

(الادماج) (٢)

ومنه الادماج :

وهو أن يضمن كلام سبق لمعنى (٢) آخر (٤) فهو أعم من الاستيعاب (٥) ومثاله قول أبي الطيب :

(١) عالم لغوى نحوى أديب توفى نحو ٤٢٥ هـ

(٢) راجع ص ٢٦٥ ج ٣ زهر الاداب . يقال أدمج الشيء في ثوبه إذا لفه فيه

(٣) أى مدحا كان أو غيره

(٤) المراد الجنس أعم من أن يكون واحدا كما في البيت أو أكثر كقوله ولا بد لي من جهلة في وصاله الخ ، فقد أدمج في الغزل الفخر بكونه حليما حيث كنى عن ذلك بالاستفهام عن وجود خليل صالح يودعه حليمه ، وضمن الفخر بالحلم الشكوى من الزمان لتغير الاخوان حيث أخرج الاستفهام مخرج الإنكار . ثم المعنى الآخر وهو المضمن المدموج يجب ألا يكون مصرحا به ولا يكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله وإلا لم يكن ذلك من الادماج

وقوله معنى آخر مفعول ثان ليضمن وقد أسند إلى المفعول الاول ، أى أن يحمل للتكلم الكلام الذى سبق لمعنى متضمنا لمعنى آخر فالمعنى الآخر ملفوف في الكلام (٥) لشمولة المدح وغيره في حين أن الاستيعاب خاص بالمدح ، وقيل الاستيعاب لا يختص بالمدح فيكون مساويا للادماج

أقلب فيه أجفاني كأنني أعد بها على الدهر الذنوبيا
فانه ضمن وصف الليل بالطول ^(١) الشكاية من الدهر ^(٢) .
وقول ابن المعتز ^(٣) في الخيري ^(٤) :

قد نفض العاشقون ما صنع الهجر بألوانهم على ورقه

فان الغرض وصف الخيري بالصفرة ، فادمج الغزل في الوصف . وفيه وجه
آخر من الحسن ، وهو إيهام الجمع بين متنافيين ، اعني الایجاز والاطناب : اما
الایجاز فن جهة الادماج ، وأما الاطناب فلان أصل المعنى أنه أصفر فاللفظ زائد
عليه لفائدة . . . ومنه قول ابن نباتة :

ولا بد لي من جملة في وصاله فن لي بخل أودع الحلم عنده

فانه ضمن الغزل الفخر بكونه حلما المسكنى عنه بالاستفهام عن وجود خل
صالح لأن يودعه حلمه ، وضمن الفخر بذلك باخراج الاستفهام مخرج الانكار
شكوى الزمان لتغير الاخوان ، حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن ، ونبه بذلك
على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملة أبدا ، ولكن إذا كان مريدا لوصل هذا
المحبوب المستلزم للجهل المتنافي للحلم عزم على أنه ان وجد من يصلح لأن يودعه
حلمه أودعه إياه ، فان الودائع تستعاد .

(١) المأخوذ من قوله ، أقلب فيه أجفاني .

(٢) المأخوذة من قوله ، كأنني ، فقد حصل بتلك الشكاية الادماج لانها
معنى تضمينه المعنى الذي سبق أولا مع عدم التصريح بها وعدم اشعار الكلام بأنه
مسوق لاجائها .

(٣) نسبه المرز بائي لعلی بن محمد التغلبي في ٢٩٣ معجم الشعراء .

(٤) هو ورد أصفر .

ومنه قول الآخر: بعض الوزراء لما استوزر^(١) :
 أرى دهرنا اسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
 فقلت له نعاك فيهم أنمها ودع أمرنا إن المهم المقدم
 فانه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال في التهنئة ، وفيه
 نظر : لأن شكوى الزمان مصرح بها في صدره ، فكيف تكون مدحجة ؟
 ولو عكس فجعل التهنئة مدحجة في الشكوى أصاب^(٢).

التوجيه^(٣)

ومنه التوجيه :
 وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين^(٤) مختلفين ، كقول من قال^(٥) : لأعور
 يسمى عمرا

خاطر لي عمرو قباء ليت عينيه سوا.
 وعليه قوله تعالى : واسمع غير مسمع وراعنا ، قال الزمخشري
 ١ - غير مسمع حال من المخاطب ، أى اسمع وانت غير مسمع ، وهو قول ذو وجيهين :
 (١) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر المتوفى عام ٣٠٠ هـ في سلجان بن وهب
 لما وزر (٣٢ ج ٤ زهر الآداب ، والمتحل للتعالي) وراجعهما في ١١٧
 حسن التوسل .
 (٢) ولا ينافي هذا كون المقصود بالذات هو التهنئة ، لأن القصد الذاتي لا ينافي
 ذلك المقصود بطريق الإدماج .

- (٣) راجع ١٨٠ مفتاح
 (٤) أى على حد سواء اذ لو كان أحدهما متبادرا لكان تورية لا توجيها
 (٥) هو بشار بن برد ، وبعد البيت
 فاسأل الناس جميعا أم أمدح أم هجوا .

[١ -] يحتمل الظم :

أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت . لأنه لو أجيبنا دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت ، دعوة مستجابة أو اسمع غير محاب ما تدعو إليه ، ومعناه غير مسمع جوابا بوافقك ، فكأنك لم تسمع شيئا

أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه ، فسمعك عنه ناب

ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع ، مفعول (اسمع) أى اسمع كلاما غير مسمع إياك ، لأن اذنك لا تبعه نبوا عنه

[٢ -] ويحتمل المدح :

أى اسمع غير مسمع مكروها ، من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه

[ب -] وكذلك قوله راعنا ،

يحتمل راعنا تكلمك أى ارقبنا وانتظرنا . ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها ، وهى راعينا . فكانوا سخرية بالدين وهزأ برسول صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام يحتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاحترام . . . ثم قال فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا معنا^(١) وعصينا ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز أن لا يطقوا بذلك ولعنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كائنهم نطقوا به قال السكاكى^(٢) :

ومنه^(٣) متشابهات القرآن باعتبار^(٤)

(١) أى الذى يشتري

(٢) ١٨٠ مفتاح

(٣) أى من التوجيه

(٤) وهو احتمالها لوجهين مختلفين ، وتفارقه باعتبار آخر وهو عدم استواء =

[الهزل الذى يراد به الجلد^(١)]

ومنه الهزل الذى يراد به الجلد، فترجمته تغنى عن تفسيره، ومثاله قول الشاعر^(٢)
إذا ما تيممى أذاك مفـاخرا فقل : عد عن ذا، كيف أكلك الضب
ومنه قول امرئ القيس :

= الاحتمالين لأن أحد المعنيين فى المتشابهات قريب والآخر بعيد لما ذكره السكاكى
من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية والايهام
ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين فى المتشابهات لا يجب تضادهما
والصحيح أن الذى يكون توجيها من المتشابهات باعتبار هو البعض لا الكل
ملاحظة - قال الجاحظ :

فجئتك الجيوش أبازنيب وجاد على مسارحك السحاب
يجوز أن يكون دعاء عليه وأن يكون دعاء له [١٢٥ ج ٢ بيان]
وفى الوساطة :

فجئبت العوارى أبازنيب وجاد على محلتك السحاب
قال : قد يظن أنه دعاء واستسقاء لأرضه وإنما مراده الدعاء عليه أن تملك إبله
فلا يملك منها ما يغار عليه وأن يجود السحاب على أرضه وهو يملق فيشتد أسفه
على ما ذهب من ماله [٣١٦ وساطة]
وقد عقد ابن عبد ربه فصلا لذلك عنوانه باب من الشعر يخرج معناه فى المدح
والهجاء [١٠ ج ٤ العقد]

(١) راجعه فى البديع لابن المعتز ص ١٠٢ و ١١٣ شرح محمد عبد المنعم خفاجى
وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، وفى البيان تأليف الجاحظ مثل تصلح أن
تكون من هذا النوع (راجع ٤٥ ج ٢ البيان)

(٢) هو ابونواس

والضرب لا يأكله اشرف الناس، فهو هزل يراد به الجلد، وهو ذم تميم بذلك

وقد علمت سلمى وان كان بعلمها بأن الفتى يهذى وليس بفعال (١)

— ٢٩ —

[نجاهل المارف (٢)]

ومنه نجاهل العارف، وهو كما سماه السكاكي: سوق المعلوم مساق غيره،،
لنكتة:

كالنويسخ في قول الخارجية (٣)
أيا شجر الخابور مالك مورقا
كانك لم تجزع على ابن طريف
والمبالغة في المدح في قول البهترى:
المع برق سرى أم ضوء مصباح
أوفى الدم في قول زهير:
وما أدرى وسوف إخال أدرى
أقوم آل حصن أم نساء

(١) اسم كان مستتر يعود على المهجو
والشاهد في البيت قوله، وليس بفعال، فظايره هزل ولكنه يراد به الجدة
وهو مهجو زوجها

هذا وراجع في (ص ١٥٦ ج ١ زهر الآداب) مثالا لهذا النوع
(٢) هو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه (راجع ١١١ و ١١٢ البديع، وتبعه أبو
(٢٨٧ - ٢٨٩ صناعتين)
وراجع فيه ص ١٦٥ مطول، ١٣٨٤ الكامل للبرد، و ٥٥ ج ٢ السبكي،
وكذلك ٢٠٦ ج ٢ المرجع

(٣) هي ليلي بنت طريف ترضى أخاها الوليد حين قتله يزيد بن يزيد الشيباني..
الخابور: نهر بالجزيرة يصب في الفرات
والبيت في ١٨٠ مفتاح و ١٠ ج ٤ زهر الآداب، ١٥٨ صناعتين، ٨٣ مفتاح أيضا

والتدله في الحب في قول الحسين بن عبد الله الغزى^(١)
 بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلي من البشر

وقول ذى الرمة^(٢):

أيا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقا ن أم أم سالم
 والتحقيق في قوله تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الكفار
 (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) ، كأن لم
 يكونوا يعرفون منه إلا أنه رجل .

والتعريض^(٣) في قوله تعالى : « وإنا أولياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ،
 وفى بحى . هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى ، وهى أنه يبعث المشركين على الفكر
 فى حالة انفسهم وحال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ؛ وإذا فكروا فيما
 هم عليه من إغارات بعضهم على بعض ؛ وسبى ذرارهم واستباحة أموالهم ، وقطع
 الأرحام وإتيان الفروج الحرام ، وقتل النفوس التى حرم الله تلها ، وشرب الخمر
 التى تذهب العقول وتحسن ارتكاب الفواحش ؛ وفكروا فيما النبى عليه السلام
 والمؤمنون عليه من صلة الأرحام ، واجتناب الآثام ، والأمر بالمعروف والنهى
 عن المنكر وإطعام المساكين وبر الوالدين ، والمواظبة على عبادة الله تعالى ، عدوا
 أن النبى عليه السلام والمسلمين على هدى ، وأنهم على الضلالة ، فبعثهم ذلك على
 الإسلام ، وهذه فائدة عظيمة .

(١) وينسب أيضا لذي الرمة . كما ينسب للعرجى (٣٨٨ صناعتين) ، وللمجنون

وتجده فى ٣٨٨ صناعتين ، ٢٣٠٦ السبكى . . والقاع : المستوى من

الأرض

(٢) راجعه فى ٢/٤٩ الكامل للمبرد ، ١٦٨ جـ ٢ الكتاب لسيبويه : الوعاء

الراية اللينة من الرمل وتثبت أحرار البقول . جلاجل ، والنقا : موضعان .

(٣) راجع ٢٦٥ السبكى .

[القول بالموجب ^(١)]

ومنه القول بالموجب :

وهو ضربان :

أحدهما : أن تقع صفة ^(٢) في كلام الغير ^(٣) كناية عن ^(٤) شيء ^(٥) أثبت له حكم ^(٦) فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء ^(٧) من غير تعرض لثبوت

(١) هو بكسر الجيم اسم فاعل لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم ، وفتح الجيم اسم مفعول إن اريد به القول بالحكم الذي أوجبه الصفة والمراد بالقول الاعتراف أى اعتراف المتكلم بالصفة الموجبة للحكم في كلام المخاطب مع كونه نافيا لمقصوده من إثباتها لغير من أثبتها له المخاطب أو مع حمل كلامه على خلاف المقصود .

(٢) أى كالاعز :

(٣) كالمنافقين

(٤) أى دالة على شيء وهو فريقهم ، فالمراد بالكناية العبارة لا المعنى الاصطلاحي للفظ كناية وهو اللفظ المستعمل لينتقل منه إلى اللازم مع جواز ارادة الملزوم إذ ليس دلالة الاعز على فريقهم بطريق الكناية إذ لا لزوم بين مفهوم الاعز وفريق المؤمنين . ويحتمل أن يراد بها المعنى الاصطلاحي ويكفي في اللزوم اعتقادهم اللزوم . ثم المراد بالصفة الواقعة كناية في الآية ما يدل على ذات باعتبار معنى كالاعز والصفة التي روى اثباتها للغير المعنى القائم بالغير كالعزة فاختلفت الصفتان ففي الكلام استخدام .

(٥) أى لذلك الشيء .

(٦) أى تقتضيه تلك الصفة لكونها نعتا كالأخراج للمؤمنين .

(٧) كآله ورسوله .

ذلك الحكم له أو انتفائه ^(١) عنه ، كقوله تعالى : « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، فانهم كانوا بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا الأعز الإخراج ، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، من غير تعريض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم .

والثاني حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله ^(٢) .
متعلقه ^(٣) كقوله :

قلت ثقلت إذ أتيت مرلرا قال : ثقلت كاهلي بالأيادي
قلت طرات قال لأبل تطوا- ست ، وأبرمت ، قال جبل ودادي ^(٤)

والاستشهاد بقوله ثقلت وأبرمت ، دون قوله طرات ^(٥) ومنه قول القاضي الأرجاني .

غالطني إذ كست جسمي الضنا كسوة عرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى مثل عيني ، صدقت لكن سقاما
وكذا قول ابن دويدة المغربي من أبيات ، يخاطب بها رجلا أو دع بعض القضاة

- (١) فلو تعرض للحكم اثباتا أو نفيا خرج الكلام عن القول بالموجب .
- (٢) أي حال كون خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ أي من المعاني التي يحتملها ذلك اللفظ احتمالا حقيقيا أو مجازيا بأن يكون اللفظ صالحا لذلك المعنى الذي حمل عليه وإن كان لم يرد ، فلو كان اللفظ غير صالح له كان الحمل عليه عبثا لا بديعا .
- (٣) أي وحمل اللفظ على الخلاف المحتمل بسبب ذكر متعلق ذلك اللفظ
- (٤) البيتان لابن حجاج وينسبان أيضا لمحمد بن إبراهيم الأسدي .
- (٥) فليس من القول بالموجب لأنه رد عليه بقوله « لا » ، وأثبت شيئا آخر هو التطول وهو غير التطويل .

مالا ، فادعى القاضى ضياعه .

إن قال قد ضاعت في صدق، إنما ضاعت ولكن منك يعني لو تمى
أو قال قد وقعت في صدق، إنما وقعت ولكن منه أحسن موقع
وقريب من هذا قول الآخر :

واخسوان حسبهم دروها فسكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سسها ما صائبات فسكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادي (١)
والمراد البيتان الاولان ، ولك أن تجعل نحوهما ضربا ثالثا .

(١) راجع مثلا شيئا بذلك في ص ٢٦١ ج ٣ البيان والتبيين والايامات لعل
بن فضالة القيرواني م ٤٧٩ هـ ، ونسبا أيضا لابن الرومى .
ملاحظة :

هذا النوع الثاني من القول بالموجب هو الاسلوب الحكيم [٣١١ ج ٤
و ٤٨٠ ج ١ ابن السبكي] .
ملاحظة :

قوله : بذكر متعلقه ، المراد بالمتعلق هنا ما يناسب المعنى المحمول عليه سواء
كان متعلقا اصطلاحيا كالمفعول والمجرور أولا ، فالأول كالبيت ، والثاني كقوله :
لقد بهتوا لما رأوني شاجبا فقالوا به عين فقلت وعارض
أرادوا بالعين إصابة العائن وحمله على إصابة عين المعشوق بذكر ملاحظهم وهو
العارض في الاسنان التي هي كالبرد .

والحمل على خلاف المراد تارة يكون باعادة المحمول كالبيت : قلت فقلت ،
وتارة يكون بدون اعادته كما في البيت الذي ذكرنا .

وقد جعل السبكي الضرب الاول من القول بالموجب من المذهب الكلامي
والضرب الثاني من الاسلوب الحكيم ، وجعل بيت المشاكلة اطبخوا الى جبة ،
من القول بالموجب .

[الأطراد ^(١)]

ومنه الاطراد :

وهو أن يأتي باسماء الممدوح أو غيره وآبائه ^(٢) على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك ، حتى تكون الاسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه كقول الشاعر ^(٣)

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشهم
بعتيبة بن الحارث بن شهاب
وقول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبد الله خير لدائمه
ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب
وفيه تعرض للمقتول به ، ولشرف المقتول ، قيل لما سمعه عبد الملك بن مروان قال : لولا الفافية لبلغ به آدم .. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم »
(انتهت المحسنات المعنوية)

الجناس بين اللفظين : (٤)

(١) الصحيح أنه من البديع اللفظي

(٢) أى وأسماء آبائه

فان قيل هذا من تنابع الاضافات فكيف يعد من المحسنات ؟ قلنا : قد تقرر أن تنابع الاضافات إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ، وما هنا من هذا القبيل
(٣) هو لربيعة والد ذؤاب قاله لما قتل عتيبة فقتله قوم عتيبة به (١٢٦)
المؤلف للأمدى : هامش البيهقي والتبيين ص ١١ - ٣٥٤ ج ١ الخامسة ،
١٤ ج ١ الكامل للبرد ، وفي العقد ٦٧ ج ٣ تفصيل كثير لذلك

والبيت في ص ٢ ص الامالى ، ١٦٩ دلائل أيضا

(٤) راجع ٥ - ١٤ من الاسرار ، ٤٠١ - ٤٠٣ دلائل ، ٣١٠ صناعتين

وراجع باب التعطف في الصناعتين ص ٤٠٧

وراجع ١٨١ مفتاح . والجناس مصدر جانس

[المحسنات اللفظية -]

[١ - الجناس بين اللفظين]

وهو تشابههما في اللفظ : (١)

[١ -] والتام منه (٢) :

إن يتفقا (٣) في أنواع الحروف (٤) وعددها (٥) وهيئتها (٦) وترتيبها (٧)

(١) أى فى التلفظ أى فى النطق بهما بأن يكون المسموع منهما متحد الجنسية كلا أو جلا لا بعضا كلام الكلمة أو عيبها أو قاتها ، ويحتمل أن المراد اللفظ مرادا به ذات اللفظين أى حروفهما فيكون المراد تشابه اللفظين فى حروفهما كلا أو جلا . ثم إن التشابه المذكور لابد فيه من اختلاف المعنى فخرج ما إذا تشابها من جهة المعنى فقط نحو أسد وسبع فليس بينهما جناس وكذلك ما إذا تشابها فى اللفظ والمعنى كالتأكيد اللفظى نحو قام قام زيد فلا جناس بينهما ، وكذلك يخرج ما إذا تشابها فى مجرد عدد الحروف نحو ضرب وعلم أو فى مجرد الوزن (ويلزمه التشابه فى العدد) نحو ضرب وقتل

هذا والفرق بين التجنيس والتكرير أن الثانى تتحد الالفاظ المكررة فيه فى المعنى بعكس الأول (٤٤ وساطة)

(٢) أى من الجناس

(٣) أى اللفظان

(٤) فشكل من الحروف التسعة والعشرين نوع ، وبهذا يخرج نحو يفرح

ويمرح فالجناس بينهما ليس تاما بل لاحقا

(٥) ولا اعتبار بكون الحرف المشدده بحرفين

وبذكر الاتفاق فى العدد يخرج نحو الساق والمساق فالجناس بينهما ناقص لانتام

(٦) وبه يخرج نحو البرد والبرد ، فان هيئة الكلمة هى كيفية حاصلة لها باعتبار

الحركات والسكنات ، والأولى ان يقول : فى هيئة الحروف لأن الكلام فى هيأت

الحروف ، وهى كيفية حاصلة لها باعتبار حركاتها وسكناتها سواء اتفقت أنواع =

[١ -] فان كانا^(١) من نوع واحد كاسمين^(٢) سمي مائلا^(٣) ، كقوله تعالى
 « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة^(٤) » ، وقول الشاعر^(٥)

حديق الآجال آجال والهدوى للمرء قتال

الأول جمع إجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع أجل
 والمراد به منتهى الاعمار ، وقول أبي تمام :
 اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا

صدور العوالى فى صدور الكتائب^(٦)

= الحروف أو اختلفت ، لافى هيئة الكلمة ، وهى كيفية حاصلة باعتبار حركات الحروف
 وسكناتها وتقديم بعضها على بعض ، وحركة لام الكلمة أو سكونها غير معتبر
 هذا فنحو ضرب وقتل على هيئة واحدة مع اختلاف الحروف بخلاف نحو
 ضرب وضرب مبنيين للفاعل وللفعول فانما على هئتين مع اتحاد الحروف
 (٧) أى تقديم بعض الحروف على بعض وتأخير عنه ، وبه يخرج نحو
 الخنف والفتح

(١) أى اللفظان المتفقان فى جميع ما ذكر (٢) أو فعلين أو حرفين

(٣) راجع ١٠ ، صناعتين

(٤) الساعة صارت حقيقة عرفية فى القيامة فلا يرد أنه لاجناس بين اللفظ
 الحقيقى ومجازيه . ثم لا عبرة بلام التعريف ، ومثال الجناس بين فعلين : قال فلان
 ثم قال كذا ، الأول من القيلولة والثانى من القول ، ومثال الجناس بين الحرفين قد
 يجود الكريم وقد يعثر الجواد فالأولى للتكثير والثانية للتقليل

(٥) هو أبو سعيد الخزومى شاعر عباسى مقل عاصر دعبلا وهجاء [١٧ ج ٣

البيان] ، والبيت فى ٢٦ معجم الشعراء

(٦) جابت خرقت . قسطل الحرب : غبارها الساطع فيها . صدعوا : أمالوا .
 العوالى : الرماح جمع عالية . صدور العوالى أعاليها وصدور الكتائب نحورها

[ب -] وان كانا من نوعين كاسم وفعل ^(١) سمي مستوفى ، كقول أبي تمام أيضا ^(٢) :

مامات من كرم الزمان فانه يحيا لدى يحيى بن عبد الله
ونحوه قول الآخر ^(٣)

وسميته يحيى ايحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

والتام أيضا إن كان أحد لفظيه ^(٤) مركبا سمي جناس التركيب ^(٥) :

[١ -] ثم ان كان المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سمي مرفوا ، كقول الحريري ^(٦)

(١) او اسم وحرف أو فعل وحرف

(٢) البيت في ص ١٢ الاسرار، وص ٤٤ وساطة . ويحيا الاول فعل والثاني اسم

(٣) هو محمد بن كرامة الاسدي في رثاء ولده يحيى (١٦ البديع لابن المعتز ، ١٩١ ج ٢ زهر الآداب)

(٤) أى لفظي الجنس التام

(٥) وان لم يكن كذلك فهو ما مر من المتناهل والمستوفى والمراد بكون أحد اللفظين مفردا ان يكون كلمة واحدة والمراد بكونه مركبا أن لا يكون كلمة واحدة بل كلمتين لا كلمة وجزء كلمة أخرى فان هذا اسمه المرفو . . أما إذا كان كل من كلمتيه المتجانستين مركبتين فهو جناس التلفيق مثل : ارى قدمي أراق دمي ،

(٦) الوابل : المطر الغزير . المصاب مصدر صاب المطر صوبا ومصابا إذا انصب ، الحمام : الموت . الصاب شجر مر واحدة صابة هذا وفي زهر الآداب (٨٥ و ٨٦ ج ٢ و ٨٧ ج ٢) أيضا مثل لهذا النوع من الجنس

ملاحظة : الخلاصة ان جناس التركيب إما :

١ - مرفو : وهو ان يكون الجنس بين لفظين : مفرد ، ومركب من كلمة وبعض أخرى

ولا تله عن ذكر ذنبك وابك
بدمع يحاكى الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطم صابه
[بـ] وإلا (١):

(١) فان اتفقا في الخط سمي متشابهما كقول أبي الفتح البستي:
إذا ملك لم يكن ذاهبة فدعه فدولته ذاهبة (٢)
(٢) وان اختلفا سمي مفروقا كقول أبي الفتح أيضا:
كلكم قد أخذ الجا م - ولا جام لنا
ما الذي ضر مدير ا جام لو جاملنا (٣)
وقول الآخر (٤)

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل في تهذيبها
ففى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذى بها
ووجه حسن هذا القسم أعنى التام حسن الافادة مع أن الصورة صورة الاعادة

= ٢ - تلفيق: وهو أن يكون كل من لفظي الجاش مركبا من كلمتين
٣ - متشابه أو مفروق: إذا كان أحد اللفظين مفردا والآخر مركبا من كلمتين
(١) أى والا يكن المركب منهما مركبا من كلمة وبعض أخرى، بأن كان
مركبا من كلمتين
(٢) البيت في المفتاح ص ١٨١، وه ذاهبة، الأولى بمعنى صاحب هبة وعطاء،
والثانية بمعنى زائلة غير باقية
(٣) البيت في المفتاح ص ١٨١. الجام: الكاس: جاملنا من الجملة وهى
المعاملة بالجميل
(٤) هو المطوعى الشاعر

[٢ -] وان اختلفا في هيآت الحروف فقط^(١) سمي محرفا ثم الاختلاف قد يكون في الحركة فقط كالبرد والبرد في قولهم ، جبة البرد . جنة البرد وعليه قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) . قال السكاكي^(٢) وكقولك الجحول اما مفراط أو مفرط^(٣) والمشدد في هذا الباب^(٤) يقوم مقام المخفف نظرا إلى الصورة فاعلم وقد يكون في الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك وقول أبي العلاء: والحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر (٣ -) وان اختلفا في أعداد الحروف^(٥) فقط سمي ناقصا ، ويكون ذلك على وجهين: احدهما ان يختلفا بزيادة حرف واحد: في الأول كقوله تعالى : والتفت الساق بالساق إلى ربك يمدد المساق) ، أو في الوسط كقولهم جدى جهدى ، أو في الآخر كقول أبي تمام^(٦) يمدون من أيد عواصم عواصم وصول باسياف قواض قواضب وقول البحترى^(٧) :

(١) أما إن كان الاختلاف في الهيئة و الشكل ، والنقط مثل يحسبون ويحسبون فهو جناس التصحيف
(٢) ١٨١ مفتاح

(٣) باعتبار أن الفاء في أحدهما ما كن وفي الآخر مفتوح (٤) أى باب النجديس
(٤) بأن يكون في أحد اللفظين حرف زائد أو أكثر إذا سقط حصل الجناس التام
(٦) راجع ص ١١٣ أسرار ، ٤٤ وساطة
عواص : جمع عاصية من عصاه إذا ضربه بالعضا والمراد بها هنا السيف أو من العصيان بمعنى عواص على الأعداء . عواصم : حافظات الأولياء جمع عاصمة وصول . تسطو : قواض : قاتلات من قضى عليه إذا قتله . قواضب . قواطع
(٧) البيت في الأسرار ص ١٣ .
صدفت : أعرضت : صواد : من الصدى وهو العطش الشديد

لئن صدفت عنا فربت أنفـس صواد إلى تلك الوجوه الصوادف
ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب ^(١) إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس
أنس له :

أيها الصاحب الذي فارقت عيـب سنى ونفسى منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذى يهب الراحة والمسمع الغنى والغنا
نتعاطى الى تنسى من اللذة والرقعة الهوى والهوام
فاته تلف راحة ومحبيا قد أعدا لك الحيا والحيا
وربما يسمى هذا القسم ^(٢) أعنى الثالث ^(٣) مطرفا ، ووجه حسنه أنك : تنوهم
قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من عواصم انها هى التى مضت وانما اتى بها
للتأكيد حتى اذا تمكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك النوم ،
وفى هذا حصول الفائدة بعد أن يتخاطك اليأس منها .

الوجه الثانى : أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد كقول الخنساء :

إن البكاء هو الشفا . من الجوى بين الجوانح
وربما سمي هذا الضرب مذيلا

(١) الايات للمعمد بن عباد كتبها إلى محمد بن الطيب المصرى [ص ٦
فلاند العقيدان]

السنا : النور : السناء : الرفع . الراحة : راحة الكف . المسمع : الاذن .
الراحة : الارتفاع . الحيا : الوجه . الحيا : المطر والمراد به العطاء .

(٢) وهو الجناس الناقص

ويسميه العسكري تطريزا (٢١ صناعتين) وسمى مطرفا لتطرف زياد
فيه أى وقوعها فى الطرف .

(٣) وهو ما كان مثل : الجوى والجوانح ،

[٤ -] وإن اخلما في أنواع الحروف اشترط أن لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف (١) :

[١ -] ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمي الجناس مضارعا ، ويكون :
أما في الأول كقول الحريري « بين وبين كني » (٢) ليل دامس وطريق طامس
ولما في الوسط كقوله تعالى « وهم يهنون عنه وينأون عنه » ، وقول بعضهم
« البرايا أهداف البلايا » ،

ولما في الآخر كقول النابغة (٣) (ص) : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى
يوم القيامة » ،

[ب -] وإن كانا غير متقاربين سمي لاحقا ، ويكونان أيضا :

لما في الأول (٤) : « كقوله تعالى « ويل لكل همزة » (٥) لمزة ، وقول بعضهم

(١) والابعد التشابه بينهما ولم يبق النجاس كالمظي نصر ونكل .

(٢) أي منزلى .

(٣) راجع ٣١ ج ٢ البيان .

ملاحظة :

لا يخفى تقارب الدال والطاء في « دامس وطامس » ، في المخرج لأنهما من
اللسان مع أصل الاسنان .

ولا يخفى أيضا تقارب الهاء والهمزة في « يهنون وينأون » ، في المخرج إذ
هما حلقيان .

ولا يخفى أيضا تقارب اللام والراء في « الخيل والخير » ، في المخرج لأنهما من
الحنك واللسان .

(٤) ومنه قول الممزق العبدى :

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق

ومنه قول البحتري :

ولم يكن المغتر بالله إذ شرى ليعجز والممتز بالله طالبه =

(٨)

« رب وضي غير رضى » ، وقول الحريرى « لا أعطى زمامى لمن يخفر ذمامى »
 وإما فى الوسط : كقوله تعالى « ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير
 الحق وبما كنتم تمرحون »^(١) ، وقوله تعالى (وإنه على ذلك شهيد وإنه لحب
 الخير لشديد) .

وإما فى الآخر : كقوله تعالى (فاذا جاءهم أمر من الأمن ^(٢)) ، وقول
 البحرى :

هل لمسا فات من تلاق تلاف أم لشاك من الصبا به شاف ^(٣)
 [٥ -] وإن اختلفا فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب ، وهو ضربان :
 قلب السكل كقولهم ^(٤) حسامه فتح لأوليائه حنف لأعدائه ، وقلب البمض كما
 جاء فى الخبر : اللهم استر عوارتنا وآمن روعانا ، وقول بعضهم : رحم الله امرأ
 أمسك ما بين فكليه وأطلق ما بين كفيه ^(٥) وعليه قول أبى الطيب :

(٥) فاللام والهاء متباينان ومتباعدان فى الخروج لأن الهاء من اقصى الحلق
 واللام من طرف اللسان . والهمز : الكسر . واللمز : الطعن . وشاع استعمالهما فى
 الكسر من أعراض الناس والطعن فىها .

(١) فى عدم تقارب الفاء والميم نظر ، فانهما شفويان وحيث أن فالجـناس
 بينهما مضارع .

(٢) فالراء والنون متباعدان فى الخروج وفيه نظر بل هما متقاربتان حتى إنه
 يجوز إدغام أحدهما فى الأخرى لأنهما من حروف الذلاقة (مر بنقل) وهى
 تخرج من طرف اللسان .

(٣) البـيد : فى الصناعتين ص ٣٢٤ .

(٤) وللعباس بن الأحنف :

حسامك فيه للأجباب فتح وريحك فيه للأعداء حنف
 (٥) ومثل هذا قول أعرابى : دأعوذ بك من سقم وعدواء وذى رحم ودعواء

[١٥٧ جـ ٣ البيان والتبيين]

منعمة منعمة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا (١)
 وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره
 سمي مقلوبا مجنحا (٢) وإذا ولي أحد المتجانسين (٣) الآخر سمي مزدوجا ومكررا
 ومرددا كقوله تعالى (وجنتك من سبأ بنبا يقين) وما جاء في الخبر : المؤمنون
 هيئون لينون) ، وقولهم من وجد وجد ، وقولهم من قرع يابا واج ولج ، وقولهم
 النيدز بغير النغم غم وبغير الدسم سم ؛ وقوله (٤) :
 يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواقب
 واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان :
 أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق (٥) كقوله تعالى :

فأقم وجهك للدين القيم (٦) وقوله تعالى (فروح وريحان) ، وقول النبي
 صلى الله عليه وسلم (الظلم ظلمات يوم القيامة) ، وقول الشافعي (٧) الشافعي

(١) المنعمة : أى من يمنها أهلها ويحمونها . رداح : ضخمة الأرداف
 أو ثقيلة الأوراك :

(٢) لأن اللفظين بمنزلة جناحين للبيت كقوله :

لاح أنوار الهدى من كفه في كل حال

(٣) بأى نوع من أنواع التجانس من القلب أو غيره وهذا النوع قريب مما
 يسميه العسكري مجاورة (١ ٤ صناعتين) .

(٤) هو لابي تمام وقد سبق .

(٥) وهو توافق الكلمتين في الحروف الاصول مع الاتفاق في أصل المعنى

(٦) فانهما مشتقان من قام يقوم .

(٧) ليست هذه الرواية مروية عن الشافعي بل عن عبدالله بن ادريس كما في
 البديع لابن المعتز ، وهو غير الشافعي ، وقد أخطأ الخطيب وعبدالقاهر في نسبتها
 للشافعي [وراجعها في ١٨ من الاسرار]

رضى الله عنه وقد سئل عن النبيذ : (أجمع أهل الحرمين على تحريمه) ، وقال أبو تمام :

[وأبجدتم من بعد إتمام داركم] فيأجمع أبجدنى على ساكنى نجد ^(١)

وقول البحرى :

يعشى عن الحمد الغبى وإن ترى فى سودد أربا لغير أريب ^(٢)
وقول محمد بن وهيب :

قسمت صرف الدهر بأسا ونائلا فما لك موتور وسيفك واتر
والثانى أن يجمعهما المشابهة وهى ما يشبه ^(٣) الاشتقاق وليس به ، كقوله تعالى
(أناقلتم إلى الأرض أراضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) ، وقوله تعالى : قال إني
لعملكم من القالين ، وقوله تعالى (وجنى الجنة دان) ، وقول البحرى :
ولإذا ما رباح جودك هبت صار قول العذول فيها بيا

(١) البيت فى الأسرار ص ١٠ .

(٢) ، ، ، ص ٨ .

(٣) أى وهى إتفاق يشبه الاشتقاق وليس بإشتقاق .

ملاحظة :

التجنيس يذكره أرسطو فى خطابه ويحدده بأن يكون المكرر وإن كان
لفظين فى المسموع فهو مختلف فى المفهوم : وذلك هو ما ذكره قدامة فى تعريفه لهذا
اللون الذى سماه المطابق والمجانس ، [٩٦ نقد الشعر] ، وسبقه لى ذلك أستاذه
ثعلب حيث ذكر المطابق وعرفه بأنه تكرار اللفظة بمعنىين مختلفين [٢٤ قواعد
الشعر]

كما بين أرسطو بلاغته وأثره فى الكلام مما احتذاه فيه عبد القاهر فى الأسرار
[١٤ و ١٥ و ١٦ الأسرار] =

= والجاء لا يعرف ذلك اللون ولا يذكر شيئا عنه ويمر بمثال بليغ للتجنيس [٢١٨ ج - البيان] فلا يذكر عن هذا الاصطلاح شيئا .

وكان المعجاج يسمى هذا الباب . عطف الرجز [٢٩٩ ج - العمدة] وألف الاصمعي كتاب الاجناس [هـ البديع] ، وكان الاصمعي يدفع قول العامة : هذا مجانس لهذا ، إذا كان من شكله ، ويقول : ليس بمعرب خالص ، [٢٩٩ ج - العمدة] . وابن المعتز هو أهم من درس التجنيس وجمعه ، قال :

التجنيس أن تجيء الكلمة بمجانس أخرى في بيت شعر أو كلام ، والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها على الوجه الذي ألف الاصمعي كتاب الاجناس عليه ، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب . وقد صنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة كابن المعتز والخاتمي والقاضي الجرجاني وقدامة وغيرهم [٩٨ المثل النادر] .

ولابن الجرون كتاب المطابق والمجانس [٢١٢ فهرست] ، وحقيقة التجنيس أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا كما يقول ابن الأثير ، ويجعل ابن الأثير أيضا رد المعجز على الصدر ضربا من التجنيس [٩٨ و ١٠٠ المثل السائر]

وابن المعتز هو الواضع لهذا اللقب وهو أول من أفرد هذا الباب بالبحث والتأليف ، فقد عرفه ، وذكر أقسامه وأفاض في ذكر شواهد ، وذكر مثالا لمعيبه وبذلك ينتهي الباب ، وقد تأثر أبو حلال خطي ابن المعتز في هذا الباب [٥٥ - ٧٣ البديع - والصناعتين] .

بعض أمثلة للمجانس :

جار الجار على حقوقي ،

وسميته يحيي ليحييا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل =

== فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر.

٤ - بنو العم لا بلهم بنو الغم والأذى وأعوان دهرى أن تظلمت من دهرى

خلاصة لام أنواع الجناس :

١ - جناس تام كما في المثال الأول والثاني . ومثل قولك :

و يحار الطرف في محاسن هذا الطرف الجميل

ب - جناس غير تام وهو أن يختلف اللفظان في النطق ببعض الاختلاف

وذلك بأن يختلفا في :

١ - حرف من حروف الكلمة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : ه الخيل

معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة ، فقد اختلفا في اللام والراء ، ومثل : تقهر

وتنهر في المثال الثالث ، والعم والغم في المثال الرابع ومثل مقر ومفرو وتفرح وتمرح

وأوطان وأوطار .

٢ - أو في عدد الحروف مثل :

الدار أعرفها ربي وربوعا لكن أساء بها الزمان صنيعا

ومثل قولك : هذا بناء ناء ، وقال مقالا ، ومثل الهوى والهوان ، وساه وساهر

وكاف وكافل ، والفنا والقنابل .

٣ - أو في شكل الحروف مثل : الجد في الجد ، أى الحظ في الاجتهاد ، ومثل

الملك والملك وعبرة وعبرة .

٤ - أو في ترتيب الحروف مثل : أمل وألم ، وفتح وحف ، ووعد وعود

و وعيد ووديع ، ومبين ومنيب وسريع وسعير وكلام وكال وصفائح وصحائف

شروط الجناس البليغ :

[رد العجز على الصدر]

ومنه (١) رد العجز على الصدر (٢) :

وهو :

[١ -] في النثر : أن يجعل أحد اللفظين المكررين (٣) أو المتجانسين (٤) أو الملحقين بهما (٥)، في أول الفقرة، والآخر في آخرها المعنى :

= ١ - أن يكون غير متكلف ٢ - وأن يطلبه المعنى

٣ - وأن تكون الكلمة التي فيها الجنس يطلبها الأسلوب والمقام .

مثل أخرى للجناس :

تعاهدتك العماد يا طلل حدث عن الطاعنين ما فعلوا
ألم تحزن على الربيع المحيل وأطلال وآثار - محسول
طار نومي وعاود القاب عيد وأبى لى الرقاد حزن شديد
أشكوه وأشكر فعله فأعجب لكاه منه شاكر
ان الهوى هو الهوان .

لم ألق غبرك إنسانا ألوذه فلا برحت لعين الدهر إنسانا
والتفت الساق بالمساق إلى ربك يومئذ الساق
من بحر جودك أغترف وبفضل علمك أعترف

(١) أى من المحسن اللفظي

(٢) راجع ١٧٩ الدلائل ، وكذلك ١٨١ و ١٨٢ دلائل أيضا

(٣) أى المتشابهين لفظا ومعنى

(٤) أى المتفقين لفظا لا معنى

(٥) أى بالمتجانسين بمعنى الذين يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق

كقوله تعالى : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، وقولهم : الخيلة ترك
الخيلة ، وكقولهم : سائل اللّيم يرجع ودعاه سائل ، وكقوله تعالى : استغفروا
ربكم انه كان غفارا ،

وكقوله تعالى ، قال إني لعملكم من القالين
[ب -] وفي الشعر : أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع
الاول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني

فالاول كقوله (١) :

سريع إلى ابن العم بطعم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع
ونحوه قول الآخر (٢) :

سكران : سكر هوى وسكر مدامة أنى يفيق فنى به سكران ؟
والثاني كقول الحماسي (٣) :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
ونحوه قول أبي تمام :

ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الأشياء كالمسال المضاع
والثالث : كقوله (٤) أيضا .

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فسا زلت بالبيض القواضب مغرما

(١) هو الاقيشر . وقد مضى البيت في حذف المسند اليه ، وهو في
الصناعتين (٣٧٨)

(٢) هو الخليلع الدمشقي

(٣) هو صمة بن عبد الله القشيري [٦٥ - ٢٠٥ هـ] والعرار : هي وردة
ناعمة صفراء طيبة الرائحة

(٤) أي كقول أبي تمام

والرابع : كقول الحماسي (١)

ولأن لم يكن إلا معرج ساعة قليلا فاني نافع لي قليلا
والخامس كقول القاضي الأرجاني .

دعاني من ملامكا - فهاها فداعى الشوق قبلكما دعاني
وقول الآخر .

سل سبيلا فيها إلى راحة النف سس براح كأنها سلسيل (٢)
وقول الآخر .

ذوائب سود كالغنايد أرسلت فن أجلم منها النفوس ذوائب (٣)
والسادس كقول الآخر .

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل (٤)
والسابع كقول الحريري .

فشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني

(١) هو ذو الرمة (٢١٦ النوادر للقيالي) ، والرواية « معرس » . معرج خبر
« يكن » ، واسمها ضمير يعود إلى الالماس المدلول عليه في البيت السابق وهو :
ألمسا على الدار التي لوجدتها . بها أهلها ما كان وحشام قتيلا - وقوله قليلا صفة
مؤكددة لفهم القلة من إضافة التعرّيج إلى الساعة ، أو صفة مفيدة أي لا تعريجا قليلا
في ساعة ، (وقليلا) مرفوع فاعل (نافع) والضمير للساعة : والمعنى : قليل من
التعريج في الساعة ينفعني ويشفي غليل وجدي .

(٢) السيل : الطريق . (فيها) الضمير يعود إلى روضة يصفها . الراح : الخمر .
السلسيل : السهل المساغ في الخلق :

(٣) البيت لابن الحسن نصر المارغينا في - ذوائب الأولى جمع ذؤابة وهي أعلى
شعر الرأس ، وذوائب الثانية جمع ذائبة اسم فاعل من ذاب .

(٤) البيت للشمالي : البلابل الأولى جمع بلبل طائر معروف : البلابل الثانية
جمع بلبال وهو الحزن . والثالثة جمع بليلة وهي قناة الابريق التي يصب منها الخمر

والثامن كقول الحريري

أملتهم أمم تأملتهم فلاح لي أن ليس فيهم فلاح
والناسع كقول البهتري

ضرائب أبدعتها في السباح فلسنا نرى لك فيها ضربيا
والعاشر كقول امرئ القيس :
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان (١)
وقول أبي العلاء المعري :
لو اختصرتهم من الإحسان زركم والعذب يجر للأفراط في الخصر
والحادى عشر كقول الآخر
فدع الوعيد فما وعيدك ضايرى أطين أجنحة الذباب يضير (٢)
والثاني عشر كقول أبي تمام
وقد كانت البيض القواضب في الوغى واطر وهي الآن من بعده بتر (٣)

(١) البيت في الصناعتين ٢٧٧

(٢) هو لعبد الله بن محمد أبي عيينة من قصيدة له في علي بن محمد العلوي وكان دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعده على فقال عبد الله فيه أبياتا (راجع ٢٠٨ ج ١ السكامل للمبرد) ، وهو في الدلائل ص ٩٥

(٣) القواضب : القواطع . الوغى : الحرب : البواتر : القواطع : بتر : جمع أبتز وهو المقطوع أو مقطوع الذنب :

ملاحظة رد المعجز اصطلاح جديد لابن المعتز لم يسبق إليه ، وقد ذكر ابن المعتز أقسامه وشواهد كثيرة له ، ثم ذكر مثالا قليلا لما عيب منه (ص ٩٣ - ١٠٠ البديع) وقد سار على نهجة أبو هلال (٣٧٧ - ٣٨٠ الصناعتين)

وابن رشيق يسميه التصدير [ص ٣ ج ٢ العمدة] ونقل فيه كثيرا من مثل ابن المعتز وشواهد : ويذكر ابن رشيق من مثله نقلا عن ابن المعتز :

[السجع] ^(١)

وهو تواطؤ ^(٢) الفاصلتين ^(٣) من النثر ^(٤) على حرف واحد ^(٥) ، وهذا معنى قول السكاكي : الاسجاع النثر كالقوافي في الشعر ^(٦) وهو ثلاثة أضرب : مطرف ومتواز وترصيع :

ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الأشياء كالمال المضاع
[٥ ج ٢ العمدة] :

وهذا البيت غير موجود في نسخة للبديع الموجودة بين أيدينا مما يدل على نقصها : وابن الأثير يجعل رد العجز على الصدر ضرباً من التجنيس [٥ ج ٢ العمدة]
(١) ١٨٢ المفتاح ، ٥ - ١٢ الأسرار ، ٤٠١ - ٤٠٣ الدلائل ، ٤٩ دلائل أيضا .

(٢) أى توافق

(٣) أى الكلمتين اللتين هما آخر الفقرتين

(٤) أى حال كونها من النثر

(٥) أى فى كونها على حرف واحد كائن فى آخرهما

ملاحظة

القرينة قطعة من الكلام جعلت مزاجنة لآخرى ، والفقرة مثلها إن شرط مزاجنتها للآخرى وإلا كانت أعم سواء كانت مع جميع أم لا ، والفاصلة الكلمة الأخيرة من القرينة التى هى الفقرة ، والسجع قد يطلق على نفس الفاصلة الموافقة الأخرى فى الحرف الأخير منها وقد يطلق على توافق الفاصلتين فى الحرف الأخير
(٦) أى من حيث وجوب التواطؤ فى كل حرف فى الآخر

يعنى هذا مقصود كلام السكاكى ومحصوله وإلا فالسجع على التفسير المذكور =

[١-] لأن الفاصلتين إن اختلفتا في الوزن فهو السجع المطرف ، كقوله تعالى : **مالكم لا ترجون لله وقارا ؛ وقد خلقكم أطوارا .**

[٢-] وإلا (١) :

[١-] فإن كان ما في إحدى القرينتين من الالفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية فهو الترصيع كقول الحريري : **فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الاسجاع بزواجر وعظه**

وكقول أبي الفضل الحمذاني ، **إن بعد البكر صفوا ، وبعد المطر صحوا ،**
وقول أبي الفتح البستي : **ليكن إقدامك توكلا ، وإحجامك تأملا ،**
[ب -] وإلا (٢) فهو السجع المتوازي (٣) :

== بمعنى المصدر اعني توافق الفاصلتين في الحرف الاخير ، وعلى كلام السكاكي هو نفس اللفظ المتواطي . الآخر في أواخر الفقره ولذا ذكره السكاكي بلفظ الجمع والسجع لا يجمع إلا إذا كان بمعنى اللفظ ، كما أن التقافية لفظ في آخر البيت : إما الكلمة نفسها أو الحرف الاخير منها أو غير ذلك على خلاف في ذلك ، وليست عبارة عن توافق الكلمتين من أواخر الايات على حرف واحد .

(١) أي وإن لم يختلفا في الوزن .
(٢) أي وإن لم يكن جميع ما في القرينة ولا أكثرها فيها مثل ما يقابله من الأخرى :

بأن كان جميع ما في إحدى القرينتين من المتقابلات أو أكثر ما فيها أو نصفه مخالفا لما يقابله من القرينة الأخرى في الوزن والتقفية معا أو في أحدهما ، وهذا الاختلاف بالظر لما عدا الفاصلة لأن التوافق في الحرف الاخير منها معتبر في مطلق السجع

(٣) المتوازي أي توافق الفاصلتين وزنا وتقفية دون رعاية غيرها

كقوله تعالى : فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ^(١) ، . وفي دعاء النبي
(ص) : اللهم إني أدرك بك في نحوهم ، وأعوذ بك من شرورهم .
وشرط حسن السجع : اختلاف قرينته في المعنى كما مر ، لا كقول ابن
عباد في مهزومين : طاروا وأقبن بظهورهم صدورهم وبأعلاهم نحوهم ،
قيل : وأحسن السجع :

[١ -] ما تساوت قرانته ^(٢) كقوله تعالى : في سدر مخضود وطلح منضود
وظل مسدود ،

[٢ -] ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله : والنجم إذا هوى ماضل
صاحبكم وما غوى ،

[٣ -] أو الثالثة كقوله تعالى «خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه» ، وفي قول أبي
الفضل الميبكي : (له الأمر المطاع والشرف اليقاع والعرض المصون والمسال
المضاع) . . . وقد اجتمعا ^(٣) في قوله تعالى (والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

(١) فقد اختلف مرر وأكواب وزنا وتقفية ، وقد يختلف الوزن فقط مثل
 والمرسلات عرفا فالعاصفات عسفا ، وقد تختلف التقفية فقط مثل : حصل
الناطق والصامت ، وهلك الحاصد والشامت

(٢) أي في عدد الكلمات وإن كانت إحدى الكلمات أكثر بروزا من كلمة

القرينة الأخرى

(٣) أي ما طالت قرينته الثانية وقرينته الثالثة

ملاحظة :

يقول الأمير ابن سنان الحفاحي في كتابه (سر الفصاحة) :

ومن الكتب المحدثين من كان يستعمل السجع كثيرا ، ولا يسكاد يخل به ،

وهو : أبو اسحق إبراهيم بن هلال الصائغ ، وأبو الفرج المعروف =

ولا يحسن أن تولى قرينة قرينة أقصر منها كثيرا ، لأن السجع إذا استوفى
أمدّه من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا يكون كالشيء المبتور ،
ويبقى السامع كأن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ، والدوق يشهد بذلك ، ويقضى
بصحته .

ثم السجع إما :

- [١ -] قصير كقوله تعالى : « والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا »
- [٢ -] أو طويل كقوله تعالى (إذ ير يكهم الله في منامك قليلا ولو أراهم
كثيرا لفشاكم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله مسلم إنه عليم بذات الصدور ، وإذا
يريكهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقلكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان
مفعولا وإلى الله ترجع الأمور .
- [٣ -] أو متوسط : كقوله تعالى (اقتربت الساعة وانشقق القمر ، وإن يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) .

== بالبيغاء ، ومنهم من كان يتركه ويتجنبه ، وهو : أبو الفضل محمد أبو الحسين بن العميد ؛
وطريقة غير هؤلاء : استعماله مرة ورفضه أخرى .

فأما عبد الحميد بن يحيى ، وعبد الله بن المقفع ، وأبو الربيع محمد بن الليث ،
جعفر بن يحيى بن خالد ، وإبراهيم بن العباس ، وسعيد بن حميد ، وأبو عثمان
الجاحظ ، وأبو علي البصير ، وأحمد بن يوسف ، وإسماعيل بن صبيح ، ومحمد
ابن غالب ، ومحمد بن عبد الله الأصفهاني ، وابن ثوبة ، وأبو الحسن أحمد بن سعد
وأبو مسلم محمد بن بحر ، وأشباههم ، فإن السجع فيما وقفت عليه من كلامهم قليل ،
لكنهم لا يسكادون يخلون بالمناسبة بين الالفاظ في الفصول والمقاطع إلا في
اليسير من المواضع . (ص ١٧٧ من الفصاحة طبع الخايجي)

. . .

ومن لطيف السجع قول البديع الهمذاني من كتاب له إلى ابن فرغون :
وكتاني والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد
تصورته خلقه ، والملك العادل وإن لم أكن لقيته ، فقد لقيتني صديقه ، ومن رأى
من السيف أثره ، فقد رأى أكثره .

. . .

واعلم أن فواصل الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز ، موقوفة
عليها ، لأن الغرض أن يزواج بينهما ، ولا يتم ذلك في كل ضرورة إلا بالوقف ،
ألا ترى أنك لو وصلت قولهم : ما أبعد ما فات وما أقرب ما هوأت ، ، لم يكن
بد من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الاعراب ، فيفوت الغرض من
السجع . . وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج ، في قولهم : « إني
لآنبه بالغدايا والعشايا ، أي بالغدوات ، فما ظنك بهم في ذلك .

.

وقيل إنه لا يقال في القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل .

.

وقيل السجع غير مختص بالنثر . ومثاله من الشعر قول أبي تمام :
تجلى به رشدى ، وأثرت به يدى وفاض به تمدى ، وأورى به زدى^(١)
وكذا قول الخنساء :
حامي الحقيقة ، محمود الخليفة ممدى الطريقة ، نفاع وضار^(٢)
وكذا قول الآخر :

(١) أثرت : صارت ذات ثروة : التمدد بكسر التاء : الماء القليل . أورى : صار
ذاورى أى نار .

(٢) راجع البيت في ٣٧٠ صناعتين :

ومكرم أوليتها متورعا وجرائم أليتها متبرعا
وهو ظاهر التكاف،

وهذا القائل لا يشترط التقفية في العروض والضرب كقول له (١)
وزند ندى فواضله وري ورندي فضائله نصير

...

[التشطير]:

ومن السجع على هذا القول (٢) ما يسمى التشطير (٣) وهو أن يجعل كل من شطري
البيت سجعة مخالفة لاختها كقول أبي تمام:

تدبير معتصم، بالله منتقم لله مرتغب في الله مرتقب

[النصريع]:

ومنه ما يسمى النصريع، وهو جعل العروض مقفأة تقفية الضرب، كقول
أبي فراس:

باطراف المنقفة العوالي تفردنا بأوساط المعالي (٤)

وهو مما استحسنت حتى إن أكثر الشعر صرع البيت الأول منه، ولذلك متى
خالفت العروض الضرب في الوزن جاز أن تجعل موازنة له إذا كان البيت مصرعا
كقول امرئ القيس:

ملاحظة مثل هذا النوع يسميه العسكري ترصيعا (٣٠٦٦ - ٣٧٢ صناعتين)

(١) البيت للطبرزي [٧٥ حسن التوسل] الندى: الجود: وإثبات الزند له
بجاز: الفواضل: العطايا: وري: ذو نارفن يقدحه ينل ما يتمناه منه. الرند: نبات
طيب الرائحة. الرى جمع ريرة وهي ما ارتفع من الأرض:
الشاهد في أن العروض والضرب في البيت لا تقفية فيها

(٢) أى على القول بعدم اختصاصه بالنثر:

(٣) راجع ٣٩٩ صناعتين

(٤) المنقفة: المفومة. العوالي الرماح. أوساط المعالي: أجملها وأعظمها.

الاعم صباحا أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي^(١)
أنى بعروض الطوبل مفاعيلن ، وذلك لا يصح إذالم يكن البيت مصرعا ولهذا
خطئه أبو الطيب في قوله

تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف

- ٤ -

[المرازنة^(٢)]

ومنه الموازنة :

وهي أن تكون العاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية^(٣) ، كقوله تعالى
(ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة) ، فإن كان ما في إحدى القرينتين من الالفاظ

(١) عم هو فمل أمر ، وعم صباحا تحية الصباح عند العرب : الطلل
ما شخص من آثار الديار . العصر بضم العين والصاد لأجل الوزن وأصله العصر
بالسكون وهو الدهر الخالي الماضي

(٢) هي من التشطير عند العسكري (٢٩٩ صناعتين)

(٣) فبين الموازنة والسجع مباينة ، ولكن الأثر يشترط في السجع
التساوى في الوزن والتقفية ويشترط في الموازنة التساوى في الوزن دون التقفية ،
فمنه الموازنة هي الكلام الذى يقع فيه التوافق في الوزن سواء كان مع ذلك
متفقا في التقفية أم لا ، فالسجع عنده أخص من الموازنة لأنه شرط فيه ما شرط
في الموازنة وزيادة فالسجع والموازنة عنده لا يتباينان

فنحو شديد ، وقريب عنه ليس بسجع لعدم التقفية ، ويكرن من الموازنة
لوجود الوزن . ونحو (وقارا وأطوارا) عنده ليس من السجع لعدم الوزن
ولا من الموازنة لذلك أيضا فيكون خارجا من النوعين ؛ وهو بعيد

أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المائلة^(١) كقوله
 تعالى (وآتيناها الكتاب المستبين ؛ وهديناها الصراط المستقيم) ، وقول أبي تمام
 مها الوحش الا هاتا أوانس
 وقول البحتري^(٢)

فاحجم لما لم يجد فيك مطعماً
 وأقدم لما لم يجد عنك مهرباً

— ٥ —

[القلب]

ومنه القلب^(٣) ؛

كقولك أرض خضراء ، وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل : « سر فلا
 كبا بك الفرس ، وجواب القاضي : دام على العباد ، وقول القاضي الارجاني :
 مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم
 وفي التنزيل : كل في فلك ، وفيه : وربك فكبر

— ٦ —

[التشريع]

ومنه التشريع ؛

وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما^(٤)
 كقول الحريري :

(١) وتكون في النثر وفي الشعر

(٢) من تصديده في وصف الأسد

(٣) وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكسته وبدأت بحرفه الأخير إلى الأول

كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام ويجرى في النثر والنظم =

ياخاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الاكدار (١)

- ٧ -

[لزوم ما لا يلزم (٢)]

ومنه لزوم ما لا يلزم.

(٤) = فإن قيل كان عليه أن يقول يصح الوزن والمعنى عند الوقوف على كل منهما ، لأن التشريع هو أن يبنى الشاعر أبيات القصيدة ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد ، فعلى أى القافيتين وقفت كان شعرا مستقيما . قلنا القافية إنما هي آخر البيت فالبناء على قافيتين لا يتصور إلا إذا كان البيت بحيث يصح الوزن ويحصل الشعر عند الوقوف على كل منهما وإلا لم تكن الأولى قافية .

(١) خاطب من خطب المرأة . الدنية الحسيسة . شرك الردى أى حباله الهلاك . قرارة الاكدار أى مقر الهموم .
فإن وقفت على الردى قافية من الضرب الثامن من الكامل ، وإن وقفت على الاكدار فهو من الضرب الثانى منه .

والقافية عند الحليل من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل ذلك الساكن . فالقافية الأولى من هذا البيت هى لامظ الردى مع حركة الكاف من شرك ، والقافية الثانية هى من حركة الدال من الاكدار إلى الآخر ، وقد يكون البناء على أكثر من قافيتين وهو قليل متكلف . ومن لطيف ذى القافيتين نوع يوجد فى الشعر العارسى وهو أن تكون الالفاظ الباقية بعد القوافى الأولى بحيث إذا جمعت كانت شعرا مستقيما المعنى

(٢) يسميه ابن المعتز ، لعنات الشاعر نفسه فى القوافى ، [١٢٢ ١٢٣٣ البديع] وهو من أفراد ابن المعتز واصطلاحه [٨٦ حسن التوسل] .

وإذا كان ابن المعتز يسميه اعتنا فمكيف كما يقول أبو هلال بعده من البديع ؟

وهو أن يحىء قبل حرف الروى^(١) وما فى معناه^(٢) من الفاصلة ما ليس
بلازم فى مذهب السجع ، كقوله تعالى : « فاذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم فى
الغنى ثم لا يقصرون » ، وقوله « فاما اليه — يم فلا تقهر وأما السائل فلا تقهر » ،
وقول الشاعر :

سأشكر عمرا ان تراخت مني
فنى غير محجوب الغنى عن صديقه
أبى خلى من حيث يخفى مكائها
ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت
فكأنت قذى عينيه حتى تجأت^(٣)
وقول الآخر^(٤)

(١) وهو الحرف الأخير من القافية الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه
(٢) أى أو قبل الحرف الذى هو فى معنى حرف الروى من الفاصلة ، يعنى
الحرف الذى وقع فى فواصل الفقر موقع حرف الروى فى قوافى الأبيات ، وفاعل
« يحىء » ، هو قولهم « ما ليس بلازم » .
يعنى هو أن يؤتى قبله بشئ لوجعل القوافى أو الفواصل أسجعا لم يحتج إلى
الأتیان بذلك الشئ . ويتم السجع بدونه ، هذا والمراد أن يكون ذلك فى بيتين
أو أكثر والافنى كل بيت أو فاصلة يحىء قبل حرف الروى أو ما فى معناه ما ليس
بلازم فى السجع .

وقوله : « حرف الروى أو ما فى معناه » إشارة إلى أنه يجرى فى النثر والنظم
(٣) تقدمت الأبيات مشروحة فى حذف المسند إليه

(٤) هما فى البديع لابن المعتز ص ٧٥ شرح محمد عبد المنعم خفاجى .
وقد غنى بهذه الأبيات ديبس المغنى فى مجلس ابن عيسى ابن المنوكل [١١٠]
ج ٤ العقد الفريد

يقولون في البستان لامين لذة وفي الخمر والماء الذي غير آسن
إذ شئت أن تلقى المحاسن كلها ففي وجهه من تهوى جميع المحاسن
وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين أيضا ^(١) كقول الحريري ، وما اشتهار
العسل من اختار الكسل ^(٢)

[المحسنات اللفظية وشروط حسنيتها] ^(٣)

وأصل الحسن في جميع ذلك - أعنى القسم اللفظي - كما قال الشيخ عبد القاهر :
هو أن تكون الالفاظ تابعة للدعاني ، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيبتها ، وتركت
وما تريد ، طلبت لأنفسها الالفاظ ، ولم تنكس إلا ما يليق بها ، فإن كان خلاف
ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب ()
وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى
ماله اسم في البديع على أن يذنى أنه يشكلم ليفهم ويقول ليين ، ويخجل إليه أنه إذا
جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناء في عمية ، وأن يوقع
السامع طلبه في خبط عشواء ^(٥) .

[انتهت المحسنات اللفظية]

- (١) بأن يكون في الكلمات التي قبل الفاصلتين في السجع .
- (٢) الشاهد لزوم ما لا يلزم في : اختار واشتار ، إذ التزم التاء والالف فيهما .
- (٣) راجع ٣ - ١٠ من الأسرار ، وص ١٨٢ مفتاح .
- (٤) راجعه في ٢٦١ رسالة ، ص ٦ من الأسرار . والضمير في شياتها للفرس
وهي جمع شية أي علامة .
- (٥) فيجب أن تكون الالفاظ تابعة للدعاني ، لا المعاني توابع للالفاظ بأن
يؤتى بالالفاظ متكلمة مصنوعة فيتبعها المعنى كيف ما كانت ، كما فعله بعض المتأخرين

[خلاصة أخيرة]

هذا ما يتيسر باذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث ؛ وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين .

[١] منها ما يعمين إهماله لعدم دخوله في فن البلاغة ؛ نحو ما يرجع في التحسين إلى الخط دون اللفظ ، مع أنه لا يخلو من التكلف ، ككون الكلمتين متماثلتين في الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ؛ ونحو مالا أثر له في التحسين كما يسمى التردد (١) ، أو لعدم جدواه ؛ نحو ما يوجد في كتب بعض المناخرين ، بما هو داخل فيما ذكرناه كما سماء الايضاح فانه في الحقيقة راجع إلى الاطناب ، أو خلط فيه كما سماء : حسن البيان

[٢] ومنها ما لا بأس ذكره لاشتغاله على فائدة ، وهو شيثان . أحدهما القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها ، والثاني القول في الابتداء والتخلص والانتها . فمقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب

== الذين لهم شغف بايراد المحسنات اللفظية ، فيجعلون الكلام كأنه غير مسوق لافادة المعنى ، ولا يسألون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى ، فيصير كغمد من ذهب على سيف من خشب ، فالوجه أن ترك المعاني على سجيتهما ، فتطلب لانفسها ألقاظا تلحق بها ، وعند هذا تظهر البلاغة والبراعة ويتميز الكامل من القاصر . وحين ولي الحريري مع كال فضله ديوان الانشاء عجز ، فقال ابن الخشاب : هو رجل مقاماتي ، وذلك لأن كتابته حكاية تجرى على حسب إرادته ، ومعانيه تتبع ما اختاره من الألفاظ المصنوعة ، وما أحسن ما قيل في الترجيع بين الصاحب والصابي : إن الصاحب : كان يكتب كما يريد ، والصابي كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالتين بون بعيد . ولهذا قال قاضى قم حين كتب إليه الصاحب : وأبها القاضى بقم ، قد عز لك قم ، قال : والله ما عزلتني إلا هذه السجعة .

(١) وهو أن تعلق الكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر مثل

هو بنتى وهو بنت الغانيات إلى أن شئت فانصرفت عن آمالى

الفصل الاول

[السرقات الشعرية ^(١)]

[وما يتصل بها ^(٢)]

اعلم أن اتفاق الفاتلين إن كان في الغرض ^(٣) على العموم ^(٤) : كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء ، فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا نحوهما ؛ فإن هذه أمور متقررة في النفوس ، متصورة للعقول ، يشترك فيها الفصيح والاعمى ، والشاعر والمفحم .

وإن كان ^(٥) في وجه الدلالة على الغرض ^(٦) ، وينقسم إلى أقسام كثيرة : منها

(١) راجع ٢٩٣ - ٣٠٢ الاسرار ، ٣٦٠ - ٣٩١ الدلائل ، والوساطة والمثل السائر ، والوساطة تتكلم في إجابة عن السرقات الشعرية

(٢) أى من الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلبيح

(٣) أى في الغرض المقصود

(٤) أى حال كون ذلك الغرض على العموم أى يقصده عامة الناس أى كل أحد منهم ، فالمراد أمران : كون الاتفاق في نفس الغرض لا في الدلالة عليه ، وكون الغرض عاماً فإن كان الغرض خاصاً لحكمه حكم ماسياً فهو ان تحكم فيه بالتفضيل لأن المعنى الدقيق ما يتفاوت الناس في إدراكه فيمكن أن يدعى فيه سبق والتقدم والزيادة وعدم ذلك .

(٥) أى وإن كان الاتفاق بين الفاتلين .

(٦) أى في طريق الدلالة عليه ، والمراد بطريق الدلالة اللفظ الدال على لوصف العام من حقيقة أو مجاز أو كناية أو تشبيه

التشبيه بما توجد الصفة فيه على الوجه البليغ كما سبق^(١) ، ومنها ذكر هيئات^(٢) تدل على الصفة^(٣) لاختصاصها بمن له الصفة كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر كقوله :

كَانَ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجْهَ لِقَاءَ^(٤)
وكذ وصف الجواد بالتهال عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم ، ووصف
البخيل بالعبوس وقلة البشر مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر :

[١ -] فَن كَانَ مِمَّا يَشْكُرُكَ النَّاسُ فِي مَعْرِفَتِهِ^(٥) لاستقراره في العقول
والعادات : كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدن ، والجواد بالغيث والبحر ،
والبليد البطيء بالحجر والهمسار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، فالاتفاق فيه
كالاتفاق في عموم الغرض^(٦) .

(١) كما لو قال أحد القائلين : زيد بدر ، أو قال في الاستمارة : انتصر الأسد على
اللاءاء في الميدان ، أو قال في الكتابة : هو كثير الرماد . وقال القائل الآخر
في ممدوحه : مثل ذلك

(٢) أى أوصاف

(٣) التى هى الغرض

(٤) البيت لمحرز بن المسكبر الضبي . قسماهم : وجوههم . شف الوجوه : غير
محاسنها والمراد وجوه غيرهم . وراجع البيت في [١٨٥ ج ٢ الخامسة ، ٤٠٥
معجم الشعراء]

ويقول المبرد : القيمات بحسارى الدموع ، وقال الأصمى : اعلى الوجه
[٤٠ ج ١ الكامل]

(٥) راجع ٢٩٤ الاسرار . وقوله (في معرفته) أى في معرفة وجه الدلالة

(٦) فى أنه أنه لا بعد فيها سرقة

[ب -] وإن كان مما لا ينال الالبسك^(١) ولا يصل اليه كل أحد فهذا الذي يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق وأن يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثاني زاد على الأول أو نقص عنه وهو ^(٢) ضربان :

أحدهما : ما كان في أصله خاصيا غريبا ^(٣)
والثاني : ما كان في أصله عاما مبتدلا لـ ~~المتن~~ لكن تصرف فيه بما أخرجه من كونه ظاهرا سادجا إلى خلاف ذلك ^(٤)
وقد سبق ذكر أمثلتهما ^(٥) في التشبيه والاستعارة .

...

إذا عرفت هذا فنقول :
الآخذ والسرقة نوعان : ظاهر وغير ظاهر

(١) راجع ٢٩٤ الاستمرار . وذلك بأن يكون مجازا مختصرا أو كناية أو تشبيها على وجه لطيف .

(٢) أى ما لا ينال الالبسك .

(٣) كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشئل مثلا

(٤) كالبيت (لم تلق هذا الوجه شمس نهارتنا . إلا بوجه ليس فيه حياء) فإن تشبيه الوجه البهى بالشمس مبتدل لكن أضاف لذلك كون عدم الحياء من الشمس هو الذى أوجب لها ادعاء المقابلة لهذا الوجه فخرج بهذا عن الابتدال

(٥) أى أمثلة الخاصى والعامى المبتدل الذى تصرف فيه بما أخرجه عن الابتدال

[١-] اما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى^(١) كله : اما مع اللفظ ، أو بعضه ،
ولما وحده^(٢)

[٢-] فان كان المأخوذ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود^(٣) ، لأنه سرقة
محضة ويسمى نسخا وانتحالا

كما حكى أن عبد الله بن الزبير^(٤) (الاسدى) دخل على معاوية فأنشده :
إذا أنت لم تصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل^(٥)
فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبد الله المجلس حتى
دخل معن بن أوس المزنى فأنشد كلمته الى أولها .
لعمرك ما أدري وأنى لأوجل على أينا تعدو المنية أول^(٦)
حتى أتى عليها ، وفيها ما أنشده عبد الله ، فاقبل معاوية على عبد الله ، وقال
لم تخبرنى أنهما لك فقال : المعنى لى واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاة ، وأنا
أحق بشعره^(٧)

(١) أى مع ظهور أن أحدهما مأخوذ من الآخر
(٢) وهذا الثانى (أخذ المعنى وحده) يلزمه تغيير النظم بأن يبدل جميع
الكلام بتركيب آخر ولا يدخل فى هذا تبديل الكلمات المرادفة بما يرادفها مع بقاء
النظم لأن هذا من حكم أخذ اللفظ كله . والضرب الاول قسمان لأن المأخوذ مع المعنى
إما كل اللفظ وإما بعضه ، وفى كل منهما إما أن يحصل تغيير فى النظم أولا ، وقد
أشار الخطيب إلى كل ذلك

- (٣) راجع ٢١٨ و ١٩٠ صناعتين
(٤) راجع ٢٤٥ ج ٣ زهر الادب ، والايات فى الحاسة ص ٢ ج ٢
(٥) تضيمه . تظلمه . شفرة السيف : حده : مزحل . مبعد .
(٦) البيت فى ص ٢٩٩ معجم الشعراء .
(٧) راجع الرواية فى ١٥٥ وساطة ، ٢٩٥ ج ١ الكامل للبهرى .

وقد روى لاوس ولزهير في قصيدتهما هذا البيت :
 اذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حليماً أو أصابك جاهل
 وقد روى للابريدي اليربوعي :
 فتي يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء أعوذها القطر^(١)
 ولأبي نواس^(٢) .
 فتي يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور
 وقد روى ليهض المتقدمين يمدح معبداً .
 أجاد طويس والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد^(٣)
 ولأبي تمام

محاسن أصناف المغنين جملة وما قصبات السبق إلا لمعبد
 وحكى صاحب الاغانى فى أصوات معبد :
 لطف على فتية ذل الزمان لهم فما يصيهم إلا بما شاموا
 وفى شعر أبى نواس^(٤) :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يصيهم إلا بما شاموا
 وفى هذا المعنى : ما كان التغيير فيه ببدال كلمة أو أكثر بما يرادفها^(٥) كقول
 امرئ القيس :
 وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسمى وتجمل

-
- (١) الفصيدة فى الحماسة ٤٥٤ ج ١ ، وفى البيان ٣٦٠ ج ٣
 (٢) راجعه فى ٦٤ ج ٤ زهر الاداب ، ٣١٠ الاداب العباسى لمحمود مصطفى
 (٣) طويس ، والسريجي : مغنيان مشهوران ، ومعبد إمام الغناء فى عصر الامويين
 (٤) فى الراح
 (٥) وكذلك بما يضادها وذلك لقرب تناول الضد

وقول طرفة :

وقوفا بها صجي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجلد
وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :
وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم
وقول الفردق :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف^(١)
وكقول حاتم^(٢) .

ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها
وقول الأعور [الشنى] .

ومن يقترب خلقا سوى خلق نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها
[ب -] وإن كان^(٣) مع تغيير لنظمه^(٤) ، أو كان المأخوذ بعضه اللفظ سمى
إغارة ومسحا :

[١ -] فإن كان الثانى أبلغ^(٥) من الأول^(٦) لاختصاصه بفضيلة . كحسن
السبك^(٧) ، أو الاختصار ، أو الايضاح ، أو زيادة معنى . فهو بمدوح مقبول
كقول بشار^(٨)

(١) البيت والذى قبله فى الوساطة ص ١٥٩

(٢) راجع (٢٣١١ ج ٢ شرح الحماسة للرافعى) . ونسبة المرزبانى إلى مالك السلى

[٢٦٢ معجم الشعراء] . . الخيم الطبيعة والسجية

(٣) أى أخذ اللفظ

(٤) أى لنظم اللفظ

(٥) المراد بالبلاغة هنا ما يحصل به الحسن مطلقا لا خصوصا البلاغة المعلومة

(٦) أى من الكلام الأول المأخوذ منه

(٧) المراد به الخلو عن التعقيد اللفظى والمعنوى

(٨) راقب : حاذر وخاف . الفاتك : الشجاع القتال . اللهج الملازم لمطلوبه الحريص

عليه من غير مبالاة

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهم
وقول سلم الخاسر

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور^(١)
فبيت سلم أجود سبكا وأخصر
وكقول الآخر^(٢):

خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا
وقول ابن نباتة [السعدى] بعده^(٣):
خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيونها وقع السيوف حواجب^(٤)
فبيت ابن نباتة أبلغ: لاختصاصه بزيادة معنى وهو الإشارة إلى انهم
ومن الناس من جعلهما متساويين

[٢ -] وإن كان الثانى دون الاول فى البغية فهو مذموم مردود
كقول أبى تمام:

هيات لا يأتى الزمان بمثله ان الزمان بمثابة لبخيل
وقول أبى الطيب:

أعدى الزمان سخاؤه فسخابه ولقد يكون به الزمان بخيلا^(٥)

(١) البيت وما قبله فى الصناعتين ص ٢٠٧

(٢) هو ابراهيم الغزى [١٠٤ ربحانة الالباب]

(٣) الصواب ان الغزى بعد ابن نباتة كما فى الربحانة وفى الربحانة (ص ١٠٤)
موازنة طويلة بين البيتين

(٤) وعيوننا، مفعول خلقنا. لها جار ومجرور حال من حواجب، ووقع
السيوف مبتدأ وحواجب خبره

(٥) أعدى: من الإعدام وهو تجاوز الشئ من صاحبه الى غيره
سخاؤه. جوده. يعنى تعلم الزمان منه السخاء لمجاد بالممدوح على الدنيا وأوجده
لمنفعة الناس ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الناس.

فان مصراع أبي تمام أحسن سبكاً من مصراع أبي الطيب ، أراد أن يقول^(١)
كان الزمان به بخيلاً فعدل عن الماضي إلى المضارع للوزن .

فان قلت: المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه ، قلت: السخاء بالشئ هو بذله للغير ،
فاذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله ، فلم يبق في تصريحه حتى يسمح بهلاكه
أو يبخل به .

[٢ -] وإن كان مثله فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثاني أبعد من المذمة
والفضل لصاحب الأول : كقول بشار .

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً
وقول ابن الشحنة الموصلي

ولمى امرؤ أحببكم لمكارم سمعت بها والأذن كالعين تعشق
وكذا قول القاضى الأرجاني

لم ييكننى إلا حديث فراقكم لما أسر به إلى مودعى
هو ذلك الدر الذى أودعتم فى مسمعى ألقينه من مدمعى
وقول جاز الله [فى رثاء أستاذه] :

وقائلة ما هذه الدرر التى تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هى الدر الذى قد حشا به (أبو مضر) أذنى تساقط من عيني^(٢)

وكقول أبي تمام

لو حار مرتاد المنية لم يجد إلا الفراق على النفوس دليلاً

(١) أى أبو الطيب

(٢) هذان البيتان وما قبلهما تجدهما فى ص ٢٩١ ربحانة الألباء ، وفى

الربحانة إشارة وتحليل لبيتى الزمخشري

وقول أبي الطيب

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا^(١)
واعلم أن من هذا الضرب ما هو قبيح جدا وهو ما يدل على السرقه باتفاق
الوزن والقافية أيضا كقول أبي تمام^(٢):

مقيم الظن عندك والاماني وإن قلقت ركابي في البلاد
ولا سافرت في الآفاق إلا ومن جدواك راحتي وزادى
وقول أبي الطيب^(٣):

ولمى عنك بعد غد لغاد وقلبي عن فتانك غير غاد
محبك حيثما اتجهت ركابي وضيقت حيث كنت من البلاد
[ح -] وإن كان المأخوذ المعنى وجده سمي للمأما وسلخا، وهو ثلاثة
أقسام كذلك:

أولها^(٤): كقول البحترى:

تصد حياء أن تراك بأوجه أتى الذنب عاصيها فلم مطيعها
وقول أبي الطيب

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب
فان أبا الطيب أحسن سبكا، وكأنه اقتبس من قوله: أنهلكنا بما فعل^(٥)
السفهاء منا، وكقول الآخر^(٦)

(١) فقد أخذ المعنى كله - ومحصله أنه لا دليل للنية على النفوس الاالفراق -

مع لفظ المنية والفراق والوجدان، وبدل بالنفوس الارواح

(٢) في أحمد بن أبي داود، والبيتان في: ١٠١ صناعتين ٥٦٠ ج ٢ و ٦٦ ج ٤

زهر الآداب

(٣) راجع ٦٩ و ٧٠ الابانة عن سرقات المنبي، ١٩٦ وساطة

(٤) وهو أن يكون الثاني ابلغ من الاول

(٥) راجع ٢٢١ وساطة، ٤٢ الابانة =

ولست بنظر إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وقول أبي تمام بعده :

يصد عن الدنيا إذا عن سودد ولو برزت في زى عذراء ناهد
فبيت أبي تمام أخصر وأبلغ لأن قوله « ولو برزت في زى عذراء ناهد »
زيادة حسنة ... وكقول أبي تمام

هو الصنع إن يعجل فخير وإن يرث فليرث في بعض المواضع أنفع ^(١)
وقول أبي الطيب

ومن الخبر بطم سبيك عن أسرع السحب في المسير الجهم ^(٢)
فبيت أبي الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان
وثانيها ^(٣) كقول بعض الأعراب ^(٤) :

وربحها أطيب من طيها والطيب فيه المسك والعنبر
وقول بشار ^(٥)

وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل
وقول أشجع ^(٦)

وعلى عدوك يابن عم محمد رصدان : ضوء الصبح والاضلام
فاذا تنبه رعته ، وإذا هـدا سلمت عليه سيوفك الأحلام

(٦) هو أبو سعيد الخواري [٢٦٠ معجم الشعراء]

(١) يرث : يبطئ .

(٢) السيب : المطر . الجهم : السحاب الذي لا ماء فيه

(٣) وهو ما كان الثاقل دون الأول

(٤) راجع ٣٥٠ صاعتين

(٥) ٢٧٥ ج ١ زهر الآداب ، ٨٨ ، الأدب العباسي لمحمود مصطفى

(٦) أشجع السلي في هرون الرشيد [١٨٣ ج ٢ البيان]

رصدان : تذكير رصد ، وهو الرقيب . رعته : أفرعته . هدا : تخفف من هدا . سلمت : شهرت

وقول أبي الطيب

يرى في النوم رمحك في كلاه ويخشى أن يراه في السهاد
فقصر بذكر السهاد لأنه أراد اليقظة ليطابق بها النوم فأخطأ إذ ليس كل بقطة
سهاداً، وإنما السهاد امتاع الكرى في الليل، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى
سهاداً^(١)... وكقول البحرى:

وإذا تألق في الندى كلامه المصقول خلت لسانه من غضبه^(٢)
وكقول أبي الطيب

كان السنهم في النطق قد جعلت على رماحهم في الطعن خرساناً^(٣)
فإن أبا الطيب فاته ما أفاده البحرى بلفظي تألق والمصقول من الاستعارة
التخييلية. وكقول الخنساء:

وما بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضل
وقول أشجع:

وما ترك المداح فيك مقالة ولا قال إلا دون ما فيك قائل
فإن بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع، لما في مصرعه الثاني من التعقيد، إذ
تقديره: ولا قال قائل إلا دون ما فيك.

(١) راجع ١٩٩ الوساطة، و ٢٨ الأبانة

(٢) تألق: لمع. الندى: مجلس أشراف القوم. المصقول المجلول. الغضب:
السيف القاطع

(٣) خرسانا جمع خرص بضم الخاء وكسرهما في المفرد والجمع وهو السنان
والبيت في ٢٣٩ الوساطة

والمعنى: إن السنهم في البيان تشبه رماحهم في الطعان
وقد ذكر صاحب الأبانة، البيتين ثم قال: وقوله رماح وخرسان
بمعنى واحد وهذا من سوء العبارة [٢٠ الأبانة عن سرقات المتنبي]

ثالثها^(١) :

كقول الأعرابي^(٢) :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحمهم ذراعا
وقول أشجع^(٣) :

وليس بأوسمهم في الغنى ولكن معروفه أوسع
وكذا قول بكر بن النطاح :

كانك عند الكفر في حومة الوغى تفر من الصف الذي من ورائك
وقول أبي الطيب^(٤) :

فكانته والطن من قدامه متخوف من خلفه أن يطعنا
وكذا قول الآخر^(٥) يذكر أبنائه مات

الصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم
وقول أبي تمام^(٦) بعده

(١) وهو ما كان الثاني مثل الأول

(٢) هو أبو زياد [٨٥ ج له النيان]

ويقول الصولي [٨٣ الأوراق للصولي] : قال لي ابن المعتز من أين أخذ
أشجع قوله : وليس بأوسمهم في الغنى الخ ؟ فقلت من قول موسى شهبوات
لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولم يك أكثر الفتيان مالا ، فقال : هكذا هو

(٣) راجعه في ٢٢٣ وساطه ، ٩٧ صناعتين .

(٤) راجعه في ٢٧٢ وساطة

(٥) هو العتيبي [٥١ الموازنة] . وراجع البيت في ص ١٢١ ج ١ الكامل

(٦) في أدريس بن بدر [٢١٢ ج ١ الكامل] ، وراجع في ٣٠٦ صناعتين

وقد كان يدعى لا بس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع

[٢ -] وأما غير الظاهر (١) :

(١ -) فنه أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثاني :

كقول الطرماح بن حكيم الطائي (٢) :

لقد زادني حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرئ غير طائل
وقدل أبى الطيب :

إذا أتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل (٣)
فان ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل الطرماح وشهادة ذم
الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه . وكذا قول أبى العلاء المعرى
فى مرتبة :

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها فى وجهه أثر اللطم (٤)
وقول القيسرانى :

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا ألسنت ترى فى وجهه أثر الترب

(١) أى الأخذ غير الظاهر ، وهذا مقابله لقوله سابقا وأما الظاهر
وغير الظاهر هو ما يحتاج لتأمل فى كون الثانى مأخوذا من الأول ، فمثال
التشابه على هذا ينبغى أن يجعل من الظاهر لأن إدراك كون الثانى أصله الأول
ظاهر لا يحتاج لتأمل .

ثم أقسام غير الظاهر كلها وقبولة من حيث الأخذ فان اعتراضها ود من جهة
أخرى خارجة عن معنى الأخذ فهى غير مقبولة

(٢) راجع ٨٣ ج ١ الحاشية

(٣) راجع ١٩٤ وساسة

(٤) المكفة : حمرة بخالها سواد

وأوضح من ذلك قول جرير :

فلا يمنعك من أرب الحام سواء ذو العمامة والخمار
وقول أبي الطيب :

ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب
ولا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً أو هجاء
أو افتخاراً أو غير ذلك ، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختار لينظمه
تحيل في إخفائه ، فغير لفظه ، وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته
(ب -) ومنه النقل (١) وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير (٢) محله
كقول البحتري :

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبوا
نقله أبو الطيب إلى السيف فقال :

يبس النجيع عليه وهو مجرد عن غمده فكأنما هو مغمد (٣).

(ج -) ومنه أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول كقول جرير
إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضاباً

(١) راجع ١٩١ صناعتين

(٢) بأن يكون المعنى وصفاً وينقل من موصوف لموصوف آخر كنقله
ستر الدم من القتل إلى السيف ، أو يكون المعنى مديحاً فينقله للهجاء أو الرثاء
أو بالعكس

(٣) النجيع : الدم المائل إلى سواد الغمد : قراب السيف

وبيت أبي الطيب في الوساطة ص ٢٠٩

وبيت البحتري تجده في ص ٥٢ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجي

و ١٦٧ ج ٤ زهر الآداب ، ١٣٦ الموازنة ، ٢١٧ صناعتين

وقول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد^(١)
 د - ومنه القلب^(٢) وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول سمي بذلك لقلب
 المعنى إلى نقيضه كقول أبي الشيمص
 أجد الملامة في هواك لذينة حبا لذكرك فليلنى اللوم^(٣)
 وقول أبي الطيب :
 أحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه^(٤)
 وكذا قول أبي الطيب أيضا :
 والجراحات عنده نقات سبقت قبل سيبه بسؤال^(٥)
 فانه ناقض به قول أبي تمام :
 ونعمة معتف جدواه أحلى على أذنيه من نغم السماع^(٦)

(١) راجع ٢٠٠ وساطة ، ٢٩ الابانة

(٢) راجع ١٢٦ ج ١ السكامل للمبرد

(٣) هو في ١٣٦ ج ٢ الحماسة ، ٢١٨ ج ١ الآمال ، ١٢٠ صناعتين ، ٢ ج ٤ العقد

وأخذه ابن عبدربه فقال [١٧ ج ٤ العقد] :

وأحببت فيها العذل حبا لذكرها

فلا شيء أشبهى في فؤادى من العذل

(٤) راجع في ذلك ١٦٥ الوساطة

(٥) المعنى على تشبيه أصوات السائين الذين يفتقد عليهم الممدوح بعدد

سؤالهم لإياه بالجراح التي تؤلم في جسم المجروح

(٦) ١٦٥ وساطة ، ١٣٩ موازنة

ومن هذا النوع قول ابن هاني : =

وقد تبعه البحرى فقال :

نشوان يطرب للسؤال كأنما غنام مالك طيء أو معبد^(١)

(هـ -) ومنه أن يؤخذ بعض المعاني ويضاف إليه زيادة حسنة :

كقول الأفره الأودى^(٢)

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستار

وقول أبي تمام :

وقد ظلت عقبان أعلامه ضحى يعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

فان الأفره أفاد بقوله رأى عين ، قريباً لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر . وإنما

يكون قريباً توقعاً للفريسة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم قال : ثقة أن ستاره ،

فجعلها واثقة بالمبرة . وأما أبو تمام فلم يلم بشئ من ذلك ، لكن زاد على الأفره

بقوله وفي الدماء نواهل ، ثم باقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبذلك

يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل . وهذه الزيادات حسنت قوله ، وإن كان قد

ترك بعض ما أتى به الأفره^(٣)

== قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذانجد الثغور عدايا

فانه مقلوب قول الطائي :

تمطيك منطقها فتعلم أنه لجنى عنوبته يمر بشفرها

(١) زاجع ١٣ ، و ١٢٤ و ١٣٦ ج ٤ زهر الآداب ، ٣٨٤ الدلائل

(٢) ٢١٥ الصناعتين

هذا والعقبان جمع عقاب وإضافته للأعلام من إضافة المشبه به للمشبه أى

أعلامه الشبيهة بالعقبان في تلونها ونظامتها لأن الأعلام (الرايات) فيها ألوان

مختلفة وقيل الإضافة حقيقية على معنى اللام لأن المراد بعقبان الأعلام الصور

المعمولة . ذهب أبو غيره على هيئة عقبان الطير الموضوع على رأس العلم

بمعنى الراية

وهذه الأنواع ١١ ونحوها أكثرها مقبولة

(و) ومنها ١٢ ما أخرجه جق النصرف من قبيل الاخذ والاتباع إلى حين الاختراع والابتداع وكل ما كان أشد خفاء كان أقرب إلى القبول .

هذا كله إذا علم أن الثاني أخذ من الأول ، وهذا لا يعلم إلا بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله ، أو بأن يخبره عن نفسه أنه أخذه منه ، لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر ، أى يجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الاخذ والسرقة ، كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه :

مفيد ومتلاف إذا ما أتيت تهلل واهتز اهتزاز المهند

ف قيل له : أين يذهب بك ؟ هذا للحطيمه ، فقال : الآن علمت أنى شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه . ولهذا لا ينبغي لأحد بت الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإلا فالذى ينبغي أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا ، فيغتنم به فضيلة الصدق ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير

[والله أعلم]

(١) أى المذكورة فى غير الظاهر ،

(٢) وفى العقد الفريد ، الآخر إذا أخذ من الأول المعنى فزا ففيه ما يحسنه ويقربه ويوضحه فهو أولى به من الأول

(الاقتباس والتضمن والعقد والحل والتلميح)

ومما يتصل بهذا الفن ^(١) القول في : الاقتباس ، والتضمن ، والعقد ، والحل ؛
والتلميح .

[١ -] أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ^(٢) لا على أنه ^(٣) منه كقول الحريري : فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب ، وقوله أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليه ، وقول ابن نباتة الخطيب : فيأبها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ما لكم لا تشفقون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ، وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة : هناك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب وحق عليه العقاب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . . . وقول القاضي الفاضل وقد ذكر الأفرنجي : وغضبوا زادهم الله غضباً وأوقدوا ناراً للحرب جعلهم الله لها خطاباً . وكقول الحماسي :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب مبعاد السلوة المقابر
ستبقى لها في مضمرة القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر
وقول أبي الفضل بدیع الزمان الهمداني ^(٤)

(١) أي بحث السرقات

(٢) أي كلاماً يشبه القرآن أو الحديث فليس المضمن نفس القرآن أو الحديث
لأنه يجوز في اللفظ الاقتباس تغيير بعضه ويجوز نقله عن معناه الوارد فيه ، ولو كان
المضمن قرآناً حقيقة لكان نقله عن معناه كفراً وكذلك تغييره

(٣) أي على وجه لا يشعر بأنه من القرآن أو الحديث بأن لا يقول : قال الله
أو قال الرسول

(٤) ١٧٥ الأدب العباسي لمحمود مصطفى

لآل فريغون في المكرمات بد أولا واعتذار أخيرا
إذا ما حلت بمغناهم رأيت نعيها وملكا كبيرا ...
وقول الايبوردي^(١)

وقصائد مثل الرياض أضعتها في باخل ضاعت به الاحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا المم -دوح قالوا ساحر كذاب
وقول الاخر^(٢)

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فسواء أقبلا أو أدبروا
بدت البغضاء من أفواههم والذي يخفون منها أكبر
وقوله^(٣) :

خلة الغانيات خلة سوء فاتقوا الله يا أولى الالباب
وإذا ما سألتوهن شيأ فاسألوهن من وراء حجاب
وقول الاخر^(٤)

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ماجرم فصبر جميل
وان تبدلت بنا غيرنا تحسبنا الله ونعم الوكيل
وكقول الحريري وكتبان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة، فان قوله
انتظار الفرج بالصبر عبادة لفظ الحديث، وقوله : قلنا شامت الوجه^(٥)، وقبح

(١) توفي عام ٥٥٧ هـ

(٢) هما لمحمد الشجاعى

(٣) هما لآنى منصور عبد الرحمن بن سعيد

(٤) هما لآنى القاسم بن الحسن السكاكبي وفي العقد ج ٤ ص ١١٩ البيت

قد كنت أزمعت على هجرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

يعنى به فى مجلس أبى عيسى بن المتوكل

(٥) شامت : قبحت . قبح : لعن . اللعك : اللثيم

اللكم ومن يرجوه ، فان قوله شامت الوجوه لفظ الحديث ، فانه روى لما
اشتدت الحرب يوم حنين أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من الحصاء ، فرمى
بها في وجوه المشركين ، وقال : شامت الوجوه ، أى قبحت . واللكم قبل هو
اللتيم ، وقال أبو عبيد هو العبد ، وكقول الصاحب بن عباد :

قال لى أن رقيبى سبي الخلق فداره
قلت دعنى ، وجهك الجنة حفت بالمكاره

اقتبس من لفظ الحديث : حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، -
والاقياس منه مالا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه اما صلى إلى معنى آخر كما تقدم
ومنه ما هو بخلاف ذلك كقول ابن الرومى :

لئن أخطأت فى مدحى لك ما أخطأت فى منعى
لقد أنزلت حاجاتى بواد غير ذى زرع^(١)
ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره كقول بعض المغاربة عند
وفاة بعض أصحابه^(٢)

قد كان ماخفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا
وقول عمر الخيام :

سبقت العالمين إلى المعلى بصائب فكرة وعلو همه
ولاج بحكمى نور الهدى فى ليال للضلالة مدلهمة
يريد الجاهلون ليطفشوه ويأبى الله إلا أن يتمه
وكقول القاضى منصور المروى الأزدى
فلو كانت الاخلاق تحوى ورائه ولو كانت الآراء لا تشعب

(١) وقال شاعر :

انظرونا نقبس من نوركم إنه من نور رب العالمينا

(٢) الصحيح أنه لابي تمام برثى ابنه كما فى ديوانه .

لاصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما أن كل الناس قد ضمهم أب
ولكنها الاقدار كل ميسر لما هو مخلوق له ومقرب
اقتبس من لفظ الحديث « اعملوا كل ميسر لما خلق له »

[٢ -] وأما التضمين (١) :

فهو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً
عند الغناء كقول بعض المتأخرين قيل هو ابن التليذ الطيب النصراني (٢) .
كانت بلهية الشيبية سكرة فصحوت واستبدلت سيرة بحل

(١) راجع ص ٢٠ من طراز المجالس ،

(٢) هو أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله المعروف بأمين الدولة توفى
سنة ٥٦٠ هـ (٣٤٣ ج ٣ أبو الفداء)

ملاحظة :

قوله الشعر يخرج به النثر فلا يجري فيه التضمين وإنما اختص التضمين بالشعر
لأن ضم كلام الغير في الشعر على وجه موافق المضموم اليه مما يستبدع إذ ليس سهل
التناول ولذا عد من المحسنات بخلاف ضم كلام الغير في النثر فإنه لا استداع فيه
وخرج بقوله شيئاً من شعر الغير ما إذا ضمن الشعر شيئاً من نثر الغير فلا يسمى
تضميناً بل عقداً . وقوله من شعر الغير المراد به : من شعر آخر فشمّل ما إذا ضمن
الشاعر شعره شيئاً من شعر نفسه من قصيدة أخرى مثلاً

وحسن التضمين للشعر :

هو أن يضمن الشاعر شعره شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً ،
وقد عرف هذا المعنى من قبله ابن المعتز ولكنهم لم يلقوه هذا اللقب ، وقد نقد
عبد الله بن طاهر أبا تمام في اقتباسه من القرآن في شعر له ورأى أن القرآن أجل
من أن يستعار شيء من ألفاظه للشعر [٢١٩ أخبار أبي تمام للصولي] ،
ويذكر ابن المدبر حسن الأخذ من الشعر والأمثال [٧ الرسالة الغدراء] ،
ويقول المبرد في أبي العتاهية : لا يكاد يخفى شعر مما تقدم من الأخبار =

وقعدت انتظر الفناء كراكب عرف المحل فبات دون المنزل
 البيت الثاني لمسلم بن الوليد الانصارى ، وقول عبد القاهر بن طاهر التميمي :
 إذا ضاق صدرى وخفت العدى تمثلت بيتا بحالى يليق
 فبالله أبلغ ما ارتجى وبالله أدفع مالا أطبق
 وقول ابن العميد :

وصاحب كنت مغبوطاً بصحبته دهرأ فغادرني فرداً بلا سكن
 هبت له ربيع لإقبال فطار بها نحو السرور وألجاني إلى الحزن
 كأنه كان مطوباً على إحسن ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني
 ان الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن^(١)
 البيت لأبي تمام .. وكقول الحريري :

على أنى سأنشد عند بيعي أضاعوني وأى فتى أضاعوا
 المصراع الأخير قيل هو للرجي وقيل لامية بن أبي الصلت وتمام البيت :
 ليوم كريمة وسداد ثغر^(٢)

= والآثار [٢٣٨ ج ١ الكامل] ، ويقول ابن سلام إن الزبرقان أخذ
 بيت النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتنقى حومة المستنفر العيادي
 في شعره كالمثل حين جاء موضعه لا محتلباً وقد تفعل العرب ذلك لا يريدون به
 السرقة [٢١٠ طبقات الشعراء لابن سلام] .
 ويذكر ابن المعتز شواهد لهذا الباب [١١٤ البديع] واحتذاه أبو هلال وابن
 رشيق [٣٨ صناعتين ، ٨٠ ج ٢ العمدة]

(١) البيت لأبي تمام ويروى لابراهيم بن العباس الصولى ، وقبه :
 أولى البرية طرا أن تواسيه عند السرور الذى واساك فى الحزن
 [١٧٧ الطرائف الادبية]

(٢) من أبيات فى زهر الآداب ٢٦٥ ج ٢

ولا حاجة إلى تقديره لتتام المعنى بدونه ، ومثله قول الآخر (١)
 قد قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
 أعذاره السارى العجول ترفقا مافي وقوفك ساعة من باس
 المصراع الأخير لآبي تمام ، وكقول الآخر (٢) :
 كنا معاً أمس في بؤس نكابده والعين والقلب منا في قذى وأذى
 والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسى أن الكرام إذا
 أشار إلى بيت أبي تمام ، ولا بد من تقدير الباقي من لأنه المعنى لا يتم بدونه . وقد
 علم بهذا أن تضمن مادون البيت ضربان ، وأحسن وجوه التضمن أن يزيد
 المضمن في الفرع عليه في الاصل بنسبة : كالتورية والتشبيه في قول
 صاحب التحبير (٣) :

إذا الوهم أبدى لي لماها وثرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
 ويذكرني من قدها ومدامعي بحر عواليها وبحرى السواقي
 المصراعان الأخيران لآبي الطيب (٤) ولا يضر التغير اليسير ليدخل في معنى
 الكلام كقول بعض المتأخرين (٥) في يهودى به داء الثعلب (٦) :
 أقول لمعشر غلطوا وعضوا عن الشيخ الرشيد وأنكبروه

(١) هو ابن خلكان [٢٥٦] الأدب الاندلسي لمحمود مصطفى]
 (٢) ينسب لـ تاجر ملك الأمير بدر بيلك الخازندار وهو في رقه ، ثم قلبت
 الاحوال بهما فافتقر التاجر وارتفع المملوك ، فقال التاجر هذين البيتين :
 (٣) هو ابن أبي : الاصبغ الشاعر المصري المشهور ٦٥٤ هـ صاحب تحرير
 التحبير في البديع

(٤) العذيب وبارق موضعان فأراد الشاعر الثاني بالعذيب تصغير العذوب
 يعنى شفة المحبوبة وبارق ثغرها الشبيه بالبرق وبما يذهما ريقها ، وهذا تورية
 (٥) هما لضياء الدين موسى بن مالم في الرشيد عمر الغزي
 (٦) مرض يسقط شعر الرأس

هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه
 البيت لسجيم بن وثيل، وأصله
 أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
 وربما سمي تضمين البيت فما زاد استعانة، وتضمنين المصراع فما دونه تارة
 إيداعا وتارة رفوا .

[٣ -] وأما العقد : فهو أن ينظم نثر لا على طريق الاقتباس ١١ ، أما
 عقد القرآن فكقول الشاعر :

أتلى بالذي استقرضت خطا وأشهد معشرا قد شاهدوه
 فان الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه
 يقول إذا ندائتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه
 وأما عقد الحديث فكما روى الشافعي رضي الله عنه
 عمدة الخير عندنا كلمات أربع قالهن خير البرية
 اتق الشبهات، وازهد، ودع ما ليس يعنيك ، وأعملن بنية
 عقد قوله عليه السلام : الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ،
 وقوله عليه السلام : ازهد في الدنيا بحبك الله ، وقوله عليه السلام : من حسن
 إسلام المرء تركه ما رزق بعينه ، وقوله عليه السلام ، : إنما الأعمال بالنيات ،
 وأما عقد غيرهما ١٢ فكقول أبي العتاهية :

ما بال من أوله نقطة وجيفة آخره يفخر ١٣

(١) يعني إن كان البش قرآنا أو حديثا فنظمه إنا يكون عقد إذا غير تغييرا
 كثيرا أو أشير إلى أنه من القرآن أو الحديث وإن كان غير القرآن أو الحديث
 فنظمه عقد كيف ما كان أي سواء غير تغييرا بسيرا أو كثيرا إذ لا دخل فيه للاقتباس

(٢) أي غير القرآن والحديث

(٣) ١٩٤ ج ١ الكامل للمبرد ، وقد استعاره الشهاب الخفاجي وضمنه شعره

[٢٧٠ طراز المجالس]

عقد قول على رضى الله عنه : وما لابن آدم والفخر وانما أوله نقطة وآخره جيفة^(١) . . . وقوله أيضا^(٢) .

كفى حزنا : دقك ثم انى نهضت تراب قبرك عن يديا
وكانت فى خيانتك لى عظام وأنت اليوم أوعظ منك حيا
فيل : عقد قول بعض الحكماء فى الاسكندر لما مات : كان الملك أمس أنطق
منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس^(٣) . وقيل هو من قول المؤيد لما مات
قباه الملك^(٤)

وقول الآخر

يا صاحبت البغى ان للبعى مصرعة فارجع تخير فعال المرء أعدله
قلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله
عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما : لو بغى جبل على جبل لدك الباغى ..
وقول^(٥) الآخر

البس جديدك انى لابس خلقى ولا جديد لمن لا يتبس الخلقا^(٦)
عقد المثل : لا جديد لمن لا خلق له ، قالته عائشة رضى الله عنها وقد وهبت
مالا كثيرا ثم أمرت بلوب لها أن يرقع ، يضرب فى الحث على استصلاح المال

(١) ١٩٥ ج ١ الكامل للمبرد

(٢) لآبى المتأهبة يرثى صديقه على بن ثابت راجع ص ٩٣ ج ٢ زهر الاداب
١٥٠ ج ٣ البيان ، ١٩٣ ج ١ التبريد ، ٤٩٩ الادب العباسى لمحمود مصطفى

(٣) ٧٣ و ٢٥٥ ج ١ البيان

(٤) راجع ١٩٤ ج ١ الكامل للمبرد

(٥) تمثلت به عائشة (ص) وقد أهدى لها توب جديد فليست القديم الخلق

(٦) وقال ابن الخطاب لابنة عبد الله . لا عمل لمن لانية له ولا جديد لمن
لا خلق له [٧١ ج ١ زهر الاداب] ، وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس
الخلق [٢٣٢ ج ٤ العقد من رسالة سهل ابن هرون فى البجل]

[٤-] وأما الحل : فهو أن ينثر نظم، وشرط كونه مقبولا شيئا أحدهما أن يكون سبكه مختارا لا يتقاصر عن سبك أصله والثاني أن يكون حسن الموقع مستقرا في محله غير قلق، وذلك كقول بعض المغاربة : فانه لما قبحت فعلاته ١١ وحظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يعتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده حل قول أبي الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهم وصدق ما يعتاده من توهم
وكقول صاحب الوشى المرقوم في حل المنظوم ١٢ : يصف قلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا غرت على الدول وغيت به عن الخيل والخول ، وقال : أعلى الممالك ما يبنى على الأقلام لا على الأسل حل قول أبي الطيب أيضاً
أعلى الممالك ما يبنى على الأسل

وكقول بعض كتاب العصر في وصف السيف
أورثه عشق الرقاب نحولا ، فبسكى ، والدمع مطر ، تزيد به الحدود نحولا
حل قول أبي الطيب أيضاً
في الحد إن عزم الخابط وحيلا مطر تزيد به الحدود نحولا

[٥-] وأما التلميح : فهو أن بشار إلى قصة أوشعر من غير ذكره كقول ابن المعتز :
أرى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال
علوا أنى متميم وقلبي راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز في أرحل القوم ولا يعلمون ما في الرحال

(١) هذا حل لآيات الشاعر :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه يمد تفر بأنها مولاته

[راجعها في ٣١ الموازنة ، ٣٨٣ الدلائل ، ١٢ طراز المجانس وهذه الآيات
لعمران بن حطان [٥ ج ٤ زهر الادب]

(٢) هو كتاب لابن الأثير صاحب المثل السائر

وقول أبي تمام ١١ :

لأمتنا بأخراهم وقد حوم الهوى قلوبا عهدنا طيرها وهى وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضاضوها صبغ الدجنة وانطوى ليهبتها ثوب السماء المجزع
فوالله ما أدري أحلام نائم أملت بنا أم كان فى الركب يوشع ١٢
أشار إلى قصة يوشع بن نون فى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فانه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

والثانى ١٣ كقول الحريرى : وإنى والله لظالما تلقيت الشتاء بكافاته ، وأعددت له الأهب قبل موافاته ، أشار ... إلى قول ابن سكرة .

جاء الشتاء وعندى من حوائجه سبيع إذا الفطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد السكباب وكش ناعم ، وكسا ١٤

(١) راجع ١٩٨ وساطة

(٢) حوم الهوى القلوب : ادارها حول الاحبة . طيرها : ما يتخالج فيها من الخواطر . وقع : جمع واقع يعنى أنها ساكنة غير متحركة . الرغم : ذليل . الخدر : الهودج . نضاضا : أذهب . الدجنة : الظالة . المجزع : كل ما فيه سواد وبياض الملت : نزات

(٣) وهو الاشارة الى شعر من غير ذكره .

والاخر هو الاشارة إلى قصة

(١) الفطر : المطر : السكن : البيت . السكبس : صرة الدراهم . الطلاء مقصور طلاء وهو الخمر . السكسا : مقصور كساء وهو الثوب

وقوله أيضا دبت بليلة نابغية ، أو مأبه إلى قول النابغة
فبت كافي سـاورتنى ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
وقول غيره (١)

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي أرق وأحفي منك في ساعة الكرب
أشار إلى البيت المشهور
المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار (٢)

• • •

ومن التلميح ضرب يشبه اللغز : كما روى أن تميميا قال لشريك النعمري :
وما في الجوارح أحب إلى من البازي ، ، فقال : وإذا كان يصيد القطا ، ، أشار
التميمي إلى قول جرير
أنا البازي المطال على نمير أتبع من السماء لها انصبابا
وأشار شريك إلى قول الطرماح
تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت طرق المسكارم ضلت

[انتهى الفصل الأول]

[في السرقات وما يتصل بها]

(١) هو أبو تمام الشاعر المشهور

(٢) لما رمى جساس كليبيا قال لعمرو (وهو جساس) : ناولني شربة ماء فجاء
فأجهز عليه فقبل فيه البيت . وقيل إن عمرا هو ابن الحارث لاجساس

[الفصل الثاني من الخاتمة]

[في حسن الابتداء والتخلص والانتها]

ينبغي للمتكلم أن يتأق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً ، وأصح معنى

الأول

الابتداء

لأنه ١١ أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه ، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن . . فن الابتداءات المختارة قول امرئ القيس :

ففا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ١٢

وقول النابغة (الديباني)

كليني كلهم يأيممة ناصب وليل أفا سيه بطيء الكواكب ١٣
وقول أبي الطيب :

أظنني من زلة أتعيب ؟ قلبي أرق عليك مما تحسب
وقوله : أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بقي برود وهو في كبدي جمر ١٤
وقوله : فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يئمت خير ميمم

(١) علة لاستحسان التأنيق في هذا الموضع

(٢) راجع ٤٢٠ صناعتين

(٣) راجع ٤١٩ صناعتين

(٤) راجع ٤٢٢ صناعتين

وقوله : أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي
وقول الآخر :

زموا الجمال فقل للعاذل الجاني لا عاصم اليوم من مدرار أجفاني
وينبغي أن يحتسب في المديح ما يتطير به فانه قد يتقارن به الممدوح أو
بعض الحاضرين ، كما روى أن ذا الرمة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته
البائية .

ما بال عينك منها الماء ينسكب ١٢

قال ، هشام : بل عينك . ويقال ان ابن مقاتل الضرير ١٢ أنشد الداعي العلوي
قصيدته التي أولها :

موعد أحبابك بالفرقة غد

فقال ١٤ له الداعي : موعد أحبابك ، ولك المثل السوء . . . وروى أيضا أنه دخل
عليه في يوم مهرجان وأنشد .

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان ١٥
فتطير به ، وقال : أعمى تبتدى بهذا يوم المهرجان ، وقيل بطحه وضربه خمسين

(١) راجع ٤١٧ صناعتين

(٢) راجع ٤١٨ صناعتين ، وفي ص ٣٥٨ الأدب الاسلامي لمحمود مصطفى
أنه أنشدها عبد الملك .

(٣) في الصناعتين : أبو مقاتل ،

(٤) راجع ١٣٩ من المفتاح

(٥) راجع ٤١٩ صناعتين

هذا وكان أبو ادريس السمان يقول : « وأنتم فلا صبحكم الله الا بالخير »
ذكر ذلك الجاحظ في باب العي [١٧٠ ج ٢ البيان]

عصا، وقال اصلاح أدبه أبلغ في ثوابه .. وقيل لا لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده اسحق الموصلي :

يادار غبرك البلى ومحـاك ياليت شعري مالذي أبلاك (١)
فتطير المعتصم بهذا الابتداء، وأمر بهدم القصر .. ومن أراد ذكر الديار والاطلال في مديح فليقل مثل قول القطامي :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

أو مثل قول أشجع السلمي

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جماها الايام (٢)
وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى براعة الاستهلال : كقول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائح في متهونين جلاء الشك والريب
وقول أبي محمد الخازن يهنئ ابن عباد بمولود لبنته :
بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
وقول الآخر.

أبشر فقد جاء ما تريد أباد أعداءك الميـد
وكقول أبي الفرج السامري يرثي بعض المملوك من آل بويه أظنه
فخر الدولة :

(١) راجع ١٨٤ صناعتين

(٢) راجع ١٨٤ صناعتين

(٣) راجع ١٦٦ و ١٩٤ صناعتين

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
وكذا قول أبي الطيب يرثى أم سيف الدولة
نعد المشرفية والعوالى وتقتلنا المون بلا قتال
ونربط السوابق مقربات
وما ينجين من خيب الليالى^(١)

(١) المشرفية : السيوف - المصنوعة في مشارف الشام . العوالى : الرماح .
المون : المنية . السوابق : الخيول . الخب : ضرب من السير .
ملاحظة :

حسن الابتداء يسميه بعضهم براعة الاستهلال [١٣٣ - ١٣٥ البديع
لابن المعتز]

وقد أورد في هذا الباب قول النابغة : كلينى لم يا أميمة ناصب ،
قال ابن أبى الأصم : ولقد أحسن ابن المعتز الاختيار [ص ٣ خزنة الأدب] .
ويقول الحلبي : وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداءات القصائد
وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال [٩٣ حسن التوسل]
وقد ذكر أرسطو أنه يحسن في صدر الخطب الإشارة إلى الغرض المقصود ،
وذكر أن للكلام الخطابي صدرا واقتصاصا وخاتمة وأشار ابن المدبر إلى حسن
الابتداء [ص ٢] . وذكر ابن المقفع أنه يجب أن يكون في صدر كلامك دليل
على حاجتك [٩١ ج ١ البيان] ، وشرح ذلك الجاحظ شرحا [٩٢ ج ١ المرجع]
وافيا مقررًا بلاغة هذا اللون أحسن تقرير ، ولكن ابن المعتز هو الذى سبق إلى
هذه التسمية وأفاض في ذكر شواهد هذا الباب ، مما احتذاه فيه أبو هلال
[٤١٧ - ٤١٣ صناعتين] وسواه .

الثاني

التخلص^(١)

ونعني به الانتقال مما شُبِّه به^(٢) الكلام من تشييب^(٣) أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما^(٤).

لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشييب إلى المقصود كيف يكون، فإذا كان حسناً متلائماً الطرفين حرك من نشاط السامع، وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس فمن النخلاصات المختارة قول أبي تمام:

يقول في (قومس) قومي وقد وأخذت

منها السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا

فقلت كلا ولكن مطلع الجود^(٥)

(١) راجع كله للحاشي في ذلك [١٦ ج ٣ زهر الآداب] وراجع حسن التخلص في شعر لمحمد بن وهيب (١٧ ج ٣ المرجع)، ومشعلاً لحسن التخلص [١٨ ج ٣ المرجع].

(٢) أي ابتدئ. وافتتح به.

(٣) أي وصف للرجال والنساء والحب.

(٤) أي بين ما ابتدئ به الكلام وبين المقصود، واحترز بهذا عن الاقتضاب.

(٥) يمدح بالآيات عبد الله بن طاهر. قومس: لسم بيلد بايران. أخذت: أثرت. السرى: السير بالليل. المهرية: الأبل المنسوبة إلى مهرة. القود جمع أقود وهي الطويلة الظهور والاعناق. ولمسلم:

أمغرب الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقول مسلم^(١) :

أجلك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر
سهرت بها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وقول أبي الطيب يمدح المغيث المعجلى :

مرت بنا بين تربها فقلت لها من أين جالس هذا الشادن العربا
فانضجكت ثم قالت كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل إذا انتسبا
وقوله أيضا

خليلي مالى لا أرى غير شاعر فكلم منهم الدعوى ومنى القصائد
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

• • •

وقد ينتقل من الفن الذى شرب الكلام به إلى مالا يلائمه ، ويسمى ذلك
الاقتضاب ، وهو مذهب العرب الأولى ومن يلهم من المخضرمين^(٢) ، كقول
أبي تمام :

لو رأى الله أن فى الشيب خيراً جاورته الأبرار فى الخلد شيئا
كل يوم تبدى صروف الليالى خلقاً من أبى سعيد غريباً^(٣)
ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص كقول القائل بعد حمد الله ، أما بعد ،
قيل وهو فصل الخطاب ، وكقوله تعالى (هذا وإن للطاغين لشر مآب) ، أى الأمر

(١) راجع ٤٠٧ ج ٣ العقد ، ٤٤٠ صناعتين

(٢) قال زهير :

دع ذا وعد القول فى هرم خير الكهول وسيد الحضرم

(٣) ٤١ ج ٤ زهر الآداب . ولمسلم :

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن مسلم سعيدا

هذا ، أو هذا كما ذكر ، وقوله تعالى « هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب » (١) ،
ونحوه قول الكاتب « هذا فصل ، هذا باب ،

المثال

الانتباه

لأنه آخر ما يعبه السمع ، ويرسم في النفس . فإن كان مختاراً كما وصفنا جبر
مأعساه وقع فيما قبله من التقصير ، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما
أنسى محاسن ما قبله . . . فن الانتباهات المرضية قول أبي نواس :

فبقيت للعالم الذي تهدي له وتفاعست عن يومك الأيام
وقوله :

وإني جدير إذ بلغتك بالمني وأنت بما أملت منك جدير
فإن تولني منك الجليل فأهله والافاني عاذر وشكور (٢)

وقول أبي تمام في غاتمة قصيدة فتح عمورية

إن كان بين صروف الدهر من رحم موصولة أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامك الملاقى نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بني الأصفر الممرض كاسهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

(١) قال ابن الأثير : والفصل هنا أحسن من الوصل وهو علاقة وكيدة بين
الخروج من إلى كلام آخر ، أي مما يفصل بين كلامين فصلاً أحسن عند البلغاء من
التخلص الذي هو الوصل بالمناسبة لأن لفظة هذا تنبه السامع على أن ما سيلقى عليه
بعدها كلام آخر غير الأول ولم يؤت بالكلام الثاني لجأة حتى يشوش على السامع
سمعه لعدم المناسبة وأما التخلص المحض فليس منه تنبيه السامع على أن ما يليه هل
هو كلام آخر أو لا

(٢) راجع ١٢١ ج ١ المقدم الفريد

وأحسن الانتهاآت ما آذن بانتهاء الكلام كقول الآخر^(١)
بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل
وقوله^(٢)

فلاحظت لك الهيجاء سرجا ولا ذقت لك الدنيا فراقا
وجميع^(٣) فوائح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها
يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول
والله الموفق للخيرات ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ،
وسلم تسليما كثيرا ٧

(١) هو المعرى أو المتنبي

(٢) هو المتنبي

(٣) راجع ٤٢٣ صناعتين

بحوث ودراسات

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

[ملحق للجزء السادس من شرح الايضاح]

- ١ -

نوعان آخران

من المحسنات المعنوية

هناك أنواع أخرى من المحسنات المعنوية . غير التي ذكرها الخطيب . ولا بأس بأن نذكر منها نوعين هما : الالتفات ، والاعتراض ، وإن كان قد سبق الكثير عنهما في علم المعاني :

١ - الالتفات :

أشار إليه صاحب الجهرة فذكر أن العرب تخاطب الشاهد مخاطبة الغائب^(١) ، وكذلك فعل المبرد^(٢) فذكر أن العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد وبالعكس^(٣)

وحكى عن إسحاق الموصلي قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت وما هي فأنشدني :

أنسى إذ تودعنا سليمي يعود بشامة سقي البشام
ثم قال : ألا تراه مقبلا على شعره إذ التفّت إلى البشام فدعاه^(٤)
والالتفات هو الاعتراض عند قوم منهم صاحب العمدة^(٥) ، ولذلك ذكر ابن

(١) ٣ جهره أشعار العرب (٢) ٢٧١ ج ١ ، ٣٠ ج ٢ الكامل

(٣) ٢٠ ج ٢ الكامل (٤) ٧٤٤ ج ٢ العمدة (٥) ٤٢ ج ٢ العمدة

رشيق في عمدته بعض مثل للاتفات ذكرها ابن المعتز في باب الاعتراض^(١) : كما نقل ابن رشيق مثلاً للاتفات ذكرها ابن المعتز في باب الاتفات^(٢) ، وقال آخرون هو الاستدراك وحكاة قدامة وسيله أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ثم يعرض له معنى غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتى به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء بالأول^(٣) .

وعرفه ابن المعتز بأنه انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك أو الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر^(٤) ويستحسن ابن رشيق هذا التعريف^(٥) ، وتبع أبو هلال قدامة^(٦) وكذلك الباقلاني^(٧) قال : ومتى خرج عن الكلام الأول ثم عاد إليه على وجه يلفظ كان ذلك التفتاناً . فللالتفات معنيان : مذهب إليه صاحب الجهرة والمبرد ، ومذهب إليه قدامة وأبو هلال والباقلاني ، وقد عرفه ابن المعتز بتعريف يجمع المعنيين ، وصاحب نقد النثر يسمي الالتفات : الصرف^(٨) .

يعرف ابن المعتز هذا اللون^(٩) ويذكر شواهد له^(١٠) ، وقد تبعه ابن رشيق فأفاض في الحديث عنه^(١١) .

(١) راجع ٤٢ - ٤٤ ج ٢ العمدة ، ١٠٨ البديع

(٢) ٤٤ ج ٢ العمدة ، ١٠٧ البديع

(٣) ٤٢ ج ٢ العمدة ، و ٨٧ نقد الشعر

(٤) ١٠٦ البديع ، ٨٠ حسن التوسل

(٥) ٤٤ ج ٢ العمدة

(٦) ٣٨٣ - ٣٨٥ صناعتين

(٧) ٩٠ إعجاز القرآن

(٨) ٧١ نقد النثر (٩) ١٠٦ البديع (١٠) ١٠٧ البديع

(١١) ٤٢ ج ٢ وما بعدها العمدة

٢ - الاعتراض ؟

في خطابة أرسطو يجعل إدخال كلام في كلام - وهو الاعتراض الطويل بين الكلام المتصل بعضه ببعض - من الأشياء المفسدة لرونق النظم .
ويعرف ابن المعتز الاعتراض بأنه اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه في بيت واحد (١)، وقد تبعه أبو هلال (٢) .

- ٢ -

متى تحسن المحسنات البديعية ؟

تحسن المحسنات إذا :

- ١ - طلبها المعنى واستدعاها المقام
 - ٢ - وكانت غير متكلفة ولا متراكمة بجوار بعضها
 - ٣ - وأكسبت الكلام سحرا . بأن تشوق السامع ، وتقرب المعنى منه
 - ٤ - وكانت في موضعها الملائم من الأسلوب
- وإذا لم تستوف المحسنات البديعية شروط حسناتها كانت قبيحة مملولة فلا توضع المعنى وتقربه أو تشوق إليه بل تخفيه وتبعده وتجعل السامع يمل من سماع الكلام

تراكم المحسنات البديعية .

إذا كثرت المحسنات البديعية في الكلام جنت على المعنى وقللت من جمال الأسلوب ودوعته ولم تفد السامع كبير فائدة
ولنما تستحب المحسنات إذا تصرف فيها الأديب بذوقه وطبعه لجاءت قليلة جميلة رائعة على ما سبق في الفصل السابق

(١) ١٠٨ البديع .

(٢) ٣٨٥ صناعتين .

ومن أمثلة تراكم المحسنات البديعية قول الحريري :
 زينت زينب ، بقصد يقدر وتلاه ويلاه نهى بهد
 جندها جيدها ، وظرف وطرف ناعس ناعس ، بحمد بحمد
 قدرها قد زها وتاهت وباهت واغدت واعتدت بخد بخد

اختلاف الأذواق في تقدير ضروب البديع

١ - كان الأدباء في العصور الماضية يحبون السجع ويلتزمون به في كلامهم
 والسجع ضرب من ضروب المحسنات البديعية اللفظية
 ولكننا في العصر الحديث لانلزم السجع ولا نستحسن الكثير منه وهكذا
 نجد أثر اختلاف الذوق في تقدير البديع باختلاف الزمن والبيئة .
 ومن الأدلة على ذلك أيضا استحسان الكتاب والأدباء في العصور السابقة
 لآلوان المحسنات البديعية ولعمهم بها من اقتباس وتضمن وذكر لاصطلاحات
 العلوم ولتاريخ الحوادث في آخر القصيدة وغيرها .
 أما الآن فلا يحفل كاتبنا وأدباؤنا بالمحسنات البديعية مهما كان لونها ولا
 يعيرونها أهمية .

فضررب البديع يختلف حسننها وقبحها باختلاف الزمن والبيئة .

- ٣ -

(أ) مختصرات المفتاح :

١ - تلخيص المفتاح للخطيب م ٧٣٩

٢ - الإيضاح للخطيب وهو كالشرح عليه

٣ - مختصر المفتاح للمعتمد م ٧٥٦

(ب) شروح تلخيص المفتاح للخطيب :

١ - شرح الخلخال م ٧٤٥

- ٢ - شرح عروس الأفراح للسبكي م ٧٧٣
- ٣ - شرح الزوزنى م ٧٩٢
- ٤ - شرح السعد م ٧٩٢ . وهو المطول وله شرح آخر وهو المختصر .
- ٥ - شرح أبيات التلخيص للعباسي م ٩٦٣ م في كتابه معاهد التنصيص .
- ٦ - وشرح التلخيص ابن عربشاه م ٩٤٥ في كتابه الاطول .
- ٧ - ونظم السيوطي مفتاح التلخيص في كتابه : عقود الجمان
- ٨ - شرح ابن يعقوب الذي انتهى منه عام ١١٠٨
- ٩ - شرح الدسوقي الذي انتهى منه عام ١٢١٠ .

(ح) شروح المطول :

- ١ - حاشية السيد م ٨١٦
 - ٢ - حاشية الفناي م ٨٨٦
 - ٣ - حاشية منلا خسرو م ٨٨٥
 - ٤ - حاشية الميرامي المصري م ٨٢٣
 - ٥ - حاشية الحفيد م ٩٠٦
 - ٦ - حاشية الشيرازي م ٩٩٤
- (د) هذا وجمال الدين محمد بن محمد الأفراسي م ٨٠٠ هـ كتاب : إيضاح
الايضاح ، وهو كالشرح لايضاح القزويني [٢ و ٤٥٩ بلاغة ، مخطوط - دار
الكتب الملكية] .
- وفي مكتبة الأزهر شرح مخطوط لشواهد الايضاح

المسرقات الشعرية

أولا : المسرقات الشعرية ألف فيها علماء النقد والإدب في شتى العصور، ولعل

بده التأليف فيها كان في القرن الثالث الهجري ، فقد ألفت كتب في سرقات البحري وأبي تمام اللذين شغلا الناس دهرًا طويلا .

فلا بن السكيت م ٢٤٤ هـ كتاب السرقات (١١) ، ولزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ كتاب في إغارة كثير على الشعراء (١٢) .

ولاحد بن أبي طاهر طيفورم ٢٨٠ سرقات البحري من أبي تمام (١٣) ، وقد أخرج للبحري ٦٠٠ بيت مسروق منها ما أخذه من أبي تمام خاصة نحو مائة (١٤) ، وقد أخرج سرقات أبي تمام فأصاب في بعضها وأخطأ في البعض لأنه خلط الخاص من المعاني بالمشارك بين الناس مما لا يكون مثله مسروق (١٥) ، ولأبي الضياء بشر بن يحيى سرقات البحري من أبي تمام وكتاب السرقات الكبير (١٦) ، ولجعفر بن حمدان م ٣٢٣ هـ كتاب السرقات (١٧) ، وألف أحمد بن عمار م ٣١٤ هـ في سرقات أبي تمام ومهلل بن يموت في سرقات أبي نواس (١٨) وألف السجستاني في القرن الرابع في سرقات أبي تمام ، وللأمدي في السرقة كتاب الخاص والمشارك من المعاني وكتاب في أن الشاعر لا يتفق خواطرهما ، وللخالدي رسالة صغيرة اسمها «ظلامه أبي تمام» وضعها على لسانه يشكو الواعظ الموصلی وكان كثير الإغارة في كلامه وشعره على شعر أبي تمام (١٩)

(١) ١٠٨ فهرست ابن النديم

(٢) ١٦٩ فهرست د

(٣) ٢١٠ فهرست ١٦٦ و ١٧١ الوساطة

(٤) ١٣١ الموازنة (٥) ٥١ الموازنة . وينقد الأمدي كثيرا من الأبيات التي عدّها ابن أبي طاهر من السرقات [٥١ - ٦٠ الموازنة]

(٦) ١٤٩ الموازنة ، ٢١٣ فهرست ١٦٦ الوساطة . وكتابه الأول ينقل عنه الأمدي في الموازنة (١٣٧ - ١٤٨) . ثم ينقده (١٤٩ - ١٥٧ الموازنة)

(٧) ٢١٣ فهرست (٨) ١٦٦ وساطة

(٩) ٣٠٩ - ٣٠٤ الريحانة

ولابن المعتز كتاب في سرقات الشعراء ، وهو مفقود ويشير إليه الأمدى كثيرا ، وورد ذكره في الفهرست ووفيات الأعيان وشذرات الذهب وتوالى التأليف في السرقات الشعرية طول العصور ، أوليس يعنينا الإشارة الى الوجود منها الآن ، فذلك ليس قصدنا من هذه العجالة ، وإنما كان غرضنا الارشاد إلى بدء التأليف في السرقات .

ثانياً : وقد مضى حكم النقاد بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو هما معا أن يجعل السبق لأقدمهما وأولهما موتا ويثبت الاحتذاء إلى المتأخر ١١ ، ولا يعلم في الأرض شاعر متقدم في تشبيه تام أو في معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع إلا لوكل من جاء من الشعراء من بعده إن هو لم يقدر على لفظه فيأخذه فإنه لا بدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه (٢) فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني من تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ، على أن المعاني مشتركة بين العقلاء وإنما تتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتأليفها ١٢ ، والمخترع معروف له فضله غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده فهو أولى به من مبتدعه فأما إن ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غير فإن قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه وضعف قدرته ، ويقول أبو العتاهية :

إن خير الكلام ما يستعير الناس منه ولم يكن مستعارا

ويجعل البحترى الاحتذاء في الأسلوب سرقة وأخذاً وإن اختلف المعنى ١٣ ، والسرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة ١٤ والذي ليس للناس فيه

(١) ١٠٠ أخبار أبي تمام للصولي ، وراجع في ذلك ٢٧٦ ج ٢ العمدة

(٢) ٩٦ ج ٣ الحيوان

(٣) ١٨٩ صناعتين

(٤) ٢٧٤ ج ٢ العمدة

(٥) راجع ١٦٦ ج ٣ زهر

(٦) ١٤ قراضة الذهب لابن رشيق

اشترك^(١) وقد اشترك الجماعة في الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى لها دون غيره فيريك المشترك المبذل في صورة المبتدع المخترع^(٢) والمشارك العامي قد يصير خاصيا إذا غيرت صورته وهذبت طريقته^(٣) ولا يعذر الشاعر في سرقة حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأني بأجزل من الكلام الأول أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به^(٤) على أن كثيرا من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوي الشعراء وخاصة المتأخرين إذ كان هذا بابا ما تعرى منه مقدم ولا متأخر^(٥)

ثالثا :

يرى القاضي الجرجاني الأديب الناقد ٣٩٢ هـ في كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه أن المعاني الشعرية محدودة وأن الشعراء لهم عذرهم في سرقة المعاني ممن سبقهم ما دامت المعاني محدودة .

ونحن نقول إن المعاني الشعرية غير محدودة . وخاصة في عصرنا الحديث عصر الحضارة والنور والمدنية والاختراعات الحديثة وبعد أن اهتدى الناس إلى علوم النفس وسواها من شتى العلوم التي وسعت دائرة الفكر البشري وجعلته يفهم العواطف الانسانية وأسرار الجمال والحياة فهما دقيقا .

وتطور الحضارة والثقافة العلوم والآداب والفنون وما يجد من اختراعات كل ذلك مادة لا كتساب معان جديدة ولتوسيع دائرة البيان ولتوليد الصور البيانية الحية ، وهو شاهد على أن المعاني الشعرية غير محدودة

(١) ٢٣ موازنة (٢) ١٥٠ وساطة

(٣) ٢٩٥ أسرار البلاغة

(٤) ٢٤ رسائل ابن المعتز جمع ونشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي

(٥) ١٣١ الموازنة

صحيفة بشر بن المعتز في البلاغة

عن البيان والتبيين للجاحظ

مر بشر بابراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر ، فظن ابراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليسكون رجلا من النظارة ، فقال بشر :

اضربوا عما قال صفحا واطلوا عنه كشعا

ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميته ، وكان أول ذلك الكلام :
خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الاسماع . وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ إشراف ومعنى بديع

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاوله والمجاهدة وبالترك والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من يذوعه ونجم من معدنه .
ولياك والتوعر ، فان التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فليتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس بإظهارهما وترتن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما .

وكن في ثلاث منازل : فان أولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقا عذبا ونغما سهلا ، ويكون معناه ظاهرا مكشوفيا وقريبا معروفا ، إما عنه الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمغني ليس

يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فإن أمكنتك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلبك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء ؛ فأنت البليغ التام .

فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسنح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى سقمها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصيبها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها نائرة من موضعها ، فلا تكررهما على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها ، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ، وإن أنت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك أو مالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك .. فإن ابتليت بأن تتعاطى الصنعة وتتكلف القول ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة وتعصى عليك بعد إجمالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودع بياض يومك أو سواد ليلك وعالوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق

فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشبه الصناعات إليك وأخفها عليك ، فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب ، والشئ لا يحسن إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لأن النفوس لا تجود بمكنونها ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود مع المحبة والشهوة ، فهكذا هذا .
قال بشر : فلما قرئت على إبراهيم قال لي : أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الغتيان .

نقد النثر وشخصية مؤلفه المجهول

— ١ —

و نقد النثر ، كتاب رائع في البيان وأساليبه وفنونه من نثر وشعر وخطابة وجدل ومحادثة وفي البلاغة وحقيقتها وأوصافها ومظاهر الجمال فيها . والكتاب ينطق عن ثقافة مؤلفه الواسعة ، وللمامة البعيد بالكثير من علوم الدين والعربية ، وعلوم الفلسفة والكلام . وقد تأثر مؤلفه فيه أكثر ما تأثر بـ كتاب الخطابة لأرسطو ، وكتاب البيان للجاحظ ، وهو أول مؤلف كامل في البيان يطلعنا على التطور التأليفي في هذا العلم .

وقد تولت كلية الآداب نشره في عام ١٩٣٢ ، وكتب أستاذان من أساتذتها مقدمتين له ؛ وقد اعتمدا في نشره على صورة فتوغرافية للنسخة الوحيدة المخطوطة والمحفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٢٤٤٠٠ . وقد ثارت ضجة كبيرة حول مؤلف هذا الكتاب ، واختلف في ذلك العلماء اختلافا كبيرا :

فالمرحوم الأستاذ الشنقيطي ^(١) والأستاذ العبادي ^(٢) يتابعان بعض المستشرقين في أن الكتاب لقدامة بن جعفر م سنة ٣٣٧ هـ . ولكن بروكلمان ودر نبورغ ^(٣) يريان أن الكتاب لتلميذ لقدامة ورد اسمه على الصفحة الأولى من النسخة الخطية للكتاب ، وهو أبو عبد الله بن أيوب ، ويتابعهما في ذلك هيوار . أما الأستاذان لفي دلا فيدا ، وكر تشوفسكي فيريان أن ابن أيوب رجل أندلسي عاش بعد قدامة بعهد طويل ، وأنه استمد نقد النثر من مؤلفات قدامة . ولكن بعض المستشرقين يقفون في بحثهم . وقف الشك ، ويتابعهم في ذلك الدكتور طه حسين بك . وبين هذا

(١) تقرير رقم ٢٤٣ مكتبات بدار الكتب المصرية

(٢) ص ٤٢ مقدمة نقد النثر للأستاذ العبادي . الطبعة الثانية

(٤) دائرة المعارف الإسلامية مادة قدامة .

الاختلاف الكثير ، يجد الباحث مشقة عسيرة في الوصول إلى نتيجة حاسمة في ذلك المجال الغامض العسير .

ولكن متابعة البحث والافادة من البحوث التي ألفها الاستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة في محاضراته بكلية اللغة ، والتي اتجه فيها إلى نفي نسبة الكتاب لقدامة ودمغ ذلك بحجج قوية ، كل ذلك يؤدي بنا إلى ثلاث نتائج خطيرة :

أولاً : أن الكتاب ليس لقدامة ، ولا يمكن أن يكون له ، وأدلتنا على ذلك : (أ) لم يذكر قدامة فيما وصل إلينا من كتبه أن له كتاباً بهذا الاسم ولا في ذلك الموضوع نفسه ، وقد أרך لقدامة علماء كثيرون كابن النديم — وهو أقربهم عهداً به — وكالخطيب البغدادي وابن خلسكان وسواهم ، ولم يذكر أحد منهم أن له كتاباً بهذا العنوان ، مع أنهم ذكروا كتابه « نقد الشعر » ، وعنوا به وحفظوا بهذه العناية بعض العلماء لشرحه والتعليق عليه ،

(ب) ومن العسير أن يؤلف مؤلف كتابين في موضوع واحد كالنقد ثم لا يحيل القارئ في أحد كتابيه على الآخر ، مع أن مؤلف « نقد النثر » يحيل على كتبه الأخرى كثيراً .

(ج) على أن شك العلماء والباحثين في نسبة الكتاب لقدامة ، وجزم بعضهم جزماً يعتمد على الدليل بأن الكتاب ليس له ، كل ذلك ينفي أن يكون الكتاب لقدامة .

(د) وشخصية قدامة شخصية المستقل في آرائه المجدد في بحوثه ، كما نعرفه في كتابه « نقد الشعر » ، النابتة نسبته له ، أما شخصية مؤلف « نقد النثر » كما تبدو من الكتاب فهي شخصية المحتذى غيره ، يظهر ذلك في احتذائه للاجاذظ وكتابه « البيان والنبين » ، وأخذه الكثير عنه في كل فصل وباب كما يظهر ذلك في احتجاجه بآراء أرسطو واقتباسه من كتاب « الخطابة » .

(هـ) والاتجاه السياسي والديني لمؤلف « نقد النثر » هو الاتجاه الشيعي فهو يشيد

بعلى وذريته كالحسن والحسين والباقر والصادق والرضا . وقدامة بعيد كل البعد عن ذلك الاتجاه ومظهر ذلك كتابته التأليفية في « نقد الشعر » ، على أن مكانته البارزة في الدولة العباسية ومهامه الادارية في ديوانها كانت تحول بينه وبين الانضمام إلى أعداء الدولة من الشيعة ، وليس من المعقول أن يكون ذلك جديدا على قدامة ، قد اضطرته اليه الاحداث السياسية التي حدثت في آخر حياته باستبعاد بني بويه بالخلافة العباسية سنة ٢٣٤ هـ ؛ فخلق قدامة وقصر المدة بين وفاته وقيام الدولة الجديدة مما كان يحول بينه وبين هذا الانقلاب .

(و) وثقافة قدامة ثقافة عقلية صبغت بصيغة الأدب ، وهو في نقد الشعر أعمق بحثا وأكثر فهما للشعر وعناصره ، وهو فيما وضع من موازين للنقد متأثر باتجاهه العقلي الفلسفي ، وكثيرا ما يخطئ في تطبيقه الموازين العقلية الجامدة على العاطفة الشعرية الحية ، كما يظهر ذلك في « نقد الشعر » .

أما ثقافة مؤلف نقد النثر ، فهي ثقافة أدبية علمية صبغت بصيغة الفلسفة ، واتجاهه العقلي أكثر تأثرا بثقافة المتكلمين منه بثقافة الفلاسفة ، وثقافته الدينية واسعة فهو مؤلف في أكثر علومها ، حتى لقد حاول الاستفادة من وراثتها في فهم البيان ودراسته ، وهذه ناحية جديدة بعيدة عن قدامة كل البعد .

(ز) ومنهج قدامة في النقد - كما تراه في « نقد الشعر » - منهج تفصيلي طريف ، فقد عني فيه أولا بإحصاء مظاهر الأداء البياني التي تمس الفسكرة وترضى العقل وتوجه إلى سلامة المعنى ، مما تأثر به ابن سنان الخفاجي من بعده في بحثه البياني في بلاغة المعاني ^(١) .

ولكن منهج مؤلف « نقد النثر » في نقد البيان منهج إجمالي خصب ، اتجه فيه صاحبه إلى بحث ألوان البيان وفنونه عامة ، وإلى بحث البلاغة وعناصرها ، وإلى

(١) راجع سر الفصاحة

تطبيق نظرية المطابقة لمتنص الحال على الشاعر والنثر والخطيب ، وهو في هذا الاتجاه الاجمالى لا يجيد البحث التفضيلى فى مظاهر الجمال .

(ح) وأسلوب قدامة أسلوب مرسل بعيد عن السجع والازدواج . أما أسلوب مؤلف ، نقد النثر ، فأسلوب أديب حريص على السجع ، فان لم يواته السجع واتاه الازدواج (١) . والتفاوت بين الأسلوبين دليل قوى على أن الكتائين لشخصيتين مختلفتين ؛ وشتان بين أسلوب رجلين : فيلسوف يتأدب ، وأديب يتفلسف ؛ والموازنة بين البحوث المشتركة فى الكتائين تؤدى إلى ما نذهب إليه . وإن قل ما بينهما من اشتراك - : فبين كل من الكتائين تباين كثير فى الموضوعات المشتركة : فى الاتجاه والروح وفى المرض والتحليل ، فبحث كالتشبيه فى نقد الشعر مبين لنفس هذا البحث فى نقد النثر (٢) ، والاستعارة عند مؤلف نقد الشعر غيرها عند مؤلف نقد النثر (٣) ، وجمال الشعر عند قدامة غيره عند مؤلف نقد النثر ، ومن العسير على الباحث أن يأخذ هذا الاتفاق فى الموضوعات على علته كدليل على أن الكتائين لمؤلف واحد ، فالدراسة المقارنة لهذه البحوث المشتركة ، هى وحدها الحكم فى شخصية المؤلفين ومصدر الكتائين .

ثانيا :

١ - أبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد الذى ورد اسمه فى الصفحة الأولى من النسخة الخطية للكتاب ، والذى لم يمتد لشخصيته الكثير من الباحثين ، والذى زعم بعض المستشرقين أنه مؤلف الكتاب هو فقيه وقاض أندلسى عاش ما بين ٥٣٠ - ٦٠٨ هـ (٤) ؛ فليس هو تلميذا قدامة كما ذهب إليه بروكلمان وسواه .
ب - وليس ابن أيوب هذا هو مؤلف الكتاب كما ذهب إليه درنيورغ : وهيوار ولنى دلافيدا وكركشوفسكى وسواهم . ودليلنا على ذلك :

(١) راجع مثلا ص ٥ نقد النثر

(٢) ٦٥ نقد الشعر ، ٥٨ نقد النثر

(٣) ١٠٤ - ١٠٦ نقد الشعر ، ٧٠ نقد النثر

(٤) تكملة الصلة لابن الأبار ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٩

١ - ثقافة الكتاب وروحه واتجاهه وبحوثه والأعلام الواردة فيه تؤكد لنا تأكيداً جازماً بأن الكتاب من إنتاج أول القرن الرابع على أقصى تقريب ، وقد ورد فيه أعلام كابن دريد وكتابه الملاحن ،^(١) وابن دريد عالم لغوى عاش من ٢٢٣ - ٢٢١ . وكان التستري^(٢) . وهو قريب العهد من صنائع بني الفرات^(٣) . وكان أديبا يلزم السجع ويستعمل الغريب ويتقعر في منطقته^(٤) . وعاش في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع^(٥) ، وأبو سهل عبدالله التستري توفى عام ٢٨٢ هـ . وليس في ذكر المؤلف لابن دريد ولا لابن التستري ومشاهدته لياه تناقض مع ما نقول .

٢ - يأخذ ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه الأسرار والدلائل بعضاً من الآراء المبسوطة في الكتاب فنهج عبد القاهر في الدفاع عن الشعر^(٦) وفي تقسيم التشبيه^(٧) هـ - ومنهج مؤلف نقد النثر^(٨) . والرأى الذى ناقشه ابن سنان - من أن للإيجاز مواضع وللإطناب مواضع - هو الرأى الذى بسطه مؤلف نقد النثر^(٩) . ولا يعقل أن يأخذ هذان العالمان من أيوب وهما في القرن الخامس وهو في السادس والسابع .

٣ - وليس لابن أيوب صلة بالكتاب سوى أن هذا الكتاب قد نسخ له في آخر القرن السادس الهجرى وكتب الناسخ اسمه في النسخة التى كتبها ، كما ترشدنا إلى ذلك العبارة الواردة في عنوان هذه النسخة الخطية والتي حيرت في فهمها الباحثين ، وهى : « كتاب نقد النثر ما عني به أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب

(٢) ١٠٨ نقد النثر

(١) ٦٩ نقد النثر

(٤) ١٠٨ نقد النثر

(٣) ١٩٣ فهرست

(٥) هامش ١٠٨ نقد النثر (٦) ص ١٣ وما بعدها دلائل الاعجاز

(٧) ٧٠ وما بعدها أسرار البلاغة

(٩) ٩٧ نقد النثر

(٨) ٥٨ و ٧٧ و ٧٩ - نقد النثر

العراقي رضى الله عنه وأرضاه للفقير المحترم أبي عبد الله محمد بن أيوب بن محمد
نفعه الله به ، وهو الكتاب المعروف بكتاب البيان .

ثالثا : وإذا كان الكتاب ليس لقدامة ، رلا لابن أيوب قلن هو إذا
من العلماء ؟

لقد واليت البحث في ذلك ، وخلصت أن الكتاب قد يكون لتبليغ لقدامة تأثر
فيه بأراء أستاذه في النقد والبيان ، فعمل بعده عصره على أن الكتاب لاستاذه ،
وسمي « نقد النثر » مشكلة لاسم كتابه الآخر المعروف « نقد الشعر » وإن كان
اسمه في الحقيقة « البيان » .

ولكن البحوث التي قمت بها طويلا أثبتت عندي خطأ هذا الظن .
وقد يكون الكتاب لوالد قدامة : « جعفر بن قدامة بن زياد » المتوفى سنة
٣١٩ هـ وليس لابنه قدامة .

وجعفر هذا هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم وافر الادب حسن المعرفة
وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها^(١) ، والأدلة التي تؤكد هذا الرأي هي :

١ - ثقافة الكتاب العلمية لا تدل على أنه من معين ثقافة القرن الرابع الواسعة
ولمّا تدل على أنه قد ألف بعد عصر الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ وفي أواخر القرن الثالث
الهجري ؛ والأعلام الواردة في الكتاب والتي لا تتجاوز ذلك التاريخ أصدق شاهد
على ما نقول ، وتأليفه في معارضة كتاب البيان للجاحظ^(٢) مما يزيد ذلك قوة .

٢ - وكثير من مؤلفات جعفر قد نسب لابنه قدامة خطأ^(٣) . كما أن بعض
الباحثين قد شك في نسبة بعض كتب قدامة له ، ورأى أنها لآبيه كالمطرزي شارح
المقامات والمتوفى سنة ٦١٠ هـ .

٣ - وصنعة الكتابة التي قال الخطيب البغدادي إن لجعفر مؤلفات فيها
ترادف كلمة نقد النثر وكلمة البيان ، وهي اصطلاحات كانت تدل في ذلك العصر

(٢) ص ١ نقد النثر

(١) ج ٧ ص ٢٠٥ تاريخ بغداد

(٣) ٤٠ نقد النثر مقدمة العبادي .

على قواعد البيان التي يضعها العلماء للكتاب ، يفصلون لهم فيها مشاكل البيان العربي وبلاغته ، ويرسمون فيها المذاهب الأدبية التي يجب على الكتاب احتذاؤها ؛ وذلك كله ما نراه مبسوطا في « نقد النثر » ، مما يدل على أنه من مؤلفات جعفر في صنعة الكتابة .

٤ — وظاهرة التشيع التي نراها في نقد النثر لا تدفع إلا من قلب رجل لم يخلص للدولة إخلاص قدامة ، وعاش بعيداً عن مناصبها كما عاش جعفر .

— ٢ —

ولتحقيق كل ما أشرت إليه ذكر ما يلي :

١ — لا نشك — ولا يستطيع باحث أن يشك — في أن الكتاب ليس لابن أيوب بعد ما بسطناه من أدلة دامغة .

ب — أما نفي نسبة الكتاب لقدامة فهو ما أيدناه بالحجج الكثيرة القوية ، رغم أن كثيرا من الباحثين يرون غير ما رأيناه

وقد قرأت أخيرا في الجزء الثاني من الامتاع والمؤانسة تأليف أبي حيان التوحيدي الذي ظهر قريبا — نصا جديدا ، أراه حرياً بالفهم والبحث والتحقيق (١) :

قال أبو حيان — في أثناء كلامه على بلاغة الشعر وبلاغة النثر — مانصه :
« وما رأيت أحدا تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة ابن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير : عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلاثمائة ، وخبرته فوجدته قد بالغ وأحسن ، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتنب والمعيب المجتنب ، ولقد شاكة فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ولكنني وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه

ليس ما يعرفه ، وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه . . . وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم وحسن التصور ، . . . فأبو حيان على لسانه حيناً ، وعلى لسان علي بن عيسى الوزير حيناً آخر - يقرر :

١ - أن قدامة بذ سابقه في وصف النثر وفنون البلاغة من طريق اللفظ والمعنى في الميزة الثالثة من كتابه

٢ - أنه بتأليفه هذا الكتاب وابتكاره لبحوثه يضارع الخليل بن أحمد في سمو مكانته وابتكاره لعلم العروض

٣ - أن كتابه هذا عرض على علي بن عيسى الوزير سنة ٣٢٠

٤ - أن أسلوب قدامة في كتابه هجين اللفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة ، واعتذار الوزير عنه في ذلك رائع تمتع دال على مدى مكانة قدامة عند معاصريه من المفكرين

ولكن ما هو هذا الكتاب ، الذي استحق هذا التقدير والاعجاب ، من رجلين يعدان من أعظم رجال الفكر الإسلامى في القرن الرابع الهجرى ، أهو نقد النثر أم سواء ؟

أجزم جزماً قاطعاً بأنه ليس هو نقد النثر ، إنما هو كتاب آخر ، سأذكر اسمه بعد قليل :

١ - ذلك أن كتاب نقد النثر - من ناحيته التأليفية - لم يرتب منازل ، وليس فيه منزلة ثالثة في وصف فنون البلاغة من طريق اللفظ والمعنى مما يدل على الجيد أو الردى من الكلام ، كما يقول الوزير ، إنما هو في البيان الذى يقسمه إلى بيان بالحال ، وبيان بالاعتقاد ، وبيان بالكتابة ، وبيان باللسان . والبيان باللسان عنوانه المؤلف بهذا العنوان : « البيان الرابع العبارة ١١ » ، وتكلم فيه على خصائص

الاسلوب العربي التي تنفق العربية واللغات الاخرى فيها ، وعلى الخصائص الاخرى التي تنفرد بها العربية من : اشتقاق وتشبيه ولحن واستعارة ولغز ووحى ومبالغة وحذف وتقديم وتأخير واختراع ، كما تكلم فيه على تأليف العبارة ١٩ بالتحديث عن أو صاف الشعر ، وأوصاف النثر بسائر ألوانه : من خطابة وترسل ومجادلة وحديث .. أما ما ذكره الوزير فموضوع نجده مفصلاً في « نقد الشعر » ، وقد يكون في كتب أخرى لقدامة . فأما نقد النثر فليس له بذلك صلة ، وليس فيه وصف لفنون البلاغة من طريق اللفظ أو المعنى كما يقول ، وليس فيه تحليل لمذهب قدامة في النقد كما يرى .

٢ - على أن التوحيدى يرى أن قدامة قد استبد بكتابه - الذى لم يسمه أبو حيان - بشرف يسامى الشرف الذى ناله الخليل بإبتكاره علم العروض ، فهل يبوئ قدامة هذه المنزلة : « نقد النثر » ، إن كان هو الذى يريده أبو حيان أو الوزير ؟ لا . فإن نقد النثر ليس من الابتكار الفكرى فى شيء كما كان كتاب الخليل فى العروض ، وكما نرى قدامة فى « نقد الشعر » ، إنما هو لون من الاحتذاء الفكرى لأرسطو والجاحظ ، وتدوين لعناصر البيان الأولى التى أثرت فى عصر قدامة وقبل عصره بقليل

٣ .. على أن الاسلوب الذى ذمه الوزير هو الاسلوب المنطقى المأثور عن قدامة والذى يرشدنا إليه كتابه نقد الشعر ، أما أسلوب نقد النثر فأسلوب بليغ تمتع فيه إشراق البيان . وعليه رونق البلاغة : فلو كان « نقد النثر » هو الذى عناه الوزير لما نقد أسلوبه هذا النقد اللاذع المرير

وإذا فليس « نقد النثر » هو الكتاب الذى عناه أبو حيان والوزير .. ويحق لنا إذا أن نتطلع لمعرفة . حتى يبعد اللبس ، وتستبين السبيل ، ويخلص لنا الدليل

رأيت أنه كتاب آخر - ولا شك - غير نقد النثر، الذي لا يمت إلى قدماء بصفة
وغير نقد الشعر، الثابت النسبة إليه والذي نقده الآمدى وشرحه عبد اللطيف بن
يوسف. وقدم له - غير نقد الشعر - كتاب في صنعة الكتابة (١) وهو غير
نقد النثر، لأن هذا المرجع قد ذكر نقد النثر، وجعله مؤلفاً آخر سواء (٢)
وان كان قد نسب إلى قدماء، ويذكر صاحب كشف الظنون أن لقدماء كتاباً
اسمه سر البلاغة في الكتابة (٣)، وكذلك يذكر اليزدادى في (كامل البلاغة)
أن لقدماء تأليفاً في الكتابة (ص ١٦ كمال البلاغة) .. فليس من المستبعد إذاً أن
يسكون التوحيدى وعلى بن عيسى الوزير قد قصدا كتاباً من هذين الكتابين.
صنعة الكتابة، وسر البلاغة في الكتابة، وقد يكون هذان الاسمان عنواناً
لكتاب واحد لقدماء في بلاغة الكتابة.

وعلى كل حال فالذى نراه ونجزم به أن نقد النثر لا يمت إلى أحد هذين
الكتابين بصفة وليس هو أيضاً من مؤلفات قدماء في البيان، وما يؤكد ذلك
وصف اليزدادى لكتاب قدماء وأنه «فصول مستخرجة من رسائل الكتاب
الح، (١٩١٦ كمال البلاغة)

٣ - ولكن ما مدى صحة نسبة الكتاب لجعفر والد قدماء ؟ من الواجب
على أن أقرر أن هذه الفكرة لا تجد إلى الآن الدليل المادى الملبوس الذى يدفعها
بقوة الحجة، إنما هى استنتاج رأيت، ووجدت من وثيقة أسبابه فى نظرى ما
يكفى لأن أؤمن به وأذهب إليه، ولم أجده - للأسف - شيئاً من مؤلفات جعفر
الذى قال عنها الخطيب البغدادي: إن له مؤلفات فى صنعة الكتابة (١) أتخذه

(١) راجع ٢٠٢ ج ٢ كتاب الادب العربى لجورجى زيدان

(٢) راجع ١٧٣ ج ٢ نفس المرجع

(٣) راجع ٤٧٠ ج ١ كشف الظنون

(٤) ٢٠٥ ج ٧ تاريخ بغداد، ٢: ٤ ج ٢ معجم الادباء طبعة مرجليوث

موضوعا لدراسة مقارنة بينه وبين كتاب نقد النثر لمعرفة شخصية المؤلف والاستدلال عليها بدلالة الأسلوب وثقافة التأليف ، واتجاه المؤلف وروحه فيه . وقد يقال إن جعفر عاش نصرانيا ، فن الغريب أن يتشبع - مع نصرانيته - لآل على ، ومن الغريب أن يكون له مؤلفات مثل : الايضاح أو التعبد أو الحججة ، ولكن من الواجب أن نعرف أن كثيرا من النصارى فى العراق وإيران ، كانوا يتشبعون لأغراض شخصية أو سياسية ، يريدونهم - ويعملون لها ، على أن الروايات التاريخية الصحيحة لا تثبت لنا أن جعفرا عاش نصرانيته

— ٣ —

ونتبع ذلك بخلاصة للحاضرة القيمة التى كتبها ونشرها بعد ذلك زميلى الأستاذ حسن جاد المدرس بكلية اللغة حول قدامة ونقد النثر ، قال الباحث فيما قال :

١ - إن الكتاب ليس لقدامة بالأدلة الآتية :

١ - أسلوب الكتابين متباين ، فى نقد النثر ، أسلوب الرجل الذى ينظر فيما كتب ، ويسوى ألفاظه ، ويقيمها ، ويحددها حتى تكون ملساء لا خشونة فيها . أسلوب يحفل بالصنعة ويحافظ على السجع ، فان لم يراثة لم يفته الازدواج . وفى نقد الشعر ، أسلوب الرجل الذى يعنى بالفكرة قبل اللفظ ، ويشغله المعنى عن التأنق والصنعة ، أسلوب لا يحفل بسجع أو ازدواج ، فهو بين ارتفاع وانخفاض فى الأسلوب والتعبير .

ويكنى أن تستعرض نبذة من كل من مقدمتى الكتابين شاهدا على ما نقول

٢ - ثقافة قدامة ثقافة الفيلسوف الاديب فقط ، ثقافة عقلية أدبية ، تظهر فى آثاره الفلسفية والأدبية ، حيث يتحلى الفكر الناضج والالمام الواسع بالفلسفة والادب والشعر والنقد ، ولا نجد له مؤلفا فقهيا أو أصوليا أو تفسيريا ، وحين نقرأ نقد النثر نجد إلى جانب هذه الثقافة ثقافة دينية كلامية ، تم عن التوسع فى علوم الدين والتأثر بالفقهاء والمتكلمين ، ونجد مؤلفه يحيل على كتب تدل على هذه الثقافة مثل : كتاب الحججة ، وكتاب التعبد ، وكتاب أهرار القرآن ، على أن

هذه الكتب لا تتفق مع ثقافة قدامة ، فانها لم تعد بين آثاره ، في جميع المصادر التي أحصت مؤلفاته . وهذا يدل على أن مؤلف نقد النثر كاتب آخر غير قدامة .

٣ - لم يحل قدامة في نقد النثر مرة واحدة على كتاب نقد الشعر ، كما لم يحل في نقد الشعر على نقد النثر ، مع أن كلا الكتابين مؤلف في النقد ، وكل منهما قد عالج من الموضوعات ما عالج الآخر ، فكان من الأقرب - لو أن مؤلفهما واحد - أن يحل في أحدهما على الآخر في مناسبة من المناسبات ، بدلا من الأحالة على كتب أخرى كالتي ذكرناها .

٤ - يطالعك من كتاب « نقد النثر » فقيه ، شيعي ، لا يمر بموقف إلا استغله لمذهبه ، ولا يعرض له من يوافق نحلته إلا ذكر فيه ما يشفي غليله ، لذلك تراه دائما يعرج على رجال الشيعة ، ويكثر من الاستشهاد بكلامهم في كل ما يقرره . ويحاول تقرير عقيدته في كثير من النظريات .

وهذه الروح لا نحس لها أثرا في كتاب « نقد الشعر » . بل إن قدامة في « نقد الشعر » حريص على الاستقلال الشخصي في الرأي والعقيدة . على أن مكاتبه الأدبية البارزة في البلاط العباسي ، ومهامه الإدارية في ديوان العباسيين . تحول بينه وبين الانضمام إلى أعدام الدولة من الشيعة . وليس من المعقول أن يكون ذلك الاتجاه جديدا على قدامة ، قد اضطرت إليه الأحداث السياسية التي حدثت في آخر حياته باستقلال بني بويه بالامر (٢٣٤ - ٤٤٧ هـ) ، فقصر المدة بين ابتداء عهد بني بويه (٢٣٤ هـ) ووفاته قدامة (٢٣٧ هـ) وهي ثلاث سنوات لا تتسع لهذا الانقلاب الذي ينتج مثل هذا الأثر .

٥ - نلاحظ في الموضوعات المشتركة بين الكتابين اختلافا ظاهرا في الأسلوب ففي « نقد الشعر » تظهر بداءة التأليف في الفن ساذجة بخلاف « نقد النثر » . وحسبك أن تقرأ تعريفي المبالغة في المعنى في كل من الكتابين ليتضح لك الفرق جليا .

على أن منهج قدامة على العموم في « نقد الشعر » منهج تفصيلي قد عني فيه باستقصاء كل مظاهر الأداء اللفظي من إحصاء التشبيه وإحكام المثل ، وصحة

التقسيم والمقابلة والمبالغة والالتفات والارداف والاستعارة والطباق... الخ. ولكن اتجاه مؤلف نقد النثر، اتجاه يكاد يكون إجماليا، قد عني فيه ببحث ألوان البيان وفنونه عامة من نثر وشعر وخطابة وترسل وجدل، ويبحث البلاغة عناصرها، وتطبيق نظرية المطابقة لمقتضى الحال على الشاعر والنثر والمحدث والخطيب. والفرق واضح بين الاتجاهين.

٦ - نلاحظ كذلك في الموضوعات المشتركة اختلاف البحث اختلافا واضحا، فمنهج البحث في نقد الشعر، يتجه اتجاها فلسفيا، وفي نقد النثر، أسلوب المتكلم الذي إذا أراد شيئا من الفلسفة أطال فيه.

على أن النظر بعد ذلك في هذه الموضوعات المشتركة يؤكد لنا اختلاف مصدر الكتابين، لاختلاف الاتجاه والروح والرأى.

٧ - شخصية قدامة شخصية الرجل المستقل في آرائه، المنجد في كثير من النظريات، ولكن نقد النثر يخالعنا بشخصية مقلدة، تعترف بذلك صراحة في مقدمة الكتاب، وتتأثر كل التأثر بالجاحظ، وتعتمد على أرسطو وغيره.

٨ - وأخيرا فقد أحصى ابن النديم في فهرسته اثني عشر كتابا من مؤلفات قدامة: ولا نظفر بذكر كتاب نقد النثر أو البيان، بين هذا الانتاج المتعدد في مختلف مصادره. كما أننا لا نجد في هذه المصادر ذكرا لكتاب واحد من الكتب الأربعة التي فوه بها.

من هذه الأدلة نجزم أن نقد النثر، ليس اقدامة.

ب - وزعم بعض الكتابين أن كتاب نقد النثر، لو الد قدامة وجمفر بن قدامة بن زياد، وساق لذلك أدلة ليست محل القطع واليقين، ولكنها موضع الظن ج - فليس مؤلف الكتاب هو قدامة من غير شك، ولا هو ابن أيوب كما قدمنا، فمن يكون إذن؟ لقد حاولنا أن نهتدى إلى المؤاف، وسلكنا في ذلك سبيل البحث عن الكتب الأربعة السالفة التي أحال عليها مؤلف نقد النثر، فأعيقنا المحاولة، وشق علينا السبيل، وكل ما نستطيع أن نقطع به أو نرجحه على الأقل هو

أن « نقد النثر » قد أُلّف في القرن الرابع الهجري كما أسلفنا في صدر البحث، وليس
يبيد أن يكون مؤلفه تليداً لقدامة، ولكن الذي لا شك فيه هو أن مؤلف هذا
الكتاب مجهول للآن.

— ٤ —

وبعد كتابة كل ما تقدم نشر الأستاذ الدكتور علي حسن عبد القادر مقالة في
الرسالة عدد ٨ - ١١ - ١٩٤٨ ذكر فيها ما يلي :

١ - كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن
سليمان بن وهب الكاتب، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر »، حرره وأخرجه
الدكتور طه حسين، والأستاذ عبد الحميد العبادي، منسوباً إلى أبي الفرج قدامة
ابن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ. وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر »
على مخطوطة بمكتبة الاسكوريال رقم ٢٤٣

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربتي رقم ٧٦٧ تحت عنوان
« كتاب البرهان في وجوه البيان »، وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر »،
المطبوع وجدناهما يتفقان في القدر المطبوع، وتزيد المخطوطة التي بأيدينا على
المطبوعة بمقدار ثلثي الكتاب تقريبا. ولم نشك في أن هذا القدر الزائد إنما هو
جزء أصلي من الكتاب قد سقط منه في المخطوطة الاسكوريالية؛ وذلك أن المؤلف
قد بنى كتابه على أربعة وجوه للبيان :

البيان بالاعتبار، البيان بالاعتقاد، البيان بالمعبرة، البيان الرابع بالكتاب
وهو غير موجود في النسخة المطبوعة، وقد علل محقق هذه النسخة المتبورة هذا
النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو المعبرة) الكلام على الوجه
الرابع وهو الكتاب.

وفي النسخة المخطوطة التي بأيدينا، جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب،
واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً، كما جاء فيها الكلام على باب المعنى وذكر
المروض والقافية بتفصيل كامل. وكذلك جاء فيها ما بقي من وجوه الحديث وجهاً
وجهاً، وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبة مرتبة، فكانت
مخطوطتنا بهذا التحقيق هي النسخة الكاملة للكتاب.

٢ - وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر في أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه بل إن لها أهمية أخرى أكبر ، وهي معرفة مؤلف هذا الكتاب . على التحقيق . وهو أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب مما يبطل نسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر ، كما أن مخطوطتنا تحمل الاسم الصحيح للكتاب ، وهو « البرهان في وجوه البيان » .

ويؤيد ذلك أيضا أدلة أخرى منها :

أولا : نسب إلى قدامة كتاب في الكتابة ، وليس هو « البرهان » أو « نقد النثر » وإنما اسمه « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » ، وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالآستانة ، وقد استخرج دى غويه نبذا منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » ، وهذه النبذة هي الأبواب الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المنزلة الخامسة ، والأبواب السادس والسابع من المنزلة السادسة . وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة » ، رتبته مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعا . ويقول المطرزي في كتاب الإيضاح شرح مقامات الحريري - مخطوطة المتحف البريطاني : « وله تصانيف كثيرة منها كتاب « الإفاظ » ، وكتاب « نقد الشعر » ، وهو حسن للغاية طالعتة ونقلت منه أشياء ، وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل ، وكل منزلة منها تحتوي على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء : وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٢٧ بمناسبة موت قدامة مانصه : « وله كتاب حسن في الخراج وصناعة الكتابة » .

وهذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر » ، إذ أنه على أربعة أبواب تتناول كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة ، وفضلا عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج في كتابنا « البرهان » ، والنتيجة البديهية هي

أن قدامة وأبا الحسين كتب كل منهما كتابا في الموضوع ولكن كلا منهما سلك مسلكه الخاص في علاج الموضوع .

وقد ألف قدامة كتابه قبل سنة ٢٢٠ وأما الحسين فألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية في ثنايا الكتابين .

ثانيا : من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة (نقد الشعر) وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » في كتابه الشعر أيضا ، فلو أنه كان أقدامة لما احتاج إلى معالجة هذه الموضوعات مرة أخرى بمثل هذا البيان السكا في ، فضلا عن ذلك فإن معالجة الشعر في (البرهان) تختلف اختلافا جوهريا عنها في كتاب (نقد الشعر) من الناحية الفنية والموضوعية .

ثالثا : وصاحب كتاب (البرهان) يصر في كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظمهم نفورا بهم كأن يقول (وقد كان شيخنا أبو علي الحسن بن وهب رحمه الله ... وقال أبو أيوب رضى الله عنه .. وقد ذكر أبو أيوب رحمه الله رجلا مشهورا بالبلاغة .. ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة إلا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكتفى وأجزى) .. وأبو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجد المؤلف . رابعا : وهناك أمر يجب التنويه به وهو أن البطليوسى في كتابه (الاقتضاب شرح أدب الكتاب) قد كتب فصولا طويلة بنى عليها مقدمته في شرح الكتاب (ص ٦٦ - ٩٠) وهذه الفصول تتفق في لفظها مع بعض فصول كتاب البرهان ولكن البطليوسى لم ينسبها إلى أبي الحسين ولا إلى قدامة ، وإنما أشعر بنسبتها إلى علي بن مقلة (م ٣٢٧ هـ) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب (البرهان) هو لابن مقلة لأنه ألف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمانى سنين والفرد المتيقن أن البطليوسى لم يحتسب على أى حال قدامة بن جعفر مؤلفا للكتاب الذى نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل أن يكون (البرهان) قد نسب مرة إلى علي بن مقلة كما نسب إلى قدامة بن جعفر وجهل أمر صاحبه . ومن المحتمل أيضا أن يكون البطليوسى ومؤلف كتابنا

هذا كلاهما نقل نقولا من كتاب لابن مقلة في هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب قد نسب إلى قدامة ابن جعفر في طرة المخطوطة الاسكوريالية ، وكذلك في طرة المخطوطة التي بأيدينا مع ورود اسم المؤلف في أثناء الكتاب وهو أمر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير فإن الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الادبية ويعرفون شهرة كتابه في الادب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا اسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين

- ٥ -

دراسة لنقد النثر

أولاً : ١ - ثقافة الكتاب ثقافة واسعة ومؤلفه ملم بعلم العربية والدين والفلسفة إلما قويا .

٢ - ويبدو في الكتاب أثر الجاحظ بصورة واسعة فتؤلفه الذي عاب كتاب البيان للجاحظ في أول نقد النثر قد تأثر به إلى حد كبير .

١ - فكلامه على انواع البيان (ص ٩ - ١٧) ، ونظره إلى البيان نظرة واسعة أعم من البيان بالعبارة ، هو صنيع الجاحظ في كتابه (٦٨ و ٦٩ ج ١ البيان)

ب - وفي ص ٩٦ يتكلم المؤلف على اختيار مواقع الكلام وأوقاته ومناسبتها للسامعين ومطابقة الكلام للمقام ، وذلك رأى الجاحظ (٦٨ - ١٠٥ ج ١ البيان)

ج - ويرى المؤلف أن الفكاهات يجب ألا تغير وأن الجزالة يقويها معاشرة الادباء والفصحاء (١٣٩ و ١٤٠) وأن للحن يستحسن من الجوارى (ص ١٤٤)

وأن من الصواب معرفة أوقات الكلام والسكوت واقدار المعاني والالفاظ (١٤٥) بأن يأتي بالمعنى فيما يليق به من اللفظ (ص ١٤٨)

وذلك كله كلام الجاحظ في البيان والتبيين ، ويبدو أثر الجاحظ واضحا فيما كتبه مؤلف نقد النثر عن المنشور (٩٣ - ١١٤) . وكثير من شواهد الكتاب هي

من البيان والتبيين :

ثانيا : وقد تأثر عبد القاهر الجرجاني بنقد النثر وأخذ منه بعض آرائه :

١ - فالتشبيه عند مؤلف نقد النثر قسمان : تشبيه للأشياء في ظواهرها وألوانها وأقدارها كتشبيه القد بالفصن والنساء بالياقوت ، وتشبيه في المعاني كتشبيه الشجاع بالأسد وأعمال الكافرين بالسراب (٥٨ و ٥٩ نقد النثر) . وتكلم المؤلف عن الظاهر فقال إنه ما أدرك بالحس أو بفطرة العقل التي تتساوى العقول فيها ، والباطن ما غاب عن الحس واختلقت في إثباته العقول (ص ١٨ نقد النثر) وذلك هو فكرة عبد القاهر في تقسيم التشبيه (٧٠ - ٧٥ أسرار البلاغة)

٢ - ويقول المؤلف إن الحكماء والأدباء لا يزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشياء والأشكال ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا وأقرب مذهبا . وإنما فعلوا ذلك ، لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكنا فهو يحتاج إلى ما يدل عليه وعلى صحته والمثل مقرون بالحجة (٦٦ نقد النثر) . وقد تأثر عبد القاهر بهذه الفكرة ودونها في الأسرار (١٠٣ - ١٠٥ أسرار البلاغة)

٣ - وحكى المؤلف رأى من عاب الشعر ورد عليه بأن النبي سمعه وأثاب عليه (٧٧ و ٧٨ نقد النثر) . وهذه الفكرة عند عبد القاهر (١٣ الأسرار) .

٤ - وقال المؤلف إن من أوصاف البلاغة أن يتساوى فيها اللفظ والمعنى فلا يكون اللفظ إلى القلب أسبق من المعنى ولا المعنى إلى القلب أسبق من اللفظ (١٠٥ نقد النثر) . وقد ذكر ذلك عبد القاهر (١٢٢ الأسرار) متأثرا بالجاحظ ومولف نقد النثر

ثالثا : مما أخذ على الكتاب

نأخذ على نقد النثر ما يأتي :

١ - عيبه لكتاب البيان للجاحظ . فهذه النظرة التي نظر بها المؤلف إليه قد بالغ فيها كثيرا (ص ٣ نقد النثر)

٢ - ويقول صاحب نقد النثر في ص ٢٤ إن المعقول من الموجودات التي لا تحصى لا يحصى . وهذا مبالغ فيه .

رابعا : مما أخذ على مقدمة الدكتور طه لنقد النثر :

١ - تهوينه من شأن الجاحظ في دراسات البيان .

ب — قال إن قدامة تكلم على العتاب في نقد الشعر وهذا غير صحيح فإن قدامة لم يتعرض له

ج — ويقول إن نظرية المحاكاة عند أرسطو غير موجودة في نقد الشعر .

وأرى أن قدامة تكلم عليها إجمالاً في كلامه على الوصف (٧٠ و ٧١ نقد الشعر) وأيضاً فالمحاكايات ثلاثة كما يقول أرسطو : تشبيه واستعارة وتركيب منهما (أى استعارة تمثيلية) وقد تكلم قدامة على هذه الأنواع في نقد الشعر

د — قال إن عبد القاهر أول من تكلم في المجاز العقلي وذلك بعيد عن الصواب كما بينت في بحث المجاز العقلي في الجزء الأول من هذا الكتاب خامساً : خلاصة آراء مؤلف نقد النثر في البيان :

تكلم صاحب نقد النثر على ألوان كثيرة من البيان في كتابه :
١ — فقد تكلم على البيان ووجوهه وأقسامه

٢ — وعرف البلاغة والفصاحة (٧٦ و ١٠٥) وذكر أوصاف البلاغة [١٠٥ وما بعدها]

٣ — وتكلم على مطابقة الأحوال واختيار مواقع الكلام وأوقاته والمناسبة بين المعنى واللفظ ومواقع الإيجاز والأطناب (٩٣ - ١٠٦)

٤ — وتكلم على الخطابة وأوصافها وأوصاف الخطيب

٥ — وذكر ميزان جودة الشعر (٨٤)

٦ — والمؤلف أول من تكلم عن الخبر والانشاء بأوسع تفصيل ولم يرد

العلما بعده إلا اليسير (٤٤ - ٤٩ نقد النثر)

٧ — وتكلم عن التمثيل والتشبيه والاستعارة والجن (التبريض) والمعارضة (التورية) وعلى الرمز والوحي والغز والحذف . وعلى الالتفات وسماه (الصرف) (ص ٧٠) . وعلى المبالغة وعلى التقديم والتأخير . وأشار إلى الفصل والوصل ومن ذلك نرى أن نقد النثر له أثر خطير في البلاغة

سادساً : هذا ويمتاز أسلوب نقد النثر بالحدود المنطقية وبالأسلوب الأدبي . ويبدو في الكتاب أثر فلسفة اليونان والخطابة والشعر لأرسطو خاصة ٩

الصبيغ البديعي بين عبد القاهر والسكاكي

ونشر هنا خلاصة موجزة لبحث قيم نشره فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد موسى المدرس بكلية اللغة في مجلة الأزهر في هذا الموضوع ، نعمة للفائدة وهذه هي خلاصة هذا البحث :

١— كان المنحى الذى نحاه عبد القاهر الجرجاني بأصباغ البديع ، أمثل المناحي وأجلها ، وأعودها على هذا العلم بأحمد النتائج وأطيبها ، وحمل الحسن فيه ذاتيا أصيلا ، يتم الغرض بوجوده ويتقدم بعده ، وأبرزه في معرض سليم العبارة مشرق الديباجة ، قوى التصوير ، ينفى عن ذوق أدبي معدوم النظر ، وقوة في التحليل والغوص على أسرار الأساليب ليس في بابها مثيل

فلما كانت أواخره السادس وأوائل السابع الهجرى أخذ البديع يتحدر رويدا رويدا إلى هاوية الأسفاف والانهطاط . على يد مدرسة جديدة في البلاغة وكان زعيم هذه الخلبة سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، شهد له ابن فضل الله في المسالك قال : « ذو علوم سعى إليها فحصل طرائقها ، وحضر تحت جناحه طوابقها ، واهتز للمعاني اهتزاز الغصن للبارح ، وقال أبو حيان في الارتشاف : « كان علامة بارعا في فنون شتى خصوصا المعاني والبيان . . . » وقد نهل السكاكي وعمل من إملاء موارد عصره فتلقى الفقه عن سعيد بن محمد الخياطى ، ومحمود بن صاعد الحارثى شيخ الإسلام ، أما شيخه في العربية فهو كما صرح به في المفتاح الحاتمي الأديب المتذوق «^١» ولقبه شرف الدين . وقد استودع السكاكي كتابه المفتاح من أنواع الأدب مارآه لا بد منه للأديب ، فضمنه علم الصرف والاشتقاق ثم أورد علم النحو ، وبين أن تمامه يعلم المعاني

والبيان ، ثم بين أن تمام علم المعاني يعلى الحد والاستدلال فأتى بهما . ولما كان التدريب في علمي المعاني والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر أوردتهما في كتابه ، ثم لما كان صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي فبنى عنوان القلم إلى إيرادهما . . وفي القسم الثالث سماه بالبلاغة نحواً جديداً لم ينح على هذا الوجه من قبله ، فجرى على طريقة من الضبط والتقسيم ، والتجديد والتدرج في توليد المسائل اللاحقة عن المسائل السابقة ، والاحالة على قواعد العلوم الأخرى ، والكشف عن سر انحصار العلم في أبوابه ، أو الباب في مسائله .

واقراً إن شئت فصلاً عقده لضبط معاقته علم المعاني ، واستعرض هذا القسم من الكتاب تراه قد أمدن في الغوص بقواعد البلاغة إلى اعتمق بحار العلوم العقلية من منطق وفلسفة ، وجرى في ذلك إلى غاية بعدة المدي ، مترامية الأطراف كانت أولى الخطوات الواسعة بعد قدامة بن جعفر في النزول بالبلاغة إلى هذا المدرك الذي ترى عليه البلاغة الآن .

٢ — صلة البديع بالبلاغة عند السكاكي :

للسكاكي صنيع لم يسبق إليه في تاريخ التأليف من حيث إقامة الحواجز الفاصلة بين العلوم التي اشتمل عليها المفتاح

فالسكاكي أول من أطلق اسم « علم المعاني » ^(١) على المباحث الخاصة التي بحثها فيه ، ولا يخدش هذه الأولوية ما رجعته من أنه اقتبس ذلك الاسم من تعريف النظم وشرح الغرض منه عند عد القاهر . وكذلك كان السكاكي أول من أطلق على مباحث : التشبيه ، والمجاز ، والسكناية ، اسم « علم البيان » .

وقد عرف السكاكي البلاغة بقوله : « هي ^(٢) بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه ، والمجاز

(١) وهذا لا ينافي ما جاء في مقدمة الكشف للرخشري المتوفى سنة ٥٣٨

حيث صرح بما يفيد أن المعاني علم آخر إذ أن ذلك كان على عرف المتقدمين الذين لم يقيموا بينهما مثل هذه الحواجز ، كما فعل السكاكي

(٢) مفتاح العلوم - ١٧٥

والكتابة، على وجهها، ثم أشار إلى طرفيها الأيمن والأيسر، وإلى ما بينهما من مراتب متفاوتة، ثم نوع الفصاحة إلى نوعين: وقوع ورجوع إلى المعنى وراجع إلى اللفظ، ثم خُصص من ذلك فقال (١) : « وإذا تقرر أن البلاغة بمركبها وأن الفصاحة بنوعها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فما هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها، لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهو قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ، ثم مضى في سوق ما تيسر له سوقه من النوعين بما تجده قاراً في موطنه من كتابه، وليس له فيها من جديده سوى إطلاق اسم « سوق المعلوم مساق غيره، على ما كان يعرف هذه المتقدمين باسم « تجاهل العارف، وكأنه لم يجب أن يطلق عليه اسم تجاهل العارف لوروده في القرآن الكريم، ثم تراه بعد ذلك يسير سيرة من الإيجاز، والاكتفاء بتحديد الألوان. وإردافها بمثال واحد، أو مثالين دون أن يشبه كما أشار عبد القاهر أو أبو حلال مثلاً إلى أسرار الأساليب والكشف عن جمالها وروعها، وكذلك تراه بعد أن فرغ من سرد القسم اللفظي يذيله بقوله: وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني، لأن تكون المعاني لها توابع، أعنى ألا تكون متكلفة

على هذا النحو الذي رأيت عرض السكاكي للبدیع وقسم ألوانه إلى قسمين: معوى ولفظي، وهو مسبوق بهذا التقسيم وتلك الألوان، وليس له من جديد إلا ما حدثاك عنه مما ليس له كبير خطر في جوهر العلم ولبابه، . وقد نال البدیع من طريقة السكاكي في القسم الثالث هذا السرد القائم على الاكتفاء بتحديد الألوان وتحديد ما وإزجائها بمثال أو مثالين مجانبا طريق سلفه عن جموعا بين البحث العلمي وحسن العرض الأدبي في البدیع .

إلا أننا نلاحظ هاهنا أن السكاكي - وقد فصل بين المعاني والبيان وأطلق

عليهما هذين الاسمين - لم يعرض لالوان البديع على أنها علم مستقل عن العليين : بل على أنها تشارك مسائلهما في تزيين الكلام بأجس الحل .

عرف المعاني بقوله : وهو تقع خصوص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره (١)

ثم عرف البيان بقوله : وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالانقصان ، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتام المراد منه (٢)

وكا كان السكاكي أول الجناة المسرفين على علم البلاغة باخضاعه للعلوم العقلية ، فأضاع بهجته ، وأخلق ديباجته ، كان أول الجناة عليه بالجناته إلى مضائق الاختصار ووسمه بميسم التعمية والالغاز ، ذلك أنه عمد إلى القسم الثالث فاختصره في كتاب سماه « التبيان » ففتح بذلك باب الاختصار لمن بعده .

وبعد : فبالقسم الثالث من المفتاح تنقطع الصلة بين المتقدمين الذين غلبت عليهم الصيغة الادبية ، وبين المتأخرين الذين غلبت عليهم الصيغة النظرية ، وتمضى البلاغة مثقلة بأعباء المنطق والفلسفة ، والكلام ، وفي ذيلها البديع في طريق الاختصار المخل الذي لا يشبع نهمة ولا يلب أواماً ولا يربى ذوقاً .

٣ - حكومة الخطيب على البديع : وقد أحصى صاحب كشف الظنون (٣) عدداً وافراً ممن توفروا على القسم الثالث من المفتاح بالاختصار ، أو النظم ، أو الشرح وأشهرها متن التلخيص لجلال الدين القزويني ، وقد نال التلخيص قسطاً وافراً من الشهرة والرواج ، قال صاحب كشف الظنون (٣) : ولما كان هذا المتن مما يتلقى بحسن التلقي والقبول ، أقبل عليه معشر الأفاضل والفحول ، وأكب على

(٢) مفتاح العلوم ٧٠

(٤) ص ٢٢٢ ١

(١) مفتاح العلوم ٧٠

(٢) ص ٢٢٣ ٤٨٠

درسه وحفظه أولو المعقول والمنقول : فصار كما صله محط رحال تحريرات الرجال
ومبسط أنوار الافكار ، ومزدحم آراء البال ، فسكتوا له شروحا . ، وقد رتبته على
مقدمة وثلاثة فنون وخاتمة ، فالقدمة في شرح معنى الفصاحة والبلاغة ، والفن الأول
في علم المعاني ، والثاني علم البيان ، والثالث في علم البديع ، والخاتمة في السرقات
الشعرية وما يتصل بها .

ونظرة إلى هذا الصنيع نقفنا على مبلغ تجديد الخطيب بالنسبة إلى البديع ، فقد
جعله علما مستقلا عن أخويه ، وانظر إلى تعريف علم البديع بقوله : هو علم يعرف
به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، كيف قضى على ألوانه
بأن تكون حلى مزينة ، تنكسو الكلام بهجة بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ،
وأنها عرضية ليست بالذاتية . إن السكاكي قسم ألوان البديع إلى قسمين : معنوي ،
ولفظي ، وساق من المعنوي عشرين لونا من بينها : الاعتراض والالتفات
والإيجاز ، والأطناب ، وجعل الطباق والمقابلة نوعين يستقل كل واحد منهما عن
صاحبه ، فتابعه الخطيب في تقسيم المحسنات إلى القسمين المذكورين ، سوى أنه عد
من المعنوي ثلاثين لونا في التلخيص ، وواحدا وثلاثين في الإيضاح ، ليس من بينها :
الالتفات والاعتراض ، والإيجاز والأطناب ، واكتفى بعدها ضمن مباحث علم
المعاني ، وجعل الطباق مشتملا على المقابلة ، متأثرا بطريقة ابن سنان الخفاجي في
سر الفصاحة ، وقد أربى على السكاكي في المحسنات المعنوية : بالارصاد ، والعكس ،
والرجوع ، والاستخدام ، والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامي ، وحسن
التعليل ، والتفريع وتأکید الذم بما يشبه المدح ، والادماج ، والهزل الذي يراد به
الجد ، والقول بالموجب ، والأطراد ، والاستطراد ، وكذلك فعل في المحسنات
اللفظية فراد : الموازنة ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم . وهو في كل أولئك مسبق ؟

الكلمة الاخيرة

هذا هو آخر الجزء السادس من شرحي على كتاب « الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩ هـ ،

وبنهاية هذا الجزء ينتهي شرحي على الكتاب ، وهو شرح كبير وقع في ستة أجزاء ضخمة تبلغ صفحاتها أكثر من ألف وخمسة صفة ، مع الاختصار الشديد فيه تلبية لرغبة الناشرين المحبة ، ولولا ذلك لوقع هذا الشرح في ضعف هذا الحجم .

وقد أخذ هذا الشرح منا جهدا كبيرا : في بحوثه ومراجعاته وتحقيقاته ، مما لا أستطيع تفصيل القول فيه ، فالكتاب بنفسه ناطق بمدى ما نال من عناية وجهد

ولاني لا سجل اعترافي بأثر فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء علينا في دراسات البلاغة وبحوثها . . وبأثر هذه البحوث الجليلة في دراسة البلاغة تأليف فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ سليمان نوار عميد كلية اللغة العربية التي استفدت منها فائدة كبيرة

وأخيرا أسأل الله تبارك وتعالى أن يمنحنا التوفيق ، ويرشدنا إلى أقوم طريق

وصلى الله على رسوله الكريم ، خير الانبياء ، وصفوة الخلق أجمعين

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب

محمد عبد المنعم خفاجي

المدرس في كلية اللغة العربية

١٢ ربيع الثاني عام ١٣٧٠ هـ

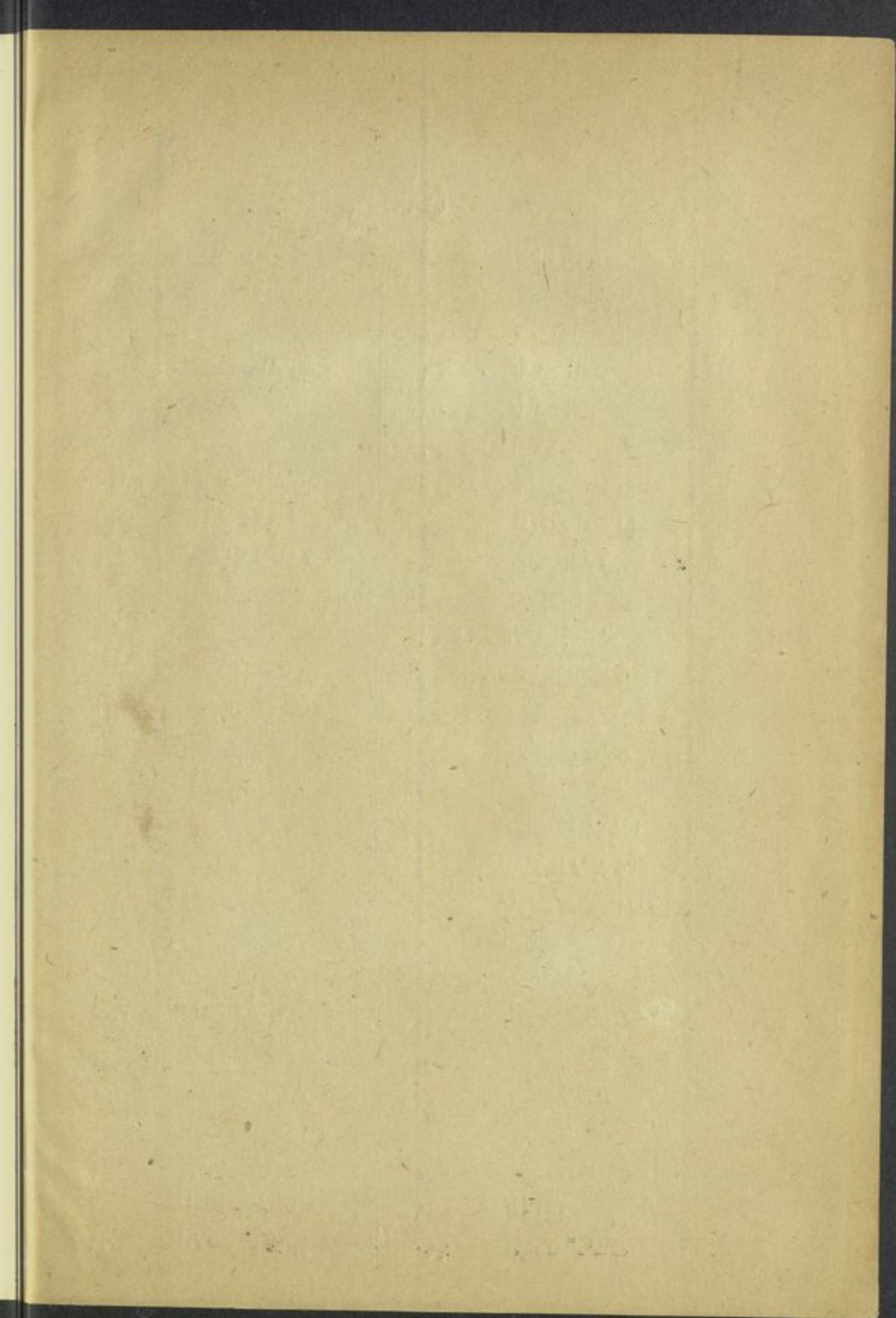
٢٠ يناير عام ١٩٥٩

استدراكات

الصفحة	السطر	الكلمة	صحفها	الصفحة	السطر	الكلمة	صحفها
٧١	٢٠	هي	هو	١٤٩	٨	تضمن	تضمنين
٨٥	١٦	أبو	أبو هلال	١٤٢	٢	لسجيم	لسجيم
١٠١	٦	لمعز	المعز	١٤٢	٩	هيبته	هيبته
١٣٠	١٤	النيان	البيان	١٤٢	١٠	ندايتم	ندايتم
١٣٠	١٦	بأوسهم	بأوسهم	١٤٢	١٥	الذنباجبك	الذنباجبك
١٣١	١	يدعى	يدعى	١٤٢	١٦	ل بعنيه	لا بعنيه
١٣١	٦	وقدل	وقول	١٤٢	١٦	باليات	باليات
١٣١	١٨	وقبولة	مقبولة	١٤٢	١٩	البثر	البثر
١٣١	١٨	ود	رد	١٤٢	١٩	عقد	عقدا
١٣٣	٢٢	هافي	هافي	١٤٣	٩	صاحت	صاحب
١٣٤	٤	(١)	(٢)	١٤٣	٩	للبي	البي
١٣٤	١٠	ستماره	ستار	١٤٣	١٠	أعاليه	أعاليه
١٣٤	١٥	عذابا	عذابا	١٤٣	١١	جيل	جبل
١٣٥	٢	حق	حسن	١٤٣	١٣	يتبس	يلبس
١٣٥	١٦	فزا فقيه	فزا فقيه	١٤٣	١٥	بلوب	بثوب
١٣٧	٢	بمقناهم	بمقناهم	١٤٣	١٨	اليرمل	الكامل
١٣٨	٥	أن	إن	١٤٣	٢٤	لابنة عبد	لابنه
١٣٨	٨	والاقياس	والاقياس	١٤٣	٢٤	ابن - البخل	ابن - البخل
١٣٨	٨	أنا صلي	الأصلي	١٤٥	١٦	الرغم	راغم
١٣٨	١٧	ولاج	ولاح	١٥٣	١٧	من إلى	من كلام إلى
١٣٨	١٧	مدلحة	مدلحة	(في الجزء الخامس)			
١٣٨	١٨	ليطفشوه	ليطفشوه	١٥	١١	واشراطها	اشراطها
١٣٩	٢٤	شعر	شعره	١٣٦	١٦	ثانيا	أولا

فهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حسن التعليل	٦٨	الكلمة الأولى	٣
التفريع	٧٤	علم البديع	٤
تأكيد المدح	٧٦	٩٠ - المحسنات المعنوية	٥
تأكيد الذم	٧٨	المطابقة	٦
الادماج	٨٠	التدبيع	١٣
التوجيه	٨٢	المقابلة	١٦
القول يراد به الجذ	٨٤	مراعاة النظير	٢٠
تجاهل العارف	٨٥	تشابه الاطراف	٢٢
القول بالموجب	٨٧	إيهام التناصب	٢٣
الاطراد	٩٠	التفويق	٢٤
٩١ - ١١٧ المحسنات اللفظية	٩١	الارصاد	٢٥
الجناس	٩١	المشاكلة	٢٧
رد المعجز على الصدر	١٠٣	الاستطراد	٣١
السجع	١٠٧	المزاوجة	٣٤
القلب والتشريع	١١٤	العكس	٣٥
لوم ما لا يلزم	١١٥	الرجوع	٣٨
شرط حسن المحسنات	١١٧	التورية	٣٩
اللفظية		الاستخدام	٤٢
خلاصة أخيرة	١١٨	الف والنشر	٤٣
السراقات الشعرية	١١٩	الجمع - التفريق	٤٦
ما يتصل بالسراقات	١٢٦	التقسيم	٤٧
حسن الابتداء	١٤٧	الجمع مع التفريق أو التقسيم	٤٩
حسن الانتهاء	١٥٣	الجمع مع التفريق والتقسيم	٤١
بحوث ودراسات	١٥٥	الهجريد	٥٤
كلمة أخيرة	١٨٩	المبالغة وأقسامها	٦٢
فهرست الكتاب	١٩٠	المذهب الكلامي	٦٦



DATE DUE

AUB. Library

خفاجي، محمد عبد المنعم
الايضاح في علوم البلاغة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030002



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

